من عيون التراث العماني

الصحيفة القحطانية

تأليف

حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت النخلي العماني

(١١٩٨-١٢٩١هـ/١٧٨٣-١٨٧٤م)

تحقيق وتقديم

د. محمود بن مبارك السليمي

أ. د. محمد حبيب صالح   أ. د. علاّل الصديق الغازي

الجزء الخامس

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

ص.ب:٦٦٨ الرمز البريدي:١١٣ مسقط

رقم الإيداع: ١٠/ ٢٠٠٩

[سالم بن غسان بن محمد الخروصي]:

وأما شعراء العمانية اليمنيين الذين اتصل بهم علمــي، وأحــاط بهــم فهمــي،فمن مشاهيرهم الشيخ الأديب الأريب الفصيح سالم بن غسان بن محمد بن راشــد بــن محمد بن أبي غسان (بن غسان) الملوحي الخروصــي الــشنوي الأزُدي العمــاني الإباضي.قال الشيخ الثقة الزاهد خميس بن الشيخ العالم العامل الرئيس أبي نبهــان جاعد بن خميس الخروصي، رحمه الله: سمعت والدي شفاهاً [يقول]، كفــى أهــل عُمان فخراً بالشعراء، حيث منهم الستالي، وابن غسان سالم، قــال:وفــي التقــى والورع اشتهر سالم بن غسان،فمن شعره من الفصل الثاني رسالة لليلي الــشريفة منوطة برسالة خير الأنام محمد عليه وآله أفضل الصلاة والسلام قوله من السيرة:

متى بنا العــيس يــنكحن الــسماليقا	فتنـــتج الحَـــرم والحـــزم المخاريقــا
تطوي بنا مهرق الهجل التنـــائف لا	تألوا كما طــوت الأيــدي المهاريقــا[1]
مهالكا ما بهـــا تلقـــى العــسيس ولا	أجـــلا وســـربا ولا غـــدقا مناعيقـــا
تخالهـــا وهـــي بالحربـــاء عاكفـــة	تظـــن أقوازهـــا فيهـــا معاليقـــا
والشهب منها وفيها لا يــزال بهــا	ليـــل التمـــام مغاريبـــاً مـــشاريقا
بهماء تسمع فيهــا الجــنّ عازفــة	والـــريح خافقـــة والـــصوت مخفوقـــا
والعيس مثل نبات الماء في لجــجٍ	مـــن الـــسراب تـــشق الآل تـــشقيقا
تظنها في لعـــاب الـــشمس ســـابحة	راد الـــضحى فـــوق قـــاموس حـــداريقا
تبين طــورا ًوتخفـــى تـــارة فكمـــا	في جـــدول تغـــسل الأيـــدي الأباريقـــا
تـــسوق أرجلهـــا بالوخـــد أيـــديها	وشـــوق ليلـــى لليلـــى حثحـــث الـــشوقا

لها حنين إلى ليلـــى هـــوىً وجـــوىً تظنهـــا كلمـــا حنـــتّ مفاريقـــا

والركب من ناعس في كورها لعبـاً ومـــن مهيـــنم فـــوق الكـــور تأريقـــا

ما وردت حرضاً أو بالجفـــان ومـــن جـــو ّ الـــضبيعة أمّوهـــا الجوانيقـــا

ومن حنابى و مرّان وبئـــر ســـخيً وأصـــبحوها قبـــا شـــعراء تغبيقـــا

وأنشجوها فمـــن ذي ركيـــة بركـــاً قد صـــفقتها ريـــاح الـــصيف تـــصفيقا

مـــوارد كمنـــت أمواههـــا وســـنت فتحسب المـــاء تحـــت الأرض عيّوقـــا

ولو يواردهـــا الظئبـــار نـــوّح فـــي أرجائهـــا وبقـــي حيـــران زهليقـــا

والـــذئب يقتلـــه ترســـيم قامتـــه مـــن خوفهـــا وتخـــال الظـــن تحقيقـــا

قالوا وباتوا عليهـــا فـــوق أرجلهـــا مثـــل البـــرود بـــأكوارٍ ســـباريقا

تناشدوا شعر ليلـــى كلمـــا انتبهـــوا ما كان في الشعر محزومـــاً ومفروقـــا

حتـــى إذا فلـــق الإصـــباح فالقهـــا والعيس قلقلت الربـــداء تفليقـــا [٧٤٨]

لاحت شوارع ليلـــى والمنـــابر والأ عـــلام تحـــسبها ســـفناً مطاليقـــا

فهلل الركـــب تكبيـــرًا ومـــن فـــرح بكت ويبكـــي أخـــو الأفـــراح تـــشويقا

ألقت عصاها بها في صحن أبطحهـــا وأوضمت فـــي الوصـــامات الجواليقـــا

وأقبلت تنتحي بـــاب الـــسلام ومـــذ ليلـــى بـــدت لهـــمّ ضـــجّوا مواليقـــا

وأقبلـــو ولعمـــري قبلـــوا حجـــراً في الـــركن بـــالعنبر العبّـــاق مغبوقـــا

وبعدّ طافوا ســـبوعا كلمـــا وصـــلوا أركانهـــا عـــانقوه ثَـــمَّ تعنيقـــا

وأتبعوا العلّ مـــن مـــازمزم وعلـــى أثبـــاجهم مـــا بقـــي ألقـــوه مهروقـــا

ونحو باب الصفا لحوا لـــه وســـعوا بـــالمروتين دراريقـــا دراريقـــا

وفي منى ليلهم باتوا و حيـــث بـــدت شمس الضحى في رؤوس الشم تشريقـــا

رقوا على عرفــات ثمــت ابتهلــوا وســـاعلوا الله إخلاصـــاً وتوفيقـــا

وبالغروب إلى جمــع فقــد نزلــوا ليجمعــوا يزمعــاً للرمـــي مفروقــا

بالمشعرالصبح هم صلّوا وقد قصدوا رمـــي الجمـــار قبيـــل الـــدم ماريقــا

وبعد ما حللــوا إحــرامهم قــصروا بعض الشعور وبعضاً صــار محلوقــاً

نـــادى منـــاديهم زوروا نبـــيّكم فـــأزمعوا وحـــدى حـــاديهم النوقـــا

مذ شارفوا طيبة المختار ما فانتخجوا ويممـــوا البـــاب للتـــسليم مطلوقـــا

حيّـــوا نبـــيّهم تلقـــاء كوكبـــةٍ وبعـــد حيّـــوا أبـــا بكـــر وفاروقـــا

صلى الإله عليه مــن نبــيّ هــدى وأقـــرب الخلـــق للخـــلاّق مخلوقـــا

محمد المصطفى المبعوث من مضرٍ ممـــزق الـــشرك بالإســـلام تمزيقـــا

محمـــد زينـــة الكـــونين ســـيّدها أزكـــى النبيـــين مـــصداقاً وتـــصديقا

يا أيها المصطفى والمرتضى خلقــاً طبعـــاً مـــن الله لا كـــسباً وتخليقـــاً

يا محــسن لمــسيء جــاء معتــذراً وطالـــب الخيـــر لمـــا صـــار مملوقـــا

لعلّ نظــرة لطــف مــن شــفاعتكم يغدو بها الذنب يـــا مـــولاي مرهوقـــا

بك انتقــت أرجــيّ فــضل عائــدةٍ وفـــك أســـريَ لمّـــا صـــرت موثوقـــا

ذنبـــي تملّكنـــي رقّـــاًولي أمـــل مـــن الـــشفاعة أغـــدو منـــه معتوقـــا

صلى عليك الــذي أعطــاك موثقــة أخلصت منها له منـــــك المواثيقـــا[1]

---

[1] الخروصي، سالم بن غسان اللواح: ديوان اللواح، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنةعمان، مسقط، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، ج١، ص١٦٥–١٦٨. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة.

وله أيضاً رسالة لليلى الشريفة، ومدحاً لنبيّه، صلى الله عليه وسلم، ومتوسلاً به شعراً:

طيف لليلى على شحط النوى طرقا ... ليلاً وطرفي بأمواج الكرى غرقا
أنّى اهتدى والدجى وحف غياهبه ... يشقّه ويجوب المهمه العرقا
حتى أتاني فحيّاني بها ولها ... نشر على الأفق من أنفاسها عبقا[٧٤٩]
فبتُّ ألثم خدّيها وألزمها ... وأرشف الشّنب المعسول مغتبقا
ألقيت وضواضها عني وحلتها ... وبتّ منها مكان العقد معتنقا
حتى تهجّد عصفور على علم ... مبشرًا أن وجه الصبح قد شرقا
فقمت والدمع فوق الخدّ منحدر ... أجرُّ ذيلي على وجه الثرى ولقا
فما قبضتُ من الطيف الملم بها ... إلاّ كمن قبضت أكفافه الأفقا
ما أكذب الطيف لولا طيب زورته ... لمن يحب ولا طيف به صدقا
رّعياً لليلى ويا سقيا لأبطحها ... ويا سقى الله خيف الحّي والبرقا
متى متى العيسّ ينكحن الهجول بنا ... وتمسح المعج والايغال والعنقا
وتخبط الآل بالأخفاف تحسبها ... بنات ماء الغوادي تخبط الغدقا
تخفى وتظهر تارات فتحسبها ... أهلّةً في السحاب انضم وافترقا

إن هجرت روّحت أو أصلّت بكرت ... وتوضح الليل بالإرقال مذ غسقا
وعصبةٍ هاجروا أوطانهم وإلى ... ليلى أجدّوا السُّرى واستعذبوا الأرقا
باتوا وقالوا على أكوارهم فهم ... مثل البزاة على أوكارها سبقا
وتارة في بطون العائمات لها ... أزمّة من وراها تحكم العنقا
لا روح فيها ولافيها جرى نفس ... فكلها جسد قد صيغ متّفقا

لا تشتكي لغباً في السير أو تعباً ولا بها الحس حتى تشتكي الشبقا

شرابها الصلُّ إن تظمأ وإن سغبت فالقار تطعم لا القيصوم والسَّمقا

ريح القبول لها في اليم قائدة وساقها سايق الحدواء مصطفقا

بهم تشق عباب اليمّ قاصدة ليلى وقد جعلت شهب السما طرقا

تناشدوا الشعر في ليلى بمجلسها ما كان في الشعر مقبوضاً ومنطلقا

لا يرقدون سروراً من محبتها حتى أضاء منار الصبح مؤتلقا

لمّا أتو (جُدّة) من بعد ما حرموا فقربوا اليعملات الذمّل العنقا

راحوا لليلى على حسب الرجاء بها يحدو بهم أخمش الساقين مخترقا

وعندما شارفوا ليلى وقد نظروا تلك المنائر في حافاتها السمقا

فهلل الركب تكبيراً ومن فرحٍ بكوا ويبكي أخو الأفراح مشتفقا

وبعد ما دخلوا باب السلام بها طافوا سبوعاً وما جفّوا بها عرقا

حتى أتوا زمزماً من مائها شربوا وما بقي فعلى اثباجهم هُرقا

ونحو باب الصفا قد أقبلوا ولقد بالمروتين سعوا في سعيهم دفقا

وفي منى ليلهم باتوا ومذ طلعت ذكا على عرفات كلّهم فرقا

دعوا به الله عتقاً من ذنوبهم يا فوز عبد بذاك اليوم قد عُتقا

وبالغروب إلى جمع فقد نزلوا ليجمعوا اليز مع المجموع مفترقا[٧٥٠]

بالمشعر الصبح هم صلوا وقد قصدوا رمي الجمار قبيل الشعر ما حلقا

وبعدما حللوا إحرامهم قصدوا قبر النبي فجابوا السملق الصلقا

مذ شارفوا طيبة المختار كلهم بدمعة من رسيس الشوق قد شرقا

وحيثما دخلوا باب السلام نحوا لقبره رفقا في السير لا رفقا

قاموا على الكوكب الأرضي كلّهم ... قد زكّ من عبرات الشوق مختنقا

عليه مذ سلموا منه فقد طلبوا ... شفاعةً أصدقت آمال من صدقا

وصاحبيه عليهم سلّموا فهُمُ ... من بعده خير مخلوق به لحقا

عبداك هذا سعيد والشريف علي ... زائراك العمانيان أهل تقا

هما فقد بغضا الأوطان مذ عشقا ... لقاك فوز امرئٍ بالوصل قد عشقا

ومذ شغلت فقد أرسلت عندهما ... لك السلام بمحض الحب قد عبقا

أنا العماني واسمي سالم وأبي ... غسّان والأزدهم لي أصبحوا عمقا

وأنت حسبي ومولاي ومعتمدي ... بعد الإله بكم ما زلت متّثقا

يا خاتم الأنبيا والرسل أولها ... في الفضل أشرف عند الله من خلقا

يا خيرة الله في سرٍّ وفي علنٍ ... يا طاهر الخيم يا زاكي الورى خلقا

يا من أدلته في الخلق قد شرقت ... كالنور حيّاً وميتاً منه قد شرقا

يا من به نظر الأعمى وقد فصحت ... نوق اليماني له لمّا لها رمقا

قالت بعثنا هديّات إليك فلا ... تسمع مقال أبي جهلٍ وقد حمقا

والشاة قد حذرته سم ذابحها ... من بعد ما غودرت فوق الطعام لُقا

وانشقّ في كُمه البدر المنير وفي ... مدارج الفضل معراجاً سما ورقا

ونار فارس قد ماتت لمولده ... ومنه إيوان كسرى انهدّ وانفلقا

وفي نخيلة وفد الجنّ وافقه ... لمّا من الطائف الأعلى رأى الحنقا

وواعدوه فوافوه لليلته ... في شعبة الجنّ حتى الأبطح اعتنقا

كان ابن مسعود يوم الوفد صاحبه ... وقد رأى من شروط الجن ما زهقا

وفي حـــرا زاره جبريـــل أول مـــا | وافاه حتى لمـــن خـــوف فقـــد صـــعقا
كقاب قوسين ذاك اليـــوم كـــان لـــه | أدنـــى وكـــان لـــه ممـــا يخـــاف وقـــا
أسرى به الله ليلاً والملائـــك إجـــلا | لاً لـــــه كنفـــت مـــن حولـــه حرقـــا
حتى أتى المسجد الأقصى وفاءَ إلى | ليلـــى بليلتـــه والـــصبح مـــا انفلقـــا
وفـــي حليمـــة برهـــان يؤيـــده | مـــذ أرضـــعته فـــسال الـــدرُّ منـــدفقا
ويوم مال بـــه جبريـــل شـــق لـــه | بطنـــاً فقـــد س منـــه اللحـــم والعلقـــا
وكم له مـــن دلالاتٍ بـــه وضـــحت | وضوح نور جبين الشمس إذ شرقا[٧٥١]
الله قال له في (نون) أنـــت علـــى | خلـــق عظـــيم نـــشا أكـــرم بـــه خلقـــا
وقدم العفو من قبـــل العـــذاب لـــه | بـــراءة آيهـــا فـــي حالـــه نطقـــا
ماذا أقـــول مـــديحاً والمـــديح لـــه | في الذكر قد جـــاء مجموعـــا ومفترقـــا
لكن وجدت طريق المـــدح متـــسعاً | فيـــه وحبّـــي لـــه محـــضاً فقـــد ســـبقا
وإننـــي بمـــديحي طالـــب صـــلة | شـــفاعة توســـع الغفـــران والخلقـــا
مولاي مولى جميـــع الخلـــق كلّهـــم | هبنـــي بحبـــك فـــي الكـــونين معتلقـــا
فاقبل مديحي وعذري لو نأت بلـــدي | حبي لكـــم خـــالص لـــم يمـــزج الملقـــا
ولا تركـــت زيـــاراتي لكـــم جنفـــاً | ولكـــن لأمـــرٍ أحـــدث العوقـــا
وإن بقيت فمـــالي عـــن زيـــارتكم | عـــذر إذا وفّـــق البـــاري وطـــال بقـــا
لو كنت من جلد خدي أحتـــذي لكـــم | نعـــلاً وأجعـــل شـــسع المقلـــة الحـــدقا
حتى بقبرك أذري الـــدمع معتفـــراً | بتربـــة فعـــسى أن أُطفـــيء الحرقـــا
لعلّ مولاي من بعـــد الإيـــاب لـــه | يقول صـــفحاً عـــن العبـــد الـــذي أبقـــا
صلى عليك إله العرش مـــا نفـــس | جرى وما الطرف مـــن أجفانـــه رمقـــا

وصاحبيك ضجيعيك اللــذين همــا   لك الحياة وبعد المــوت قــد صــدقا[1]

وله من الفصل الثالث، في مدح سيد المرسلين محمد خاتم النبيين، صلى الله عليــه وسلم، شعر متغزّلاً بليلى الشريفة من بحر البسيط:

صبٌّ صبته إلــى ليلــى صــبابته   واســتعذبت قلبــه الــصابي إصــابته
أسيان إن رجّع الحادي بكــى ولَهــاً   وفــي صــدوح حمــام الأيــك آفتــه
حتى كأن ولدت في ثــوب مولــده   كآبــــه قلبــــه الــــصابي كآبتــــه
نعى بوادي الحمى من قبل رؤيتــه   ومــــذ رآه بــــه زادت نعايتــــه
قالوا هوى الصبّ يؤذيه فقلت لهــم   دوام ذا الحــب مــا دامــت إذايتــه
وذو الصبابة إن كنت الجهــول بــه   فــي دمعــه حــين تلحــاه علامتــه
فكل قلب خفى ســرّ الهــوى فلــه   دمــع يفــتش مــا ســرّت حــشاشته
دعني فإن عذاب الحب يعــذب لــي   طعما و فــي مــذهبي عــز ّمهابتــه
مطال كــل حبيــب فــي مواعــده   وفاً و عندي هــي الحــسنى إســاءته
يا ليت طرفي الذي يجني عليَّ غدت   إلاّ عليــه قــذى البــاقي جنايتــه
ما استحسن الطرف إلا صار معشقة   فالقلــب عــسكرهُ والحــب لامتــه
إن الهوى في لقى ليلــى ورؤيتهــا   قــد أثملتنــي وفــي البطحــا مدامتــه
يا عاذلي في هوى ليلى فدع عــذلي   عنها ففيهــا الهــوى حُلــو مرارتــه
هيهات ما لست بالنــاهي بــذي أذنٍ   فالشوق والحــب لــم تــدرك نهايتــه

---

[1] المراجع نفسه، ص ١٥٥ – ١٥٩. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيلت القصيدة .

يا قلــب إن أثيــل المجــد غايتــه	حب النبي الــذي فــي الــوحي آيتــه
محمد المصطفى المبعوث من مضر	مَنْ طاعة الله فــي الكــونين طاعتــه
من كان يطلب في الدارين راحتــه	تلقى العــصّي بــه فــي ذاك راحتــه
هذا النبي الــذي نــصت فــضائله	وعمّت الخلق بالجدوى سماحته[٧٥٢]
وخاتم الرسل وهو الــصدر أولهــا	في الفضل ما أدركت في المجد غايتــه
توراة موسى على التفضيل شــاهدة	لــه وإنجيــل عيــسى وهــو ناعتــه
وفي يغوث ونسر بل يعــوق وقــد	تقطعــــت قطعـــاً قامــــت دلالتــــه
وبصبص الأسد الــضاري لهيبتــه	و أفكلــت حيّــة الــوادي مهابتــه
وبعض برهانه المشهور حيث أتــت	وشــكاً لترضــعه فــي الحــي دايتــه
وكان قد أيبس الجدبُ الشطور ومُــذ	هم أرضعوه جــرى بالرّســل مايتــه
وانهدّ إيوان كــسرى يــوم مولــده	ونــــار فــــارس أطفتهـــا ولادتــــه
وبيــر ســاوة كانــت أي معجــزة	والبدرشُــق لــــه والكـــم هالتـــه
ويوم ما عطش الأ قوام وابتــدرت	للموت ســالت بعــذب المــاء راحتــه
جـــاء البعيـــر فحيّـــاه وكلّمــــه	ظبــي العــرار شــفاها لا يخافتــه
وظلّلته و شــمس الــصيف ســافرة	تــشوي الوجــوه ولا غــيم غمامتــه
وثانيَ اثنين في الغار المنيف وقــد	طــاف العــدو فمــا شــالت نعامتــه
وفارس الخيل حيث الخيل محجمــة	وتكــشف الخــائف الخــافي فراســته
وكم وكم أبلست في يوم ذي جــذل	أهل الفصاحة مــن بهــش وضــاحته

سبحانه جلّ من أسرى به شرفاً ... ليلاً إلى موقف فيه سعادته

أرقاه في درج لم ترقها رسل ... من قبله فحوت مجداً رقايته

ففاز بالشرف الأعلى وقد محضت ... وأبلغت كل ذي روح رسالته

ياليلة باتها لله مقترباً ... كقاب قوسين أو أدنى شفاعته

وللملائك تسبيح يحفٌ به ... والنور قد ملأ القطرين باهته

وكم رأى من عجيبات الأمور بها ... وكم أفادته من فضل عنايته

وقد تحقق أن الله ناصره ... بالسيف أرغم شانيه وباهته

فأصبحت شهب الإسلام طالعة ... مرفوعة في لواء المجد رايته

والكفر أصبح ممحواً مقلّبه ... عن حالها لأولى الإسلام باحته

وبلّغ الثقلين الكلّ شرعته ... وأنقذتهم من الأهوا هدايته

فويل كل غوي في غوايته ... وويح من كان عن غيّ سلامته

ما مات إلاّ وفحل الدين قد خرست ... عنه شقاشق أفحال تصالته

صلى الإله عليه ما جرى نفس ... وأنفثته إلى صدرٍ محارته

وجملة الأنبيا والتابعين له ... والآل والصحب من عمّت ولايته

و هاك منّي رسول الله محمدةً ... بحيث أنت لمحض الحمد غايته

مصونة ما بها عيب ولا ثلبٌ ... والشيء لم يوقه إلاّ صيانته[٧٥٣]

يسعى بها لك من بعد أبٌ شفيق ... لاخيبت نيل ممدوح شفاعته؟

أزكى السلام من الباري عليك وقد ... عمت ضجيعيك بالحسنى سعادته

الناصريك وسيف الجور منصلت ... حتى استقرت بإسلام سلالته

مذ كنت حيّاً هما للدّين سيف هدى ... حتى إذا رُفعت للدين رايته[١]

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٤٣ – ٢٤٦. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

وقال بمدحه صلى الله عليه و سلم :

عذاب الهوى في قلب من رامه عذب
وجور حبيـب الـنفس يـستره الحـبُ

ملامـك للعـشاق جـور وضـلة
فكـل لـه داء ومِنْـةُ لـه طِـبُ

فلا تسأل العـشاق عمـا بلـوا بـه
وسـلني فـإني بـالهوى عـالم طـبٌ

فيا لجسم مني شاهد أثبـت الهـوى
وفي قلبـي المعمـود مـن_طبـه طـبٌ

فمن رام مني سـلوة تنـتج الهـوى
ألا إنّ تبـراً إذ بهـا أورق القلـب

انكر على مثلي إذا انتـابني الهـوى
فكم فتنت قبلي بحكـم الهـوى الـصبّ

فـلا سـاعد الله المحـب فإنـه
يلذّ لديه فـي بلـوغ الهـوى الـصّعبُ

فيا لائمي لو ذقـت لعقـة شـهوتي
دعاك إلـى مـا يكـره العـذّلَ الحـبُّ

إذا كان في شرع الهوى تأسر الظبى
أسود الشرى حتى متى يرعوي الـصبُّ

فإن صدق العذري فالعـذر واضـح
وما قالت العُـذّال لـو صـدقوا كـذبُ

فرعياً لليلات قضينا بهـا الـصبى
ونحن بذات الشعب بين الهـوى شـعبُ

سمرنا بهـا والطيف حـشو ثيابنـا
يراقـب منّـا زورة زورهـا غـبُّ

يوسّـدنا أيـدي المطايـا حنينهـا
يقـول لنـا مـن سّـر نـومكم هبـوا

ويعرب عن لفظ الهوى كـل أخـرس
إذا سمحت في وصـلنا النهّـد العـربُ

وكم دلّنا للحتف والليـل أليـل
عبير يحيينـا وقـد غطغـط الركـبُ

وظبية إنس صيب العين وردهـا
ومسرحها من حيث ترعـى بـه القلـبُ

ترقرق ماء الحـسن في وجناتها
كما رقرقت دمعًا به سـحر اللُبُ

مخضبة الأطراف من فيض دمعهـا
بحيث جرى بيني و مـا بينهـا العتـب

ترينا جبين الشمس من شرق وجهها
كما أنه يبـدو علـى مرطهـا الغـربُ

شكى ردفها نحف الوشاح كما شكى ... نوى العقد منها واشتكى ضيقه القلبُ

تطاعنني من قدّها سمهرية ... وجُرِّد لي منها و قد نظرت عضب

رحيبة حجل الساق ليلاً طرقتها ... وصدري على وقع القنا واسع رحبُ

أنا الرجل الضرب المهذب قلبه ... وأنّى فتى مثلي يقال له الضربُ

فلي لفظ سحبان وقدر أسامة ... وشيمة جسّاس إذا بعد الرّكب

وربُّ قوافٍ بين مدح ممجّد ... وبين نسيب عنده يقلب القلبُ

نوادر من سحر الكلام غرائب ... حوى الشرق منها ما حوى مثلها الغربُ

عرائس قد رقت فراقت حليلها ... أنيق معانيها وألفاظها الأتبُ

يود بلال لو تكون شعاره ... ويختار ما كانت حفيظته القضب

ولكنها عزّت بتعظيم ربها ... على أن مرقاها على المجتدى صعبُ

قواف فلا إقوى وإكفا يشينها ... وليس بها لحن وإحن ولا ثلبُ

نتائج طبّ بالقوافي لناظم ... لديه الكلام الحرُّ والمنطق الذربُ

أخير زمان وهو في الفضل أول ... ويعقوب سُمي حيثما أنه عقبُ

فحسبك أني من أُناس تقدموا ... إذا ذكرت أحسابهم فهم الحسبُ

بقية ذخر بالخزانات كامن ... فقل في فتى باق وقد رحل الركب

فآهاً لدهر عشت فيه شكوتهم ... وحلية سيفي اثر عينهم الحقب

كأني بقايا عصبة الكهف كلما ... طلعت على قوم بهم نزل الرعبُ

عذرت بني غبراء فيما تقوّلوا ... عليَّ فقبلي آل هارون قد سَبوا

وقد بان فضلي عند ألفاظ حاسدي ... كما بان عند الجمرة المندل الرّطب

وإن كان سيفي كلما سُلّ جارح ... فكل كهام من سيوف العدى عضبُ

وليست بداري لو حللت بها لهمْ ولكن لعمري ما علي بذا عتبُ

أهل يسع الليث الهصور وأرعنا أشمًّا وبحرا زاخراً أو علا ثقبُ

ولكن حوى الغار النبي و صهره وما كان إلا العنكبوت لهم حزبُ

تعاطت أياديها قريش لقتله وضمهم بيت لمستوره يعبوا

فلو أنها كانت كليلى هجرتها فلم تبك لي عين ولا رقّ لي قلبُ

ولو أنني في المال يحي بن خالد ولو أن أعمامي المغيرة أو حربّ

فقد هجر المختار قبلي مكة وليس لها إلا أنا أهلها ذنبُ

بلاد أبت إلاّ يداوى الذي بها من الحمق إلاّ الحشر من قبله الشحبُ

ألا إنه وادٍ به الحق منكر مشايخه تصبى.وشبانه تصبو

عسى أنه وادي الذباب وإنني عميت ولم توضح لنا دونه الدرب

وإني بحبل المصطفى متمسك فحاشا رسول الله أن يقع الجدبُ

لمدحي رسول الله في كل مشهد دعاني وأرجو في شفاعته الحبُّ

فلله دري حيث تقبل مدحتي لديه وعنيّ ينسخ الذنب والعتبُ

ولله دري يوم آتيه زائراً على كور حرف وخدة الرفع والنصبٌ

ولله دري يوم أبكي بقبره وألثم ترب القبر حبًّا وأنكبُ

فيا حسنها من ساعة صرت عندها إلى كوكب آض إلى رأسه أحبوا

أُقلب خدّي فوق تربة قبره وقد ساعداني الدمع فانهلّ والقلبُ [٧٥٤]

ولم يشفني من غلّتي على غير وقفتي عليه و يبريني من تربيَ التربُ

أقول وقلبي طار خوفاً ورغبة ودمعي كمهراق الغروبة ينصبُ

ألا يا رسول الله جاهك باسط وعفوك مأمول ونورك لا يخبو

فهبني وهب لي رحمة إثر رحمـــة ... وقل يا أسيرَ الـــذنب قـــد مُحـــيَ الـــذنبُ
وقابـــل ثنـــائي بـــالقبول وأجزنـــي ... جزى ابن زهيـــر إذا أتـــى بالثنـــا كعــبُ
بمدحك أرجو حجتي وهـــو حجتـــي ... غداً يرتضيها إن رضــــــــيتَ بها الرب
صلاة من الباري وأزكـــى ســـلامه ... عليـــك مـــدى هـــدب تلففـــه هـــدبُ
وعمت ضجيعيك ابن عثمان ذا الوفا ... وفاروق بل عُمت بألطافهـــا الـــصحب[1]

وله من الفصل الرابع في المسائل الشرعية و فيها وعظ و حكمة من البحر البسيط:

الصبر من كـــرم الأخلاق فاصطبر ... يا نفس لو كان طعم الصبر كالـــصبر
من ليس يرضى على الأقدار أرغمه ... على المكاره إرغامـــاً قـــضى القـــدرِ
من لم يعـــظ نفسه مـــن عقله عبـــر ... أمسى وأصـــبح كـــالأغراض للعبـــرِ
مـــن لـــم يدبّره فكـــر مثمـــر ونهى ... أمـــسى ولا ورق عـــوداً بـــلا ثمـــرِ
من لم يقس بالمواضـــي النازلات به ... لقي الخطوب على غيب مـــن النظـــر
من ليس هاديه عقـــل كامـــل صعُبت ... عليه طرق النجا واحتـــار لـــم يحـــر
من لا يرى غائبات الدهر حاضـــرة ... عليـــه أُمْهِـــنَ بـــالإذلال والـــصغر
من ملّك الحرص مهما عاش مقـــوده ... يقـــدُه للمـــورد المـــستوعر الـــصدرِ
مـــن لا تـــزوّد خيـــراً زاد عاقبـــةٍ ... رأى الهوان وشر الهون فـــي الـــسفرِ
من لم يكـــن عالـــماً بالموت أجهلـــه ... طرق النجاة ولـــيس العـــين كـــالخبرِ

---

[1] المرجع نفسه، ص ٢٠١-٢٠٤. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

يا أيهـا الجاهـل المغـرور فـي زمن ... يريك طول البكا والحزن فـي الكبـرِ
تسهو وتلهـو وترجـوا مـا تؤملـه ... هيهات لا ينظر المبـصور ذو عـورِ
تجمـع المـال بالاصـار مؤتـشبـاً ... لزوج زوجتك القاليـك فـي البـشرِ
وزوج ابنك أو زوج بنتـك يـا ... غرٌ وهم لك كالحيّات في العـقرِ

لو كنـت ذا فطنـة أو كنـت ذا بـصر ... لم ترضَ ذلك لكن لـست ذا بـصر
أو كنـت معتبـراً بالـسالفين لمـا ... رضـيت ذلـك لكـن غيـر معتبـرِ
أراك دينـك ترضـى طرتيـه بهـا ... قـذر وثوبـك مغـسول مـن القـذرِ
ترجـو النجـاة ولـم تسـلك طريقتهـا ... لا تنزل الشمس في برج مـن المـدرِ
وتـسأل الله أن تحظـى بجنتـه ... وأنت تعمل مـا يـدنيك مـن سـقرِ
وتدعـي الحـب للبـاري وأنـت لـه ... أعدى أعاديـه بالعـصيان والختـرِ
لو كان قولك صدقاً مـا أطعـت هـوى ... إبليس والنفس في الدنيا أُولي الغـررِ
أخلصـت دينـك للمغـرور متقـاً ... بـه وترجـو رجـاء القـادةالغررِ
فأنت كـالمتمني قبـض مرتفـع ... من النجوم فغار الكـف فـي الـدبرِ
ويل لمـن عنـده طابـت صنائعـه ... فعـاش فيهـا وعنهـا غيـر معتبـرِ

ليس العمى بعمـى العينـين أي عمـى ... عمى القلوب عن المعقـول والنظـرِ
فالعقـل صورّ من نور فـإن لبست ... نياطـه ظلمـة الآصـار لـم يَنُـرِ
ما نحـن فـي هـذه الدنيا نـرود بهـا ... زيادة العـين برقـاً صـادق النظـر
وإنمـا هذه الدنيـا ريـاض منـى ... ونحن كالبهم ترعـى أنجـم الزهـرِ
و الموت كالحابـل القناص توقعـنا ... منه الحبائلُ في ضـيق مـن الحفـرِ

موت الوعول وموت الأسد خادرة ... إلاّ كموت ظباء الرملة العفرِ
و الحادثات عموم حكم موقعها ... حتى على النيّرين الشمس والقمرِ
إلى ما نحن تمادينا بدار هوى ... عن المتاب بحب الجامع الندّرِ
فالحبُّ قائدنا والموت سايقنا ... عمن نحب من الأهلين والأثرِ
فسوف نتركها هماً تجمعه ... عنها.مُنعنا ولو قلامة الظفرِ
فما جمعناه للدنيا فمفترق ... وما عمرناه فيها غير معتمرِ
والمرء ما عاش أسر الحادثات به ... وإن ثوى صار رهن الطين والحجرِ
وكل عاقبة إما إلى سقرٍ ... أوجنة مع مليك جدّ مقتدرِ
يا سامعاً دعوات الآيبين له ... إليك أبت فهبني الحط ما من وزري
لعل من نظرات اللطف تمحضني ... مما بها في غد يقوى سنا نظري[١]

وله أيضاً:

لايدرك المجد من لم يجعل السبّبا ... جُرد المذاكي وسمر الخط والقضبا
ولا ينام قرير العين غير فتى ... إذا رأى مركبا من كايد ركبا
من لا يروّي عليل القلب من ضغن ... ويشرب الدّم من أعدائه شربا
من لا يرى الحزم عضّ الكف من ندم ... وفاته سابقاً إدراك ما طلبا
من أوزم النفس إكراهاً على خطر ... وحكّم الله فيما يقتضي غلبا
من كدَّ في مبلغ العلياء مهجته ... عزّت فلم يخش إذلالاًولا نصبا[٢][٧٥٥]

---

[١] المرجع نفسه، ص ٣٢٩-٣٣١. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

[٢] المرجع نفسه، ص ٢٦٩. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

وقال أيضاً في مدح الشيخ العالم أحمد بن مداد بن عبدالله بن مداد محمد بن مداد الناعبي الأزدي:

الرزء أفجع لو أطلت بكائي | والخطب أوجع لو شققت حشائي
من لائمي في لوعتي وتفجعي | وتوجعي وترجعي وأسائي
بصري وسمعي والفؤاد ومهجتي | ذهب الجميع وقد سُلبت عزائي
هذا هو النبأ الجليل الفرد في | الثقلين والغبراء والخضراء
ما خص فيها ناعب وقبيله | من دون أدوا جملة الحمراء
فالأرض ترجف والعشار تعطلت | فيه وتطوى منه كل سماءِ
وكأن إسرافيل قام مبادراً | للصور ينفخ في فنا الأحياءِ
لا قلب إلاّ في لظاه مقلب | لا مقلة إلاّ بكت بدماءِ
وكأن أملاك السموات العلى | قامت به في محشد العزّاءِ
يا ثلمة وقعت ولا جبّر لها | كتجبر الأعضاء بالأعضاءِ
من سّره أن المكارم والتقى | والعلم يذهبُ عن أذى الدنياءِ
فليَنعمنَّ فهكذا إذهابه | تحت الثرى عن دولة وثراءِ
عجباً لطول ثلاثة من أذرع | قبراً وعرض الشبر في الحصباء
وسع التقى والعلم طراً والحجى | والمكرمات وجوهر العلياء
يا بقعة ضمّت فضائل أحمد | في أحمد عن سائر الدّقعاء
فلك الفخار على البقاع كمثله | في العجم والعرب الذرى العرباء
أمسى وأصبح في الضريح وما درى | ما حل في صبح بنا ومساءِ

هو بيضة الإسلام بل هو حية ... الوادي وقطب جماهر العلماء
كان الهدى بعمان ثمَّت أصبحت ... من بعده في حندس الظلماء
وبه لقد كانت على رغم العدا ... مياسة كالغادة الغيداء
سلاّبة بجمالها وخلالها ... تختال في برد من العصراء
مذ كان ساتر بشرها بِردا النهي ... وجمالها بجلالها الحسناء
حتى قضى نحباً فهاهي أصبحت ... كالحيزبون الشوهة الغبراء
تبكي وتعلن بالصراخ لفقده ... وتقول يا ويلاه بيح حمائي
لا مانع عني ولا ذو حشمةٍ ... من بعد أحمد ساترٌ عورائي[1]

وهي قصيدة طويلة فوق ما قلته ستون بيتاً منها.

وقال أيضاً، يرثي السلطان أبا العرب بن أبي العرب بن صلت من بحر الطويل فقال:

هو الرزء حتى خصّ ريش القوادم ... وخص الخوافي من جناح المكارم
وأفقأ عين المجد حتى تغوّرت ... وأعمى قلوب الواجبات اللوازمِ
وهدّم بيت السؤدد البدر والعلى ... وحكم المنايا هادم أي هادمِ
و أثر في شهب السماء وفي الحصا ... وفي الأرض تأثير الرياح الصيّارمِ
بنفسي ميت غير ميّت وإن غدا ... غسيلاً بتوكيف الدموع السواجم

---

[1] الخروصي، سالم بن غسان اللواح: المرجع نفسه ج٢، ص ٩٧- ٩٨. مع اختلاف في الألفاظ.

فما مقلـــة شحّت عليــه بـدمعها ولا عاش قلب للأســى غيــر لازمِ
كوى حــزنه الأكباد كياً فلــم يــزل حريقــاً بأبيــار الحــشا والحيــازم
وما الفقد في كــل الملــوك كفقــده ففي الفقد هــمٌ منــه كفقــد البهــائم
أبا مالك مــن للمعــالي يــشـيدها خلافــك مــذ أثبتهــا بالـــدعائم
فما فقدت مذ كنــت أمــلاك حميــر ولا لسواك الحمد عنــد المواســمِ(1)

وهي قصيدة طويلة، جملتها أربعون بيتاً، تركتها طلباً للاختصار.
وقال يرثي الشيخ أبا الخرصين درويش بن سالم بن غسان:

حرائق حــزن فــي فــؤادي تجــدد وواكــف دمــع فــي الخــدود يخــدّدُ
ولــي زفرة في إثر أخرى تــصعّدت تكـــاد بروحـــي للخياشـــيم تــصعدُ
ولي مقلة شــكرى وجــسم معــذّب كذاك فؤادي من لظى الحــزن مفــأد
وكادت ضــلوعي أن تقــدّ بزفرتـــي وطرفـــي بـــأطراف النجــوم مــسهّد
لئـــن بكــت الورقــا هــديلاً فــإنني لأبكـــي فتـــى الخرصـــين لا أتفنّـــد
فما بعد درويش الأديــب بــن ســالم سُـــلُوّ ولا عنـــه عـــزاً وتجلّـــد
ألا بعد درويــش فــشــربي مكــدر وصبري كطعم الصبر والعيش أنكــد

(1) المرجع نفسه، ص ٢٣٩. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

ولولا تقى الـرحمن سـاعة دفنـه	تمنيت أني وهو فـي اللحـد نلحُـدُ
بدمعي عليه مـن حفـاظ غـسلته	فيا ليـت قلبـي قبـره لـيس يبعـد
نعتهُ نُعـاتُ الحـيّ والليـل أكهـل	فحا ذرت أنعى فيه والـصبح أمـرد
ومن لائمي فيه إذا بحـتّ بالأسـى	وراح جميـل الـصبر عنـه يـشرّد
ومـا حرقـة إلاّ ويبـرد حرّهـا	وحرقـة قلبـي بعـده لـيس تبـرد
لئن صار مدفوناً وحيـداً بقبـره	فـإني بـأحزاني عليـه لأوحـد
وينظره قلبـي وتبكيـه أعينـي	وينحـل جـسمي ذكـره والتوجّـد
تحملت حزناً فوق مـا هـو فوقـه	عليه تراب قد أهيـل وجلمـد [٧٥٦]
لقد عرف التوحيد وهو ابـن ثديـه	رضاعاً وهل أمثـال شـيخي يوجـد
ويسنـد أخباراً صـحاحاً وأين من	كأمثالـه فـي سـنه وهـو يـسند
نباهته كانـت بعيـسى بـن مـريم	وقد قال هزي الجـذع سـاعة يولـد
لئن بقيت عنـدي المـصيبة بعـده	هو الفرط المدحور تبديه لـي غـد[1]
خلقنا وأوعدنا الفنـى بعـد خلقنـا	ونلقى على العقبى الذي نحن نوعـد
فياشـرّ مغـرور بـدنيا دنيـة	يحـل بّهـا مـا لا يحـل ويعقـد
فيا قلب صبراً إن أصلك قد مـضى	وفرعـك قـدأودى أأنـت مخلـد
فلو عاش في الدنيا عليهـا معمـر	لعاش بهـا الطهـر النبـي محمـد
عليه صلاة الله ما الركـب أيغلـت	لليلى وما نـاح الحمـام المغـرّدُ[2]

---

(1) في الديوان:

لـئن بقيـت عنـدي المـصيبةُ بعـده	فـإني بهـا لله مـولاي أصـمدُ
سـأطلب فيـه الأجـر والـصبر بعـده	هـو الفـرط المـدحور تبديـه لـي غـد

(2) المرجع نفسه، ص ١٣٧-١٣٨. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

وله أيضاً رسالة لأهل نفوسه وجربة، وما وليهما من البلـدان والقـرى: بـسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله المتفرد بالدوام الأبدي والوحدانية، المنزه عن الحركـات والسكون، والآلات الجسمانية،المعبود باختلاف لغات المخلوقات العربية واليونانية، وسائر لغات الهوام والبهائم الحيوانية، خلق العباد من أصل أدمةٍ ترابيـة أدمانيـة، وقدّر لها الأقوات والأوقات المقدرة الأنانيّة، وفطر الأرض والـسماء مـن أصـل النجارة الدخانية ، وأجرى البحار من فيض هاتيك الزبدة الطوفانية، ووطد الأطواد من مثار خيالة تلك اللؤلؤة المرجانية، والأمواه على الغيم علـى الهـواء بالقـدرة الربانية، واستوت الأرض على الثور، والثور على الصخرة المرجانية، والأمـواه على الغيم بالقدرة الرحمانية، سبحانه العظيم المتفرد بعظمات السبحانية، المحـيط علماً بما كان، وبما يكون من التصاريف الإرادية، أحمده وهـو جـدير أن يحمـد سريرة وعلانية، وأُنزهه عن الضدّ والشكل والعوانّية، و أومن به إيمـان مخلـص بالعقيدة الترجمانية، وأشكره بما شكرته أمته المطهرة العمرانية، وأصلي على محمد المصطفى، من أطهر بيوت سروات العدنانية، مفخـر فخـر مفـاخر الهاشـمية والقحطانية، اللهم صلى عليه وعلى آله وعلى صحبه البررة الربانية.

أما بعد، فإنا نخدم بالتحية العاطرة الريحانية مطالعة المشايخ النفوسية الوهبانيـة، وأهل البنادر والثغور والجبال العلوانية، ومن سائر بلدانهم الدانيّة والقصوانيّة، من الراسبية الوهبية الظبهانية ، تحية إخوانهم المحبوبية العمانية،وشيع هذا النثر لهـم بنظمٍ. ومطلع القصيدة:

ما روضة بات ساريها يباركرها ... وراح فيها مراح الشول ماطرها
منه لعامل ماء المزن راكضة ... فالبرق نافرها والرعد زاجرها
فللرعود زجير غير منفصل ... وللبروق مخاريق تشاطرها
إذا البروق خبت هبّ النسيم لها ... فراح يوري زناد البرق زائرها
أو الرعود ونت عن الجنوب فلن ... تزال تملأ عبريها هوادرها
كأنما البرق في حافاتها رجفت ... عبس فصلّت بذبيان بواترها
كأنما الرعد في أحضانها رزمت ... شول لعدس وقد زمّت مناخرها
فسدّت الأفق طرفيه طوارفها ... وحجرت محجر الجربا مجامرها
فانحلّ منعقد القطرين منبجساً ... كأنما الغيث للدنيا قطائرها
كان منثورها الهامي نفائسها ... من عقدها ويمين الرعد ناثرها
كأنما الروضة الغرّاء حالية ... والحاملات معاطيفاً دوائرها
حتى إذا ما كساها الغيث خلعتها ... ذالت بِنَدّ الرضا منها وزائرها
نماشج النبت فيها فهي رائقة ... بالحسن تصبي حواشيها أزاهرها
من أبيض عبق أو أخضر نضر ... وأحمر قانئ سود غدايرها
ينافح الدوح وجه الأرض مائدها ... وظلّ يخطر كالنشنوان ناظرها [٧٥٧]
فالرند منتصب والغض منخفض ... والشيح يرفعه عنا ضنابرها
و الماء منصرف منه وممتنع ... والغدر تجمع حيث الجمع كاسرها
والظل يسرق فوق الظل خطوته ... كمثل ما سرق الأبصار ساحرها
والشمس تنظر من شطري حدائقها ... كمثل ما نظر الخدراء غايرها
والسحب سافحة والغدر طافحة ... والورق صادحة بحّ حناجرها

وللنسيم شذى من نفح زهرتها   كفارة فكّ عنها الختم تاجرها
ينضاع نشر الخزامى من تحيتنا   وقد أذاع بناها المحض ناشرها
حي بجربة هم أعلام ملتنا   وهم قواعدها أسَّاً عوامرها
وكم بقي علم فيها هدى علم   تحت الثرى وتراب الله ساترُها
الباسطين التي أحوت حفائرها   و الغائبين التي تحوي حوايرها
فأحمد القصبي بل عبد خالقه   سليل أحمد زاكي النفس قاهرها
وعصبة بمقام النوخ حلتها   بنو علي بنوه هُمْ نجائرها
سليل يحي وعبد الرب سيدنا   وابنه أحمد السامي ونادرها

إمامنا أحمد المهدي فتى عمرٍ   وصد غيان فإني الآن ذاكرها
والمقتدى صالح سلمان أحمده   فقيهها وهو مفتيها وطاهرها
والحبر داودنا الهوّار نسبته   بالعلم والحلم أهل الأرض هابرها
واخصص بيخلف يحي ثم قدوتنا   عيسى وعمرو رفيعُ الصيت عامرها
قلوع فاضد يرعى الله ساكنها   من كان حيّا ومن ضمّت مقابرها
وفي نفوسة قد هاج الجوى جبل   به ديار وليت العبد زائرها
لا لوت تيغيت تيريت لقد سلبت   لباب قلبي و أنّى لي تزاورها
دارتبنا أبو مرداس عقوتها   حيّاً وميتاً تبكيه مشاعرها
سقياً لبغداد وريرو تيرت بل   كابوه واذكر فرش الطين ذاكرها
تلك المنازل أشياخي بها نزلوا   يا أسعد الله مسعودا يجاورها
وجايز اشراوس حبذا بلد   وفي مسفّار قد نصّت سفائرها

واربع بتقالة العليا المحل بها   نوح بن برهام هاديها وناصرها
واعطف بتقالة السفلى وراجي أو   بجن فطرس عبدالله نادرها
ومرّ ساون مسين و مسرح وقد   من عوده مرد إذ عزّ زاغرها
وفات مع تندباس يالها جللاً   حلت بقلبي وأحوالي مذاكرها
وقد صمدت لحناط نأت فلها   مشايخ لم يخفها قط ناظرها
داود بعد علي الذكر والده   أيوب بلقاسم المثنيّ زاخرها
و حين بالقاسم الزاكي يجود بها   برهام أرجان ما يسطو تناظرها
لم انس طرمة الطرمين حيث سمت   به ومهري فأنبتت مرائرها
و بين زاجي و مرسان قيل لنا   واد به جنة و الماء غامرها
ومسجد عندها كانت به إمرأة   تعبدت وصفت حباً ضمايرها
قد شاقني حبها في الله حيث زكت   منها وقد خلصت فيه سرايرها
ودار يفرن إبراهيم نجد تها   وابن جلدين بل عيسى وماهرها
وأحمد بن إبراهيم أحمد شما   خ هم القادة الزهرا بوادرها
هي الديار فكم فيها ثوى علم   زواخر العلم لم تنضب زواخرها
تفرست حذاها عاشر بلد   بساكنيهاجميل الصنع عاصرها
دار المواريث تلك القلعة انقلعت   عين المعادين عنها لا سكورها
محمد زكريا الخير والده   إن البوارين لابادت معايرها
و يوسف ثم أيوب بن خالدة   داود أحمد و ادجلان زائرها
نوان أحمد من تحيته طلعت   شمسُ أعيسى لها سعد مناظرهاْ
واذكر بني نور با بكر بن صالحة   أهل العفاف فلا أقوت منابرها

مليكة المرتــضى عيـسى المقــرّ لــه ... في صنعة العلــم محبــوب وجابرهــا
الواضـــح النـــور والبرهـــان تعرفـــه ... بفـــضله الجـــمّ باديهـــا وحاضـــرها
محمــــد بـــن ســـعيد أحمـــد ولـــدا ... عبد العزيـــز بنـــو يـــسجن مغاورهـــا
غرداية المـــصعبي إبـــراهيم عاضـــده ... محمُـــــد ابـــن منـــصور مناظرهـــا
بالقاسم المرتضى يحـــى أبـــوه و قـــل ... مـــحمـــد بـــن سليمـــان مشـــاطرهـــا
فتلـــــك حجـــاج بيـــــت الله أربعـــة ... أهـــل المحـــار مثوبـــات جمايرهـــا
سقـــياً و رعياً لهاتيـــك الـــديار ومـــن ... فيها ومن لـــي بهـــا قربـــى يقاصـــرها
لا لذة فـــي البقـــى مـــالم أحـــل بّهـــا ... احلالهـــا أهلهـــا لا مـــن يزاورهـــا
هـــي المحاريـــب عليـــين ثـــم ومـــن ... فيهـــا هـــم الـــشهدا والله ناظرهـــا
لا يفخــــرون بـــــأموال متلّــــدة ... مالم يكـــن برضـــى البـــاري مفاخرهـــا
بالراسبي بن وهب نـــــص مذهبهم ... هي المآثر لا أعـــــــــــفت مآثرها
دين الإباضـــي أضـــحى أبيـــضاً بهـــم ... إن كـــدّر الحلـــة البيـــضاء كادرهـــا
أديانهـــــم حملوهـــا عـــن نبيّهـــم ... عن جبرائيـــل عـــن البـــاري أوامرهـــا
شـــرائعاً عـــذبت طعمـــا مواردهـــا ... وقد حمـــدن علـــى العقبـــى مـــصادرها
ها دعـــوة الله فيهـــم مثـــل أولهـــا ... مقدس الاســـم والأفعـــال أخرهـــا[٧٥٨]
لـــم يطلب الربح في الـــدنيا بهـــا أبـــداً ... غيـــر الرضـــا بقـــضاء الله تاجرهـــا
تلك النفـــوس التـــي لـــذّت مطالبهـــا ... في جمعهـــا العلـــم فاحلولـــت مرايرهـــا
في طاعة الله جافـــا النـــوم أعينهـــا ... وعـــسكرت فـــي مراضـــيه عـــساكرها
للرستميين كـــم مـــن وقعـــة وقعـــت ... عاش الوحوش بها ما اعتـــاش طايرهـــا
وأحمد وأبي الخطـــاب ثـــم أبـــي ... سلام عبـــد العلـــي طابـــت عناصـــرها

وهم من البصرة الفيحاء قد حملو … جلّ العلوم تهديها بصايرها

أبو عبيدة عنه علمهم حملوا … وكان في الظل خوف القتل ساترها

و عند إزماعهم للغرب أودعهم … مسائلاً يبلس الداري تشاجرها

وأودعتهم ثلاثاً في موادعها … وهي الثلاث عفيفات مآزرها

واستقبلوا الغرب لا تثنى أعنتهم … ولا يبالون فيما قال ساخرها

حتى استقر بجناون أمرهم … وما يليها ومنها سار سائرها

فقابل الأمر بالإخلاص مؤمنها … وطاوع الأمر بالإذعان كافرها

حتى مضوا رحمة الرحمن تنعشهم … ودعوة الله فيهم قام ناصرها

فالأمر منهم وفيهم لا تغيّره … حتى القيامة أحداث تعاورها

وهم إلى الآن لا ذلّت عصابتها … ولا حبتها على رغم جبابرها

ولا استطابت على كسب شهاوتها … وغير طامعة فيها نهابرها

سّيان عاذلها في دين خالقها … وذاك حسن الرجا فيه و عاذرها

يا غيبة الله لا زلتم بطاعته … مقّد سين وها أنتم سرايرها

يا عصبة الله عين الله تكلؤكم … حيث المحلّين لم تكلد نواظرها

لا غيّرتكم من الدنيا غوائرها … ولا استغرتكم فيها غرايرها

أنتم إلى الدعوة الغرّا نواصرها … بكم سمت فوق كيوان منايرها

لا أمرقتكم صروف النائبات عن … الطاعات أو بدلت عنكم دهائرها

ولا دهتكم على حال دهايتها … ولا هدتكم إلى الشحنا جرايرها

ولا محنتم من الأسواء محنتنا … ولا بلتكم بقيراط مقادرها

علومنا يالها والعاملون بها … تضمنتها فأبلتها حفائرها

لـــم تبــق فينـــا لهـــم إلاّ دفاترهــــا ومــــن بقايـــا هـــمُ إلاّ ظواهرهـــا
علـــيكم بعـــد بارينـــا تعمدنـــــا لـــم تنتهـــك حرمـــة أنـــتم ســـواترها
ولا تمـــل ملّـــة أنـــتم عواملهـــا أو تفتقـــر عـــصبة أنـــتم ذخائرهـــا
منّـــا علـــيكم تحيـــات مرادفـــة أقلامهـــا بالثنـــا تثنـــي محابرهـــا
بألا فـق يعبـق والغبـراء عاطرهـا بالشرق والغـرب لـم يفقـد مـسافرها
كأنها الخـضر مـا خـصت بـه بلـد أو الغزالـــة لـــم تـــصفد جواهرهـــا
قـد صـاغها سـالم اللـواح والـده غـسان مـن شـنوة والأزد شـاعرها
يرجـــوا بهـــا فـــيكم إذا قلـــصت مـــن العبـــاد غـــداً خوفـــاً مـــشافرها
لــه ذنــوب لقــد زادت صــغائرها علـى هـضاب حـرى أنـى كبايرهـا
لعلهـــا دعـــوة مـــنكم تجـــاب لـــه ليغفـــر الزلّـــة العظمـــاء غافرهـــا
أرجـــوا لحـــرمتكم إنقـــاذ دعـــوتكم ســيّان واردهـــا عـــنكم وصـــادرها
لا تحرمونـــا دعـــاء الليـــل بيـــنكم إن ســـامر الليلـــة الليـــلاء ســـامرها
وإثـــرَ كـــلّ صـــلاةٍ مـــن عبـــادتكم ليـــدفع الله أشـــياءً نحاذرهـــا
وليهنكم مارضي البـاري هنـا معكـم في جنبـه فهـو مجـزيكم و شـاكرها
وخـــاطر ابـــن غريـــب ثـــم إخوتـــه الـــسّموألى بكـــم طابـــت خواطرهـــا
فإننـــــا لكـــــم إذن لأمـــــركم تحيـــة فـــايح بالمـــسك عاطرهـــا
أجــل وعبدالالــه الخيــر قــدوتنا وابنـــه أســـد الاواه حاضـــرها
هما يخصّان من منكــم يقابلهـا حـــسن القبول وما منكم يناظرها[1]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه القصيدة غبر موجودة في ديوان اللواح، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

وما أحلى القصيدة التي ذكر فيها أئمة الأزد الخروصيين، وافتخر فيها بالدين والأئمة الإباضية ومطلعها:

دعاها كيف ما صنعت دعاها ... ولا تلُما نها لهوى دعاها[1]

وفيها يقول:

من القوم الكرام بني خروص ... وأزد شنوءة وهم ذراها
لنا البيت.المقدّس في زهيرٍ ... إذا ما شاع في قوم حناها
ملوك الجاهلية أو لونا ... وفي الإسلام مفخرنا تناها[2]

وفيها يقو ل:

ونحن حمى عمان من قديم ... فسل هل غيرنا أحد حماها
فمّنا وارث والصلت منّا ... ومنّا الخالدان توارثاها
وإبن تميم عزان ومنّا ... محمد بن غسان ضياها
وغيرهم فلا أحصي عداداً ... سنا الدنيا هم وهم غناها
لنا آل الرحيل هم قضاة ... لكل سرية حملوا لواها
ونبهان بن عثمان فقاض ... لنا بعمان سَيّاد علاها[3]

وهي قصيدة طويلة، أجاد فيها وأحسن، فلله دره من شاعر ماهر، وحبر عالم، بفهمه باهر [٧٥٩].

---

(١) الخروصي، سالم بن غسان اللواح: المرجع نفسه / ج٢، ص ٨٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٨٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٨٧.

قال الشيخ الثقة الزاهد الرئيس خميس بن الشيخ العالم العلامة المجتهد أبي نبهان جاعد بن خميس رحمه الله: وقد سمعت والدي رحمه الله شفاها يقول: كفى أهل عمان فخراً بالشعراء، حيث منهم الستالي وابن غسان سالم، قال: وأما في التقى والورع سالم بن غسان أشهر، انتهى مقاله هنا، قلت. وأما الشيخ أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي العماني، فلم يبن له نسبه الصريح أنه هو خروصي النسب، أو هو من سائر القحطانية، أو هو من العدنانية، فما أحببت أن أترجمه إذا بهم نسبة الصريح عليّ، وقد سألت جملة من المشائخ الخروصيين وغيرهم عن نسبه، وكان جوابهم إليّ على حدةٍ أنهم ما وقفوا على تاريخ نسبة له، وإنما قيل له الستالي نسبة إلى بلدة، وهي ستال، قرية من قرى بني خروص أهل وادي العليا، وقد نشأ منها جماعة من المشائخ والنبلاء الأفاضل الكرام، والشيخ أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي، قد نشأ في زمن بني نبهان بعمان، ومدح جملة من ملوكهم وأكابرهم، منهم أبو عبدالله محمد[١]، وأبو الحسن أحمد[٢]، وأبو محمد نبهان[٣]، وأبو عمر معمر[٤]، وأبو القاسم علي[٥]، وأبو الحسن ذهل[٦]، وأبو العرب يعرب بن ذهل[٧]، وديوانه موجود بعمان، وهو معدود من الشعراء البلغاء،ولو قلت: إنه هو أشعر من شعراء عمان المتقدمين والمتاخرين، إلى هذه الغاية سنة ١٢٤٠هـ، لم تبعد مقالتي التي أظن، والله أعلم بالصواب.

---

[١] أبو عبدالله محمد: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.
[٢] أبو الحسن أحمد: ملك من ملوك النباهنة ، لم نعثر على ترجمة له.
[٣] أبو محمد نبهان: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.
[٤] أبو عمر معمر: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.
[٥] أبو القاسم علي: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.
[٦] أبو الحسن ذهل: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.
[٧] أبو العرب يعرب بن ذهل: ملك من ملوك النباهنة، لم نعثر على ترجمة له.

الشيخ الأديب الفصيح سعيد بن محمد بن راشد بن معمرّ بن بشير المعروف بالغشري الخروصي اليحمدي لأزدي الشاعر المشهور:

فمن شعره، على قافية الراء،وقد سلسل بالحديث من تعبد إبليس الأول النحيس في السماء إلى بيعة الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي[1]، أيام حرب العجم بمسقط، وهي قصيدة طويلة، منها يقول شعراً:

ولقد أتت لبني خروص دولة	نبوية حتى استنار الدارُ
فزمانهم عيد الزمان وعرسه	بل وجهه والسمع والأبصارُ
نسخ الزمان ضياء عدلهم إذاً	وبدا على وجه الأنام نضارُ
ولقد سما فوق السّماك فخارهم	ولهم على كل الأنام فخارُ
ساسوا الخلايق دهرهم فخلايق	مرضية طابت فطاب نجارُ
كادت بعدلهم تقوم شهادة	بين الورى الأحجار والأشجار
صلت بن مالك الأمام المرتضى	دانت له أمصارها وظفارُ
وابن ابنه وهو الخليل أحبّهُ	من عدله العبدان والأحرارُ
فثلاث عشرة بيعة مشهورة	لبني خروص جاءت الآثارُ
ما فيهم من مقسط أبدا ولا	في حكمهم بين البرية جاروا
واتى بن نور قايداً لجيوشه	لم تبق آثار ولا أنهارُ
قتل الإمام المرتضى عزاننا	ولرأسه قد كوفر الكفّارُ

---

[1] الإمام بلعرب بن حمير: الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي، بويع بالإمامة سنة ١٧٣٨ م، بعد وفاة سلطان بن مرشد اليعربي في صحار متأثراً بجراحه التي أصيب بها أثناء حربه للعجم، وبعد وفاة الإمام سيف بن سلطان الثاني في الحزم، والتف أنصاره حوله في نزوى فطلب منه الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي بعدما طرد الفرس من السواحل العمانية التخلي عن الأمر، لكنه رفض، ووقعت بينهما معركة ضارية في بلدة فرق قرب نزوى، فقتل بلعرب ومعه عدد كبير من جيشه، وعقد العلامة الشيخ حبيب بن سالم بن سعيد آمبوسعيدي الإمامة للإمام أحمد ابن سعيد آلبوسعيدي. وبذلك يكون بلعرب بن حمير آخر أئمة اليعاربة، وكان مقتله سنة ١٧٤١ م. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين وزراة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م، ص ٢٨٧ – ٢٨٨.

وببركـــة الإســلام حلّــت نقمـــة بالقائـــد الـسّفاك ثـــم شـــنارُ [٧٦٠]
أكلته نـــاره حـــين يكتـــب طرســـه لـــم تحمـــه الفرســـان والأوتـــارُ
وكذا المهنـــا عـــادل بـــين الـــورى ذو هيبـــــة للمعتـــــدي قهّـــــارُ[١]

وقد تباريا، هو والشيخ القطب الرباني الرئيس أبو نبهـان جاعـد بـن خمـيس، فالمصراع الأول من هذه القصيدة روايته هنا لأبي نبهان، والثاني للـشيخ الأديـب سعيد بن محمد الغشري، المذكور آنفاً.

أئمتنـــا لهـــم كـــل الفـــضائل وإن لهـــم علـــى النـــاس الطوائـــل
وكـــل النـــاس كـــان لهـــم قـــديماً وقد كـــانوا جبـــالاً فـــي الـــزلازل
فمـــن لـــي مثـــل وارث بـــن كعـــب إمـــام عـــادل بطـــل حُلاحـــل
وصـــلت نجـــل مالـــك والمهنـــا لقد نـــشروا مـــن العـــدل العلائـــل
كـــذلك نجـــل شـــاذان خليـــل حمـــى ديـــن الإلـــه عـــن الأراذل
وصـــلت نجـــل قاســـم فهـــو عـــدل إمـــام لـــم يخـــف فـــي الله عـــاذل
وابـــن تمـــيم عـــزان فحـــسبي غداة الـــروع مـــن بطـــل مناضـــل
وصـــلت الخيـــر وهـــوفتى خمـــيس إمـــام فـــي الفـــرايض والرســـائل
وخاتمـــة الأئمـــة مـــن خـــروص فـــلا تنـــساه مـــن كـــرم الـــشمائل
فعـــامر نجـــل راشـــد ذو الأيـــادي إمـــام زاهـــد زاكـــي الخـــصائل
وغيـــرهم فـــلا يحـــصي نظـــامي مـــصابيح الـــدياجر فـــي المحافـــل
هـــم الأبطـــال والأبـــدال كـــانوا فما تركـــوا مـــن الفحـــشاء باطـــل
هـــم للمكرمـــــات وللمعـــــالي وهـــم وضـــحوا بـــراهين الـــدلائل
هـــم الراقـــون أعلـــى كـــل مجـــدٍ ترى فـــوق النجـــوم لهـــم منـــازل

---

[١] انظر نص القصيدة كاملة في ديوان الغشري، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمـان، مسقط، ص ١٥١ – ١٥٢.

هــم حــصن البرايــا فـــي الزرايـــا — إذا ظلـــم الأيـــامى والأرامـــل
هــــم الـــسادات حـــسبك للبرايـــا — معاقـــل فـــي الـــشدايد والنـــوازل
وهـــم غيـــث الأنـــام وهـــم أســـود — إذا اعتقلـــوا الـــصوارم والـــذوابل
هــــم الزاكون أخلاقـــــاً ودينــــاً — إذا في الغي قــد جمع الأسافــــل

ففخـــرهم ســـما عـــن كــل فخـــر — فلـــيس البحـــر تـــشبهه الوشـــائل
فهــل فـــي النـــاس مـــثلهم فخـــاراً — فـــلا فـــي العـــالمين لهـــم مماثـــل
فـــإن أبـــصرت مـــثلهم فقــل لـــي — فحاشـــا مـــا الثّواقـــب كالجنـــادل
فـــلا معـــشار عـــشرهم تـــرى فـــي — المناقــــب والمعــــالي والفـــــضائل
فــــصيّرنا الزمـــــان ولا عتـــــاب — رعايـــا بعـــدما قـــدنا الجحافـــل
فـــصبراً ثـــم حمـــداً ثـــم شـــكراً — علـــــى زمـــــن أتانـــــا بالغوائـــل
على المختـــار خيـــر الخلـــق طـــراً — شـــفيع للأواخـــر والأوائـــل[1][٧٦١].

وقال الشيخ سعيد بن محمد العشري أيضاً في الأيام وأحداثها وتضاربها، شعراً:

جـــزى الله أيـــامي بخيـــر لأنهـــا — أرتنـــي علـــى تكـــرارهنّ العجايبـــا
وصـرت بصيراً بعدما كنت جـــاهلا — لكثـــرة إتيـــاني بهـــن التجاربـــا
فليس عل الشيب الـــشباب مفـــضلاً — حليمــــاً ولا أيامــــه صـــرت نادبـــا
تفاضــــلت الأشـــياء لكـــن بونهـــا — تقاصر عـــن بـــون الرجـــال مـــذاهبا

---

[1] بعد البحث و التدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة بين أشعار العلامة الشيخ جاعد بن خميس الخروصي التي ما تزال مخطوطة. حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

ومن قد خلا من ستة فهـو خامـل حياً أو يكن كـاس المنيّـة شـاربا
فعلم وزهـد والـشجاعة يـا فتـى ومال جزيـل فـي الـشبيبة كاسـبا
وهيبـة سـلطان قـويّ وناسـك عميم على العافين قد صـار سـاكبا
فدونك آلات الوجاهـة مـن يـرى قعوداً على كـور الوجاهـة راكبـا
وما كـالتقى مـن يبتغـي لوجاهـة بدنياه والأخرى فـلا يـألو راغبـا
ألا فـاطرح مـدح الأنـامِ وذمهّـم وكن للـذي يُرضـي إلهـك طالبـا
فإن كنت يوماً هكذا صـرت سـيداً مطاعاً وسـاميت النجـوم الثواقبـا
ألا فاصحب الأكياس والكأس خلّـه وأصـحابه والغانيـات الكواعبـا
وكـن حازمـا ذاهمّـة متيقظـاً وأنشبْ إلى العليـاء منـك مخالبـا
عسى دونك الجوزا تكـون حفيظـة وللـزّمن الغـدّار تقهـر غالبـا[1]

وله أيضاً حكمة رائقة، وعظة فائقة، لمن كان به قلب وآله في سمع:

كفـى عظمـة للمـوقنين بـسايقٍ يسوق الورى حثّاً إلـى يـوم موعـدِ
كـذلك بـالقرآن للمهتـدي هـدى بزجـر عظـيم رادع وتّهـددِ
هو الموت ما عنه محيص وملجـأ لـسادة أمـلاك كـرام وأعبـدِ
فكم رشـقت سـهم المنيـة يافعـاً كـذلك أيـضاً عنـد شـيخ وأمـردِ
وكم وسدت تحت الثرى باختطافهـا من الكاعبـات النهـد العـين خـردِ
فلا تأمننّ المـوت طرفـة نـاظرِ ولا تقطـع البيـدا بغيـر تـزوّدِ

---

[1] ديوان الغشري، ص ٤٨. مع اختلاف في كثير من مفردات أبيات القصيدة .

أمولاي فارحم ضعف حيلي وقوتي ولا تأخـذني بالـذي كـسبت يـدي

عصيتك كالمقهور حـين يقـودني هوى النفس والشيطان خلع مشردي [٧٦٢]

فلا حجة هدي لديك ولـيس لـي سوى باعترافي أنت ذو الطول واليـدِ

فيا عجباً من ليس يـدري قـراره جنان العلـي أو فـي عـذاب مخلـدِ

يكـون غـدا أنـى تقـر عيونـه ويـنعم عيـشاً أو يقـر بمرقـد

ولكـنّ فالآمـال فـضل و نعمـة بها الناس عاشوا فـي أمـان مجـدد

ولو لم يكن لم يهـن نـومٌ لعاقـلٍ ولم يحلو عيش مـع شـراب مبـرّدِ

فطـوبى لعبـدٍ راقـب الله دهـره وبالـسادة الغرّالميـامين مقتـدِ[١]

وقال أيضاً يمدح النبي محمد، صلى الله عليه وسلم:

خطـرت تمـيس تبختـراً وتـأوُّدا فضحت بذاك الخطر بانـا أملـدا

جـاءت تجـرُّ الأتحمـي وراءهـا والنشر مسك حـين وافـاه النـدّا

خوف الرقيب تجردت مـن حليهـا ما الرأي في نـشر عـلا وتبـدّدا

هيفـاء ناعمـة رداح كاعـب ريّاً الخلاخـل ذات فتـك واعتـدا

حوراء قد سحرت بطـرفٍ أحـورٍ كم أوردت من عاشق حتف الردى

وتريك وجهـاً كالغزالـة مـشرقاً وأثيـث فـرعٍ كالعثاكـل أجعـدا

باتـت تحـدثني فتبـسم تـارة فرأيـت ياقوتـا ودراً قـد بـدا

وقد اجتمعنـا مـا احتـواه إزارهـا حجر وحلٌ كل مـا تحـت الـردّا

قد بـتُ أجنـي مـا ألـذُّ واشـتهي ياليت هـذا الليـل لـيلاً سـرمدا

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في ديوان الغشري حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

مـــا بـــين رمّـــان وورد يـــانعٍ ولذيـــذ نحـــلٍ أو نميـــر بُـــرّدا
فوصــــالها قلـــب الـــسليم مبـــرّد وحديثها يـشفي العليـل الأرمـدا
فلعلها خرجت مـن الفـردوس مـع أترابهــا وأتــت تــزور الأســعدا
جعلــت تعــاتبني لتعــرف بــاطني وتقول خنت وما وفيـت الموعـدا

فألنت قولي ثم قلــتُ لهــا اسـمعي مـــا مـــال قلبـــي عـــنكمُ وتـــرددا
إن كنت خنتك في المحبــة طرفــة فهجــوت خيــر العـــالمين محمـــداً
وجددتــه التوحيـد فـــي أفـضاله وزعمت أن لــه شــريكاً فـــي النّـدا
وقرنتــه فـــي العـــالمين بواحـــدٍ شـــرفاً وعليـــاءً تطـــول وســـؤددا
من كان في كتـب الإلــه مديحــه طّراً وفـــي الـذكر الحكـيم ممجـدا
هــل نــاطق بفـمٍ يُطيــقُ صـفاته أو عـــشر معـــشار يكـــون مُعّـــددا
كّلا وحاشا وهـو أفـضل مرسـلٍ وطـــأ البـــسيطة والـــسماء ألابعـــدا
لـــولاه مـــا دنيـــا ولا أُخـــرى ولا وضح الصراط ليقتديه من اقتدا [٧٦٣]
لولاه ما سـمك الـسماء ولا بهـا جعــل النجــوم بهـــنّ لـــيلا يهتـــدا
لـــولاه مـــا بـــسط البـسيطة ربنـــا ولها لقــد أرســى الجبــال الجلمــدا
لولاه ما الأفـلاك دارت لـم تـزل كـــلا ّولا شـــمس ولا قمـــر ٌبـــدا
لـــولاه مـــا صـــبح منيـــر لا ئـــح متلألـــيء نـــسخ الظـــلام الأســـودا
لولاه ما اختلـف الريـاح لواقحـاً ونـــشا الـــسحاب بـــسرعة فتبـــددا
لولاه مـــا جــاد الـسحاب بمائــه غـــدقاً ولا بـــرق ورعـــد أرعـــدا
لولاه ما البحـر العظـيم ترادفـت أمواجـــه تتـــرى وأصـــبح مزبـــدا
لولاه ما أضـحى المطيـع بجنّـةٍ والمـــشرك العاصـــي بنـــار خلّـــدا

لولاه مـــا إلا ســـلام صـــار بعـــزّة | مترفعـــاً والكفـــر صـــار مـــشرّدا
لـــولاه مـــالتواب بعـــد عمائـــه | وضـــلاله نـــال النعـــيم الـــسرَّمدا
لـــولاه مـــا أمّ الحجـــيج ليثـــربِ | وبـــأثره حـــادي المطايـــا قـــد حـــدا

طابت بطيب الهاشمي وخيّم المعـــر | وف فـــــي ســـــاحاتها وتمهـــــدا
قد راودته الـــشم مـــن ذهـــب فمـــا | تاقـــت إليهـــا نفـــسه وتزهّـــدا
هو صفوة الرحمن بـــل هـــو حجّـــة | للّـــه وهـــو علـــى البريـــة أشـــهدا
فاختـــار فقـــراً زائـــلاً متكرّمـــا | واعـــتّم ســـربال القناعـــة وارتـــدا
وهو المجاهـــد فـــي الإلـــه بنفـــسه | وهو الـــذي بيـــت المفـــاخر شـــيّدا
والله أرســـــله بنـــــور رحمـــــةً | للعـــالمين بهـــا الأنـــام تغمّـــدا
وبحجّة حـــسم الـــضلال ضـــياؤها | فغـــدا الـــشقّيّ بريبـــه متـــرددّا
وهو الـــشفيع لمـــن حـــواه محـــشر | يـــوم الحـــساب وراق ذاك الموعـــدا
فالأنبيـــا والرســـل ثـــم ملايـــك | لا ذوا بـــه إذ عـــاينوا أمـــراً بـــدا
حسب النبـــي بمـــا حبـــاه إلا هُـــهُ | مجـــداً وتـــشريعاً يتـــوق الفرقـــدا
وبـــداه قبـــل عتابـــه بـــالعفو هـــل | أحـــد بعفـــو مـــا ســـواه يُبتـــدا
لم يدعه في الـــذكر يومـــا باســـمه | كدعائـــه للمرســـلين مـــع النـــدا
صـــلى عليـــه الله مـــع أصـــحابه | والتـــابعين ومـــن تمـــسّك واقتـــدا
بعداد ما يبـــرى ومـــا هـــو خـــالق | لا تنقضي موصولة عدا المـــــدا[1]

---

[1] انظر القصيدة في ديوان الغشري، ص ١٢٩-١٣١. مع اختلاف كثير في مفردات القصيدة .

وله أيضاً في عمان وعظم دائها، وعدم مداويها:

عمـــان تفـــشى داؤهـــا وتطـــوّرا فأين طبيب القـــوم يبـــري الحبـــوكرا
وأين الفتى النطيس يرجابـــه الـــشفا لـــداءٍ دفـــين فـــي القلـــوب تـــسرسرا
أيرجى شـــفاء والرجـــال تقاعـــسوا وحربان صاروا في المدائن والقرى[٧٤٦]
فإمـــا ظلـــوم للفـــســـاد مـــشمرّ وإمـــا لبيـــتٍ بالخـــــمول تـــدثّرا
فيا شـــهداء الله فـــي الأرض هـــذه محجـــة ربـــي تـــستبين لمـــن درى
فيا حيـــرة هـــذا الكتـــاب أمـــامكم وهذي ســـيوف الهنـــد والـــدين يُـــسّرا
ويتلوه في وقت العشيات والـــضحى به الحـــق وضّـــاحٌ لمـــن قـــد تـــدثّرا
وأنـــتم بحمـــد الله ملـــح بـــلاده بكـــم يهتـــدي مـــن للرشـــاد تنـــوّرا
وديـــنكم ديـــن قـــويم ومـــا بـــه اعوجاج كمن للحـــق بالقلـــب أبـــصرا
ومـــا الحـــق إلا كامـــل بتمامـــه فلا يتحرى وهـــو للجـــور قـــد صَـــرَا
وحـــذّركم مـــن خـــصلتين فإنهـــا هلاك وشـــؤم فعلهـــا صـــارع الـــورا
فمـــا طمعـــو ثـــم التـــداهن بيـــنكم ولله يبـــــدو كـــــلّ شـــــيء تـــــسترا
وإن سوقة يوماً عتت لـــم يـــضرنا وإن دخـــل الملـــح الفـــساد فمـــا ثـــرا
وليس عليكم فوق مبـــذول جهـــدكم ومـــن بـــذل المجهـــود يومـــا تعـــذرا
فمهما تواليتم علـــى نـــصر ديـــنكم تمـــوت أعـــاديكم بغـــيظٍ تحـــسّرا
وليس على الساعي يكـــون موفقـــاً ولله تقـــدير علـــى الخلـــق سُـــطراً
وهـــاكم إشـــارات لكـــل مهـــذّب بها الحقُ يبـــدو ســـاطعا قـــد تفجـــراً
وصلى على المختار مـــولاي كلمـــاً هما صـــيّب وقـــت العـــشي وأمطـــرا
وما رنحت بـــان الغـــوير شـــمائل وهبّ صـــباً وقـــت الـــسُحير مبـــشراً
وما طاف حول البيت للّـــه طـــائف وحـــــي على داع إلا له وكبـــــــراً[١]

---

[١] المرجع نفسه، ص ٢٠٥-٢٠٦. مع اختلاف كثير في مفردات القصيدة .

وقال أيضاً وعظاً وحكمة:

وقفــتُ علــى الأطلال من بعد أهلهــا ... وساءلتُها عــنهم فلــم تــستمع ركــزا
أجابت صموتاً شــرّد القــــوم حــتفهم ... وهزّعليهم صـــارمات الــرّدى هــزّا
وألبسهم فــــي التُّــرب ثــوب مذلّــة ... وقد طال ما اعتمــوا بأيــامهم عــزا
وقــد جرّدوا سيف المظـــالم في الورى ... وازوا بسوط الجور كــل الــورى أزّا
فأين هم صــــاروا وأيــن جيادهـــم ... تفــزُّ بهــم فــي كــل حادثــة فــزّا
وأيـــن غـــوانيهم فعهـــدي كأنهــــا ... شـــموس تَجــر ّالأتحميَّــة والخــزّا
وولـــدانهم مثـــــل البـــدور تبــادروا ... وقد وُشِّحُوا الإبريــز واشــتملوا قــزّا
فمــاتــوا ولم يبق لهم غيــر وزرهــم ... كأن لم يكونوا أمــسهم للحمــى عــزّا
ألا فافتِتَــي إن كنــت أبــصــر تــاجر ... بضائع من تقوى و جزَّ الهــوى جــزّا
فــربح بــضاعات القيــــــامة جمّــةٌ ... ولا تقتنـــي يومـــاً عقـــاراً ولا بــزّاً
ولا تــكُ ثرثــاراً ضحوكا مشقشقــــــاً ... ولا تتعوّدن النميمـــة والغمـــزا [٧٦٥]
وكــن خاشعــاً بيــن الورى متواضعــاً ... تُعافى ولا تخشى مطـــالاً ولا وكــزا
لعلك فـــي الجنـــات تحظــى بحورهــا ... ولم تخش في النيران كّيــاً ولاكــزّا(١)

وقال يمدح السادة الملوك من بني خروص:

شمس تــراءت لنـــا أم نــور مقبــاس ... أم بــدر تــمّ بــدا ميقــات أغــلاسِ
أم ظبية الإنس فــي أترابهـــا بــرزت ... مــن كــل فتّانــة العينــين ميّــاسِ
رجراجه الــرّدف لفّــاء إذا خطــرت ... تصبي الحلــيم برنّــاتٍ ووســواسِ

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١١. مع اختلاف كثير في مفردات القصيدة .

تريـــك درّاً ومرجانــــاً إذا ابتـــسمت نـــشر القرنفـــل يبـــدو بـــين أضـــراسِ

بها اصفرار بيـــاض مـــن تـــضمُّخها بـــــــالزّعفران ومـــــــاورد وأوراس

تجرّ أذيال مرط فـــي التـــراب علـــى لبأتهـــا عـــسجدٌ أمثـــال مقبـــاس

هيفـــا كعـــوبٍ لعـــوب غـــادة فتنـــت نعيمـــة الجـــسم لكـــن قلبهـــا قاســـي

لطيفـــة القـــدّ لا طـــولٌ ولا قـــصرٌ صـــقيلة الخـــدّ لعـــساً ذات إينـــاسِ

تـــسلي فـــؤاد ضـــجيع مـــن بلابلـــه ومن هموم ومـــن بـــؤس ومـــن بـــاسِ

كـــم قانـــتٍ ناســـكٍ لمـــاّ تلمّحهـــا قادتـــه للّهـــو تكليفـــاً بـــأمراسِ

قل للمريض الذي طـــال الثـــواء بـــه وصـــار فـــي حـــدّ إتـــلافٍ وإبـــلاسِ

مـــن شـــف ريقتهـــا ترِيـــاق علّتـــه بـــذاك قـــال الطبيـــب الحـــاذق الآســـي

يا حبـــذا زمـــن ربـــع الـــشباب بـــه وتـــاج رونقـــه يبـــدو علـــى راســـي

دهر تـــذكَّرت وصـــل الغانيـــات بـــه تصاعدت عند ذكـــر الوصـــل أنفاســـي

وحبـــذا ليلـــة لَـــمَّ الحبيـــبُ بهـــا زارت علـــى رغـــم نمّـــامٍ وجَـــساسِ

غازلتهـــا سَـــمَراً باتـــت تحـــدثني وتنثـــر الـــدرّ لـــم تخـــش لحـــرّاسِ

ثـــم انـــدرجنا بتـــذكار الملـــوك هـــمُ بنـــوخروص ملـــوك غيـــر أنكـــاسِ

كانوا شموس عمـــان فـــي حنادســـها وغيثها في الطّوى بل طودهـــا الراســـيِ

هل مـــن ملـــوكهم نـــسل بقـــي لهـــم أم كلهـــم أودعـــوا أطبـــاق أرمـــاسِ

قالـــت نعـــم ولهـــم ســـيما بـــأوجههم وهمـــة ســـمكت فـــي ســـاعة البـــاس

عِرْقُ الكـــرام لهـــم قـــد دسّ مكرمـــة والعـــرق إن مـــرّ دهـــرٌ أيٌّ دسّـــاس

مـــا فـــي نـــواديهم لغـــوٌ ولا هـــزل إلاّ الـــتلاوة مـــن صـــدر وكـــرّاسِ

ما ضعضع الدهر همّات لهم أبداً ... ولا استكانوا لفكّان وطهماسِ

الزاهدون ملوك لو ترى لهُمُ ... أسمال فقرٍ فلا تنظر للبّاسِ

يرجا الشفاءُ وإن طال الزمان بهم ... نبذاً لدعوة وسواس وخنّاس

ما ضرّ من عثر الدهر الخؤون به ... لّما توارى بآداب وأجناسِ

وبعد حمد إلهي فالصلاة على ... نبيّنا المرتقي عن كلّ أدناسِ[1]

وقال يمدح السابقين منهم، من الأئمة والسلاطين شعراً: [٧٦٦]

تريني صدوداً مالذي قد بدالكِ ... فعهدك قبل اليوم لست بفاركِ

أراعكِ مبيضّ المشيب بمفرقي ... فحوّل عمّا كان عهدي بحالكِ

ألم تريا أن الجديدين إن لم يزل ... يبّيض يوماً كل أسود حالكِ

أيبقى شباب يا ابنة القوم لامرئ ... سليل ملوك صار مثل الصعالكِ

إذا عظمت نفس الفتى في مرادها ... فما الجسم إلا واقع في المهالكِ

دعيني وتذكار الملوك الذين هم ... رقوا منزلاً فوق النجوم السوامكِ

ملوك خروصٍ حين ينشر ذكرهم ... غدت كل أملاك الورى كالصعالك

فغيث الورى كانوا وكانوا غياثهم ... وكانوا شموساً في الليالي الحوالكِ

وتعجب من فرسانهم يوم عوتبٍ ... وأفعالهم عند القنا المتشابك

فما لعبت بين العزاوي جيادهم ... ولكنها لعّابة في المعاركِ

فلا ينسى أهل الفضل سابق مجدهم ... فما لهم في مجدهم من مشاركِ

لهم سيرة مشهورة نبوية ... بها كل ظلم عابس غير ضاحكِ

---

[1] المرجع نفسه، ص ٢١٦-٢١٧. مع اختلاف في كثير من مفردات القصيدة .

فـــأملاكهم زيّ المـــساكين زيُّهـــم خشوعاً فما من مالك غيـــر ناســـك

هم الزاهدون المـــالكون نفوســـهم هم السالكون النهج خيـــر المـــسالكِ

هم عصمة الدنيا وأفـــلاك أهلهـــا هم الوفد للـــرحمن يـــوم الـــضنائكِ

فمن كان يوماً للمـــروءة حافظـــاً وللأدب الأسنا يـــرى غيـــر تـــاركِ

يضع لنسول القوم بـــاللين جانبـــاً وما وّطدوا أهل النهى غير هاتـــك[1]

وقال أيضاً يرثي الشيخ الرضي اللوذعي الوفي خميس بـــن مبـــارك بـــن يحـــي الخروصي[2]:

هو الخطب حتى صار كـــلُّ معظّـــم حقيراً وجـــادت مقلـــة العـــين بالـــدّمِ

لطود ثوى من آل أزد بـــه احتمـــت قبائـــل شـــتّى مـــن نـــزار وجـــرهمِ

خميس فـــنفس واحـــد غيـــر أنـــه به قد غنينـــا عـــن خمـــيس عرمـــرمِ

إذا شهرت أعـــداؤه الـــسمر والقنـــا كفـــى قلّـــم منـــه بخـــطٍ منمـــنمِ

لـــه ســـيف رأي لا تطيـــق لقـــاءه ثمـــانون ألفـــاً مـــن شـــجاعٍ مقّـــدمِ

لقد نـــال ســـلطاناً ولكنـــه اكتـــسى التواضـــع حتـــى كـــالفقير المعـــدمِ

وخـــوّل أمـــراً نافـــذاً غيـــر أنـــه تـــسربل بـــالحلم الـــرزين المخّـــيمِ

فمات وما ماتت أياديه فـــي الـــورى يعّـــددها الـــراوون فـــي كـــل مجـــثمِ

مصيبتَهُ ما خـــصّت الأزد وحـــدها ولكنهـــا عّمـــت علـــى كـــل مـــسلمِ

---

[1] المرجع نفسه، ص ٢٨٥. مع اختلاف في كثير من مفردات القصيدة .

[2] خميس بن مبارك بن يحي الخروصي: لم نعثر على ترجمة له.

هــي الأري جاءتنــا بــأمّ حبــوكر مفتتــة الأكبــاد مــع كــل صــلدمِ
ولكنـــه حـــتم قـــضاء إلهنـــا على كــل صــعلوك وشــيخ مكــرَّمِ
رضـــينا بحكـــم الله فينـــا وعدلـــه تعالى إلهي من كريم ومــنعمِ [٧٦٧]
ألايـــا بنـــي الـــدنيا فإنَّـــا وأنـــتمُ ســكارى حيــارى فــي غرورمُــدَهَّمِ
تكالَبَنـــا فيهـــا غـــرورٌ وباطـــلٌ على غيــر شـــيء كالخيــال المــسلّمِ
ألا كلُنـــا داء الجنـــون برأســـه سوى السّادة الزّهاد مــن كــل أشــهمِ
أمـــا كـــل جمـــع زائـــل ومفـــرّق وهــل كــلُ حــيٍّ للثــرى بمــسلّمِ
ألا إن مـــن آمالنـــا قـــد تعجَّبـــت وأزرت بهــا آجالنــا حــين ترتمــي
فما طلب الدنيا فتـــى غيـــر جاهـــل وما نبــذ الأخــرى فتــى ذو تَفهــمِ
وصلى إله العرش ما عسعس الدجى على المصطفى الهادي النبي المكرّم(١)

وقال أيضاً في رسالة لجماعته وعمومته وفي وصف ديارهم:

ألاقل لبني شاري من الأزد يــشكروا إلهـــاً علـــى دارٍ تعـــج نهورهـــا
بهـــا جنتـــان عـــن يمـــين ويـــسرة بهـــا اختلفـــت أشـــجارها وخمورهـــا
بها سور صخر سامك الطود بـــاذخ ألا اكرم بدار شــمّخ الــشمّ ســورها
إذا بعمان ليـــل خـــوف تعسعـــست حنـــاد ســـها لمّـــا تـــوارت بـــدورها
وفي أهلها نـــار الحـــروب توقـــدت إذاً وريـــاح الجـــور هَّبـــت دبورهـــا

---

(١) انظر القصيدة في ديوان الغشري، ص ٣٦٠-٣٦١. مع اختلاف فـــي كثيـــر مـــن مفـــردات القصيدة .

تطلعّ فجر العـدل فـي عرصـاتكم وهـب نـسيم الأمـن ثـم سـرورها
سقى الله غاب الأسد من وابل الـسما ملّثـا متـى دارت عِـشًى وبكورهـا
سـتالا وعلياهـا وبلـدان بينهـا كـذلكم سـونى وطـاب هجيرهـا
فمثل عمان فهـي شـخص مكـرّم وسّـيد دنيانـا إذاً وأميرهـا
فـواديكم وجـه وعليـاء عينـه وظل عريش الحيـل منهـا بـصيرها
فهذا بعصري و الخطـوب شـريعة ولم أر مـا العقبـى يعـود مـصيرها
ألا يـالقومي نعمـة الله قيّـدوا بإحـسانكم إن الـزوال كفورهـا
فأسلافكم كانوا ملوكاً على الـورى بإحـسانهم و العـدل للقـوم نورهـا
بإحـسانهم سـادوا ولمّـا يخـالفوا ودان لهم سـهل القـرى ووعورهـا
فكن محـسناً قـولاً وفعـلاً لتقتنـي عريـسك والأيـام وشـكا فرورهـا
وصلي على المختار مـولاي كلّمـا هما صيّب وانهـلّ منهـا نميُرهـا[1]

وله خطبة في المأكولات والمشارب وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جزيل نعمه التي لا تحصى، وليس لها غاية ولا أقصى، حمداً جزيلاً عدد ما خلق وبَرى، وما يخلق في المستعد إلى يوم الطاّمة الكبرى، الـذي رزقنـا رطباً جنّياً وخبزاً مطوياً، ولحماً مشوياً، ومن بجامعة الألباب على الأنـام [٧٦٨] وجعلها من طيب المأكولات والطعام، وأحلّ من فضله لحوم الأنعام، نعمة جليلـة

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في ديوان الغشري حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

تعرفها الأفهام، صنعة الأبازير، من شواء وضعيف وقدير، وجعل لنا الأرز من مكان سحيق نعمة جليلة بتحقيق، فكيف إذا أضيف الأرز باللحوم وكشط السمن والأبازير والشحوم، وأنضج بنار لينه، وأُترك ساعة هّينه، ونقل من القدور إلى الصحون، وتحقق للأكل المظنون، فرمقت إليه الأحداق، وامتدت إليه الأعناق، وترفقت على الصحون الرفاق، فحينئذ تسمع للحناجر وجيبا، وللأسنان صلصلة وقشيبا، فأدبرت عساكر الجوع مهزومة، حين رأت فرسان الشبع مزمومة، فيالها من وقعة يذهب منها البؤس، وتطيب منها الخواطر والنفوس، ومعركة ما بها من جريح ولا قتيل، ولا صياح ولا عويل، ثم جيء بالشنجال والحلاوات ألوان، وفواكه مختلفة ورمّان، فاستجرت رماح الأكل تارة،حتى وضع الحرب أو زاره، وردف بالأبلوج وملال الصيّن، وصُبَّ عليه من ماء معين، فيالها من نعمة إن اعْلَتْها السُّكّر، ويالها استدراجات، إن من قرنها الكفر، وصلى الله على محمد عليه الصلاة والسلام.

وقد صنع أبو محمد بن سعيد المذكور مقامات عدة على منوال مقامات الحريري، فمن هذه المقامة المسماة مقامة السُّونية، فقال: روى اليافث بن تمام، قال: أجدبت أرضنا ذات سنة، حتى منع الطوى من السَّنة، وأقوت من الأقوات الربوع و المرابع، فلذا تجافينا من الجفا عن المضاجع، وأمسكت السماء عن الرجع، والأرض عن الصّدع، ولم يبق وسنان يغطّ، ولا بعين يأط، وطالما استسقينا، فلم نسق ديمه، فحينئذ أزمعت الترحال إلى سوني القديمة، فلم أزل أنجد وأغور، وأقطع الدّمث والوعور، والصحاري والصخور إلى أن وافيت جنابها الرحيب، وروضها العشيب، وزهرها القشيب، فما لبث إلاَّ لمحة ناظر، أو كخطفة طائر، حتى رأيت الجماعة

ينقضّون، ولا انقضاض الشهب، ويوفضون، ولا الوفوض على النصب، فبـــادرت مع الزمر، لا أعلم ما الخبر، فإذا بنادٍ رحيب، قد حوى الأحمق واللبيـــب، وأهـــل العرف والمعرفات، واجتمعوا، ولا الجمع بعرفات، فإذا بوسط الدّست كهل أعرج، متكيء على عصى أعوج، قد اكتسب خلة الزّهادة، وعليه سيما العبادة، وقد تلـــثّم بطرته، وأظهر بعض غرّته، وهو ينادي بلسان سلق، وصوت صهـــصلق: [٧٦٩] أيها الناس: ذهب الوفاء وغاض، وتفجّر الغدر وفاض، وضرّس الدهر بأنيابه على الكرام فعضّ، وأناخ عليهم بجرانه فرضّ، وقطع ريش جناحه فهض، وبـــتّ منـــه الخوافي فحض، وعصفت عواصف البخل فهبّت، وغمضت عيون البذل فما هبت، وتوقدت نار الباطل فشبّت، وتقاعست فتية الحق فما شبّت، وأنفـــذ الحيـــا فـــذهب، وحُصن الرغيف ولا تحصين الذهب، ورفض الفقير، ولا رفض الكنيف، وصعرت عنه الخدود ولا تصعير المخيف، فهل من حرّ مغيث لأعرجٍ مستغيث، قد غـــادره الدهر لقا، بعدالمملكة والارتقا، والحجبة والحجب، والكتايـــب والكتـــب، والكنـــوز والبزّة، والجوائز والعزّة، والصوارم والـــصواهل، والـــذوابل والـــذّلايل، والعلـــم والأقلام، والقلع والأعلام، واليعملات والعمـــال، والحمـــول والأحمـــال. والملـــح والملاحة ، والصبوح والصّباحة، والحلايل والحلل، والخلاخل والخول، والراحـــة والراح، والأسرّة والسماح، والحبور والمحابر، والصبرق والصنابر، وكان جميـــع ذلك في هجعة، أو كسراب بقيعة، قال اليافث بن تمّام: فرّق الجماعـــة لذلتـــه بعـــد عزّته، وحبوّه لبلاغته ورثةبزّته، فجعل يحمدل شكراً، ويشيد للجماعة ذكراً، وأسرع يتعارج ولا عرج، ويتراوغ ليجهل منه المخرج، فقفوتُ أثره متوارياً، حتى أحـــرّ الرقيب الساعيا، ثم أجفل إجفال حماره، وانساب مسرعاً إلى غاره، فتماديـــت فـــي

السعي إليه، حتى ولجتّ سربةً عليه، فإذا عنده شادن أقمر، وبيده كأس أنور، وحياله شطرنج ومرمر، وحوله صحائف وصحاف، ومن الأطعمة أصناف، وهو طوراً ينقش العود، وطوراً يتناول بنت العنقود، ويغرّد بتلاحين، و يرقص و لا رقص المجانين، وينشد بصوت رخيم، ولفظ مستقيم، وقال:

باكر صبوحك بالصباح — واردف براحك في الرواحْ
فالراح فيها راحة — تجلو القلوب من التراحْ
بعض النعيم وكلّه — رشف الثغور مع القداحْ[1]

فقلت له: أخزاك الله. أنسيت مولاك؟ ومن نعمه أولاك، ولم تراقب رقيبك، حتى نسيت من الله نصيبك، فقال: ذرني أتقّلب في النعمة، وربك الغفور ذو الرحمة، وأجن الثمر، وأستفد ودع العود ولا ضرم، وواسي نفسك ولا تبخل لخيرك، ولا يضرُك عبسة غيرك، ثم صمت موجماً، وأنشد مترنماً شعراً: [٧٧٠]

و لمّا رأيت المكر في الناس باديا — تماكرت حتى قيل أنّي ماكرُ
وأنشبت أظفاري لأظفر بالذي — تعاظم من أن تحتويه الأكابرُ
وعرّجت حتى إن رقيت مراقياً — تعالت سُمُواً دونهن المنابرُ
فكم بنفيس بلّغتني بلاغتي — وعدت فلم تخفى علّيَّ الدّخايرُ
وكم فرس ذلّلتها بفراستي — وجادت فلم تبخل عليّ العشايرُ[2]

---

[1] بعد البحث و التدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في ديوان الغشري حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[2] بعد البحث و التدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في ديوان الغشري حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

ثم قال: كن كأهل زمانك، وعلى أُسلوب إخوانك، فإنه زمن لهـو ولعـب،ومجون مضطرب، وهزل وكذب، وخدع ومكر، ونفاق وغدر، قد استوى فيه النبيه والبليه، والجاهل والفقيه، والعاقل والسفيه، فتغلّب وتقلّب، وتماكر لتباكر، وتزندق لتصدق، فإنما اللبيب محروم، والزنديق مكروم، ثم أمسك عن الكلام، وقال دونك النظام:

ألا فـــاخلط الحـــق بالباطــــل	ألا واتــرك الــشؤّم للعاقــلِ
وكــن خــاملاً مــع فتــى خامــلِ	وكن صــارم الحــدّ مــع باسـلِ
وأرضِ الجلـــيس بمـــا يـــشتهي	مــن ســاهر الجــدّ أو خامــلِ
وكـــن فـــي المحاريـــب مفتـــيهم	وارقص لدى الملعـب الحافـلِ
وأبـــدي المجـــون لأهـــل المجـــون	وخــلّ الفــضول مــع الفاضــلِ
خـــذ الحاضـــر النـــزر لا تلغـــه	ولا تــشتري الــسلم بالحاصــلِ
ودع مـــا تعـــسّر مطلوبـــه	فــإن الــسلامة فــي الــسّاحلِ
ولــو نلـــت مـــن باقـــلٍ بقلـــةً	فــأخرّ بــسحبان عــن باقــلِ
وخـــادع ومـــاكر ولا تـــستمع	مقـــال الملّـــوم والعـــاذل
تــشارك بنـــي الـــدهر فـــي مـــالهم	ويحبـــوك بـــالحظ والنائـــلِ
وقدّم متـــابك عنـــد الفنـــــا	لكي تجتني الخير في الآجـــلِ[1]

فقلتُ: ما أحسن بنيتك، وأقبح نيّتك، وأفصح لسانك، وأخف جنانك، وأكذب طعنـك الهازل، وأبطل سيفك الباطل، تعمل عمل الأشقياء، وترجو رجاء الأتقياء، أيمهلـك الحمام إذا قدم، كلاّ بل فيحلّ بك الويل والندم، فقلت لشادنه: عليك بالله من هذا الذي بمكره خدع، وبوعظه صدع، فما هو إلا يوســفي الجمــال، وهامــاني الأفعــال، وسحباني الفصاحة، وساساني الوقاحة، فقال: هل يجهل أبو عبيد الفلوجي الذي هو

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في ديوان الغشري حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

أزرى على الشروجي، فحينئذ طمعت برجوعه إلى المحجّة، حين لم ينسبه [٧٧١] إلى الملل المعوجة ، فقلت له: هل لك أن تقلع إلى المتاب ؟ وترغب في المآب إلى التوّاب، وتجمع بين حسنك وحسناتك، و تدارك غوايتك قبل وفاتك ؟ فقال: أتيـت لتشرب البحر، أو ليكن الهجر، هيهات هيهات والمرجع، حتـى اسـتودع البلقـع، فعلمت أنه مصرّ، وهذا إصرار إبليس، وإنّه للضالين قائد ورئيس، فحينئذ أيست له من الرشاد، وقرأت ﴿ومن يضلل الله فماله من هاد﴾[1]، فأيمنت بالحسنات، وأشأمت بالسّيئات، وأخبرت الجماعة بما رأيت من عجابه، وغيّه وإعجابه، فعضوا أنـاملهم عليه لهفوته، وكادوا أن يتّميزوا من الغيظ لحبوته:

الشيخ الممجّد ناصر بن محمد الخروصي:

الشيخ اللبيب الأديب الأريب الممجّد: ناصر بن محمد بـن سـليمان الخروصـي. السمائلي الشاعر الماهر، كان واحد زمانه وفريد عصره وأوانه فـي علـم الأدب وصياغة الشعر، وقد استعمل في غالب زمانه، الصمت، ورفض هدر الكلام، وإذا نطق أتي بحكمة تجلّها جها بذة العلماء الأعلام، و إذا سامره ، أديب حاذق، انبعث إليه منه نثر رائق، ونظم فائق، واقتنص منه حِكَماً واصلية، وبراعـات بلاغـات غزالية، فهو يذود الكرى عن أعين السمّار بفواكه النظم والأشعار، وطالما سامرته أيام اخضرار عود الصبى و سجسج ريح أريحّيته النايبة عن الصّبا، وجالسته فـي ضياء نهار، و هو في الذوق السليم ألذ وأعذب من مياه الأنهار، فلم أرمنه إلاّ مـا تقرُّبه العين، وينشرح به الصدّر، ويسرّ الحشاشة والقلب، فسقى الله تلـك الليـالي والأيام بوابل رحمته، ودفع عنها ثرة إسخاطه ونقمته، وما نظم الشيخ ناصر بـن محمد المذكور قصيدة، إلاّ وكان كلّ بيت منها بيت قصيد، وفرند فريد، ولّما صنع

---

[1] سورة غافر، الآية ٣٣.

الشيخ الفاضل القاضي الأريحي الأديب أبو الأحوال سالم بـن محمـد الـدرمكي القصيدة التي مدح فيها السيد المعظم الممجد حمد بن سـعيد بـن الأمـام أحمـد، ومطلعها شعراً:

ما بين بابي عين سعنة واليمن   سوق تباع بها القلوب بلا ثمن[1]

تصدوا لمناضلته ومناظرته عدّة شعراءً، وسُموا بميسم الأدب، فحرنت بهم سلاهبهم في أول الميدان، ورأوا في آخره العنى لكلّ طيار العنان، ولمّا أجرى الشيخ الممجد ناصر بن محمد طرفه، في ذلك المضمار قالوا: له قصب السبق، وقـصيدته هـي شعر الأشعار، ولله در درايته وأدبه حين قال في منظومته المحضرة الذكر شعراً:

أنا بلبل الشعراء إلاّ قائل   (ما بين بابي عين سعنه واليمن)[2].

فانظر إلى أدب هذا الشيخ الفاضل واحتشامه الكامل، مع علمه أنه هو السابق، لـم يرض أن يقول هو إلاّ لاحق ، فاستعمل لاء النفي عـن الإثبـات، وتـلا للـشيخ الدرمكي (أيات ثناء بيّنات). وهكذا ينبغي لكل أديب و حاذق أريب لبيب. وسمعت عن الشيخ العالم العّلامة [٧٧٢] الحبر الفهّامة قطب عمان وشمسها وبدرها الفاضل

---

[1] انظر القصيدة كاملة في: الدرمكي، سالم بن محمد بن سالم بن محمد: ديوان الدرمكي، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، سلطنة عمـان، مـسقط، الطبعـة الأولي ٢٠٠٠ م، ص ٣٠٨-٣١٠.

[2] لهذا البيت روايتان ذكرهما ابن رزيق ، هذه أولاهما ، و انظر الثانية في آخر القصيدة .

الكامل المجتهد أبي نبهان الرئيس جاعد بن خميس، كان يفضّل قصيدة الشيخ الخروصي ناصر بن محمد المذكور على قصيدة الشيخ الفصيح سالم بن محمد الدرمكي، وهي التي مدح فيها السيد المعظم الممّجد حمد بن سعيد بن الإمام أحمد، وحسب من شهد له أبو نبهان بهذا الشأن. وقصيدة الشيخ ناصر بن محمد الخروصي التي وازن بها قصيدة الشيخ سالم بن محمد الدرمكي هي هذه شعراً:

إن الهنا وافاك يا هذا الزمن ... أنعم به ما الليل فيك لنا سكن

والبس برود الفخر حتى يوم ما ... بالفوز يُقضى بين أهلك والغبن

لّما أتى فيك الذي عن وصفه ... تتقاصر الأوهام في الفعل الحسن

فهو الذي لولاه ما عرف الهنا ... أهلوك فيك ولا استقرَّبهم وطن

كلاّ ولا منك استذل لراكب ... صعب ولا قيد الشموس بلا رسن

رب المحامد و الندى مولى الورى ... حمدٌ إذا لي قيل تعني أنت من؟

نجل الإمام السيد المولى سعيد ... ابن الإمام القرم أحمد ذي المنن

ذو الفضل تنتسب الفضائل والعلى ... منه وتلك إليه إذ بسواه لن

البوسعيدي الكميّ ومن له ... خضعت نزار وقد أطاعته اليمن

العارف المعروف بالمعروف إذ ... في الناس شبّ به ومنه قد شدن

ينميه من قبل الخؤلة تبّع ... في الناس فخر فهو ذو فخر ومن

ألقى له صرف القضاء أزمّة ... التدبير في ذا الخلق وهو المؤتمن

لو أنه لليل يمسي ناهياً ... عن أن يكون لما أدلهّم ولا دجن

والشمس في إشراقها في شرقها لم تأته حتى تراه لها أذن

فكسا المُوالي والمُعادي حُلَّتَيْ نفع وضّر للسلامة والكفن

لسني له بالبدر إسماً ارتضي إذ قد علا فوق النجوم وقد قطن

ترك اللّعين وكلما يرضى به ولربه أرضى وللتقوى ركن

طلعت لنا من عدله شمس الرخا ثم انجلى عنّا بها ليل المحن

وصفا من الكدر الزمان بنوره وأصطحت الأيام من مرض الفتن[٧٧٣]

واخضرّت الغبراء لما أصبحت ملكاً له والكّل من فيها سكن

حتى كأنّ سهولها ووعورها والبرّ ثم البحر خلد أو عدن

كم مشكلٍ وثقيلِ أمرِمعضل قد حلّ ذلك عقله وله وزن

ولَكَم على أمواله وعداته لتشتت من غارةٍ شعواء شن

ولَكَم على الأسل الطوال مثال من مهج العدى لمّا بهم فيهم طعن

ومتى تفارق بيضُه أغمارها حلّت مفارقهم وواصلت الوجن

يمحو كتائبهم بهنّ وينمحي من صدره حقد لهم فيه كمن

ومتى أتين قلالهم فتخالها بلغت أسافلهم بلا شرخ وسن

يجدون أنواع الشقاء إذا استوى فوق الأشق وباللجام له أعن

يتزلزلون ونازل عنه يرى خوفاً فكيف إذا به لهم صفن

لم تلقَ هاماً فوق جسم إن مضى سيفاً ولا روحاً تراها في بدن

للّه من قلب به عشق الوغى فتراه إن ما آن حن له وأن

أفنت مواهبّه خزاين ماله ولنفسه جَمْعُ المعالي قد خزن

يعطي من الإبريز ما لم يحصه ... أحد بوزن مائين أو آلاف من

وإذا بأرضٍ حلّ عسكر جوده ... فترى خميس الجدب عنها قد ظعن

وعلى فراق كنوزه يوم العطا ... لعيونها من حولها أصوات زن

ما للحوادث من سبيل على الذي ... عنها بحصن أمانه وبه احتضن

يا ثالث العمرين عش غيثاً لنا ... إن شحَّ بالغيث السّما بخلاً وظن

وابقا أميراً لا يرام عُلاك ما ... قلب المؤمل منك بالجود اطمأن

تقضي بما في الشرع مشروعاً و ما ... فرض الإله و ما له المختار سن

مولاي لولا حُبكم بي ما اتى ... ذا الشعر عنّي فيكم نعم الحسن

قد كان عنّي قبل مدحك درّة ... في معزل متوطن وطن الشطن

تخفى ظواهره عليّ وحين ما ... أنستُ مدحك شمت منه ما بطن

حتّى أتيت بكلّما لسماعه ... هوت النجوم تشوقاً والبدر حن [٧٧٤]

سمع الزمان به فجاء مغنياً ... بين الورى وملوكهم منه بِفن

طحنت رحى فهمي جواهره لكم ... حُباً وودّكُمُ له حتى عجن

لو أن من دُرٍّ يكون الدهر ما ... ساواه في قدر الذي ما قد أكن

فاليوم باع نفيسةً لك نفسه ... فاشروا إن قيو لكم خير الثمن

لي شعره ولك المديح وللعدى ... والحاسدين البؤس منه والظعن

تعنوا له الشعراء إلاّ قائلاً ... ما بين بابي عين سعنة واليمن

فليعلم المتشاعرون بأنهم ... من وبله وشل هُمُ لمّا هتن[1]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في أعمال الشاعر ناصر بن محمد الخروصي، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

وللشيخ الفصيح ناصر بن محمد الخروصي عدّة قصائد، وما رضي أن يدونها أيام حياته، فذهب أكثرها بعد وفاته، وما بقي منها إلاّ يسير عند ولد الشيخ الناسك محمد ابن ناصر، وقد زرته في سنة ست وخمسين ومائتين وألف في بلدة سمائل، فأخرج لي بعض المسوّدات من شعر أبيه الشيخ ناصر، فلما قرأتهن، رأيت فـيهن نـوراً ولؤلؤاً منثوراً. وقد رثيت الشيخ ناصر المذكور بعد وفاته بقصيدتين، الأولى عددها ثلاثون بيتاً وهي:

دقـــقّ الفكـــر فالمـــصاب عظـــيم ... وذر العـــين بالـــدموع تعـــومُ

وارفض الـصبر إن لحـاك ملـوم ... فاســتماع المــلام منــه ألــيمُ

أتــرى تــستطيع كــل اصــطبار ... وحــشاياك كلهــن كلــوم

قد فشى الغمُ فالخصوص مـن الهـمّ ... إلـى كــل ذي وداد عمــوم

يالهــا مــن رزيــة جهــل الحلــم ... بتبــر يحهــا اللّبيــب الحلــيمُ

وأرى مــن عظيمهــا كــل عظــمٍ ... قبــل مـصح الجـسوم وهـو رمـيمُ

وأرى الأفق مظلمــاً لــم تــرَ فيــه ... بــدوره ولا تــضيء نجــومُ

وأرى الشمس فــي حــداد كــسوفٍ ... يفجــع الطــرف لونهــا اليحمــومُ

مخبري بالنعي إذ عـرّض الـرزء ... وألقــى التــصريح منــه الحكــيمُ

هــل أراد اســتبهام شــان شــهدنا ... صــبحنا فيــه وهــو ليــل بهــيمُ

حــسبهُ شــؤمُهُ الــذي كــلٌ شــهمٍ ... همُّــهُ منــه فــي الزمــان الهمــومُ

وفهمنا إذ قــال أودى فتــى الجــود ... قضى ناصر الأجـلٌ الكـريمُ [٧٧٥]

نجل طود العلــى محمــد والحمــد ... لــه والثنــا حــديث قــديمُ

ساكب الـدمع إن صـوت المحبـين ... رعــود وإن جفنــي غيــومُ

فاحتـــــسبها رزيـــــة يتحـــــسى بحمـــيم منهـــا الـــسحر الحمـــيم
صاح إن القـــراح أضـــحى أُجاجـــاً في القـــرى والـــصبا النـــسيم ســـمومُ
ومصاب الشهم الخروصـــي صـــاب لمـــــرء عقلــــه صـــحيح ســـقيمُ
حـــسبه الفخـــر إنـــه عـــيلم العلـــم ومنـــــه لنـــــا تفـــيض العلـــومُ
إنمـــا النثـــر فهمنـــا منـــه والخـــط ومنـــــه لنـــــا القـــريض النظـــيمُ
والذي من عيوننـــا احمَّـــر وابـــيضّ عليـــــه منـــــه عقيـــــق وبـــــومُ
وإذا جـــــالس الفقيـــــه فهـــــيم حـــصل الرشـــد منـــه والتعلـــيمُ
وعلى صـــيغة القيـــاس هـــو الـــرو ح نـــــراه لنـــــا ونحـــن الجـــسومُ
قد قضى مذ قضى القرى ومن الثكل كبيـــــر القـــــرى صـــــفير يتـــــيمُ
وانتعاش الـــورى انتقـــاض إذا فـــا ض عليهم في الـــدهر عـــيش ذمـــيمُ
قل لمن يطلـــب العلـــوم ولا يثنيـــه عنهـــــا صـــــباحه والـــــصريمُ
من لكتـــب البيـــان إذ بـــان عنهـــا شـــيخها والـــذي لـــهُ التفخـــيمُ
من إلى النثر من إلى صيغة الـــنظم ومـــــن ذالـــــه بهـــــا التحكـــيمُ
فالإيـــاس الإيـــاس يـــا أيهـــا النـــا س فـــإن الربـــوعَ طُـــراً رُسُـــومُ
وتموت الـــديار مـــن غيـــر جـــدب بفنـــــى مـــن بكـــل علـــم علـــيمُ
وبه تحبـــى وهـــي واهيـــة الحـــال رســـــوم ممـــــصوحة وطـــــسومُ
والـــذي يلـــزم الحلـــيم إذا مـــا ت حلـــيم مـــن رزئـــه التحلـــيمُ
ومصاب النبـــيّ يـــسلي المـــصابين عليـــــه الـــــصّلاةُ والتـــــسليم
صـــاحبي قـــل لابنـــه لا عـــدمنا هُ ولا فاتتـــــا ســـــناهُ الوســـــيمُ
إن مرآتـــه لـــى بغيـــر مـــراءٍ والمحبـــــين جنّـــــة ونعـــــيمُ

كيف لا وهو في الذي نطق الحمد   عليه له صراط قويمُ
فعليه بالصبر إذ ما خلا الله   من المستحيل حيٌّ يدومُ
وثنانا على أبيه وإن بان   بيناً ففي الزمان مقيمُ
ولنا ذكره هو الروض والأز   هار والقطر والشذا والنسيمُ
فسقى قبره الغمامُ وحيّا   ه بإكرامه الرؤوف الرحيمُ[1]

والثانية مرثيتي إليه أربعة وأربعون بيتاً من بحر الكامل مطلعها:

ديماً تحدّر دمعك المسجوم   الله أكبر فالمصاب عظيمُ
أو ما ترى والأمر ليس بمبهم   إن الصباح دُجا بذاك بهيمُ[2] [٧٧٦]

وأخبرني بعض المحبيّن أن الشيخ ابن محمد في أيام صباه، أراد شراء خنجر له من بعض الناس، فنهاه والده محمد عن ذلك، فبعث لوالده هذه الأبيات شعراً:

فمالي إذا ما رمت أمراً نهيتني   وأثنيتني عن بغيتي وزجرتني
وظنّي لمّا أن أردت شرائه   تعالجني كي ما لما شئت تأتني
فدىً لك روحي مع تليدي وطارفي   فكيف بلبسي خنجراً ما أمرتني[3]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية المخطوطة منها والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه .

[2] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذين البيتين غير موجودين في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية، حفظهما لنا في مخطوطته هذه.

[3] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات من شعر ناصر بن محمد الخروصي، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

وأورد له أيضاً هذه الأبيات، بعثها لبعض سمّاره، فقال شعراً:

وصلت إلى المغنى فماذا الذي أغنى　　عن الوصل يا خلي وذخري إلى معنا
فيا ليت إذ وافيت ألفيت من يرى　　برؤياك كل البشر عن ذلك المغنا
سروري من الدنيا لقاك فليتني　　إليك كقاب القوس في القرب أو أدنا[١]

وأورد له أيضاً هذا البيت:

بشراك يا بلدي ويا بشرانا　　باباي من زمني به قد زانا[٢]

وأورد له أيضاً في الغزل:

أمالي وصل منك و الفوز في الوصل　　أيا من ببعضي حبّه وهو في كُلّي
أأسلوك لمّا صار ذكرك في فمي　　ألذ من السّلوى و باينت من يُسلي
قتلت مُحّباً بالصدود وبالجفا　　أمالك يامن مال بالصدّ عن قتلي[٣]

وكان للشيخ ناصر بن محمد نوادر كثيرة ومحاسن شهيرة، وكانت وفاته في بلدة سمائل.

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات للشاعر ناصر بن محمد الخروصي، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه

[٢] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات للشاعر ناصر بن محمد الخروصي، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[٣] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات للشاعر ناصر بن محمد الخروصي، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

الشيخ الثقة الأديب الفصيح البليغ أبو الأحول سالم بن محمد بن سالم الدرمكي الأزدي الشاعر المشهور:

كان يقال له عراقي عمان في براعة الشعر وانسجامات معانيه الدّالة على بلاغته، ولمّا سمع به السيد حمد بن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد، بعدما خلع الملك عليه والده سعيد بن الإمام أحمد، أنفذ إليه كتاباً يدعوه بالشخوص إليه، وكان السيد حمد المذكور يومئذ ببركة، والشيخ سالم بازكي، فلمّا وصله، رفع محلّه وأكرم مثواه، وفوّض إليه القضاء والحكم الشرعي والمكاتبة في البيوع والحقوق بين الناس، فلما حكم وكاتب، شاعت ثقته بين الخاص والعام، فما مضت على ذلك إلاّ أياماً قلائلا إذ أمر حمد أن يبنى له بيت شرقي الحصن من الحلّة الداخلة من السور، فلما كمل البنيان، أضاف إليه الفرش الشريفة والوسائل الطريفة، والقدور والجفان، والخواني الخطيرة، فلما انعوعم البيت بالآلة الكاملة، كتب حمد إلى أهله يخبرهم بإنتقالهم إلى بركا، وبعث إليهم بنياق وأجمال ورجال، يحموهم من الأعراب والحضر القاطعين السبيل المفسدين في الأرض، فلما وصل أهله الرجال والكتاب والرّكاب، لم يلبثوا أن أودعوا أثقالهم وأمتعتهم ظهور الركائب، فلما وصلوا بركا، أناخوا الركاب في بطن ذلك البيت الذي صنعه لهم حمد، وبهذا كله لم يدر الشيخ سالم بن محمد، فلمّا أُخبر حمد بوصول أهل الشيخ ومقرهم بالبيت، [٧٧٧] بعث إلى سالم رسولاً أن يأتيه في غرفة الحصن، فلما أتاه، قال له: إمضي معي، فإن نفسي تاقت لملاحظة البلد، فمضى حمد، ومضى سالم معه، ومضت معهم عدّة من الأكابر والمشائخ والعساكر والخدم، فلما أتوا البيت الذى أقر حمد أهل سالم فيه قال: يا سالم، ادخل

البيت فإنه لك، ولك كل ما فيه، فلما دخله، رأى فيه أولاده وأهله وعياله، تحيّر تحيّراً شديداً، لاسيما لما رأى فيه من الصناديق والفرش والقدور والخواني وسائر الأواني والأقوات الكثيرة، فكاد الشيخ أن يطير فرحاً، واشتمل أهله على سرور عظيم، لمّا رجع حمد إلى الحصن، بعث لسالم أيضاً بدارهم وأرز وسكر وأباريز وحبوب شيئاً كثيراً، فلما وصل المذكور إلى سالم، تناول في الحال القلم والقرطاس، ونصب بين يده الدواة، ومدح حَمَداً بهذه القصيدة الغرّاء التي شاعت في البلدان، وتغنت بها الحداة والركبان ، وهي:

ما بين بابي عين سعنة واليمن	سوق تباع بها القلوب بلا ثمن
تجروا من إحتكروا به وتحكموا	فجواب من يستام منهم لا ولن
المسك من أبدانهم والعود من	أردانهم والزعفران من الوجن
وشذا القرنفل هاج من أنفاسهم	سحراً وماء الورد من عرق البدن
حازوا جمالاً لا يقال له كما	لكن بهم شحّ عليّ به كمن
وموردّ الوجنات سنّ لي الجفا	منه فحرّم مقلتي طيب الوسن
شاكى السلاح فكم بسيف لحاظه	ضرب الحشا وبرمح قامته طعن
جنّ الحليم له وقد سفر الذكا	من وجهه والفرع منه اللّيل جن
صنم عليه الخلق أثنوا كلّهم	لولا التقى لعبدت ذلكم الوثن
كم رمت منه إربةً فدعوته	رغباً فما أذن الغداة ولا أذن
ولو أنني عانقته وهناً فمن	شرهي ومن شوق إليه القلب حن
ولو أنه أمسى يمنيني بما	أهوى لما أهدى الفؤاد ولا هدن

ولون أن روحي في الدنو بروحه ... مزج الوداد لما به القلب اطمأن

يا شقوة القلب الذي بالطّل لا ... يروي ولا بالوبل جاحمه سكن

لا زلت مقتصراً عليه كما غدى ... مولاي مقتصراً على الفعل الحسن

حمد الذي حُمدت جميع خلاله ... فَحَلتْ به للخلق أخلاق الزمن

ذو منزل من زاره سلاه عن ... ذكر المعاهد والحنين إلى الوطن

يسخو ولم يفتح له راجٍ فماً ... ويرى إذا هو ما سخا جوداً كمن

لثراه لم يك كالياً عنّا ولا ... إن جاد كال لنا نداه ولا وزن [٧٧٨]

للناس ظاهره وباطنه صفا ... وأطاع في السّر الإله وفي العلن

ومطهر الأثواب إلاّ أنه ... قد صار ذا العرض النقي من الدّرن

وإذا به لاذ إمرؤٌ من حادث ... فمن المحال بأن يضام ويمتهن

وكسا الزمان بحلمه وببأسه ... أدباً فلم تعلو الوهاد على القنن

وسديد رأي لا يُحرِكُ فتنةً ... سكنت وإن حركنه الفتن اطمأن

ما سلّ صارمه على ضدّ سوى ... للنصل منه في حشا شته جفن

وقرى السباع بباسه أشلاءهم ... يوم الوغى إذ مالها أحد دفن

بالجد قد بلغ المعالي ناشئاً ... ما قبله قد شبّ غصن فاهتجن

كم قد شرى مثلي بمحض وداده ... لدنوه منه فلم يلقَ الغَبَنْ

ولكم له مننٌ عليَّ عجزت عن ... شكرٍ لأعرضه على تلك المنن

فترى الثرا منه لدى ملازماً ... والعسر عن كفيّ وعن داري ظعن

أنا بلبل الشعراء لمّا لي حنا ... عود الندى غرّدتُ في تلك الفنن

ومؤذن لنواله للناس كي ... من أمره تقضى الفرائض والسُّنن

فأتيت فيـــه قــصائداً تزكــوا بـــه   أصـــلاً وفرعـــاً لا لخــضراء الـــدّمن
أكسوه مـــن أثوابهـــا حُلـــلاً بهـــا   خجلاً تكـــاد بفــضلها تخفـــى عـــدن

يربو على الغيد الخرائـــد حـــسنها   فغـــدت تخـــرُّ لهـــا القـــصائد للـــذقن
فاســـتجلها بعـــد الهنيـــدة تلقهـــا   بكراً لهـــا كـــم زاهـــد طـــبّ ركـــن
زُفت لدى الأصل المنقـــى أصـــله   فرعـــاء مـــافي أصـــلها أحـــد طعـــن
فليـــسع حيـــث أراد أن زمانـــه   سلس القياد لـــه وفـــي يـــده الرســـنْ
وليبق محروساً ويملؤ لـــي نـــدى   ما بين بابى عـــين ســـعنة والـــيمن[١]

ومن شعره في السفر و أحواله و أهواله :

لاتـــــدعني إلـــــى ســـــفر   فإنـــــه نـــــارُ ســـــقر
الجـــــوع فيـــــه و الأوام   والكـــــلال والـــــسّهر
والـــــضدّ يلقـــــاك بـــــه   مالـــــــك رد و وزر
يكفـــــي الفتـــــى بأنـــــه   يـــضحى بـــه علـــى خطـــر
وهـــو بـــه يبعـــد عـــن   أحبابـــــه إذا بكـــــر
لـــولا الـــرجـوع والإيـــاب   كـــان مـــوتاً للبـــشـــر[٢]

---

[١] انظر نص القصيدة كاملة في ديوان الدرمكي، ص ٣٠٨-٣١٠.

[٢] المرجع نفسه، ص ٣٠٦.

وله في مدح الصالحين:

لي نفـس تهـوى أناسـاً كرامـا نـشروا مـن علـومهم أعلامـا

جلسوا في مجالس جعلـوا اللغـو بهـا مـنهم علـيهم حرامـا

يدرسون العلوم صـبحاً وبالليـل يبيتـون سُـجداً وقيامـا

حسنت تلكـم الدسـوت وزانـت مـستقراً لمـثلهم ومقامـا [٧٧٩]

مـا تـرى فـيهم فتـى قـط إلاّ وهـو يـدعى للمتّقـين إمامـا

أنا أهواهم وكـل امـرء يقلـيهم فـي الأنـام يلـق أثامـا

لقد ابيضت الليـالي بهـم حتـى حـسبنا ليلاتنـا أيامـا

أنـا أهـوى لهـؤلاء لقـاءً وقطعـت الأيـام عامـا فعامـا

فسيجزون غرفة فـي غـدٍ يلقـو ن فيهـا تحيـة وسـلاما[١]

ولمّا تولى السيد بدر بن سيف بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي بركـا، فـوّض القضاء والحكم الشرعي إلى القاضي الأديب سالم بن محمد، فأتاه في بعض الأيـام رجلان أعرابيان، فشكا أحدهما من صاحبه، وادعّى أنه سـلبه عـصاه، فاسـتفهم القاضي سالم المذكور المُدّعى عليه، فأقّر بسلب العصى والاغتصاب، فقـال لـه: سلّمها له، فأبى وتصلّب وتغلّب، فكتب الشيخ إلى بدر بالقضية، فبعث خادمين مـن خدّامه للأعرابيين، فلما وصلاه، قال للسّالب: سـلّم العـصى لـصاحبك، ففـزع الأعرابي، وسلم العصى لصاحبه، فأمر بدر خادماً من خدامه أن يضربه بها، ففعل حتى كسر العصى في ظهر ذلك الغاصب، فبعث بدر إليه ببقايا العصا المكسور في

---

[١] المرجع نفسه، ص ٢٤٢.

ظهر الأعرابي الغاصب، وأخبره حاملها بما جرى على الغاصب من بدر، فـنظم سالم هذه الأبيات في الحال، وبعثها إلى بدر:

أبناء الناس عند ضرب الجـرادي بـصريح الإنـصاف بـين العبـاد

حبّر الضرب منك في الظهر منـه ألفـات خُطـت بغيـر مـداد

قد عصى بالعـصى لـدي وقـد سـلمها فـي يـديك بالانقيـاد

فيـه كـسر العـصى إن جبـر الحق بكسر العصى بأهـل الفـساد[1]

وقد شهد القاضي الأديب سالم بدر بن سيف بن الإمام في بعض الأيام خلاف مـا كان منه من البشاشة والطلاقة والترحيب، فبعث إليه بهذه الأبيات:

بعـد يـومين قـد مـضت أيـام وبهـا منـك لـم يكـن لـي كـلامُ

أيهـا الـسيد الـذي حـاز خلقـاً خجلـت منـه فـي الكـؤوس المـدامُ

لم يـسامرك فـي الزمـان أديـب ولـه لـذّ عنـد ذاك المنـامُ

لا ولا زارك المؤمـل إلاّ نـال فـوق الـذي تنـال الكـرامُ

أنا من قـد دُعـي فجـاء مجيبـاً داعيـا منـك أي هـذا الهمـامُ

إن تكـن حاجـة إلـي فقـل لـي أو فقـل لـي سـرْ آمنـاً والـسلامُ[2]

وسأله الشيخ سعيد بن حمّاد بن خلفان[3] ذات يوم ، وهو يومئذ قاض بمـسقط، أن يقترح له أبياتاً بشعره عن محب زار حبيبه في أول الليل، فباتا يتـذاكران عذوبـة

---

(1) المرجع نفسه، ص ٣١٦.

(2) المرجع نفسه، ص ٣٠٧.

(3) الشيخ سعيد بن حماد بن خلفان: لم نعثر على ترجمة له في كتب التراجم العمانية.

اللقاء، فما شعرا إلاّ والصبح قد أسفر، فافترقا، ولم يقضيا من شأنهما، فقال في الحال شعراً:

يا ليل في قصر أراك مفرّطا | حتى كأنك بعض إبهام القطا
لي إربة فيمن أحبّ فلم يكن | والله لي لا أخذ فيك ولا عطا
أحرمتني عيشاً لذيذاً طعمه | عندي ولم يك دونه عني غطا
لكن على الصبح المنير ملامتي | لمّا عليك بحدّ صارمه سطا [٧٨٠]
وافاك يركض لا عدمتك مسرعاً | يا حبذا لو أنه قصر الخطا
إني لأهوى لو بقيت ومقلتي | أبداً تراه مكفناً ومحنطا[١]

وله أيضاً:

سالم زمانك إن ناواك وارض بما | يقضي عليك ولو بالجور قد حكما
ولا تهايج صروف الدهر إن لها | قرناً إذا نطحت طوداً به انهدما[٢]

ومرّ بمدرسة بإزكي، وقد أحضر للمعلم والمتعلمين معه سُكراً مفرّضاً، فمصّ المعلم السُكر سريعاً، ولم يترك للصبيان إلاّ قليلاً، فقال:

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.
[٢] ديوان الدرمكي، ص ٢٥٤.

معلـــم الـــصبيان لـــــــو أنـــه   عضّ على صلد الحصى كَـسّرَه
ومــصّه قـــد نـــاب عـــن عــشرة   كأنمــا أنيابــه مَعْــصَـــرِه[1]

وله أيضاً:

تبّـــــاً لــــــدارٍ أهلهــــــا   جـــمّ الخـــساسة حـــايزون
وأولـــــوا النهـــــى يومــــاً إذا   مـــــرّوا بهـــم يتغـــامزون[2]

و قال يهجو بعض الناس:

يا بن الذي غشي الوضيعة فـانثنى   عنهـا بطعنـــة دســـته فـــي كـــشحه
يا بـــن الذي قـــاد البعول لأمــــه   وأبــــوه طينتـــه طحينـــة سـلحه[3]

وله أيضاً:

إذا مَلِكَ أ ضــحى يمــلّ صــديقه   ويكـــرم إرغامـــا لأحبابـــه العـــدى
فيوشك مهما احتاج يوماً لناصـــر   وناداهمـــا أن لا يجيبـــا لــه نــدى
فذاك لضغنٍ قد تسرسر في الحشى   وذاك لبغضٍ منه والكلّ مـــا اعتــدى[4]

وقال يوماً، وقد جلس مع الشيخ القطب العالم العلاّمة أبي نبهان ببلدة العليا:

---

[1] انظر ديوان الدرمكي، ص ٢٤٧.
[2] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنـا ابـن رزيق في مخطوطته هذه.
[3] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنـا ابـن رزيق في مخطوطته هذه.
[4] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنـا ابـن رزيق في مخطوطته هذه.

كنت والشيخ والج البرج كالصّدّ يق مبتهجاً مع المختارِ
أحمد الله إذا غدوتُ كأني ثاني اثنين إذ هما في الغار[1]

وقال أيضاً يمدحه من قصيدة:

قالوا إلى أين تسعى القوم قلت لهم إني أظنهم للعلم زُوّارُ
قالوا وأين مقّر العلم معرفة قلت انظروا فعلى العلياء أنوارُ
فقيل ما ذاك خبّرنا فقلت لهم شخص تجلّت له لله أسرارُ
فحين أخبرتهم جدّت مطيّهم حتى حسبتهم فوق الهوى طاروا
فعندما وصلوا ضاعت لأعينهم أشجارها والحصى والنخل أقمارُ[2]

وعاش الشيخ الدرمكي الأديب أيام دولة حمد بن سعيد في عيشة رضيّة، ورفاهية هنّية، يقضي ويكاتب بين الناس ببركه، فلما توفي حمد في سنة ستين ومائتين وألف ملك عمان السيد سلطان بن أحمد بن سعيد بن أحمد الإمام، فأقعد الشيخ الدرمكي بمسقط، وأحسن إليه غاية الإحسان، وقد رثى الشيخ الدرمكي الأديب حمد بن سعيد بمرثيتين، الأولى رائية، ومطلعها شعراً:

لمّا ثوى حمد لم تبكه البشر حتى بكاه الحصى والنخّل والشجر[3]

والميمية مطلعها:

---

[1] انظر ديوان الدرمكي، ص ٢٣٩.
[2] انظر ديوان الدرمكي، ص ٢٣١.
[3] انظر نص القصيدة كاملة في ديوان الدرمكي، ص ٢٩٩ – ٣٠٠.

شمّ الجبال الراسيات تهدما　　　فأمطر عليه من مدامعك الدما[١]

وزعم بعض الناس أنه عرض بالشيخ القاضي فضل بن سيف اليحمـــدي الأزدي، وهو يومئذ قاضٍ بمسقط [٧٨١]، أقعده قبله السيد سلطان بن الإمام، والأبيات التي زعم بعض الناس أنه عرض بهن فضل بن سيف المذكور:

قــل للقــضاة بمــسقط إن شــئتموا　　　جمع الثــراء بهــا بجــور فــاحكموا
وكلــوا الرشــاء وللقــوي فحللــوا　　　ومــن الأنــام ضــعيفهم لا ترحمــوا
فــإذا أبيــتم مــا أقــول إلــيكم　　　أخشــى عليكــم درهماً أن تعدموا[٢]

فقال له فضل بن سيف: ما حملك على ما قلت، وإنّي أظنّك تعرّض بي، فحَلف لـــه بالله أنه لم يعرّض به، وامتزج به امتزاجاً كلياً، وأظهر المحبة له، وسأله أن يسأل له السيد سلطان بن الإمام نوالا، فأتاه بكتاب منه إلى وكيله بتخليص أربعة وعشرين قرشاً فضة، فوضع الكتاب في عمامته، فسقط منها، وأحاط بها حكم الذهاب، فصنع هذه الأبيات، ودفعها للقاضي فضل بن سيف، وهي شعره:

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنــا ابــن رزيق في مخطوطته.

[٢] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنــا ابــن رزيق في مخطوطته هذه.

إذا كان حظّ المــرء أقــتم أســودا فأنجمـــــه هيهـــات تطلـــع أســـعدا
تنافسُ لي يا فضل في بل ّ غلتـــي لك الفــضل والأيــام تمنحنـــي العــدا
وتجلب لي من رقة مــلء علتـــي فيكفئها صرف الزمان الــذي اعتــدا[1]

فلما بلغته الأبيات، مضى إلى السيد سلطان، فأخبره عما جرى على الحظّ الذي بعثه إلى الدرمكي، وأراه الأبيات المذكورة، فبعث له بأربعين قرشاً وثياباً فاخرة، ولـــم يزل الشيخ الأديب الدرمكي في ذلك الراتب والمنصب أيام دولة سلطان، فلما قُتل، رثاه بقصيدة بائية مطلعها شعراً:

عجب جرى في ذا الزّمان عُجابُ أسد الأسود سطت عليه كلابُ[2]

وهي قصيدة طويلة نيفّ وأربعون بيتاً، وقد نقض عليه بعض الأدباء في بيت منها، وهو قوله:

سلطان سلّط ذو الجلال عليه من قوس لمرهش ضارع نشّابُ[3]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الدرمكي، حفظها لنـــا ابـــن رزيق في مخطوطته هذه.
[2] بعد البحث والتدقيق تبين أن البيتين غير موجودين في ديوان الدرمكي، حفظهما لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.
[3] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذا البيت غير موجود في ديوان الدرمكي، حفظه لنا ابن رزيـــق في مخطوطته هذه.

فقالوا إن هذا البيت غير مستقيم في الإعراب، إذ هو يقتضي النصب، وهو قد بنى قصيدته على الرفع، ثم إنه قد دعا على الملك بقوله سلطان سلط ذو الجلال عليـــه، إلى تمام البيت، قلت: ولا أعلم كيف وقع له هذا الغلط فـــي الإعـــراب والمعنـــى، فالكمال لله المتعال. وللشيخ الدرمكي الأديب ديوان شعر، يدخل في مجلدين، رأيته بيد الشيخ سعيد بن جاد،[1] أيام مقّر الشيخ في القضاء بمسقط، وهو غير مرتـــب، وبعث به الشيخ الدرمكي الأديب إلى إزكي، عمان لمّا قتل سلطان، وأفضى الملـــك لولده سعيد بن سلطان، وأقرّ السيد سعيد أيضاً الدرمكي في القضاء والمكاتبة بـــين الناس بمسقط، ولمّا دخلت الوهابية حجرة اليمن من إزكي نهبوا ما وجدوا فيها من المال، وأخرجوا الكتب، فجعلوها أكداساً، وشبّوا عليهنّ النار، فاحترقت، واحتـــرق ديوان الشيخ في جملة تلك الكتب التى حرقوها، وذلك بعدما توفي الشيخ سالم بـــن محمد، ولم يبق من شعره إلاّ يسير من المسّودات في أيدي الناس، وكانـــت وفـــاة الشيخ سالم بقرية سداب من أعمال مسقط، وقبره مشهور ومزار، وأخال موته فـــي سنة أربع وعشرين ومائتين وألف، والله أعلم.

الشيخ الأصم سيف بن ناصر بن سليمان المعولي المسلماتي الشاعر الأديب:

كان جيد الألفاظ في النظم والنثر، وصياغته للشعر أحكم من صياغته للنثر، وهـــو في زي الفقراء في التواضع للناس [٧٨٢]، صفر اليدين من المال، ولم يحظَ شعره على نائل من الناس مع كثرة إلهاجة بنظم الشعر وبعثه إلى الأكابر بـــه، وحـــسنت بيني وبينة الصحبة، فهو إذا جاء إلى مسقط زارني، وامتزج بي امتزاجاً كلياً، وإذا أنا وصلت إلى نخل، امتزجت به امتزاجاً كلياً، وجعل زيارتي إليه إرســـالا، وقـــد

---

[1] الشيخ سعيد بن جاد: لم نعثر على ترجمة له.

أسمعني كثيراً من نظمه، وأسمعته ببعض شعري، وبتلــك الأيــام، طالــت بيننــا الصحبة، وكثرت بنا الرغبة، وقد أغراه بعض رجال المعاول بهجاء الشيخ علي بن ثابت الساساني الشاعر[1]، وعلي يومئذ مقيمٌ ببلدة أفي، في ذرى الشيخ الفاضل مهنا بن بلعرب المعولي ، فصنع سيف فيه أبياتاً يهجوه بها، ما أحببتُ أن أرقمها، لمــا فيها من الكلام الذي هو غير ملائم لسيف ولا لعلي متلائم، فلما بلغت الأبيات علياً ارتحل في الحال من أفي قاصداً الشيخ الفاضل محمد بن ناصر الجبري،[2] وهــو يومئذ حاكم بلدة سمائل، فلما وصل إلى الطّو، نظم أبياتاً هجائية في سيف خاصــة، وفي سائر المعاول عموماً، فأنا كذلك ما أحببت أن أرقمهنّ وأذكرهنّ، لما فيهن من الهجو والثلب المتجاوز الغاية، لكنهنّ شائعات من أفواه الناس المــولعين بــسماع الهجاء والثلب، وعلى كثرة ما نظمه الشيخ سيف بن ناصر من الشعر لم يدونهّ ولا أحد من بعده دونه، وبقيت مسوداته بعد موته في يد بعض الناس الــساكنين بلــدة مسلمات، ثم تمزقت وذهبت، وما بقي لها أثر، وقد شهدت أيام حياته كتاباً بخط يده فيه حكايات وأشعار وقصص، وقد رقَّم فيه نبذة من شعره، وسمعت أن هذا الكتاب صار في أيدي عتوب البحرين، وأظن أن أحداً قد سرقه، فباعه عليهم، والله أعلــم. وقد توفى الشيخ سيف المذكور في مسلمات بالداء الوبائي الذي عمّ عمان وســائر البلدان، وذلك سنه ست وثلاثين ومائتين وألف. ومن شعره من قصيدة طويلة، يمدح بها حمير بن حمد:

---

[1] الشيخ علي بن ثابت الساساني: لم نعثر على ترجمة له.

[2] محمد بن ناصر الجبري: لم نعثر على ترجمة له.

قوّض الصبّ يـوم جـدّ الفريـق — مـستمدّاً و بـان عنّـي الرفيـق
يمموا أدلجـوا اسـتعدوا وشـدوا — وتـداعى بهـم حـداة تـسوق
فلعمـري أنـا المتـيم والـصبّ — المُعنـا حُمّلـتُ مـا لا أطيـقُ
كربـات لا تنجلـي وهمـوم — غـائلات ومـدمع مهريـق
وشـجى لـو تخلّتـه الرواسـي — مـا بقـى مـن ذرى علاهـنّ نيـقُ
أمحـثَّ النيـاق بالـصبّ رفقـاً — فلـه فـي النيـاق قلـب عليـقُ
لم يـزل يتبـع الهـوادج كيمـا — يهتدي إن ضـلت عليـه الطريـق[١]

ومن شعره من قصيدة طويلة:

هو الربع قد طالت عليه الأفائـك — تحـالفن فيـه الرامـسات الحواشـك
عفت منه أعلام وغـارت مناهـل — وأقـوت معـالي للغـواني بـوارك[٢]

وفيها يقول:

فلم يثنني عنها تجمّل سلوة — سوى مالكي رقاً هو الندر مالكُ[٣]

---

[١] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية العمانية تبين أن هذه الأبيات للشيخ سيف بن ناصر غير موجودة فيها، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.
[٢] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية العمانية تبين أن البيتين للشيخ سيف بن ناصر غير موجودين فيها، حفظهما لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.
[٣] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية العمانية تبين أن هذا البيت للشيخ سيف بن ناصر غير موجود فيها، حفظه لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

وقد رثيت الشيخ سيف بن ناصر بن سليمان بن مبارك بن مرشد المعولي لمّا توفي بهذه القصيدة:

أودى محلّ العويص الحاذق الفطــن ... عّلامـــة الـــشعراء المـــصقع اللـــسنِ
فاذرف دموعك ياشادي القريض دماً ... وفـــرّق القلـــب بـــالتبريح والحـــزنِ
وقُل بنـــدبك للأشـــراف مـــن يمـــن ... اليوم مات أجل ســـيف بـــن ذي يـــزنِ
ويلاه من حـــادث يقـــضي بفادحـــةٍ ... عن الجيـــوب بـــشق القلـــب والبـــدنِ
مخدشّ الوجن اســـتزريت مترحـــة ... تجل عـــن خـــدش الألبـــاب والـــوجنِ
فاشحذ شبابك سيف ضـــمه جـــدثُ ... وأســـــلمته يـــــد الأقـــــداراللكفنِ
رأس البلاغة أنـــف المجـــد مقليـــه ... قلب المـــروّة روح العـــصر والـــزمن
قاف القوافي محيط الـــنظم زاخـــره ... مزري السماحة صوب العارض الهتنِ
ذو غاية تبهر الألبـــاب لـــو طلبـــت ... قوم نظائره فـــي العـــصر لـــم يَكُـــنِ
في كل نادٍ تناجي الصّحف فاتحهـــا ... عن نظمـــه اللؤلـــؤ الفـــائق الحـــسنِ
إن البلاغـــــة أعطتـــــه أزمَّتهـــــا ... فـــي غاربيهـــا إذ انقـــادت بلارســـنِ
حتى انثنـــى كـــل منطيـــق نباحثُـــهُ ... بأسرهِ العـــيّ كالمـــسدود فـــي قـــرنِ
لمثله الـــشهمُ فليـــذر الـــدموع دمـــاً ... ليس البكاء علـــى الأطـــلال والـــدّمنِ
إني امرء كدت أن أعُطي الحمام يداً ... إن ناخ في أُصُلٍ والراد فـــي غـــصنِ
فالقلب في لهبٍ والدمع فـــي صـــبب ... والجسم في نصبٍ والعظم فـــي وهـــنِ
قد مزّق الفقد قلبي بالأســـى شـــذراً ... وفرّق الوجـــدُ بـــين الجفـــن والوســـنِ
أسرُّ قلبـــي عـــن الأعـــداء قاطبـــةً ... والسرُّ فـــاش بـــسفح الـــدمع كـــالعلنِ

رزيــــة لــــم تـــذر قلبـــاً لمغتـــرب يحـــنُ مـــدّكراً شـــوقاً إلـــى وطــنِ

وكلما ســاقط الــدمع امــرء درراً لنـــا يقـــول بــــه قـــدما حـــشا أذنِ

ناشـــدتك الله يـــا قبـــراً تـــضمنّهُ هل فيـك إلاّ تُقـــىً محـــضٌ لِمُـــرتهن

ألا وهـــل فيـــك إلاّ عـــيلم طفحـــت علومه بأراضــي الله والقــين والقــننِ

لو كنت يا قبره تروي الحـديث لنـــا رويت عن محكــم الآيــات والــسننِ

لقد توارى ولانــت بالحجــاب لـــه ببطن لحدك شــمس المجـد والفطــنِ

يـــا آل شـــمس وإن جلّـــت رزيتـــه صبراً فلبا الصّبر منهل المركب الخشنِ

لقـــد دفنـــتم كريمـــاً فاضـــلاً لبقـــاً وفخـــــره و ثنـــــاه غيــــر منـــــدفنِ

إن ابــن ناصـــر لا يخلــو بفرقتـــه قلب امرءٍ قُلّبـــيُ وهــو مـــن شـــجن

قد كان ذا لهجة تدنيـــه مـــن كـــرمٍ للرشد تثنيـــه عـــن لهـــوٍ وعـــن ددن

أمــــا الـــدواوين للأخبـــار ناشـــرة قريضة الـــدّرفي الأمـــصار والمُـــدُنِ

يحدي به من مزون الركب في زخرٍ إلى العراق إلى نجدٍ إلى الــيمنِ[٧٨٤]

نعى سيف نعم قد كان غيــث نـــدى وكان غوثـــا طويـــل البـــاع للـــسّكنِ

سقى المهيمن قبراً ضـــم أعظمــــه دمع الحيا ما تباكى الورق في فنــنِ[١]

---

[١] بعد البحث والتدقيق في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية تبين لنا أنها غير موجودة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

الباب الثامن

في ذكر الأئمة اليمنية العمانية وملوكهم السلاطين الأساطين القحطانية وما كان في أيامهم من الكوائن المشايعة في القرى والمدائن:

قال المصنف لهذا الكتاب، الراجي الثواب من ربه التّواب: قد اتفقت روايات الثقات الأخباريين أئمة الأزد العمانيين، والسلاطين الأساطين القحطانيين، ودخل كل منهم بعضه في بعض بالإبرام والنقض، فاختلفوا لفظاً واتفقوا معناً وحفظاً، على أن الشأن الذي حمل الأزد العمانيين على نصب الإمامة، وسلّ السيف على المخالفين لأهل مذهب الإستقامة، وذلك لمّا صار الملك إلى عبد الملك بن مروان، واستعمل على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، لهج الحجاج بحرب عمان، وبها الأميران يومئذ سعيد وسليمان ابني عباد بن عبد الأزديان الجلنديان، فلم يزل الحجاج بن يوسف يغزوهما بجيوش متواترة، ويفضان جموعه وعساكره، وكلما بعث الحجاج إليهما جيشاً هزماه، واستوليا على سواده، إلى أن أخرج إليهما القاسم بن شعوة المزني[1] في جيش عرمرم، فدلف به إلى عمان في سفن كثيرة العدد والمدد، فارقاها في قرية حطاط، وهي التي تسمى يتى، وقيل هي التي تسمى القرم، فدلف لهم سليمان بن عباد بن عبد الأزدي بقومه الأزد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكانت بينهم ملحمة عظيمة، فانكشف جند الحجاج، وقتل قائده القاسم بن شعوة ومعه خلق كثير، واستولى سليمان على سوادهم، فبلغ ذلك الحجاج، فهاله الأمر واضطرب اضطراباً

---

[1] القاسم بن شعوة المزني: قائد أموي، كلفه الحجاج بن يوسف الثقفي بقيادة حملة عسكرية لاخضاع عمان للسيطرة الأموية، لكن حملته فشلت، وقتل في إحدى المعارك مع العمانيين.

كثيراً، وزلزله الغيظ زلزالاً شديداً، فما لبث أن استدعى بمجاعة بن شعوة[1] أخ القاسم المذكور، وأمره أن يندب الناس ويستصرخهم، وينادي في قبائل نزار حيثما كانوا، لأخذ الثأر، فلما فعل ذلك أتوه زرافات ووحدانا ومشاةً وركابا، وأظهر الحجاج الغضب والحميّة والعجرفة الأبيّة، وكتب إلى عبد الملك عمّا أصاب قومه من أزد عمان، وأقعد وجوه أزد البصرة عن النصرة لسليمان بن عباد، فأجابوا بإذعان وانقياد، ورفض الإبائه والعناد، فانبعثت الروايات. إن الجموع التى أخرجها الحجاج لعمان كانت أربعين ألفاً، فأخرج من جانب البحر عشرين ألفاً، ومن جانب البر مثلهم في العدد والمدد، وجعل الأمير على الكل مجاعة بن شعوة المزني، فلما علم سليمان بن عباد بدلفتهم، مضى إليهم بفرسان الأزد، فكانوا ثلاثة آلاف، وأصحاب النياق ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، فصادفهم دون الماء الذي بالبلقعة بخمس مراحل، وقيل بثلاث، وهو الماء الذي بالقرب من بوشر، ويقال له اليوم البلقعين فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كلّت السواعد، وتكسّر أكبر السيوف، وتحطمت الرماح، وعظم القتل والجراح، فعند ذلك انهزم أصحاب الحجاج، فأمعن سليمان في طلبهم، وهولم يشعر بعسكر الحجاج العائمة بهم السفن في البحر، فبلغ عسكر البحر رجل من المضرية، فاخبرهم بخروج سليمان بسائر عسكره الذين أقبلوا من جانب البر، وأن الباقين مع أخيه سعيد بن عباد شرذمة قليلون، فحث مجاعة السير، حتى وصل بركة، فبادرهم سعيد، فقاتلهم قتالاً شديداً، حتى حجز بينهم الليل، فلما علم

---

[1] مجاعة بن شعوة المزني: قائد أموي، كلفه الحجاج بقيادة الجيش الأموي لاخضاع عمان، بعد فشل الحملة الأولى التي قادها أخوه القاسم بن شفوة، والتي انتهت بمقتله، وفشلت حملته أيضاً في المرّة الأولى، لكنه تمكن من السيطرة على عمان، بعدما وصلته قوات داعمة من الشام.

سعيد أنه لا طاقة [٧٨٥] له وقومه لمناجزة قوم مجاعة، لقلّة قومه وكثــرة قــوم مجاعة، وقد كثر في قوم سعيد القتل، وفشى فيهم الجراح، فمضى عنهم، وعمد إلى ذراريه وذراري أخيه، فاعتزل إلى الجبل الأكبر، وهو جبل بني ريام، ويقال لــه الجبل الأخضر، ويقال له أيضاً رُضوا، بضم الراء، ولحقه القوم، فحضروا حتــى وافا أخوه سليمان، وقد كان مجاعة أرسى سفنه ببلدة مــسقط، وعــددها ثلاثمائــة سفينة، فمضى إليها سليمان، فأحرق منها نيفاً وثلاثين سفينه، وانفلت الباقون فــي لجج البحر، ثم مضى يريد عسكر مجاعة، فتصور لمجاعة أن لا طاقة له بحــرب سليمان، فخرج يريد البحر، فالتقى هو وسليمان بن عباد بقرية سمائل، فوقعت بينهم ملحمة شديدة، فانهزم مجاعة ولحق بسفنه، فركبها ومضى إلى جلفار الصّير، وكان الحجاج بن يوسف قد أخرج على طريق البــرّ أيــضاً عبــدالرحمن بــن ســعيد المضري[١] في خمسة آلاف فارس من بادية الشام وغيرهم، وفيهم رجل من الأزد يسمى ملاحة بن خالد، والقوم لا يعلمون به من الأزد، فهرب في الليل، حتى قــدم على سليمان وسعيد، فأخبرهما بدلفتهما إليهم، فتقاعسا وأقعدهما العجز عن ملاحمة قوم الحجاج، فحملا ذراريهما وسوادهما، وخرج معهما خلق كثير من الأزد، ولحقا ببلاد الزنج، وهي التي تسمى أرض بته، ودخل مجاعة وعبد الــرحمن بالعــسكر عمان، ففعلا فيها غير الجميل، ونهباها نهباً شنيعاً، وصنعا بها صنيعاً فظيعاً، نعوذ بالله من البغي والعدوان. فلما اصطلما عمان، وأدانوا زعماء شيوخها والشّبان، كتبا

---

[١] عبد الرحمن بن سعيد المضري: قائد أموي، ترأس الحملة التي أرسلها الأمويون، لتقديم الدعم والمساندة لحملة مجاعة بن شعوة المزني، وقد ساهم عبد الرحمن بن سعيد مع قوات مجاعة فــي إخضاع عمان للسيطرة الأموية سنة ٨٧ هـــ.

إلى الحجاج عما كان منهما من الشأن بعمان، واستعملا على عمان بعدما رجعا إليه الخيار بن سبرة المجاشعي[١] فلما مات عبدالملك، وولي من بعده الوليد بن عبدالملك، ومات الحجاج، استعمل الوليد على العراق يزيد بن أبي مسلم[٢] وبعث يزيد سيف بن الهاني الهمداني[٣] عاملاً على عمان، واستعمل عليها صالح بن عبد الرحمن الليثي[٤]، ثم رأى أن يكون عمال عمان على ما كانوا عليه، فردّهم، وجعل صالح بن عبدالرحمن مشرفاً عليهم، ثم وُلي يزيد بن المهلب العراق وخراسان، فاستعمل يزيد أخاه زياداً على عمان، فلم يزل عاملاً عليها محسناً إلى أهلها، حتى مات سليمان بن عبدالملك، وولي عمر بن عبد العزيز، واستعمل بن عبدالعزيز عدي بن أرطأه الفزاري[٥] على العراق، فاستعمل عدي بن أرطأة عمالاً مضرية، فأساؤوا السيرة فيها، وفعلوا غير الجائز في الشرع الشريف، فكتب أهل عمان إلى عمر بن عبدالعزيز مما كان من صنيعهم، فاستعمل عليهم عمر بن عبدالله بن

---

[١] الخيار بن سبرة المجاشعي: قائد أموي، استخدمة الحجاج بن يوسف الثقفي عاملاً له على عمان، بعد إخضاعها سنة ٨٧هـ، وبقي يحكمها حتى سنة ٩٥ هـ

[٢] يزيد بن أبي مسلم: قائد أموي، عينه الوليد بن عبدالملك والياً على العراق، بعد وفاة الحجاج ابن يوسف الثقفي.

[٣] يزيد بن سيف بن الهاني الهمذاني: قائد أموي، استخدمه يزيد بن أبي سلم والي الأمويين على العراق، على ولاية عمان

[٤] صالح بن عبدالرحمن الليثي: قائد أموي، عينة يزيد بن أبي سلم والياً على عمان بعدما عزل يزيد بن سيف الهمذاني.

[٥] عدي بن أرطأة الفزاري: قائد أموي، استخدمه عمر بن عبد العزيز والياً على العراق بعد عزل يزيد بن أبي سلم.

صبيحة الأنصاري[١]، فأحسن السيرة فيهم، فلم يزل والياً مكرماً على عمان، يستوفي الصدقات منهم بطيبة أنفسهم، حتى مات عمر بن عبد العزيز، فقال عمر ابن عبدالله لزياد بن المهلب: هذه البلاد بلاد قومك، فشأنك بها، وخرج عمر بن عبدالله من عمان، وأقام زياد بن المهلب في عمان، حتى ظهر أبو العباس السفاح، وصار ملك بني أمية إليه. وولى أبا جعفر المنصور على العراق، فاستعمل أبو جعفر على عمان جناح بن عبادة بن قيس بن عمر الهنائي[٢]، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح، ثم عزله،وولى ابنه محمد بن جناح،فداهن جناح بن عبادة الإباضية، حتى صارت ولاية عمان لهم، فعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندى بن مسعود.

الجلندى بن مسعود بن عباد الجلندى الأزدي اليمني الهنائي:

العبد الصالح، فكان سبباً لقوة مذهب الإستقامة، عدلاً مرضياً، ورفض حب الصفراء والبيضاء، وسلك نهج الزاهدين الصالحين، وكان لله من الشاكرين [٧٨٦] الحامدين الذاكرين، وكانت البيعة له من المسلمين بالإمامة القائمة على ساق الإستقامة في يوم التاسع من شهر الحج، سنه ثلاثين ومائة، وبينه وبين بيعة أهل العراق للسّفاح أبي العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب سنتين، إذ السّفاح المذكور بويع ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من

---

[١] عمر بن عبدالله بن صبيحة الأنصاري: عالم فقيه، عينه الخليفة عمر بن عبد العزيز حاكماً على عمان بدلاً من زيادة علي الغزاري، وقد أيده العمانيون لعدله ونزاهته في الحكم. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢٠.

[٢] جناح بن عبادة بن قيس بن عمر الهنائي: والٍ عاش في القرن الثاني الهجري، ولي على عمان من قبل أبي جعفر المنصور، تعاطف مع العمانين، واعتنق المذهب الإباضي، ثم عزله، وعين نجله محمد خلفاً له. انظر دليل أعلام عمان ص ٤٦.

شهر ربيع الأخر سنة إثنين وثلاثين ومائة بالكوفة، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة من شهر ربيع الآخر سنة إثنين وثلاثين ومائة، وكان السّفاح قد غضب على شيبان بن عبد الله اليشكري[١]، فأمعن في طلبه، ففرّ شيبان منه، ومعه من عسكره وأتباعه خلق كثير، وأغرته أصحابه بحرب عمان، و اصطلامها من أهلها، فدلف إليها بعسكره وأتباعه، فلمّا بلغ خبره إلى الإمام الجلندى بن مسعود، أخرج إليه هلال بن عطية الخراساني[٢]، ويحيى بن نجيح الأزدي[٣]، وجماعة من المسلمين، وكان يحي بن نجيح فضله شائع بين المسلمين، وزهده لائح لأهل الدين، فلَما تراءت الفئتان، دعى يحي ربّه بدعوة النّصر والظفر بين الفريقين، فقال جهراً: اللهم إن كنت تعلم أننا على الدين الذي ترضاه، والحق الذي تحب، أن نؤتى به، فاجعلني أول قتيل من أصحابي، ثم اجعل شيبان أول قتيل من أصحابه، واجعل الدائرة على أصحابه، والنصر والظفر لأصحابي، وإن كنت تعلم أن شيبان وأصحابه على الدينَ الذي ترضاه، والحق الذي تحب، أن نؤتى به، فاجعل شيبان أول قتيل. ثم زحف القوم بعضهم على بعض، فكان أول قتيل من المسلمين نجيح، وأول قتيل من أصحاب شيبان، شيبان، وانكشف جنده، وأخذهم السيف من كل مكان، فما سلم منهم إلاّ قليلاً، وتفرقوا في السباسب، أيادي سبا، فما كان بعد تلك

---

[١] شيبان بن عبد العزيز اليشكري: زعيم الخوارج الصفرية، جاء إلى عمان بجيش هارباً من قوات أبي العباس السفاح، فأخرج إليه الإمام الجلندي بن مسعود قائديه هلال بن عطية الخرساني، ويحي بن نجيح وجماعة من المسلمين، قاتلوه، وانتصروا عليه، وقتلوه، وكان ذلك سنة ١٣٤ هـ. انظر: السالمي: نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان ج١، ص ٩٢.

[٢] هلال بن عطية الخرساني: وزير، قائد، عالم، داع، عاش في القرن الثاني الهجري، كان وزيراً للإمام الجلندى بن مسعود، أرسله هو ويحي بن نجيح على رأس جيش إلى شيبان، فدارت رحى الحرب بينهم، وانتهت بانتصار هلال ومقتل شيبان، ولقد قاتل هلال مع الإمام في مواقع كثيرة، حتى قتل معه سنة ١٣٤هـ. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٦٦.

[٣] يحي بن نجيح الأزدي: أحد قادة الإمام الجلندي بن مسعود المشهورين كلفة الإمام بقيادة الجيش الذي أرسله إلى جلفار لملاقاة جيش شيبان بن عبد العزيز اليشكري الخارجي الصفري، حيث تمكن من الانتصار عليه وقتله. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٩٢.

الملحمة إلاّ أياماً قلائلاً، إذ أقبل خازم بن خزيمة[1] إلى عمان، ومعه عدّة من الشجعان و الفرسان، فلما بلغ إلى توام[2]، أُخبر ما جرى على شيبان وأصحابه من أهل عمان، وكان فرار شيبان من السّفاح خيفة من القتل، إذ كان هو، قبل أن يؤول إلى السفاح الملك والسلطان، سيفاً وكفّاً لبني مروان، فترك خازم بن خزيمة قومه بتوام، وأقبل هو ومن معه من أصحابه عشرة رجال، إلى الإمام الجلندي بن مسعود، وكان الجلندى يومئذ ببلدة صحار، فلما وصل إليه، قال للجلندى بعد ثناء جزيل: إنا كنّا نطلب هؤلاء القوم، يعني شيبان وأصحابه، وقد كفانا قتالهم على أيديكم، فالآن أربي ورغبي، أن أخرج من عندك بكتاب إلى الخليفة، أخبره أنك له سامع مطيع، فشاور الجلندى المسلمين في ذلك، فلم يروا له ذلك، وفي رواية أخرى أن خازم بن خزيمة سأل الجلندى أن يعطيه سيف شيبان، أو خاتمه، فأبى الجلندى، ورجع خازم إلى قومه الذين تركهم بتوام، ثم سعى بهم حتى دخل جلفار الصّير، فشّن على عمان الغارات، فتعبّأ الجلندى بمن حصل معه من الناس، فلّما بلغ جلفار، زحف إليهم خازم بمن معه من القوم، فوقع بينهم القتال، فقتل جميع أصحاب الجلندى، ولم يبق إلاّ هو وهلال بن عطية الخراساني، فقال الجلندى لهلال: ما رأيك؟ فقد قتلت القوم، وما بقي منهم إلاّ أنا وأنت، فقال له هلال: لا سبيل إلى

---

[1] خازم بن خزيمة: قائد عباسي، عينه أبو العباس السفاح على رأس جيش أرسله لمقاتلة الخوارج الصفرية بقيادة شيبان بن عبد العزيز اليشكري في جزيرة ابن كاوان، لكن شيبان فرّ بقواته إلى عمان، وقتل على يد قوات الإمام الجلندي بن مسعود، عندها طلب خازم من الإمام الجلندى التبعيّة للدولة العباسية، لكنه رفض، وجرت معركة بين الطرفين، انتصر فيها خازم، واشتشهد الإمام الجلندى، ودخل خازم عمان، وأخضعها للسيطرة العباسية.

[2] تُوام: بالضم، ثم فتح الهزة: اسم قصبة عمان مما يلي الساحل، وبها قرى كثيرة، وقال نصر: تُوام قرية بعمان، بها منبر بني سامة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٤.

المفرّ، إذ هو من أفحش العار، فما أمرّه، وما أحلا الشهادة، أنــت إمــامي، فكــن أمامي، ولك عليّ أن لا أبقى بعدك، وقوم خازم تسمع هذا الكلام، فتقدم الجلنــدى، فقاتل حتى قتل، رحمه الله، شهيداً. ثم تقدم هلال بن عطيه، وعليه لامــة حربــه، فاعطى السّيف حقّه، فكان أصحاب خازم يتعجبون من سطوته وشجاعته وثقافته، ثم ازدحموا عليه، فاحتووه حتى قتلوه، رحمه الله وغفر له. وكانت إمامته [٧٨٧] على ما اتفق أهل العلم بالسّير سنتين وشهر، قيل: إن الذي قتل الإمام الجلندى، رحمــه الله، خازم بن خزيمة، ورُوي عن خازم، لمّا حضرته الوفاه، قيل له: أبشر، فقد فتح الله عمان على يديك، فقال: عزيتّموني في الحياة، وتعزّوني عند الوفــاة، هيهــات هيهات، فكيف لي بقتل العماني. وفي رواية أخرى أن رجلاً من أهل عمان خــرج إلى الحج، وفي صحبته رجل من أهل البصرة، لا يهدأ الليــل، ولا ينــام، فــسأله العماني عن حالته، وكان البصري لا يعرفه أنه من أهل عمان، فقــال لــه: إنــي خرجت مع خازم بن خزيمة إلى عمان، فقاتلنا قوماً، لم أر مثلهم قط في الــشجاعة والتقوى، فأنا من ذاك اليوم على هذه الحالة، لا يأخذني النوم، فقال الرجل العماني في نفسه: أنت الجدير بذلك، إن كنت ممّن قاتلهم[١].

ولمّا قتل الجلندى، رحمه الله وغفر له، استولت الجبابرة على عمان، فأفسدوا فيها، وكانوا أهل ظلم وجور وطغيان، فمن هؤلاء الجبابرة محمد بن زائدة، وراشد بــن شاذان بن النظر الجلنديان، وفي زمنهما هجم غسان الهنائي[٢] على نزوى، فنهبها،

---

[١] الأزكوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، مخطوط، ص ٤٣٩-٤٤١.

[٢] غسان الهنائي: قائد، من بني محارب، عاش في القرن الثاني الهجري، قــام بنهــب نــزوى، وهزم بني نافع وبني هميم بعدما قتل منهم خلقاً كثيراً، وذلك في شهر شعبان ســنة ١٤٥ هـــــ، وأجمع بنو الحارث رأيهم على الثأر منهم، وقتلوه في موضع يقال له الخور. انظر دليل أعــلام عمان، ص ١٢٥.

وهزم بني نافع وبني هميم، بعد أن قتل خلقاً كثيراً، ووقوع هذه الكائنة في شهر شعبان سنة خمس وأربعين ومائة سنة، ثم إن بني الحارث، أهل إبرا[1] غضبوا على غسان الهنائي وحزبه، وسأءهم ما صنعوا ببني نافع وبني هميم، وكان في بني الحارث رجل من بكرة، يقال له زياد بن سعيد البكري، حليف بني الحارث، فاجتمع رأيهم أن يمضوا إلى بني العتيك ليقتلوا غسان الهنائي، فكمنوا ليلاً بين داره ودار جناح بن سعيد، بموضع يقال له الخور، فألقوه راجعاً من عيادة رجل مريض من بني هناءة، وهو لم يشعر بمكانهم، فلما انتهى إليهم، ضربوه بسيوفهم حتى قتلوه، فغضب لذلك منازل بن خنبش الهنائي[2]، وكان مسكنه بنبا، وعاملاً لمحمد بن زائدة وراشد بن شاذان الجلنديين، فسار منازل بن خنبش، ومحمد بن زائدة، وراشد بن شاذان الجلنديين، ومن معهم من الجند على حين غفلة من بني الحارث، فلّما وصلوا إلى إبرا، برزت لهم رجال بني الحارث، فتضاربوا بالسيوف، وتطاعنوا بالرماح، فقتل من الفريقين أربعون رجلاً، وكانت الحرب بينهم سجال، ثم دخل أهل إبرا بلدهم، ورجع منازل و محمد بن زائدة وراشد بن شاذان ومن معهم، واشتدت بينهم الإحن، وعصفت بينهم المحن زماناً، ثم منّ الله سبحانه وتعالى على أهل عمان بالإلفة على الحق، فخرجت عصابة من المسلمين، فقاموا بحق الله رب العالمين، وأزالوا ملك تلك الجبابرة، واتفقت الروايات أن المشائخ العلماء من أهل عمان اجتمعوا في نزوى، وكان رئيسهم وعميدهم الشيخ العالم موسى بن أبي

---

[1] إبرا: بلدة تقع في المنطقة الشرقية من عمان.

[2] منازل بن خنبش الهنائي: لم نعثر على ترجمة له.

جابر[١]، فأرادوا عقد الإمامة لمحمد بن أبي عفّان[٢]، وفي النادي الذي اجتمع فيه رؤساء لا يوفون على الدولة، فخاف الشيخ موسى أن لا يكون للمسلمين يد، وأن تقع فتنة، لا يقدرون على دفعها، فقال: قد ولينا بن أبي عفان نزوى وقرى الجوف، حتى تضع الحرب أوزارها، فقال الشيخ النزوي أبو المنذر بشير بن المنذر[٣]: قد كنا نرجوا منهم ما نحب، فالآن رأينا ما نكره، والحمد لله رب العالمين. فقال له الشيخ موسى: إنا فعلنا ما تحب، وأعلمه إنما أراد أن يفرّقهم لئلا تقع الفتنة، فلما خرج أُلئك الرؤساء، ومضى كل واحد منهم إلى البلد التي وليها، كتب الشيخ موسى بعزلهم، وبعث ولاة ثقات إلى تلك البلدان، وفي رواية أنهم عُزلوا قبل وصولهم

---

[١] موسى بن أبي جابر (٨٧-١٨١-هـ / ٧٠٥-٧٩٧ م) أحد حملة العلم إلى عمان، في القرن الثاني الهجري، كان يلقب بشيخ الإسلام، وكان له دور رئيسي في إدارة شؤون البلاد في عهد الإمام الوارث بن كعب الخروصي. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٥٥.

[٢] محمد بن أبي عفان: محمد بن عبدالله بن أبي عفان، عاش في القرن الثاني الهجري عقدت له الإمامة بعد الإمام الجلندي، فلم يحسن معاملة المسلمين، فأنكروا عليه جفوته وردّه للنصائح، ولم يرضوا بسيرته، فدبروا له حيلة، وأخرجوه من عسكر نزوى، ثم اجتمعوا وعزلوه، واختاروا الوارث بن كعب الخروصي اليحمدي الشاري إماماً لعمان، وبذلك زالت إمامة محمد بن عبدالله ابن أبي عفان، وكانت مدتها سنتان وشهر واحد. انظر دليل أعلام عمان ص ١٤٨.

[٣] أبو المنذر بشير: شيخ، عالم، عاش في القرن الثاني الهجري، من بني سامة بن لؤي بن غالب، ينسب إليه بنو نافع، وهم من أشراف أهل العقر، خرج مع محمد بن أبي القاسم إلى البحرين، حيث كان محمد بن نور عاملاً عليها من قبل المعتضد العباسي، وطلبا منه العون للقضاء على الفتن الواقعة في عمان على يد غسان الهنائي، فأشار عليهما بالذهاب إلى المعتضد ببغداد، فذهب إليه محمد بن أبي القاسم، وقعد بشير بن المنذر مع محمد بن نور. له مؤلفات كثيرة، منها: كتاب "المحاربة" وكتاب "الخزانة" في سبعين مجلداً، وكتاب "البستان" في الأصول، وكتاب "الوصف" في التوحيد، وكتاب "حدوث العالم". انظر: دليل أعلام عمان، ص ٣٤.

إليها، وبقي محمد بن أبي عفّان في العسكر، فظهرت منه أحداث للمسلمين لم تعجبهم، وقيل: إن الذي أنكر عليه [٧٨٨] جفوته للمسلمين، وردّه للنصائح، والله أعلم. ولّما مقتوا سيرته، عملوا الحيلة في إخراجه، فأخرجوه من عسكر نزوى وعزلوه، واجتمعوا، فاختاروا لهم الوارث بن كعب إماماً، وكانت إمامة محمد بن أبي عفان إلى أن عزل سنتين وشهرا، وفي الإمامة إقامة الجلندى إلى قتله سنتين وسته أشهر، والله أعلم[١].

الإمام الوارث بن كعب الأزدي الشاري الخروصي الأباضي، رحمه الله وغفر له:

وللعامة في الوارث روايات، ما وجدتها في التواريخ، وهذا الخبر شائع عنه من العامة وهو قبل حصول البيعة له بالإمامة، كانت له أسرار ظاهرة العيان، مسفرة بشموس البرهان، ومنها أنه كان يخرج إلى عبادة الله تعالى، حيث لا تراه أعين الناس، فمضى ذات يوم إلى المكان الذي يختلي به عن الناس، وبيده سكين، نصابه حطبة جافة، فسمع هاتفاً يقول له، ولم ير شخصه: يا وارث أقم العدل، ولا تخشى في الله لومة لائم، فرفع الوارث طرفه نحو الصوت، فلم يَرَ أحداً، فرجع إلى منزله يصوغ الفكر ويكسره من قبل الهاتف، ولمّا مضى إلى ذلك المكان في اليوم الثاني، ووصل إليه، سمع الهاتف يقول له كما قال له في اليوم الأول، فرجع إلى منزله، وسعى إلى ذلك المكان في اليوم الثالث، فلما وافاه سمع الهاتف، يقول له كما قال له

---

[١] الازكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٤١ – ٤٤٢.

في اليومين الماضيين، فقال الوارث: اللهم إن كان حقاً ما يقول لي هـذا الهـاتف فلتخضر هذه الحطبة التي هي نصاب السكين، ثم تورق في الحال وتنبيءُ عن إسم شجرتها بأغصانها وأوراقها، فلما غرسها اخضرّت، وأورقت في الحال، فكانت هي شجرة الليمون، فلما مسكها واقتلعها، صارت كما كانت حطبة جافة نصاباً لسكّين، فمضى حينئذ إلى بلدة الرستاق، وكان بها يومئذ ملك جبار عنيد، فـرأى الـوارث رجلاً مصلوباًعلى جذع نخلة، وقد أوهنته الحبال، وهو ينادي فلا يجاب، ويستغيث فلا يغاث، فقال لبعض الناس: ما صنع هذا الرجل حتى صُنع به هذا؟ فقالوا: لقـد أراد منه الملك بعض الدراهم، فأبى بدفعها إليه، ثم أتى الوارث إلى الجبار، وسأله عن الرجل، فقال له كما قيل له أولاً، فعند ذلك وثب إلى ذلك الرجل، فقطـع عنـه الحبال بذلك السكين، ومضيا إلى ناحية الجبل المقترب من الحصن، فقيل للجبـار: إن رجلاً لا نعرفه وثب إلى الرجل المصلوب، فقطع بسكينه عنه الحبال، ومـضيا إلى ناحية الجبل، فأمر الجبار على عشرة من رجاله الجورة الطـاغين أن يـأتوا بالرجل وصاحبه إليه، فلما مضوا إليهما، عرفوا الوارث ومعه الرجل المـصلوب، وحولهما عشرون رجلاً شاكين السلاح، فرجعوا عنهما، وأخبروا الجبار الخبـر ، فأمر على مائة رجل من الجبابرة أن يأتوا بهم جميعاً إليه، فلمـا وصـلوا إلـيهم وجدوهم جيشاً كثيراً، فرجعوا إلى الجبار، وأخبروه الخبر، فقال: خلّوا سبيلهم، فإن لهم شأناً عظيماً. قالوا: ورجع الوارث، رحمه الله، والرجل الذي أنقذه الوارث من الصلب إلى وادي بني خروص، و نما خبّره للخاصة والعامة، فاجتمعت المسلمون على بيعته بالإمامة، فبويع سنة سبع وسبعين ومائة سنة بنزوى، والـشاهد علـى تقرير كون الخبر الذي أوردناه عن العامة أن المكان الذي غـرس فيـه الـوارث

نصاب ذلك السكين، به شجر الليمون إلى هذه الغاية، وهي سنه ثمان وستين ومائتين، [٧٨٩] وليمونه لم يُبَدْ، وكلما يبس غصن من أغصانه طلع آخر مكانه، مخضرة أوراقه، والمسجد الذي بناه في وادي بني خروص إلى هذه الغاية التي ذكرناها أولاً، لم تخر دعائمه، ولم ينهد سقفه، ثم إن قبره الشريف بنزوى إلى هذه الغاية، لم يصل إليه ماء الوادي كما كان مرور ماء الوادي على ذلك المكان الذي فيه قبره الشريف، ولهذا الوادي، قوّة شديدة، ويسيل سيلاناً عظيماً، شدّ ما جرى حمل بيوتاً ضخمة، وحمل سكّانها، فلا يُرى لهم أثر، وقبره الشريف هو بين العقر وسُعال من نزوى مزاراً. وعن أخبار الإمام الوارث تحدث الشيوخ والشّبان، وأسراره سرت في كل مكان، ولما بويع له بالإمامة، وطيء أثر السّلف الصالح من المسلمين، وسار بالحق، وأظهر دعوة المسلمين، وعزّ الحق وأهله، وأخمد الكفر، وشرم أنف النفاق، وأرغم الله الجبابرة. وفي زمنه بعث هارون الرشيد عيسى بن جعفر بن أبي المنصور في ألف فارس وخمسة آلاف راجل إلى عمان، فكتب داود المهلبي[1] إلى الإمام الوارث، يخبره أن عيسى قادم بعسكره على عمان، فلما بلغ كتابه إلى الوارث، وكان داود يومئذ بالعراق، أخرج الإمام الوارث إلى عيسى

---

(١) داود بن يزيد المهلبي: شخصية عمانية، عاش في القرن الثاني الهجري بالبصرة، كتب إلى والي صحار يخبره أن هارون الرشيد أرسل جيشاً بقيادة عيسى بن جعفر ليخضع عمان له، فكتب والي صحار للإمام الوارث بن كعب، الذي كتب إلى واليه مقارش بن محمد اليحمدي، وبعث إليه ثلاثة آلاف مقاتل، فتلقاه الوالي مقارش بشمال صحار، فدارت الحرب بينهم، وهزم عيسى بعد تمزّق قوته، وأسر الكثير من جيشه. انظر دليل أعلام عمان، ص ٦٣.

مقارش بن محمد الأزدي[١]، وأضاف إليه جنداً كثيـراً من الأزد، فـالتقوا بحتـى، وقامت الحرب بين الفريقين على ساق الشقاق، فانكشف جند عيسى، وقتـل منـهم خلق كثير، وانفلت عيسى هزيماً، حتى وافى سفنه، فارتقاها، وأغربت به في البحر، فاتبعه أبو حميد بن فلج الحداني السلّوتي[٢]، ومعه عمرو بن عمـر[٣] فـي ثلاثـة مراكب، فوقع الحرب بينهم في البحر، فنصر الله حزب الإمام الوارث، فأسر أبـو حميد عيسى بن جعفر، فانطلق به إلى صحار، فحبسه في حصنها، وكتب أبو حميد إلى الإمام الوارث عن الواقعة، وأن عيسى صار مقيداً مسجوناً بحصن صـحار، فحمد الوارث ربه، وأثنى عليه، بما خوّله من النصر والظفـر، وشـاور الإمـام الوارث الشيخ القاضي علي بن عزرة[٤] في قتل عيسى، وتركه عن القتل، فقال له:

---

[١] مقارش بن محمد اليحمدي: والي صحار من قبل الوارث بن كعب الخروصي، تـولى قيـادة القوات التي نازلت القوات العباسية بقيادة عيسى بن جعفر في موقعة حيي على مقربة من صحار والحق بها هزيمة منكرة. انظر. انظر أعلام عمان، ص ٦٣.

[٢] أبو حميد بن فلج الحداني السلوتي: قائد الإمام الوارث بن كعب الخروصي، عاش في القـرن الثاني الهجري، خرج إلى عيسى بن جعفر بثلاثة مراكب من مراكب الإمام الوارث بـن كعـب الخروصي، فأسره، وقتل من معه، وأخذ سيفه. انظر دليل أعلام عمان، ص ٢٦.

[٣] عمرو بن عمر: محارب، قائد عاش في القرن الثاني الهجري، كان أحد رجال الإمام الوارث بن كعـب الخروصي، أرسله الإمام مع أبي حميد بن حميد بن فلج السلوتي في ثلاثة مراكب لمؤازرة جيشه في حربه مع عيسى بن جعفر، عامل هارون الرشيد على عمان، فكان النصر حليف جيش الوارث. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢١.

[٤] علي بن عزرة: من مشاهير علماء زمانه، في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، كـان في أيام الوارث بن كعب، وهو من جملة العلماء الذين استفتاهم، أو شاورهم الإمام في قتل عيسى بن جعفر المنصور. لا يعرف تاريخ وفاته. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحـاف الأعيان، ج١، ص ٥٢٩-٥٣٠.

إن قتلته وإن تركته فكلّه واسع لك، فأمسك الإمام عن قتله، وأمر بتركه في السجن، فمضت إلى عيسى رجال من المسلمين، وفيهم يحيى بن عبدالله، رحمــه الله، مــن نزوى إلى صحار، ولم يعرف بهم الإمام، فلما أتوا إلى صحار، تسوّروا الــسجن، فقتلوا عيسى، وانصرفوا من ليلتهم إلى نزوى، فلما علم هارون الرشيد بكشف جنده وأسر عيسى وقتله، عزم على إنفاذ جيش عرمرم إلى عمــان، وقبــل أن يجتمــع جنوده، أهلكه الله، وكفى الله أهل عمان شرّه، وكان يحيى بن عبدالله مــن أفاضــل المسلمين، ولم يتقدم في الفضل عليه أحد من أهل زمانه، حتى قيل كانت شــهرته بعمان كشهرة عبد العزيز بن سليمان،[1] وكفى عن الشيخ بشير بن المنــذر كــان يقول: قاتل عيسى بن جعفر لم يشم النار.

ولم يزل الوارث إماماً حسن السيرة، قائماً بالعدل، حتى اختار الله ما لديه، وكــان سبب موته أنه غرق في سيل الوادي النجدي، وهو وادي كلبوه بنزوى، فغرق هو ومعه من أصحابه سبعون رجلاً، وسبب ذلك كان حبس المسلمين عند سوقم مايــل من نزوى، وكان الوارث قد حبس أناساً، فسال الوادي جارفاً، فقيــل للإمــام: إن الوادي سيصل إلى المحبوسين، فأمر باطلاقهم، فلم يحسن أحد أن يمــضي إلــيهم خوفاً من الوادي، فقال الإمام: إني لأمضي إلــيهم [٧٩٠] إذ هــم أمــانتي، فمــن يعصمني من ذنبهم يوم القيامة، فمضى إليهم، واتبعه من أصحابه سبعون رجــلاً، فمرّعليهم الوادي، فحملهم مع المسجونين، فماتوا جميعاً، وقُبرالإمام من بعد أن يبس الوادي بين العقر وسعال، وقبره مشهور مزار، وأما أصحابه والمسجونون لم يُــرَ منهم أحد، وقد تواترت الأخبار عن الإمام الوارث لمّا حمله الوادي ووجــد بــين

---

[1] عبد العزيز بن سليمان: لم نعثر على ترجمة له.

فرعي سدرة جسيمة، فقبر حيثما وجد، وكانت مدة إمامته إلى أنْ توفي اثنتي عشرة سنة وستة أشهر إلاّ أياما والله أعلم.[1]

الإمام غسان بن عبدالله الأزدي:

الإمام العادل الأديب الأريب غسان بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد الفححي اليحمدي الأزدي، بويع بالإمامة بعد وفاة الإمام الوارث بن كعب، وفي تاريخ مبايعته اتفقت الرواة وأهل العلم بالسير أنه لمّا مات الإمام الوارث بن كعب، اجتمع المسلمون الاستقاميون لنصب الإمامة، فاختاروا غسان بن عبدالله المذكور، ولما بايعوه وطىء آثار المسلمين، وأعزّ الحق وأهله، وأخمد الكفر، وشقق شقشقة أهل النفاق، وكانت في زمانه تأتي البوارح في سفن فتقع على عمان، وتفسد في سواحلها، فصنع غسان لمحاربتهم هذه الشذاوة، وهو أول من اتخذها وغزا فيها، فانقطعت البوارح عن عمان، وفي زمنه قتل الصّقر بن محمد بن زائدة. وكان ممن بايع المسلمين على حرب راشد بن النظر الجلنداني، وأعانهم بالمال والسلاح، وسبب قتل الصقر أنه خرج على المسلمين رجل من أهل الشرق ومعه بنو هناءة وغيرهم باغياً على المسلمين، إن أخ الصّقر التأم بالبغاة وصار معهم، فذكروا للصقر، فقال: هذا كلام باطل بعيد من الحق، فإن أخي مريض ومعي في الدار، فلما هزم الله البغاة تحقق أن أخا الصقر معهم، فاتهموه بالمداهنة لما سترمن أمر أخيه، وكان الصقر يومئذ بسمائل، فبعث الإمام إليه وبسمائل يومئذ أبو الوضاح الصقر بن محمد والإمام غسان يومئذ بنزوى، فمضى الوالي أبو الوضاح بالصقر بن محمد بن زائدة مع الشراة خوفاً عليه أن يقتلوه، وبعث الإمام سرّية أخرى

---

[1] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٤٢ – ٤٤٣.

والأمير عليهم الشيخ العالم موسى بن علي، فالتقوا بنجد السحاماة، فبينما هم في مسيرهم إذ اعترض الصقر بعض الشراة، فقتلوه، ولم تكن لأبي الوضاح ولا لموسى ابن علي قدرة على منع قتاله، وروي أن موسى بن علي خاف على نفسه القتل لما كف كفه عن المدافعة، وربما لو كان منه ذلك لقتل معه، ولم يكن من الإمام غسان إنكاره على قتال الصقر، وكان في تلك الأيام صدر الدولة وقوتها وجمَّة عدد العلماء، فهذا كان سبب قتل الصقرعلى ما اتفقت الرواة عنه والله أعلم [٧٩١]. ومن أحكام الإمام غسان أنه كانت دار لبني الجلندى بسمد نزوى، ولعلها حدا المال المسمى العقوديّة، وكانت لهذه الدار عقود على الطريق الجايز، وعليها غرف عالية، وكانت تلك العقود مظلمة يعقد فيها الفسّاق وأهل الريبة، فذكر أن امرأة عفيفة مرّت على تلك العقود ، فبلغ ذلك الإمام غسان، فحكم على أهل الدار أن يهدموا تلك العقود، أو يسرجوها بالليل، حتى ينظر المار عليها من فيها من أهل الريبة، فذكر أن أهل تلك الدار أخرجوا طريقاً من أموالهم للناس، فكان الناس يمّرون عليها حتى انهدمت الدار، فرجع أهل الدار إلى الطريق التي أخرجوها فأدخلوها في دارهم، ورجع الناس يمرّون على الطريق الأولى، ولهذه العقود آثار ورسوم جدر سهيلي المسجد الجامع من سمد نزوى، ولم يزل الإمام غسان قائماً بالحق والعدل، حتى مرض يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي القعدة سنة سبع ومائتن سنة، ومات من مرضه هذا بعد سبعة أيام، وكانت إمامته خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر وسبعة أيام على الإتفاق، والله أعلم.[١]

---

[١] المصدر نفسه، ص ٤٤٣.

الإمام عبد الملك بن حميد الأزدي:

الإمام عبد الملك بن حميد بن سليمان بن علي بن حميد بن عبدالله، من بني سوده ابن علي بن عمرو بن عامر ماء السماء الأزدي، قال صاحب كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة وغيره، إنه لمّا مات الإمام غسان، اجتمع المسلمون لنصب الإمامة، فاختاروا من بعده عبد الملك بن حميد المذكور، ولما خلصت إليه البيعة، سار سيرة الحق والعدل، واتبع أثر السلف الصالح، فصارت عمان يومئذ خير دار، وكانت البيعة له يوم الإثنين لثماني ليال بقين من شهر شوال، سنة ثماني ومائتين، فلم يزل مقيم العدل، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، سالكاً طريق الصالحين، مقتدياً بالكتاب وسنة النبي الأمين، حتى كبر وضعف، وزمن، وضعف عن القيام، وكانت تقع الأحداث في عسكره، فشاور المسلمون الشيخ العالم موسى بن علي في عزله، فأشار عليهم أن يحضروا العسكر، ويقوموا بالدولة، فأحضر الشيخ موسى العسكر، وأقام الدولة، ومنع الباطل، وشذّ عسكر من المسلمين، وبقي الإمام عبدالملك في بيته، فلم يعزلوه، ولم يزيلوه حتى مات، رحمهُ الله، وهو إمام لهم، وكانت ولايته ثماني عشرة سنة، إلى أن توفي، غفر الله له ورحمه، هكذا مدّة ولايته على الإتفاق، والله أعلم[1].

الإمام المهنا بن جيفر اليحمدي:

الإمام المهنا بن جيفر الفححي اليحمدي الخروصي الأزدي، عقد له بالإمامة يوم الجمعة من شهر رجب سنة ست وعشرين ومائتين سنة، فوطىء آثار أهل مذهب الاستقامة، وسار بسيرتهم الرضيّة، ودمّر الباطل، وأظهر الحق والعدل، وكان له

---

[1] المصدر نفسه، ص ٤٤٣.

ضبط وحزم، لا يتكلم أحد في مجلسه، ولا يعين خصماً على خصم، ولا يقوم أحد من أعوانه ما دام قاعداً، ولا يُدخل أحدٌ ممن تجري عليه الثقة من [٧٩٢] العسكر إلاّ بالسلاح، وبلغ في الهيبة ما لم يبلغه أحد قبله من الأئمة، وكان له ناب أعضل، إذا أبرزه لإنسان عند الغضب يموت ذلك الإنسان في الحال، فلذلك يقول ابن النظر في لاميته (يفتر عن ناب زبون أعضلِ)، وقد ولّى على الصدقة رجلاً يقال له عبد الله بن سليمان الضبّي من بني ضبّة أهل منح، وكان يرسله إلى الماشية، فدخل أرض مهرة، ووصل إلى رجل منهم يقال له وسيم بن جعفر، وقد وجبت عليه فريضتان، فامتنع أن يعطي إلاّ فريضة واحدة، وأغلظ وسيم الكلام على عبد الله، حتى قال له: إن شئت تأخذ فريضة، وإلاّ فانظر إلى قبور أصحابكم، فسكت عنه ورجع، وكان عند عبدالله رجل جمّال. فلما وصلا إلى عزّ، تأخر عبدالله في عزّ، وكان منزله بها، وأرسل الجمال إلى الإمام المهنا، فقدم الجمّال على الإمام، وهو في مجلس الحكم، فلما ارتفع من مجلسه، دعا بالجمّال، فسأله عن عبدالله، وكيف كان في سفره، فأخبره بما كان من وسيم، فقال الإمام للجمّال: لا تخبر أحداً بما أخبرتني به، واكتم ذلك. وأكد عليه في الكتمان، فلما وصل عبدالله بن سليمان، سأله الإمام عن خبر وسيم، فأخبره بمثل ما أخبره الجمّال، فكتب الإمام في وقته ذلك إلى والي أدم، ووالي سناو، ووالي جعلان: إذا ظفرتم بوسيم بن جعفر المهري، فاستوثقوا منه، وأعلموني، فكتب له والي أدم: إني قد استوثقت منه، وإنه قد حصل ما نفذ الإمام إليه يحيى اليحمدي، المعروف بأبي المقارش، مع جماعة من أصحاب الخيل، ثم أنفذ كتيبة أخرى، فلقوهم بالمنايف، ثم أنفذ كتيبة أخرى، فلقوهم في قرية عزّ، ثم أنفذ كتيبة أخرى، فلقوهم في قرية منح، فلم تزل الكتائب تتراسل والرماح

تحتمله، حتى وصلوا به إلى نزوى، فأمر الإمام بحبسه، فمكث سنة لا يقدر أحد أن يذّكره فيه، ولا يسأل عن أمره، حتى وصل جماعة من المهرة، فاستغاثوا على المهنا بوجوه اليحمد، فأجابهم إلى إطلاقه، وشرط عليهم ثلاث خصال: إما أن يرتحلوا عن عمان، وإما أن يؤذنوا بالحرب، وإما أن يحضروا الماشية كل حول إلى عسكر نزوى، ويشهد على حضورها العدل، أنه لم يتخلف منها شيء، ويعّدل الشهود المعّدل بلام، فقالوا: أما الارتحال فلا يمكننا، وأما الحرب، فلسنا نحارب الإمام، وأما الإبل، لنحضرها، فعند ذلك عدّل الإمام الشهود، وكانوا يحضرون إبلهم في كل سنة تدور، وقيل: إن هذه الاسطوانة التي تسميها العامة باللغة الاصطلاحية النقصية التي ببلد فرق، بنيت في زمن المهنا، علامة لبني مهرة، ليحضروا إبلهم عندها، والله أعلم بالصواب.وخرج المغيرة بن روسن الجلنداني ومن معه من بني جلندى، وغيرهم من أهل الفتنة بغاةً على المسلمين، فوصلوا إلى توامٍ، وكان أبو الوضاح والياً فيها للإمام المهنا، فقتلوا أبا الوضاح، فلما بلغ ذلك المسلمين، مضى إليه أبو مروان، رحمه الله، وكان يومئذ والياً على صحار من قبل الإمام المهنا بمن معه من الرجال، واشتمل عليه المطار والهندي ومن معه من الهند، فلما وصلوا توام، وهزم الله بني الجلندى الباغين، وقتل من قتل منهم، وهرب من هرب، عمد المطار الهندي ومن معه من سفهاء الجيش إلى دور بني الجلندى، فأحرقوها بالنار، وكان في الدور الدواب من بقر وغيرها مربوطة [٧٩٣]، فحُكي أن رجلاً من السرية، كان يلقي نفسه في الفلج، حتى يبتل بدنه وثيابه، ثم يمضي في النار، حتى يقطع للدواب حبالها، فتنجي أنفسها من النيران، وقد احترقت سبعون

غرفة، وقيل خمسون غرفة[1]، وحُكي أيضاً: إن نسوة من بني الجلندى خرجن على وجوههن إلى الصحراء هاربات، ومعهن أَمَةً، فمكثن ما شاء الله في الصحراء، فاحتجن إلى الطعام والشراب، فانطلقت الأمةً إلى القرية ليلاً، تلتمس لهُنّ الطعام والشراب، فلما وصلت إلى القرية، وجدت شيئاً من السويق، وسقاء من أسقية اللبن وكسر إناءٍ، فعمدت إلى الفلج، فحملت في سقائها ماءً، فبصر بها رجل من السرية، وقد توجهت نحو النسوة بالماء والسويق ، فأدركها رجل في بعض الطرق ، فأخذ منها السويق ، فألقاه في الأرض وأخذ الماء فأراقه، ثم انصرف عنها، واتفقت الروايات أن أبا مروان لم يأمر بهذا، وأنه قد نهى عنه، فلم يقبل قوله، وصحّ عن الإمام، أنه بعث رجلين إلى القوم الذين أُحرقت منازلهم، فدفعهما إلى الإنصاف، وأن يعطوهم ما وجب لهم من الحق، واتفقت الروايات، أن الذين اجتمعوا مع أبي مروان، اثنا عشر ألفاً، وأن الإمام قد جمع خلقاً كثيراً، فلما أتاه كتاب أبي مروان بالنصر على بني الجلندى، أمسك عن الخروج والمسير، ورجعت عساكره إلى مواطنها. وسمعت الشيخ أحمد العبيداني يقول: قد وقفت على كتاب تاريخ للمسعودي، غير كتاب التاريخ الذي سمّاه مروج الذهب، ولعل هذا الكتاب الذي ذكره الشيخ أحمد كتاب الوسيط الذي ذكره المسعودي في مروج الذهب أنه من تواريخه، قال: وفيه يقول المسعودي بعد كلام طويل: ونزلنا ببلدة مسقط، وشربنا من مياهها العذبة، وسألنا عن الإمام القائم بعمان، فقيل لنا الإمام المهنا بن جيفر، وقد اجتمع تحت رايته أربعون ألفاً بين راكب وراجل شاكيّن السلاح، فلعل جمع الإمام لهذه العساكر لحرب بني الجلندى، أو لحرب غيرهم، والله أعلم بالصواب.

---

[1] المصدر نفسه، ص ٤٤٤.

وبلغني أن الإمام المهنا أنه رأى ذات يوم حجّاماً يحجم رجلاً حذا قصر الإمام، فزجر الحجام ونهاه عن تنبيع الدم حذا قصر الإمارة، وللإمام المهنا سير حسان، وأخبار له فيها شان من سطوته وهيبته، وكانت وفاته بنزوى يوم السادس عشر من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين، ومكثه في الإمامة إلى أن مات عشر سنين وأشهراً وأياماً، ومات والمسلمون عنه راضون، وله موالون ومؤازرون. وفي سيرة الشيخ أبي قحطان خالد بن قحطان[1] رحمه الله، يقول فيها: إن الشيخ محمد ابن محبوب[2] وبشير أطلعاني على حديث من المهنا، تزول به إمامته، وإنما كانا يبرآن منه سريرة، والله أعلم بالصواب[3].

الإمام الصلت بن مالك:

الإمام الصلت بن مالك بن عبدالله بن مالك الشاري الخروصي الأزدي اليمني، الناسك، العادل، المشهور، بويع له بالإمامة في اليوم الذي مات فيه المهنابن جيفر، وكان يومئذ بقايا من المسلمين، ورئيسهم وإمامهم في العلم محمد بن محبوب، فبايعوا الصلت بن مالك على ما بويع عليه الأئمة العدل من قبله، فسار بالحق

---

(١) الشيخ أبو قحطان بن خالد بن قحطان: من أهل هجار الواقعة بوادي بني خروص، من مشاهير علماء الطبقة الرابعة، له سيرة مشهورة وكتاب جامع يعرف بـ "كتاب أبي قحطان". أنظر دليل أعلام عمان، ص ٢٦.

(٢) محمد بن محبوب: محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة، يتصل نسبه إلى لؤي بن غالب القرشي، من أكابر علماء عمان في عصره، تولى رئاسة العلم والعلماء أيام الصلت بن مالك الخروصي في العقد الأول من القرن الثالث الهجري، عرف بأبي عبدالله، وابنه عبدالله هو جدّ الإمام الرضي سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب، لقد كانت هذه السلسلة الذهبية تعرف بآل الرحيل، فجميعهم كانوا منارات علم وهدي، سكنوا صحار وللشيخ محمد بن محبوب أجوبة فقهية، امتلأت بها كتب الفقه الإسلامي بعمان. انظر دليل أعلام. ص ١٥٠.

(٣) لأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٤٤ – ٤٤٥.

والعدل ما شاء الله، حتى فني من أشياخ المسلمين جملة من الذين بايعوه، ولا ذكر أن أحداً فارقه، وعمّر في الإمامة مالم يعمر أحد قبله، حتى كبـر وأسـن، [٧٩٤] وضعف عن القيام، وإنما، كان ضعفه من قبل الـرجلين، وأمـا العقـل والـسمع والبصر، ما أحد سمع يتكلم فيهم بضعف، فلّما بلغ الكتاب أجله، وأراد الله أن يختبر أهل عمان، كما اختبر الذين من قبلهم، فسار إليهم موسى بن موسى[1]، ثـم اتبعـه حتى نزل فرق، فتخاذلت الرعية عن الصلت، وضعف عن الإمامة، واعتزل عـن بيت الإمامة، فعقد موسى بن موسى الإمامة لراشد بن النظر، وكـان ذلـك يـوم الخميس لثلاث ليال خلت من شهر الحج سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وكانت إمامة الصلت خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر وثمانية أيام، وكانت وفاته ليلـة الجمعـة للنصف من ذي الحجة سنة خمس وسبعين ومائتين، وفي أيامه توفي العالم العلاّمة إمام العلماء، محمد بن محبوب، رحمه الله، ببلدة صحار، ثم وقعت الفتنة في عمان، وكبرت المحنة والأحنة، واشتدّت العداوات، وكثرت بينهم السّير والأقوال، واختلفوا في دينهم، وتفرّق رأيهم، ووقعت بينهم البزات، وعظم بينهم القيل والقال، واشـتد

---

[1] موسى بن موسى: وزير، قائد، قاضٍ، عاش في القرن الثالث الهجري، هو ابن إمام العلمـاء موسى بن علي، كان وزيراً للصلت بن مالك الأزدي الخروصي، وممن بايعوا راشد بن النـضر بدلاً من الإمام الصلت، ثم حضر بيعة عزان بن تميم الخروصي، بعد الإمام راشد، فأثبته عزان على القضاء، ثم وقعت بينهما العداوة والبغضاء والإحن، فعزله الإمـام عـزان عـن القـضاء، وتخوف منه، وأطلق الإمام كافة المسجونين، فساروا إلى إزكي لمقاتلة موسى بن موسى، وقتـل. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٥٦.

بينهم القتال، ثم إن موسى برىء من راشد، وفسّقه، وضلّله، وسار إليه وعزله، والبحث في هذا يطول[1].

الإمام عزان بن تميم:

الإمام عزان بن تميم بن أحمد بن صالح بن أحمد الخروصي الأزدي، وداره المسفاة، وهي قرية في وادي بني خروص، بويع له بالإمامة يوم الثلاثاء لثلاث ليالٍ خلون من شهر صفر سنة سبع وسبعين ومائتين سنة، وممن حضر البيعة من المشائخ الثقات عمر بن محمد القاضي[2]، ومحمد بن موسى بن علي[3]، وعزّان بن الهزبر[4]، وأزهر بن محمد بن سليمان[5]، فلبث موسى وعزان وليَّن لبعضهما بعض ما شاء الله من الزمان، حتى وقعت بينهما الإحن، فعزل عزان موسى عن القضاء، وتّخوف عزان من موسى، فعاجل عزان موسى بجيش، أطلق فيه كافة المسجونين، فساروا إلى إزكي، فدخلوا حجرة النزار، ووضعوا على أهل ازكي القتل والأسر، والسلب، والنهب، وأضرموا فيها النيران، فأحرقوا أناساً وهم أحياء، وقتل موسى بن موسى مع حصيات الرّدة التي عند مسجد الحجر من حلّة الجنوّر، وفعلوا في أهل إزكي مالم يفعله أحد قبلهم، فاشتدت الفتن، وعظمت الضغائن

---

(1) الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٤٥ – ٤٤٦.

(2) عمر بن محمد القاضي: عالم، فقيه، عاش في القرن الثالث الهجري، كان من العلماء الذين لم يرضوا بإمامة الصلت بن مالك، ورغبوا في إمامة راشد بن النظر اليحمدي. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢٠.

(3) محمد بن موسى: محمد بن موسى بن علي بن عزرة، أخو موسى ابن موسى، عالم كبير، شارك أخاه في مبايعة عزان بن تميم خلفاً لراشد بن النظر. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٥٠.

(4) عزان بن الهزبر: فقيه، عالم، عاش في القرن الثالث الهجري، كان من جملة العلماء الذين عقدوا الإمامة للصلت بن مالك، بعد وفاة الإمام عبد الملك بن حميد. انظر أعلام عمان، ص ١١٧.

(5) أزهر بن محمد بن سليمان: الأزهر بن محمد بن سليمان البسيوي، من علماء النصف الثاني من القرن الثالث، كان من جملة العلماء الذين بايعوا الإمام عزان بن تميم. انظر: البطاشي، سيف ابن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج١، ص ٥٢٣.

والإحن، وتفاقمت المحن، وجعل كل فريق يطلب إساءة صاحبه بما قدر، وآوى عزان المحدثين من أصحابه، وأجرى عليهم النفقات ، وطرح نفقة من تخلف عن المسير إلى إزكي، وكانت الوقعة هذه يوم الأحد، لليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وسبعين ومائتين، فمن أجل هذه الوقعة، خرج الفضل بن الحواري القرشي النزاري[1] ثائراً بمن قتل من أهل إزكي، وطابقته على ذلك المضرية والحدّان، وأُناس من بني الحارث، من أهل الباطنة، ولحق به عبدالله الحداني[2]، ورجال الحدّان، وخرج الفضل إلى توام الجوّ، ثم رجع إلى الحدان، فخرج معه الحواري بن عبدالله السلوتي[3]، ومضوا إلى صحار، وذلك يوم السادس عشر من شوال من هذه السنة المذكورة، ودخلوا صحار يوم الثالث والعشرين من هذا الشهر، وذلك يوم الجمعه، وحضرت [٧٩٥] صلاة الجمعة، فصلى بالناس زيد بن سليمان[4]، وخطب ودعا للحواري بن عبدالله السلوتي على المنبر، وأقاموا فيها بقية الجمعة، ويوم السبت، وخرجوا عشية الأحد، لمحاربة الأهيف بن حمحام الهنائي، ومن معه من أصحاب عزان بن تميم، وذلك أن عزان بن تميم، لمّا سمع بخروجهم، وجّه إليهم الأهيف بن حمحام، رئيس بني هناءة في جماعة من اليحمد، وفيهم فهم بن

---

(١) الفضل بن الحواري: الفضل بن الحواري السامي، عالم فقيه، عاش في القرن الثالث الهجري، خرج إلى ناحية السر، ليعدّ جيشاً من هناك، وذلك حين قتل موسى ومن معه من قومه. انظر دليل اعلام عمان ن ص ١٢٩.

(٢) عبدالله الحداني: عبدالله بن محمد الحداني المكنى بأبي سعيد القرمطي، عاش في القرن الثالث الهجري، تولى الإمامة على الشراة بعد الشيخ محمد بن الحسن الأزدي الخروصي، ثم عزل. انظر دليل أعلام عمان، ص ١١٤ – ١١٥.

(٣) الحواري بن عبدالله السلوتي: قائد عاش في القرن الثالث الهجري، كان أحد الزعماء المشهورين أيام الإمام راشد بن النظر، وكان أحد قادة جيشه الذي لاقي شاذان بن الصلت في نزوى. انظر دليل أعلام عمان، ص ٥٣.

(٤) زيد بن سليمان: لم نعثر على ترجمة له.

وارث[١]، فساروا حتى بلغوا مجزاً من الباطنة، وأرسلوا إلى صلت بن نظر، فخرج إليهم في جماعه من الخيل والرجال، ووصل إليهم الفضل بن الحواري، والحواري بن عبدالله، فأشرعوا فيهم القتل، فقتل من المضرية يومئذ خلق كثير، ووقعت الهزيمة عليهم، وكانت هذه الوقعة يوم الإثنين لأربع ليال بقين من شهر شوال من هذه السنة المذكورة، ولم تزل الفتن تتراكم بين أهل عمان، وتزيد بينهم الإحن، وصار أمر الإمامة بينهم لعباً ولهواً، لم يقتفوا كتاب الله، ولا آثار السلف الصالح من آبائهم وأجدادهم، حتى أنهم عقدوا في عام واحد ست عشرة بيعة، لم يفيؤوا بواحدة، حتى بلغ الكتاب أجله، خرج إليهم محمد بن القاسم[٢]، وبشير بن المنذر، من بني سامة بن لؤي بن غالب،وقصدوا إلى البحرين، وكان بها يومئذ محمد بن نور القرمطي عاملاً للمعتضد، وهو أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد ابن المهتدي محمد بن هارون الواثق، وكان بالبحرين يومئذ محمد بن نور القرمطي عاملاً للمعتضد، فلما قدما عليه، شكيا إليه ما أصابهم من الفرقة الحميرية،وسألاه الخروج معهما إلى عمان، وأطمعاه في أشياء كثيرة، فأجابهما إلى ذلك، وأشار إليهما أن يذهبا إلى الخليفة المعتضد ببغداد، ويذكرا إليه أمرهما، وأنهما قدما يريدان نصرته. فسار محمد بن أبي القاسم إلى بغداد، وقعد بشير مع محمد بن نور بالبحرين، فلما قدم محمد إلى الخليفة، ذكر له الأمر، واستخرج منه لمحمد بن نور عهداً على عمان، ورجع إلى البحرين، فلما قدم على محمد بن نور، أخذ محمد بن نور في جمع العساكر من سائر القبائل، وخاصة نزار، وحصل معه أُناس من الشام من طيء، فخرج يريد عمان في خمسة وعشرين ألفاً، ومعه من الفرسان ثلاثة

---

[١] فهم بن وارث: فهم بن وارث الكلبي، عاش في القرن الثالث الهجري من اليحمد، أحد زعماء القوم في عمان، الذين بايعوا موسى بن موسى بن علي في مبايعة راشد بن النظر، بدلاً من الإمام الصلت بن مالك. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢٩.

[٢] محمد بن القاسم: محمد بن القاسم بن المسبح، عالم عاش في القرن الثالث الهجري، ينسب إلى قرية (هيل) قرب سمائل . انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٩.

آلاف وخمسمائة فارس، عليهم الدروع والجواشن، وعندهم الأمتعة الجزيلة، وفي ذلك يقول محمد بن نور شعرا[١]:

أمن مبلغ عنّا عمان وأهلها ... مقالاً تنقاه حكيم مجَّربُ
بصير بأسباب التصرف قلبه ... يظن لك الظن الذي ليس يكذبُ
يرى في وجوه القوم ما في قلوبهم ... ويعرف ما قالوا وهم عنه غُيّبُ
ألا فكلوا يا قوم من طيباّتكم ... ومن أعذب الماء المبرّد فاشربوا
واقضوا لبانات النفوس فإنني ... أرى نعمه أسبابها تتقضّبُ
كأني بأهل الدين قد ندبوا لكم ... فوارس لا زالت لدى الرحل تطلبُ
فوارس من أبناء عدنان كلها ... لملك فتى العباس ترضى وتغضبُ[٢][٧٩٦]

ثم اتصل خبره بعمان، فاضطربت، ووقع بين أهلها الخلف والعصبية، وتفرقت آراؤهم، وتشتت قلوبهم، فمنهم من خرج من عمان بأهله وماله، ومنهم من أسلم نفسه للهوان بقلّة احتياله، فخرج سليمان بن عبدالملك بن بلال السّليمي[٣]، ومن

---

[١] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٤٦ – ٤٤٧.
[٢] المصدر نفسه، ص ٤٤٨.
[٣] سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي: قائد، عاش في القرن الثالث الهجري، كان أحد قواد جيش الإمام عزان بن تميم في حربه ضدّ الحواري بن عبد الله الحداني، والفضل بن الحواري، بعد قتل موسى بن موسى بن علي الأزكوي، التقى الجيشان بالخيام من ظهر عوتب بموضع يسمى القاع، وأبلى بلاءاً حسناً، وانتصر في المعركة، وذهب فيما بعد إلى هرمز، وأقام بها، واتخذ بها داراً وأموالاً، يأساً من العودة إلى عمان، وهو الذي قصده أبن دريد في لاميته، حيث يقول:

يا سليمان جرد العزم قدما ... تدرك الوتر منجدا وهو نول

انظر دليل أعلام عمان، ص ٨٣ – ٨٤.

اتبعه إلى هرموز[١]، وخرج أهل صحار بأموالهم وأهليهم إلى شيراز[٢] والبصرة، وقدم محمد بن نور بجنوده وعساكره، فافتتح جلفار،ووصل إلى توام، يوم الأربعاء لست ليالٍ خلون من شهر المحرّم سنة ثمانين ومائتين، بعد حروب كانت بالرحـا، واستولى على السرّ ونواحيها، وقصد نزوى، وتخاذلت الناس عن عزان بن تمـيم، فخرج عن نزوى، ثم مضى إلى سمد الشان، ووصل محمد بن نور إلـى نـزوى، وسلّمت له نزوى، ثم مضى قاصداً إلى سمد الشان، فلحق عزّان بن تميم، فوقـع بينهم الحرب والقتال، واشتد الطعن والضرب والنزال، وذلك يوم الأربعاء لخمـس ليال بقين من صفر من هذه السنة، فكانت الهزيمة على أهل عمان، وقتل عزّان بن تميم، وخرجت عمان من يد أهلها، ولم يغيّر الله ما بهم، بل غيروا مـا بأنفـسهم، وكان قتالهم وحربهم بينهم طلباً للملك، ورغبة في الرئاسة، وكل واحد يودُّ أن يكون الملك بيده، أو بيد من مال إليه بودّه، فسلّط الله عليهم، وأفسدوا ديـنهم، فنـزع الله عنهم دولتهم، وسلط عليهم عدوّهم، وكانت دولة الإباضية مـذ ملكوهـا إلـى أن خرجت من أيديهم مائة سنة وثلاث وستين سنة إلاّ شهراً واثني عشر يومـاً، والله أعلم. وبعث محمد بن نور برأس عزان بن تميم إلى الخليفة ببغداد، ورجع محمـد ابن نور إلى نزوى، وأقام بها. ثم إن الأهيف بن حمحام الهنائي كاتب مشائخ عمان وقبائلها من كل مكان، يدعوهم إلى محاربة محمد بن نور، وإخراجه مـن عمـان،

---

[١] هرموز: مدينة في البحر، تبحر إليها المراكب، وتنقل أمتعه الهند إلـى كرمـان وسجـستان وخرسان، ومن الناس من يسميها هرمز. انظر الحموي، يا قوت بن عبـدالله: معجـم البلـدان، ج٥، ص٤٠٢.

[٢] شيراز: قصبة من بلاد فارس، وقيل: سميت بشيراز نسبة إلى شيراز بن طهمـورث. عذبـة الماء، صحيحة الهواء، كثيرة الخيرات. وإليها ينسب عدد كبير من العلماء.
انظر الحموي،ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص ٣٨٠.

ويحثّهم على ذلك، فأجابوه، وأقبلوا إليه، فسار بعسكر ضخم وخميس جرار، يريد محمد بن نور، فدخل الرعب في قلبه، فخرج هارباً، فاتبعه الأهيف بعساكره، وكان الرأي الصائب أن لا يلحقوه، بل يسيرون خلفه رويداً رويداً، حتى يخرج من عمان، فيرجعوا عنه، لكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فساروا سريعاً، حتى لحقوه بدما[1]، فاقتلوا قتالاً شديداً، حتى كثر القتل والجراح في الفريقين، وكادت أن تكون الهزيمة على محمد بن نور وجنده، فألجؤوه على ساحل البحر ببلدة السيب[2]، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ركب من أهل قدمه، وعليهم من المضرية رجال على كل جمل رجلان، وهم من قبل أبي عبيدة بن محمد الشامي، مدداً لمحمد بن نور، على الأهيف وأصحابه، فلما كانوا قريباً من العسكرين، نزلوا من رواحلهم، وأخذوا أسلحتهم، وحملوا مع محمد بن نور على الأهيف و أصحابه ، فوقع بينهم القتال وكادت تكون الهزيمة على محمد بن نور، فوقعت الهزيمة على أهل عمان، وقتل الأهيف بن حمحام وخلق كثير من عشائره وغيرهم، ولم يسلم من أهل عمان، إلاّ من تأخر أجله، [٧٩٧] ورجع محمد بن نور إلى نزوى، واستولى على كافة عمان، وفرّق أهلها، وعاث في البلاد، وأهلك ببغيه الحرث والأولاد، وفي ذلك يقول محمد ابن دريد الأزدي شعراً[3]:

---

[1] دَمَا: بفتح أوله، وتخفيف ثانية، بلدة من نواحي عمان، وقيل: تذكر مع دبا، كانت من أسواق العرب المشهورة، منها أبو شداد، قال: جاءنا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قطعة من أديم إلى عمان. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٦١.

[2] السيب: مدينة السيب الحالية، هي مدينة دما أو دبا سابقاً .

[3] الأزكوي، سعيد بن سرحان:: المصدر نفسه، ص ٤٤٨ – ٤٤٩.

لا يفــوت المـــوت منحـــدراً	أبقـــاه الغـــاب والغيـــلُ
مفـــرع الأكنـــاف ذو لبـــدٍ	مبـــرص الأوصـــال مجـــدولُ
إن دهـــراً خلّـــى حـــدّهم	حـــدّه لا بـــدَّ مفلـــولُ
مـــا بكـــائهم إن هُـــمُ قتلـــوا	صـــبرهم للقتـــل تفـــضيلُ
إن أســـد الحـــرب بـــان لنـــا	نـــالهم قـــوم أراذيـــلُ
نـــالهم مـــن لا يحـــصله	فـــي كـــرام القـــوم تحـــصيلُ
أعُبـــد قـــنِ تـــصادرهم	وهـــم قـــوم تنابيـــل
فـــرأوا للهـــرب طـــرّده	طـــرداً مـــا فيـــه تمهيـــلُ
بمـــشيخ ثـــالطِ ودمٍ	أخلـــصت منـــه الـــسراويلُ
قيـــل والمقـــدار يحرســـه	فنجـــا والســـرج مبلـــولُ[1]

فلما استولى محمد بن نور على عمان، وجعل أعزّة أهلها أذلّــة، وقطّــع الأيــدي والأرجل والآذان، وسمل الأعين، وأحلّ على أهلها النكال والهوان، ودفن الأنهار، وأحرق الكتب، وذهبت عمان من أيدي أهلها. ثم إنه أراد الرجوع إلى البحــرين، فجعل عاملاً على عمان، رجلاً يقال له أحمد بن هلال، ورجع هو إلى البحــرين، وجعل أحمد عمالاً على سائر عمان. وكانت إقامته ببهلا[2]، وجعل علـــى نـــزوى عاملاً رجلاً، يقال له بحيرة، ويكنى أبا أحمد، فقيل له ذات يوم: إن أبا الحـــواري

---

[1] المصدر نفسه، ص ٤٤٩.

[2] بهلا: مدينة في المنطقة الداخلية، وتعد من أقدم مناطق عمان، وكانت عاصـــمة عمـــان فـــي فترات التاريخ القديم، وتشتهر بسورها التاريخي، وقلعتها القديمة. انظر: بهـــلا عبـــر التـــاريخ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص ٩.

ومن معه من الأصحاب يبرؤون من موسى بن موسى، فأرسل إلى أبي الحواري جنديًا، فوصل إليه الجندي، وهو قاعد على محراب سعيد المعروف بأبي القسّام، وهو مسجد الشجبي، بعد صلاة الفجر، يقرأ القران، فقال: إن أبا أحمد يقول لك: سر إليه، فقال أبو الحواري: ليس لي به حاجة، وأخذ في القراءة، فبقي الجندي متحيراً، لا يدري كيف يفعل به، حتى جاءه رسول البحيرة، فقال له: لا تحدث في أبي الحواري حدثاً، وذلك ببركة القرآن العظيم، وقيل: إن الجندي قال: إنما دعوته ليقوم، لئلا يطشّ دمه في المحراب، ولم يزل البحيرة عاملاً على نزوى حتى قتلوه، وسحبوه، وقبره معروف عندهم أسفل من باب موثر قليلاً في لجيه هنالك، على الطريق الجائز، التي تمر أعلى فرق، يطرحون عليه السماد والجذوع، والله أعلم(١).
ثم بايعوا محمد بن الحسن الخروصي الأزدي اليحمدي على الشراء، ثم اعتزل، ثم بايعوا الصلت بن القاسم الخروصي، ثم عزلوه، ثم بايعوا عزان بن الهزبر المالكي من كلب اليحمد، ثم عزلوه، ثم عقدوا لعبدالله بن محمد الحداني، المعروف بأبي سعيد القرمطي، ثم عزلوه، ثم عقدوا للصلت بن القاسم ثانية، ومات في الإمامة، ثم بايعوا الحسن بن السحتني، فلبث أقل من شهر، [٧٩٨] ومات، ثم عقدوا للحواري ابن مطرف الحداني على المدافعة، فكان آخذاً على يد الفسّاق والسفهاء من أهل عمان أخذاً شديداً، إلاّ أنه إذا جاء السلطان إلى عمان يجبي أهلها، اعتزل عن بيت الإمامة إلى بيته، ولم يمنعه من الظلم والبغي، وإذا خرج السلطان، رجع هو إلى

---

(١) الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٥٠

بيت الإمامة، ووضع تاج الإمامة على رأسه، وقال لمن حوله: لا حكم إلاّ لله، ولا طاعة لمن عصى الله[1].

وكانوا القائمين بالأمرعند السلطان أُناس من بني سامة، إلى أن مات، وهذا السلطان هو سلطان بغداد. قال المصنف: أظن هذا السلطان هو الخليفة علـي بـن أحمـد المعتضد، فإنه بويع في اليوم الذي مات فيه أبوه المعتضد بمدينة السلام بغداد. وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنه تسع وثمانين ومائتين، وأخذ لـه البيعة القاسم بن عبدالله[2]، والمكتفي يومئذ بالرقة،[3] وللمكتفي يومئذ نيف وعشرون سنة، ويكنى بأبي محمد، وكان وصول المكتفي إلى مدينة السلام يوم الاثنين لـسبع ليال بقين من جمادي الأولى سنة تسع وثمانين ومائتين، وكان دخوله فـي المـلأ، ونزل قصر الحسنى على دجلة، وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين، وهو يومئذ ابن إحدى وثلاثين سنه وثلاثـة أشهر، وكانت خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، وقيـل سـت سنين وستة أشهر وستة عشرة يوماً على تباين الناس في تـواريخهم، والله أعلـم بالصواب، انتهى قول المصنف. قال صاحب كتاب شف الغمة في افتراق الأمة: ثم

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٥٠.

(٢) القاسم بن عبد الله: القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الحارثي الـوزير، ولـي الوزارة للمعتضد بعد موت والده الوزير الكبير عبدالله في سنة ثمان وثمانين ومائتين، كان ظلوماً عاتياً، سفاكاً للدماء، أباد جماعة، ولما مات شمت الناس بموته. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ١٨-١٩.

(٣) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات في بلاد الجزيرة، على جانب الفـرات الـشرقي. انظـر الحموي، يا قوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص ٥٨-٥٩.

عقدوا لابن أخيه عمر بن محمد بن مطرق[1]، فمضى على سـبيل عمّـه،إذ جـاء عسكر السلطان، اعتزل، وإذا رجع عسكر السلطان رجع إلى بيت الإمامـة. ثـم جاءت القرامطة إلى عمان، فاعتزل عن بيت الإمامة، ورجعـت القرامطـة إلـى البحرين، فلم يرجع عمر إلى بيت الإمامة، وكانت هذه القرامطة قد غلبـت علـى سائر البلدان، ومكة والشام، وأطاعهم أكثرالقبائل، وهم بنو أبي سعيد الحـسن بـن بهرام بن بهرست الجنابي[2]، وقد أبطلوا الـصلوات والـصوم والحـج والزكـاة، وزخرف عليهم وموّه على الضعفاء المملقين من العلم والدين، حتى أنهم يتألهوه من دون الله تعالى، وكان سبب زوال ملكه على يد عبدالله بن علي، وكان قيامه عليـه بأربعمائة رجل، وكانوا في عسكر جمة وجنود كثيرة، فلبث في محـاربتهم سـبع سنين، حتى انتزع الدولة منهم، وفي ذلك يقول جمال الدين بن عبدالله بن علي بـن مقرّب[3]:

---

(1) عمر بن محمد بن مطرف: عقد له بالإمامة بعد وفاة عمه الإمـام الحـواري بـن مطـرف الحداني، كان على نحو سبيل عمه، إذا جاء السلطان، اعتزل من بيت الإمامة، ثم جاءت القرامطة إلى عمان ورجعت، فلم يعد إلى بيت الإمامة، بويع من بعده محمد بن يزيد الكندي على الـدفاع. انظر السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٢٦٧.

(2) الحسن بن بهرام بن بهرست الجنابي: الحسن بن أحمد بن أبي سعيد حسن بن بهران الجنابي القرمطي، الملقب بالأعصم. استولى على الشام سنة ٣٥٧ هـ. وتوفي بالرملة سنة ٣٦٦ هـ. انظر: الذهبي، شمي الدين أحمد بن محمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص ٢٧٥.

(3) الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٥٠ – ٤٥١.

سل القرامط من شطى جماجمهم | فلقاً وغادرهم بعد العلى خدما
من بعد أن جلّ بالبحرين شأنهم | وأرجفوا الشام بالغارات والحرما
ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها | أرض العراق وتغشى تارة أدما
وحرّقوا عبد قيس في منازلها | وصيّروا العز من ساداتها حمما
وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا | شهر الصيام ونصّوا منهم صنما
وما بنو مسجدًا للّه نعرفه | بل كلما أدركوه قائماً هُدماً
حتى حمينا إلى الإسلام وانتدبت | منّا فوارس تجلو الكرب والظلّما
وطالبتنا بنوا الأعمام عادتنا | فلم تجد بكماً فينا ولا صمما
وقلدوا الأمر منّا ماجداً نجداً | يشفي ويكفي إذا ما حادث دهما
ماضي العزيمة ميمون نقيبته | أعلا نزاراً إلى غاياتها همما [٧٩٩]
وسار تتبعه غرّ غطارفة | لو زاحمت سدّ ذي القرنين لانثلما[١]

من قصيدة طويلة. قال المصنف: وصحّ أن الشيخ جمال الدين عبدالله بن علي بن مقرّب قد ارتفع عن الحسا[٢] بعدما صنع ببغاتها ما صنع، وسكن بعدما فارق الحسا بلدة طيوي[٣]، ومات بها بعد أن بني حصناً بالحجر في الجبل المشرف على الماء الجم، وهو المسمى الشط الشرقي إذ بطيوي شطان: شط شرقي، وشط غربي، والشط الشرقي أغزر ماءً من الشط الغربي، وقد مضيت إلى طيوي مرتين: المرّة

---

[١] المصدر نفسه، ص ٤٥١.
[٢] الحسا: بكسر أوله، ومدّ آخره، جمع حسي، وهي المنطقة التي تلتقي بها طيءٌ وأسد بأرض نجد. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٥٧.
[٣] طيوي: منطقة صغيرة داخل مدينة مسقط حالياً.

الأولى سنة سبع وخمسين ومائتين وألف سنة، والمرّة الأخرى سنة سبع وستين ومائتين وألف، فرأيت الحصن الذي بناه الشيخ جمال الدين عبدالله بن علي بن مقرّب، وهو حصن مبني بالحجارة فوق جبل شاهق، في أول مدخل البلد، وتحت هذا الجبل الشط المذكور، وماؤه ينساب إلى البحر عذباً سائغاً شرابه، وأراني أهلها النهر الذي أحدثه الشيخ جمال الدين المذكور، وسمّاه النهر اليدوي، وبقي عليه الإسم إلى هذه الغاية، وأراني أهلها موضع قبره، وهو في جبل شاهق، ينساب على ذلك الجبل الشط المذكور، وقد نبت الحشيش على الشط، وإنما هذا الجبل هو الذي قبر فيه الشيخ جمال الدين، ولا حيلة لمن أراد أن يرتقيه إلى وصول القبر، إذ القدم تنزلق فيه، ولا تقدر على الخطو عليه، لصلادته وفرط ملسته. وأما الجانب الثاني من هذا الجبل، فلا تصل إلى رأسه الرعيان وغيرهم، بل لا يقدرون كذلك إلى وصولهم للقبر منه، ومن الجانب الآخر الذي ينساب على أسفله هذا الشط حتى يبلغ إلى البحر الأجاج، يُرى موضع القبر، وهو في كهف من كهوف هذا الجبل، تستره أعشاب وأشجار، تمنع النظر عن الرؤية إليه، وأراني أهل البلد أيضاً موضع حصن على صخرة صمّاء عالية، وما بقيت من هذا الحصن إلاّ رسومه والطريق الجائز، تمر عليه إلى الحلة المسماة الحصن، وإلى سيما[١]، وميبام[٢]، ووادي بني خالد[٣]، وهذا الحصن المذكور، مبني على هذه الصخرة في خلف الوادي، لو قال صاحب هذا الحصن للمار عليه من الجانب الأسفل أو الأعلى: قف، لما قدر على المرور،

---

(١) سيما: قرية في عمان.

(٢) ميبام: قرية في عمان.

(٣) وادي بني خالد: أحد الأودية المشهورة في المنطقة الشريقية في عمان.

فضلاً أن يرميه بحجر، أو بغيرها، ولا انثنى المّار على خلفه خوف الهلاك، وأهل البلد يزعمون أن هذا الحصن كان لامرأةٍ من الجبابرة، يقال لها نينوه، وهي التي وازرت ابن مقرّب، وأعانته بالمال والرجال، ويزعم أهل طيوي، أن الرّماد الذي خلف شط الشاّب، هو أثر من نار هذه المرأة التي أوقدتها للقوم الآتين من الحسا إلى حرب محمد بن عبدالله بن علي بن مقّرب، وأنها لمّا سمعت بهم وقد وصلوا إلى قريات[1]، جمعت حطباً كثيراً، ووضعته على الطريق الذي يفضي إلى وادي الشاب وشطه، فلما قيل لها: قد وصلوا إلى فنس، وضعت النار في ذلك الحطب، فاتقد، واتقد الحصى، الذي حوله، حتى صار الكل جمراً يتلهّب، فلما رأوا ذلك، تقهقروا عن المرور، ووقع عليهم الصريخ من أهل البلد، فارتقى بهم أهل البلد الجبل المشرف على هذا الموضع، فجعلوا يرموهم بالتفق، فانهزم من سلم منهم، وقتل أكثرهم، وكان هذا الطريق مع هذا الحريق في مضيق في الجانب السفلي بحر غرير، وبالجانب السهيلي جبال شاهقة، وأنا قد مررت بالجيئة الأولى على ذلك المكان، وشهدت ذلك الرماد، وهو رماد جم تتخمص فيه القدم، وهذا من أعجب العجاب، إذ هذا الرماد لا يفنى من ذلك الزمان إلى هذا الزمان، فأين هذه الرياح والأمطار منه، وما بعد نظر التحقيق غير التصديق. انتهى. ثم كانت في عمان سنون فترة من عقد الإمامة، حتى عقدوها لمحمد بن يزيد الكندي.

الإمام محمد بن يزيد الكندي:

الإمام محمد بن يزيد بن عبدالله بن محمد بن يزيد بن سليمان الكندي النزوى السمدي، [٨٠٠] بويع على الدفاع لمّا اعتّل عن بيعه الشراء بزعمه أن عليه ديوناً،

---

[1] قريات: بلدة على ساحل عمان.

ثم تغلب السلطان على عمان، قال المصنف: أظن هذا السلطان هو الراضي بـالله محمد بن جعفر المقتدر، ويكنى أبا العباس، وقد بويع يوم الخميس لست خلون من جمادي الأولى سنه إثنين وعشرين وثلاثمائة، ومات حتف انفـه بمدينـة الـسلام، وكانت خلافته ست سنين وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام، وأمه أم ولـد، يقـال لهـا ظلوم، انتهى. ثم تغلب هذا السلطان على عمان، فحاصره محمد بن يزيد الكنـدي الإمام بعسكرين عسكر بالسرو وعسكر بالعتيك، ولّما تفاقمت الحرب بينهما، هرب محمد بن يزيد من عمان إلى هرموز، فعقدوا الإمامة للحكم بمن الملاء البحري السعالي النزوي، ولمّا أفضت إليه البيعة، أظهر الجبن والارتياع من الحرب، حتى قالت جملة الرواة عنه: فلم نعلم أن إماماً من أهل القبلة، مسلماً أو مجرماً، كان في الضعف والوهنة كمثل الحكم بن الملاء، ثم إنه اعتزل عن الإمامة، وأقام السلطان العراقي عسكراً بنزوى، والله أعلم[1].

وقال بعض الرواة، وأظن هؤلاء الأئمة المذكورين بعد الصلت لم تدن لهم جميـع عمان، ولم يجرِ سلطانهم فيها، وإنما كانوا في بعض من البلدان دون بعض، وعلى أحد من القبائل دون أحد، ولم تتألف كلمة أهل عمان في ذلك الزمان، ولا اجتمعوا على إمام من بعد الفتن التي وقعت بينهم، وذلك بما بدّلوا نعمه الله عليهم، فتـشتت قلوبهم، والله يقول: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[2]. قال المـصنف: وقد ذكره الشيخ أبو سعيد رحمه الله في ذكر اختلاف أهل الدعوة في ولاية الحدث الواقع بعمان في زمن الصلت بن مالك، فلا يحتاج إلى ذكره ثانية، وإني لم أترجم الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب بن الرحيل بن سـيف بـن هبيـره

---

[1] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٥١ .
[2] سورة النحل، الآية ٣٣.

القرشي، فارس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنه، سعيد بن عبدالله إذ هو معدي النسب وسلسلة نسبة متصلة إلى عدنان، إذ هو لم يكن من بني قحطان، وقد ذكرته في السفر الأول في أئمة بني عدنان، ليعلم الواقف على هذا الشأن[١].

الإمام راشد بن الوليد:

الإمام راشد بن الوليد، بويع له بالإمامة بعد الإمام سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيره القرشي، فارس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وذلك لمّا أنه اجتمع الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر[٢]، وأبو مسعود النعمان بن عبد الحميد،[٣] وأبو محمد بن عبدالله بن محمد بن شنحه[٤]،

---

[١] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٦٢.

[٢] عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر: من علماء القرن الرابع الهجري، كان في مقدمة العلماء الذين بايعوا الإمام سعيد بن عبدالله، ثم الإمام راشد بن الوليد، كانت إمامته في النصف الأول من القرن الرابع، ومات هذا الشيخ مقتولاً في فتنة وقعت بالغشب من الرستاق. انظر البطاشي، سيف ابن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص ٥٢٩.

[٣] النعمان بن عبدالحميد: النعمان بن عبد الحميد، أبو مسعود، من علماء النصف الأول من القرن الرابع، كان في عصر الإمامين الرضيين العادلين سعيد بن عبدالله وراشد بن الوليد، ومن جملة العلماء المبايعين للإمام راشد. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج ١، ص ٥٤٣.

[٤] أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي شيخة: كان أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي شيخة أحد العلماء اللذين اجتمعوا في منزل راشد بن الوليد، وكان المقدم فيهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر، فاجتمعوا على أن الواقف عن موسى وراشد والمتبريء منهما جميعاً في الولاية، وأنهما جميعاً مؤتمنان على دينهما في ذلك، ثم بايعوا الإمام راشد بن الوليد على طاعة الله ورسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى الجهاد في سبيل الله وعلى سبيل الدفاع وعلى سبيل اتباع أئمة العدل قسطاً وعدلاً. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد تحفة الأعيان، ج ١، ص ٢٨١ – ٢٨٢.

وكان ممن حضر بيعته أبو عثمان رمشقي بن راشد[1]، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن صالح[2]، وأبو المنذر بن أبّي بن محمد بن روح[3]، وكان هؤلاء في تلك الجماعة التي حضرت البيعة للإمام سعيد بن عبدالله، في زمانهم وأيامهم، لا ينكر أهل المعرفة بهم فضلهم، ولا يجهلون عدلهم، ولا يجبرون في حضرتهم من أهل نحلتهم مثلهم، ولكل زمان رجال، ولكل مقام مقال، وكل أهل طرف في زمن من الأزمنة، مؤتمنون على جميع دينهم، بذلك جاء الأثر، فالحجة لمن حضر قائمة على من غاب أو شهد، وليس للشاهد أن يغيّر ولا للغائب أن يذكر، ولا للداخل أن يخرج، ولا للقايل أن يرجع . و قد كانت تلك الجماعة قد عرفوا من بعضهم لبعض، وعلى بعضهم لبعض تفاسخاً وتعاتباً في أمر موسى بن موسى وراشد بن النظر، فيما عزموا على عقد الإمامة لراشد بن الوليد، تداعوا على الاجتماع على

---

(1) أبو عثمان رمشقي بن راشد: من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري، ومن العلماء الذين نصبوا راشد بن الوليد، وبايعوه إماماً، وهو أيضاً من أشياخ العلامةالشيخ أبي سعيد الكرمي، هو من علماء إزكي، وقد ذكره العلامة الرقيشي في قصيدته التي قالها في علماء ازكي (يا رعى الله أربعاً بالنزار). انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج١، ص ٥٢٢.

(2) أبو محمد عبدالله بن محمد صالح: كان أبو محمد عبدالله بن محمد بن صالح من المبايعين لراشد بن الوليد على الدفاع، حيث بويع على طاعة الله ورسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٢٨١ – ٢٨٢.

(3) أبو المنذر بن أبي محمد بن روح: والصحيح المنذر بن أبي محمد بن روح الكندي السمدي النزوي، حضر بيعة الإمام راشد بن الوليد، وأحد المجتمعين على الوقوف عن الخوض في الولاية والبراءة من موسى بن موسى وراشد بن النظر، جمعاً للكلمة ومنعاً للتفرقة. انظر: نزوى عبر الأيام، معالم وأعلام، ص ٩٧.

سبب يعرفونه من الموافقة في أمر موسى بن موسى وراشد بن النظر، فاجتمع من شاء الله من أهل النحلة والدعوة، [٨٠١] وكان في الجماعة من ذكرنا أنه حضر العقدة لراشد بن الوليد إلاّ أبا مسعود النعمان بن عبد الحميد، فإنه لم يحضر ذلك، فاجتمعوا في بيت كان ينزل فيه راشد بن الوليد بنزوى، وكان المقدم فيهم أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر، فاجتمعوا جميعاً على الوقف عن موسى بن موسى وراشد بن النظر، والتبري منهما جميعاً في الولاية، وأنهما جميعاً مؤتمنان على دينهما على ذلك، ولم نعلم من أحد منهم أنه يرى بغير حق، ووقف بغير حق، وجرت الأمور بينهم على هذا النحو، إلاّ ما زاد من اللفظ أو نقص، إلا أن المعنى هو هذا، وأجمعوا على ذلك، ثم من بعد ذلك، بايعوا الإمام راشد بن الوليد إماماً على طاعة الله وطاعة رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الجهاد في سبيل الله على سبيل الدفاع، وعلى إتباع سبيل الأئمة العدل قبله قسطاً وعدلاً، وعلى هذا بايعه أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر في المنزل الذي كان ينزل فيه من نزوى، ومن سائر القرى، ثم بايعه بعده أبو مسعود على نحو ما بايعه أبو محمد، وبايعت الجماعة على نحو من ذلك، وقبل منهم البيعة، وخرجوا إلى الناس بالبطحاء من نزوى، في جماعة من أهل عمان من نزوى ومن سائر القرى من شرق عمان وغربها من أهل العفاف منهم والفضل والجاه منهم والرئاسة، مستمعون له من شرق عمان وغربها، مطيعون، لا يظهر أحد منهم كراهية ولا نكيراً، ثم قام أبو محمد عبدالله بن محمد بن شيحة خطيباً على رأسه بين الجماعة، فخطب له بالإمامة، وأخبر الناس أن الجماعة قد بايعت له على الإقامة، وأمر الناس بالبيعة له، فبايع الناس له شاهراً ظاهراً، لا ينكر ذلك من الناس منكر، ولا يغيّر ذلك منهم مغيّر، وكان ممن بايع له في ذلك الوقت بحضرته

عبدالله بن محمد بن أبي الوثر، وعبدالله بن محمد بن شيحة يبايع ناحيته، وقيل: إن أبا مسعود كان يبايع له ناحيته، وغيرهم من الناس، ودخل الناس في بيعته أنى جاء، ووفد عليه على ذلك أفراداً وأزواجاً، وأخذ عليهم المواثيق والعهود، وأظهر كل منهم من أهل المضرية الرضى، فبين من يبايعه على ذلك، وبين من يخطب له عند قدومه عليه بالإمامة، وبين من يظهر التسليم بالرضى الظاهر، وليس يحكم على الناس ولا فيهم بحكم السرائر، وبعث الولاة والعمال في القرى والبلدان، فلم يعترض عليهم أحد من أهل المصر بتغيير، ولا ظهر من أحد من أهل المصر كراهية، ولا نكير، فصلى بنزوى الجمعات، وقبض هو وعماله الصدقات، وجهز الجيوش، وعقد الرايات، وأنفذ الأحكام، وجرت له في ما شاء الله من المصر الأقسام، ولم يبق بلدة من بلدان عمان لم يغلب عليها السلطان، أو ناء عنه في تلك الأيام وذلك الزمان، إلا جرت فيه، وثبتت عليهم أقسامه، وأقرّ في ظاهر الأمر أنه إمامه من غير أن يظهر منه في شيء من سريرته أو علانيته، ولا سريرته شدّة ولا غلظه، يخاف بها وتبقى، ولا هوادة، ولا ميل يطمح فيه بذلك و يرتجى، فيصانع عن تقّيه أو مخدوع بطمع أو رجيّة، بل كان، رحمة الله، لرعيته هّيناً، رفيقا بأمرهم، شفيقاً [٨٠٢] غضيضاً عن عوراتهم، مقيلاً لعثراتهم، بعيد الغضب عن مسيئهم، قريب الرضى عن محسنهم، مساوياً في الحق بين شريفهم، ودّينهم، وفقيرهم وغنيّهم، وبعيدهم وعشيرهم، منزلاً لهم منازلهم، متفقدا لأمورهم وأحوالهم، مشاوراً منهم لمن هو دونهم، قابلاً من مشاورتهم ما يأمرونه، فلم يزل، رحمة الله، على ذلك يتجشّم من رعيته الصبر على الكروب، ومفارقة السرور والمحبوب، ويصبر منه على الشتم والأذى، ويسمع منهم الخنا والقذا، وهو يأتي في ذلك الأمور، ويرجو من الله الدائرة أن تدور، وكثير من أهل مملكته ومصره

يتربص به الدوائر ويسرّ له أقبح السرائر، ويعرف في وجوه الذين كفروا المنكـر، وما تخفي صدورهم من الغلٍّ والحسد أعظم وأكبر، قد استحوذ علـيهم الـشيطان، وغلبت عليهم الدائرة والشأن،ومنهم من تربص به الدائرة، وأظهر له المـودّة فـي الأمور الظاهرة، فإن فتح الله عليه فتحاً، أظهر السرور والبشرى، وإن كان للعـدو نصيب، ظهرت منه أمور قبيحة أخرى، لا يقدر من عدوانه أن يعين على طاعتـه بلسانه ولا بجاهة ومكانه، لو يرجوا أن يقبل منه الخذلان لخذل، ولو كان به طاقـة على قتال أهل الحق لقاتل، ومنهم من يعين بلسانه في الظاهر،ويخذل في السرائر، ومنهم من يعين بطلب الدّنيا والسمع فيها والرّياء، فإن أصابه خير، اطمأن به، وإن أصابته فتنه، انقلب على وجهه، وأعدادهم وصنوفهم في السر لا تحصى، إلاّ قليلاً من الضعفاء ممن يعجز عن النصرة له بالوفاء، ولا يُرجى به بلوغ إلى شعار ولا عنايه به في الأمور، ولا مكتفي، حتى ألت به الأمـور، وجـرى عليـه مـن الله المقدور، أن ظهر من عامّة رعيته التخلف عنه والخذلان، وظهـرت مـن عامّـة خواصه المعاندة والعصيان والمداهنة عليه للسلطان، والمباشرة له في ذلك بـالقول واللسان، وخرجوا إلى السلطان مظاهرين، وتألبوا إلى ذلك متناصرين، فمنعهم عن ذلك جبراً، وقسرهم على التخلف عنه عن ذلك قسراً، فوقع بينهم وبـين عـامتهم العداوة والشحناء، وفارقوه على ذلك من قرية بهلاء متعصبين، معاندين له علـى ذلك، ومحاربين متوّحدين عليه في ذلك متعنتين، وقد صار السلطان بالسير مقـبلاً، وهو في نفر من الضعاف أقلاء، قد انقضت جماعتهم وصحّت معه عداوتهم، وإنما خرج من نزوى في ردّهم عن خروجهم ذلك في حرب العدو المقبل إليه، فلما رأى ما نزل به من الخذلان، وبان له من العداوة والعصيان، واستضعف نفسه ومن معه عن لقاء السلطان، وخاف أن يدهموه على المكان، فتحيّز بمن معه من بهلاء إلـى

كدم، ورجا أن يكون قد استوثق لنفسه في ذلك وحزم، فلم يزل بكدم، إلى أن صحّ معه أنهم قد دخلوا الجوف، فانحازوا إلى هناك، إلى وادي النخر، ودعا إلى حرب السلطان من حضره، واستنصر عليه من قدر عليه ونصره، واجتهد في ذلك وصبر، ودعا إلى ذلك واستنصر، وراح في ذلك وبكرّ، وأقبل في ذلك وأدبر، فأمدّه الله بمن أمده، فأبلى بهم طاقته وجهده، فجيّش إليهم أنصاره وأعوانه، إلا من لا عناية له عنه من خاصته وإخوانه، وقعد لهم في مكانه، وكان السلطان بنزوى نازلين وكان تخلفه عن الحرب برأي من بحضرته وإخوانه وأهل شفقته، ورجا أن يكون في تخلفّه عزّ للإسلام [٨٠٣] وأهله، وقوة لنصره وعدله، وكان تخلّفه عن الجيش إلى بعثه إلى السلطان الجائر بنزوى قريباً من المحارة على عقبة منح، لم يكن عنهم ببعيد، فأتى الله بالمقدور، وما قد علم الله تبارك وتعالى أن تصير إليه تلك الأمور، فهزم أنصاره وغُلبوا، وولوا عنه، وأدبروا مع ذلك، وهربوا، فانفضت هناك جماعتهم، وزالت هناك رايتهم، وخرج مخذولاً مغلوباً خائفاً يترقب مظلوماً، وكان ذلك ضحوة النهار، فلم يكن عشياً من يومه ذلك،حتى انفض عنه جميع من كان معه،ووقعت الغلبه والباس، وأيس مع ذلك نصر الناس، فاستولى السلطان الجائر على جميع عمان من جميع النواحي والبلدان، وأقبل الناس في المصانعات، وأقبل إليهم السلطان الجائر بالسخرياء والمداهنات، حتى دانت له جميع النواحي، وهو خائف في رؤوس الجبال والمسافي، مشفق من السلطان والرعية، يترقب في كل موضع نزول المنيّة، وأن تدهمه في مرقده ومنامه ببليّه، وأصبح خائفاً على نفسه وماله، هارباً من داره وعياله، وأصبح جميع أهل المصر قد أمنوا واطمأنوا في منازلهم، وكفوا، وصانعوا سلطانهم، وداهنوا، فلم يكن له من الاستسلام بدّ، إذ لم يكن له إلى غيره سبيل ولا جهد، فطالع في أمره واستشار، واستشير له ذوو

الأبصار، وانتقى في أمره في ما ظهر منه حكمة الأبرار، وأخذ بالرضيّة من قول الأخيار، ومما لا نعلم أن فيه اختلاف، أن الإمام المدافع تَسعَهُ التقيّة إذا خذلته الرّعية، ولم يكن معنا أصح من ذلك الخذلان، ولا أبين من تلك العداوة وذلك العصيان لله ، وهو الرؤوف بعباده المنان، وما جعل الله على عباده في الدين من حرج، بل الصحيح معنا أنه قد جعل لكل مدخل في دينه باب مخرج، والكل عاجز عن فرض من فرائضه عذراً وباب فرج، ولا فرق بين الإمام والرعية، وكل منهم جارٍ عليه حكم القضية، فألقى بيده إلى منزله، واستسلم رجاء أن يستتر فيه، وأن يسلم، فوصل إليه رسول السلطان إلى مكانه يعطيه الميثاق، فبلغنا أنه أعطاه ذلك بلسانه، ولم يبلغنا عرض اليمين، ولا كان إلى باب السلطان من الوافدين، ولا من القادمين إليه والواصلين، وإنما السلطان الذي وصل إليه واضطره إلى ذلك، وجبره عليه فزالت معنا بذلك إمامته، وثبتت للغدر الواضح له ولايته، ولا نعلم في الأحكام، ولا فيما اختلف فيه من أمرالإمام أن راشد بن الوليد، رحمه الله، يلحقه القائل في إمامته مقال، ولا طعن، ولا عيب، في حال من الحال، فلبث بعد ذلك قليلاً محموداً، ومات عن قريب من ذلك مفقوداً، وكان راشد ابن الوليد في أيامه وزمانه وموضعه ومكانه، ومع أنصاره وأعوانه، والعاقدين له من أصحابه وإخوانه في عامة أموره غريباً معدوماً، ولم يكن عند أحد من أهل الخيرة في أموره ملوماً ولا مذموماً، فجزاه الله عن الإسلام وأهله، لما قام فيه من حقه وعدله، وعنّا وعن جميع من عرف فضله ما جزّى إماماً عن رعيته وأخاً تصحُّ أخوته، وقال صاحب كتاب كشف الغمة [٨٠٤] في افتراق الأمة، وهو كتاب شريف، كرر ما قد ذكرت من مقاله المخبرعن كماله فقال: وإنما ذكرنا من أمور راشد بن الوليد ما قد ظهر، وما نرجو أنه لن يدفع، ولن ينكر، وإلاّ ففضائله كانت معنا أكثر من هذا وأكبر، وكان

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر قد قتل في وقعة الغشب من الرستاق، في سيرة الإمام راشد بن الوليد وطاعته، وكان في زوال أمرراشد بن الوليد إلى وقعة نزوى، وعنها زالت رايته، وانفضّت جماعته، وبان خذلان رعيته له، ولزمته التقية، وخاف هناك من السلطان والرعية أن يقصدوه بالقتل رضاً للسلطان، ولم يبرح مستقراً في موضع من عمان من حدّ جلفار إلى حدّ رغوان، ولا في جبال عطالة، و لا في أرض الحدّان و الرستاق ،فأدهى إليه و أقروا عدى عليه من كل عدو ، و اشتروا الله تبارك وتعالى أولى بالعذر من البشر، وكل من عذره الله في دينه، فواجب أن يعذر، وأن يُعان في ذات الله فيما قد نزل به، ويُنْصَرْ، وكان راشد بن الوليد، رحمه الله، فيما ظهر لنا من أمره طاهراً الإيمان ظاهراً، عليه شواهد الفضل والإحسان هنا من السر والبهتان، صادق الفعال واللسان، ورعاً عن المحارم مجتنباً عن المآثم ، عاملاً بما علم، سائلاً عما نزل به ولزم، متواضعاً لمن هو فوقه، متعطفاً على من هو دونه، كاظماً للغيظ، بعيد الغضب، سريع الرضى، محتملاً للأئمة، حريصاً على إصلاح المسلمين، رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين، متوشحاً بكريم الأخلاق، صبوراً عند مضائق الخناق، مستقيماً على الحقيقة، قاصداً قصد الطريقة، تضرب به الأمثال، وتعجز عنه الواصفون عن وصفه بالمقال، فرحم الله تلك المهجة وتلك الأوصال، وتفضل علينا وعليه بالمنّ منه والأفضال، وعرف بيننا وبينه في مستقر رحمته، وجمعنا وإياه على جزيل من ثوابه وكرامته، وفعل ذلك بكل مؤمن ومؤمنه من عباده، إنه أرحم الراحمين، وصلى الله على عبده ورسوله خاتم النبيين محمد، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً[١].

---

(١) الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٦٣ – ٤٦٧.

الإمام الخليل بن شاذان الخروصي:

قال صاحب كتاب كشف الغمة وغيره: ومن الأئمة المعقود لهم بعمان، نعني بـذلك المنتسبين إلى قحطان، الإمام الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالـك الخروصـي الأزدي البهلوي، وكان إماماً عادلاً مقتدياً بكتاب الله وسنه رسوله، صلى الله عليـه وسلم، ومتبعاً لآثار العلماء والأئمة الصالحين أهل الاستقامة في الدين، وكانت دولة الخليل بن شاذان، رحمة الله، في بضع وأربعمائة سنة، وما وقفت على تاريخ وفاته في أي سنه، وكانت وفاته ببلدة نزوى، عن غير واحدٍ من أهل العلم(١).

الإمام راشد بن سعيد:

ولما توفي الإمام الخليل بن شاذان، بويع في اليوم الذي مات فيها بالإمامة راشد بن سعيد بن عبدالله بن راشد بن سعيد بن محمد الأزدي، فوطىء أثر السلف الـصالح، واقتدى بالكتاب والسنة، ولم أقف على تاريخ وفاته، وبلغني أنه توفي ببلدة نزوى، والله أعلم، ثم وجدت كتاباً فيه نبذة من تواريخ العلماء المشاهير بعمان، أن راشد بن سعيد مات في شهر محرم سنه خمسٍ وأربعين وأربعمائة، وحكى لي بعض المشائخ أنه توفي بنزوى، كما قد ذكرت أولاً، وأنه كان عادلاً، ومنذ عُقد له بالإمامة إلى أن توفي، ما خرج عليه أحد من البغاة العراقيين ولا العمانيين(٢).

الإمام حفص بن راشد بن سعيد:

ولما توفي الإمام راشد بن سعيد، بويع ولده حفص بن راشد بن سعيد بن محمـد الأزدي، فاقتفى أثر السلف الصالح، فلبث في الإمامة ثمان سنين، ثم توفي، وقبـره في بلدة نزوى، ولم أعلم أن أحداً أنكر عليه، أو نكل فيه بعيب [٨٠٥] أو بريـب، والحكم بالظاهر، ولله ما ظهر وما بطن(٣).

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

الإمام راشد بن علي:

ولمّا توفي الإمام حفص بن راشد بن سعيد، بويع على الدفاع راشد بن علي بن سليمان بن راشد الأزدي، فلبث ما شاء الله أن يلبث في الإمامة، ومات يوم الأحد للنصف من ذي القعدة في سنة ست وسبعين وأربعمائة، وقيل: سنة ثلاث عشرة سنة وخمسمائة، والله أعلم أيهما كانت وفاته، وما علمت أن أحداً تكلم فيه إلاّ بثناء عليه، وقال: إنه كان عبداً صالحاً محمود الخلال، جميل الأفعال، ومنذ بويع له بالإمامة إلى أن مات، لم يخرج عليه باغ من أهل العراق و لا من سائر الثغور والقرى[1].

الإمام موسى بن أبي جابر:

ولما توفي [الإمام راشد بن علي]، بويع من بعده أبو المعالي موسى بن أبي جابر ابن موسى بن نجاد الأزدي، سنة تسع وأربعين وخمسمائة، فلبث ما شاء الله أن يلبث بالإمامة والوقوف على سراط الإستقامة، وما بلغني عن أعيان ذلك الزمان، من أهل عمان، إلاّ يثني على الإمام موسى بن أبي جابر أبو المعالي بن موسى بن نجاد المذكور، ولا أعلم أن أحداً خرج عليه من البغاة، أو عاندة أحد من الطغاة[2].

---

(1) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

(2) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

الإمام خنبش بن محمد:

ولما توفي [الإمام موسى بن أبي جابر] بويع خنبش بن محمد بن هـشام الأزدي. قال صاحب كشف الغمة في افتراق الأمة: ومن كتاب عثمان بن موسى بن محمد ابن عفان، الساكن في محله الجرمة، من عقر نزوى، كتبه بيده: وكتبت هـذا من خطّه، فلما كان يوم السبت، لعشر من جمادي الأولى، توفي الإمام خنبش بن محمد بن هشام، فجرى على الناس بموته مصيبه عظيمة، وكان رجل من أهل الصلاح، ينشد عند قبره شعراً[1]:

وليس من الرزية فقد تيسٍ ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية موت نفسٍ تموت بموتها خلقٌ كثير[2]

الإمام محمد بن خنبش:

وعقدوا الإمامة في اليوم الذي مات فيه خنبش، لولده محمد بن خنبش بن محمد بن هشام الأزدي، والعاقد إليه بالإمامة الشيخ العالم نجاد بن موسى[3]، وكان نجاد قاضياً لخنبش، وخطب للإمام محمد بن خنبش، أبو بكر أحمد بن محمد المعلم[4]،

---

(1) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

(2) المصدر نفسه، ص ٤٦٨.

(3) الشيخ نجاد بن موسى بن نجاد، عالم، فقية، قاضٍ، عاش في القرن السادس الهجري. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٦١.

(4) أبو بكر بن أحمد بن محمد المعلم: من سمد نزوى، من فقهاء النصف الأول من القرن السادس، حضر بيعة الإمام محمد بن خنبش، وخطب له بعد البيعة. انظر البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج١، ص ٥١٥.

وكان ذلك سنة عشر سنين وخمسمائة، وقبر الإمام بن خنبش لمّا مات عند مقبــرة القاضي أبي بكر أحمد بن عمر[1]، وولده أبي جابر، وهناك أيــضاً القاضــي أبــو عبدالله محمد بن عيسى[2]، وكان رجلاً معروفاً بالفسق وشراب المسكر، أوصى أن يقبر عندهم، فقبر هناك، وكان ذلك اليوم يوماً شديداً على المسلمين، فقيل لــبعض الصالحين، إن فلاناً أوصى أن يقبر عند مقابر الصالحين، لينفعه ذلك، وقد كان كذا وكذا، فقال له: إنه ينبغي أن يتقرب من الصاحين في الحياة، وبعد الممات، للرحمة التي تنزل، فقبر الرجل هناك، واشتدّ ذلك على الناس، وهذا الموضع الذي فيه هذه المقبرة، مقبرة الإمام خنبش، وهؤلاء المذكورين، وهو موضــع نعــشي الطريــق الجائز الذي ينفذ من عند فلج الغنتق، عند مساجد العباد بنزوى، وعند الجبل الأسود الصغير، الذي يُقال له ذو جيود، وله كهوف بائنة من الصخور، من أعراضـــه، لا من أعاليه، ومات محمد بن خنبش سنه سبع وخمسين وخمسمائه سنة، وقبر أعلـــى فلج الغنتق، عند جبل ذي الجيود، خلف قبر أبيه خنبش، وأصيب أهل عمان بموته ما لم يصابوا بأحد من قبله[3].

---

[1] أبو بكر أحمد بن عمر: قاض، دفن إلى جانبه الإمام خنبش وابنه محمد بن جنبش في نــزوى عند مساجد العباد، عند الجبل الأسود الصغير. وهو من الطائفة الرستاقية. انظر السالمي، نــور الدين عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١ ص ٣٥٤.

[2] أبو عبدالله محمد بن عيسى: قاض، دفن إلى جانبه الإمام خنبش وابنه محمد بن جنبش، وكذلك القاضي أبو بكر أحمد بن عمر وابنه أبي جابر، في نزوى عند مساجد العباد، عند الجبل الأسود الصغير. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٣٥٤ -٣٥٥.

[3] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٦٨.

[الإمام مالك بن الحواري]:

قال صاحب كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة: ثم عقد للإمام مالك بن الحواري، سنة تسع وثمانمائة، ومات سنة إثنين وثلاثين سنة وثمانمائة سنة، قلت: إن الإمام مالك بن الحواري هو عدناني النسب، لا قحطاني النسب، وكان إماماً عادلاً، ورعاً، زكياً، تقياً، سلك مسلك السلف الصالح، فأثنت عليه العباد، وزهرت به البلاد، وما خرج عليه أيام دولته أحد من أهل العناد.

قال صاحب [٨٠٦] كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة: فهذه مئتان سنة وبضع، لم أجد بينهن تاريخاً لأحد من الأئمة، فالله أعلم أنها كانت سنين فترة من عقد الإمامة، أو غاب معرفة أسمائهم عنّا، إلاّ أني وجدت تاريخ خروج أهل شيراز على عمان ورئيسهم فخر الدين أحمد بن الداية[١] وشهاب الدين[٢]، وهم خمسمائة فارس وأربعة آلاف فارس، وجرى على الناس منهم أذى كثيراً لا غاية له، وأخرجوا أهل العقر من نزوى خاصة من بيوتهم، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر في عمان، وحاصروا بهلا، ولم يقدروا عليها، ومات ابن الداية، وكسر الله شوكتهم، وأصاب الناس غلاء

---

[١] فخر الدين أحمد بن الداية: قائد فارسي كان يحكم شيراز من بلاد فارس. خرج لغزو عمان سنة ٦٧٤ هـ في عهد عمر بن نبهان، ومعه خمسة آلاف جندي، وساعده في ذلك شهاب الدين ليلى حاكم هرمز، حيث تمكن من دخول نزوى، لكن الله كسر شوكتهم، وانسحبوا من عمان. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٣٥٩.

[٢] شهاب الدين ليلى:خكم هرمز من بلاد فارس ، تحالف مع فخر الدين أحمد بن الداية لغزو عمان في عهد الملك عمر بن نبهان، حيث تمكنت قواتهم من السيطرة على عمان لبضعة أشهر، ثم انسحبت منها. انظر السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٣٥٩.

كثير، وذلك في دوله السلطان عمر بن نبهان[1] سنة أربع وسبعين وستمائة قال: ووجدت أيضاً تاريخاً آخر، خرج أمير من أمراء هرموز، يسمى محمود بن أحمد الكوشي،[2] فوصل إلى قرية قلهات، وكان المتولي يومئذ على عمان والمالك لها أبو المعالي كهلان بن نبهان[3]، فلما وصل محمود بقلهات، طلب وصول أبي المعالي إليه، فلما حضره، طلب منه المنافع من أهل عمان، وخراج أهلها، فاعتذر أبو المعالي إليه، وقال: إني لا أملك من عمان إلاّ بلدة واحدة، فقال محمود: خذ من عساكري ما شئت، وأقصد به من خالفك من أهل عمان، فقال أبو المعالي: إن أهل عمان ضعفاء، لا يقدرون على تسليم الخراج، كل ذلك حمّية منه على أهل عمان، فحقد عليه محمود، وأضمر له المكيدة، واستدعى بامراء البدو من أهل عمان، فلما أتوه، كساهم وأعطاهم، فوعدوه بالنصر على أهل عمان، والخروج معه عليهم، ثم ارتحل إلى ظفار، وركب البحر، فلما وصلها، قتل من أهلها خلقاً كثيراً، وسلب مالاً

---

[1] عمر بن نبهان: ملك من ملوك النباهنة، غزا الفرس عمان في عهده. انظر: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج١، ص ٢٥٩.

[2] محمود بن أحمد بن الكوشي: فارس أمير من أمراء هرمز، غزا عمان سنة ٦٦٠ هـ عن طريق قلهات، واتجه إلى ظفار عن طريق البحر، ثم أراد غزو مناطق عمان الداخلية عن طريق ظفار، فمات وجيشه جوعاً وعطشاً. انظر: السالمي: نور الدين عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان، ج١، ص ٣٥٨ – ٣٥٩.

[3] أبو المعالي كهلان بن نبهان: هو كهلان بن عمر بن نبهان، ملك، عاش في القرن السابع الهجري، تولى حكم عمان بعد أبيه عمر بن نبهان، وفي عهده خرج أولاد الرئيس إلى عمان، فخرج كهلان لملاقاتهم بالصحَراء، ومعه جملة من أهل العقر، فانتصر عليهم. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٣٧.

جزيلاً، ورجع قاصداً إلى عمان، وأخذ على طريق البر، وحمل ثقله في المراكب في البحر، فلما صار في طريق البّر، نقص عليه الزاد، وأصابهم جوع شديد، حتى بلغ عندهم منّ اللحم بدينار، وأصابهم عطش كثير، لقلة الماء في تلك الطريق التي سلكوها، فقيل: إنه مات من عسكره خمسة آلاف، وقتل أكثر منذ ذلك، وكان هذا في سنة ستين وستمائة[1].

قال المصنف: لما وصل محمود ظفار، ونهب أموال أهلها، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وأراد أن يرجع على طريق البر لعمان، ولم يكن له دليل إليها، استدعى بأعراب القرى، وكان لهم جبل شاهق بظفار، ليدلوه على الطريق، فأتوه عشرة رجال منهم، وفرّق جيشه براً وبحراً، وقال لجيش البحر: ارجعوا إلى قلهات، وأقيموا بها إلى أن آتيكم، ومضى هو بجيش البر، وأدلتهم القرى الذين ذكرناهم العشرة، فأخذوا بهم على طريق لا يهتدي بها الدّليل، ولا يعرف دياميها إلا من القرى قليل، فلما توسطوا بهم البرّ، هربوا عنهم ليلاً، فأصبحوا حائرين، يترددون في رمال عالية، وفيافي خالية، فعدم الماء عليهم، ونفذ الزاد، فأهلكهم الله جميعا، إلاّ رجلاً بقي يتردد، إلى أن أتى عمان، فأخبر عن أمره وأصحابه وما جرى عليهم، فما أحبَّ أهل عمان قتله، ومضى على طريق البر، حتى وأفى جلفار، فعبر على سفينة إلى هرموز. أما الذين قصدوا طريق البحر، فلما وصلوا قلهات، أرقوا سفنهم، ودلفوا إلى طيوي، فلما اقتربوا منها، صرخت عليهم رجالها، وبادروهم بالسيف والرمح والتفق، وأحالوا بينهم وبين سفهم، فقتلوهم جميعاً، وفي طيوي قبورهم مشهورة، وهي حذا الجبل الذي بناحية قبر [٨٠٧] عبدالله بن علي بن

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٦٨ – ٤٦٩.

مقرب، وهو على ساحل البحر، فالى هذه الغاية يسمونها قبور الترك، ويزعم أهل طيوي أن في كل قبر من قبور الترك الأربعة والخمسة الرجال، وقد أخذوا سفنهم أيضاً جميعاً، ولا أعلم أن أحداً منهم رجع إلى هرموز سالماً من الهلاك، إلاّ الرجل الذي نجا من أهل البّر، ومضى إلى عمان، حتى انتهى إلى ظفار، وفرّ منها إلى سفينة لأهل جلفار إلى هرموز.

قال صاحب كشف الغمة في افتراق الأمة:ووجدت أيضاً تاريخاً آخر، فيه خرج أولاد الريسّ على عمان، و كان خروجهم في شهر شوال سنة خمس و سبعين بعد ستمائة ، وكان المالك لعمان السيد كهلان بن عمر بن نبهان، فخرج إليهم ليلقاهم بالصحراء، وخرج معه جمله أهل العقر من نزوى، فسبقت أولاد الريّس على العقر، فدخلوها، وأحرقوا سوقها ، وأخذوا جميع ما فيها، وسبوا نساءها، وأحرقوا مخازن المسجد الجامع المتصلة به، وأحرقوا الكتب، وكان ذلك كله في نصف يوم، ثم رجع كهلان بعساكره، واجتمعوا بالسّراة، فزحفت عليهم أولاد الريّس، ومن معهم من الحدان، وقتل في هذه الوقعة من الفرقين ثلاثمائة رجل، فلعلها كانت هذه السنون التي بين محمد بن خنبش، ومالك بن الحواري، سنين ملك النباهنة بعمان، والله أعلم. ولعّل ملكهم كان يزيد على خمسمائه سنة، إلا أنه كان فيما بعد هذه السنين، يعقدون للأئمة والنباهنة ملوك في شيء من البلدان، والأئمة في بلدان أخرى، والله أعلم.

قال المصنف: والصحيح أنه بعد الإمام الخليل بن شاذان الخروصي، لم تكن للأئمة الواقعة لهم البيعة قوّة باهرة، ويد قاهرة على النباهنة، وكانت النباهنة في ذلك الوقت مصطلمة أكثر حصون عمان، وعلى كل حصن من الحصون التي ملكوها أمير، لا يكترثون بمن نُصِب إماماً، ولا يخافون صوله إمام عليهم، لكثره عددهم

وعديدهم، وميل أكثر الناس إليهم، فطال عليهم الزمان وهم في ذلك الشان، وبقيت الأئمة المنصوبه في بعض الحصون، وفي طاعتهم بعض الرجال لا قدرة لهم على خروج النباهنة من الحصون، وأكثر البيعة لهم دفاعاً، وكانت النباهنه قد تحالفت على كل من قصد أوحاربهم أحد بحرب، ويحاول أن يخرجهم من حصونهم، ليكونوا مع صاحبهم الذي يقصد بحرب، ويحاول الذي يحاربه إخراج ما ملك من الحصون، فلأجل هذا قويت شوكتهم، واشتدت قوتهم، في ذلك الزمان[١].

ووجدت نبذة تاريخ، وهو فيه، وفي سنه ثلاث وعشرين بعد الألف: أخذ عمير ابن حمير العميري[٢] من الإفرنج صحار، يوم الاثنين، واثنين وعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وعشرين بعد الآلف، وأخذها في اليوم الثاني الإفرنج من يد عمير بن حمير، وهو يوم الثلاثاء، ثلاث وعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وعشرين من بعد الألف، وحملوا معهم محمد بن جفير[٣]، والله أعلم بالصواب.

---

[١] المصدر نفسه، ص ٤٦٩.

[٢] عمير بن حمير: عمير بن حمير النبهاني، أمير سمائل، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وكان ذا خلق وحب للخير، وقعت العداوة بينه وبين سليمان بن مظفر، ودارت بينهما حروب، انتصر فيها عمير، وأخرج سليمان من بهلا إلى القرية، ثم عاد سليمان إليها مرّة أخرى، واستقر الأمر إلى أن تولى أمر بهلا سيف بن محمد الهنائي. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢١.

[٣] محمد بن جيفر: محمد بن جيفر بن جبر الجبري، كان والياً على إبرا، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، حارب مع أهل نزوى بجيش عظيم ضدّ الملك سليمان بن مظفر، ودانت له سائر الشرقية ما خلا صور وقريات، فإنهما كانتا بأيدي البرتغاليين، وكانت بينه وبين الإمام ناصر بن مرشد معارك متعددة، انتهت بهزيمة محمد بن جيفر وقتله. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٤.

وكتبتُ للشيخ الثقة خميس بن أبي نبهان الشيخ العالم العلامة الرئيس جاعد بن خميس سنة سبع وستين ومائتين وألف يسرد لي أسماء أئمة بني خروص وعلمائهم، فكان جوابه لي بعد ثناء جميل عليّ، جزاه الله خيراً، بيان في أئمة بني خروص نقلاً من قصائد الشيخ سالم بن غسان، وسعيد بن محمد بن سعيد، وأبو نبهان جاعد ابن خميس، فأولهم الوارث بن كعب الهجاري، والمهنا بن جيفر الفححي، والصلت ابن مالك الستالي الخروصي [٨٠٨] وعزّان بن تميم، ومسكنه المسفاة، من وادي بني خروص، والخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك البهلوي، والصلت ابن القاسم، وعامر بن راشد، ومحمد بن غسان، وخالد بن شعوه، وأبو على الهجاري، لعلها هجار بني خالد، ولا أدري اسمه، و خالد الثاني اللذين ذكرهما الشيخ سالم بن غسان، حيث قال:

فمنا وارث والصلت منا ومنا الخالدان توارثاها[1]

فهؤلاء اثني عشر إماماً، وقد أشار الشيخ سعيد بن محمد في قصيدته الرائية أن لهم ثلاث عشرة بيعة، لا أدري الثالث عشر من هو إسمه، والله أعلم، قلت لعله الإمام عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن الصلت، ثم قال في كتابه بيان في علمائهم ممن له قصبات السبق في العلم والورع، والحلم والفقه، والزهد والقناعة، والحماسة والكرامه، والمجد الأسنى، والمقام الأعلى، وصاروا حجّة الله في أرضه على عباده، فأولهم الوارث، والمهنا بن جيفر، والصلت بن مالك، وعزان بن تميم، وأبو المؤثر الصلت بن خميس الأعمى البهلوي، وولده محمد بن أبي المؤثر، وأبو نبهان جاعد بن خميس العلياني، وولده ناصر بن أبي نبهان العلياني، ومنصور بن

---

(1) انظر البيت في ديوان اللواح الخروصي ج٢ ص ٨٧ ويقصد بالخالدين خالد بن شعوة الخروصي وخالد بن عبدالله الخروصي وهما إمامان مشهوران بالعدل.

محمد بن ناصر بن خميس الستالي، وعبدالله بن ناصر بن محمد بن بشير الخروصي، وسعيد بن محمد بن راشد السوني، ولكل من هؤلاء مقام معلوم في العلم، وأما أبو نبهان كالشمس مع القمر والكواكب، فذلك إباضي حقاً، وأما ولده ناصر كالبدر مع الشهاب، وأبو المؤثر كأنه نار على علم، والله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، نفعنا الله وإياهم بالعلوم النافعة، وأن يتداركنا برحمته إنه أرحم الراحمين، وأما فضيلة الشيخ عبدالله بن ناصر، فقد سمعت والدي أبا نبهان يقول: لو اجتمع أهل عمان على بيعة رجل، لكنت أول من بايع عبدالله بن ناصر، لأن خصال الإمامة فيه كاملة. أنظر يا أخي، هل بقي من شرف الدنيا والدين، إلا هو داخل فيه، وعليه محتوٍ، فيحتاج إلى بيانه على التفصيل إلى مجلّد، وهذا محل الاختصار، وذكر الشيخ خميس في كتابه هذا أن الشيخ درويش السوني[١]، عروضي عالم بليغ في علم الفلك، وعلم الحروف، والأوفاق، و فاق أهل زمانه في مصره ومكانه، ثم قال فيه، وقد شهد أبي أبو نبهان لولده ناصر بالعلم والبلاغة، وقد توغّلا في فنون شتى من العلوم، وصار عالم زمانه، وأما الشيخ منصور، فذلك صوفي، لأنه تناهى في الزهد والورع، والعفاف والقناعة، مع كثرة علمه، وبلاغة فهمه، فذكره بالمحامد في المحافل ينشد، والركبان بفضائله تحدو وتغرّد، فمذ بلغ الحلم، حتى مات، لم نعلم منه هفوة واحدة، وأما أبو المؤثر، وولده محمد، ففضائلهما في كتب الفقه مذكورة، ومحاسنهم مشهورة. انتهى كلام الشيخ خميس بن العالم العلامة أبي نبهان.

---

[١] الشيخ درويش السوني: لم نعثر على ترجمة له.

[الإمام أبوالحسن بن خميس بن عامر]:

قال صاحب كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة: ثم عقد من بعد موت مالك بن الحواري بتسع سنين لأبي الحسن بن خميس بن عامر، ولم يذكر نسبه، وهو من رجال بني العتيك، يوم الخميس في شهر رمضان، سنة تسع وثلاثين سنه وثمانمائة سنة، ومات سنه ست وأربعين بعد ثمانمائة، يوم السبت، وواحد وعشرين من ذي القعدة[1].

[الإمام عمر بن الخطاب]:

ثم عقدوا الإمامة لعمر بن الخطاب بن محمد بن حمد بن شاذان بن الصلت، سنة خمس وثمانين وثمانمائة سنة، وهو الذي حاز أموال بني نبهان، وأطلقها لمن عنده من الشراه، وكان ذا يَدٍ فيها، وأمر فيها بأوامره، وذلك بأجتماع من المسلمين، لمّا اجتمعوا، فنظروا في [الدماء] التي سفكها آل نبهان، والأموال التي أخذوها وأغتصبوها بغير حق، فوجدوها أكثر من قيمة أموالهم، وكان يومئذ القاضي أبا عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج، وكيلاً لمن ظلمه آل نبهان من المسلمين، من أهل عمان، وأقام أحمد بن عمر بن أحمد بن مفرج[2]، وكيلاً لملوك بني نبهان،

---

(١) الأزكوي سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٦٩.

(٢) أحمد بن عمر بن أحمد بن مفرج: قائد، عاش في القرن التاسع الهجري، كان وكيلاً على أموال ملوك عمان من آل نبهان، من أرضٍ ونخيل وبيوت وأسلحة، وآنية، وغلة، فقضى قضاءاً واجباً تاماً، فصارت الأموال بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومين. انظر دليل أعلام عمان، ص ٢٨.

فقضى أحمد بن صالح بن محمد بن عمر[1]، أن جميع مال آل نبهان الذين بعمان، من أموال، وأروض، ونخيل، وأسلحه، وآنية، وغلل، وتمر، وسكّر، وجميع مـــالهم كائناً ما كان [٨٠٩]، من ماء، وبيوت، ودور، واطوى، وأثاث للمظلومين من أهل عمان، من غاب منهم أو حضر، وكبر منهم أو صغر، الـــذكور مـــنهم والإنـــاث، فصارت هذه الأموال بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومين، وقد جهلـــوا معـــرفتهم ومعرفة حقوقهم، ولم يحيطوا له علماً، ولم يدركوا له قسماً، فصار كـــل مـــال لا يعرف، مجهولون أربابه راجعاً إلى الفقراء، وكل مال راجع إلى الفقراء، فالإمـــام العادل عند وجوده أولى بقبضة، ويصرفة في إعزاز دولة المسلمين والقيـــام بهـــا، وكل من أصح حقه وأثبته، فهو له من أموالهم، ويحاسب بالتحرية بما يـــصح لـــه بقسطه،إن أدرك ذلك، وإن لم يدرك التحرية ولم يحط بها، فذلك النصيب نـــصيب غير معلوم، وهو مجهول للفقراء، والإمام يقبض الأموال المغيّبة، وأموال الفقراء، وما لا ربّ له، ويجعله في إعزاز دوله المسلمين. فقد صح هذا القضاء والحكم فيه، فمن بدّله بعدما سمعه، فإنما إثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم. وكان هذا الحكم عشية الأربعاء، لسبع ليال خلون من شهر جمادي الأخرى من ســـنه ســـبع وثمانين وثمانمائة سنة، وكان هذا في عقده الثاني، فإنه لمّا نصب أولاً، أقام ســـنة، وخرج عليه سليمان بن سليمان النبهاني[2]، فانكسر عمر وعسكره بحجمـــت مـــن وادي سمايل، ثم نُصب ثانيه، ومكث في الإمامة إلى أن مات[3].

---

[1] أحمد بن صالح بن محمد بن عمران: قاض، عالم، عاش في القرن التاسع الهجري، كان أحد القضاة المفوضين للفصل في قضية أموال ملوك بني نبهان الشهيرة. انظر دليل أعلام عمان، ص ٢٨.

[2] سليمان بن سليمان النبهاني: شاعر عاش في القرن العاشر الهجري، وتولى الملك في عـــصر النباهنة، اشتهر في الشعر باقتفائه أثر الملك الضليل امرئ القيس ومعارضته له في شعره، كذلك أولع بشعرطرفة بن العبد، وعارض أبا العلاء المعري في بعض القصائده، وكان شعره بين شعر الشعراء العمانيين في القرن العاشر الهجري أشبه بشعر أبي تمام بين الشعراء العباسين، له ديوان مطبوع. انظر دليل أعلام عمان، ص ٨٣.

[3] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٦٩-٤٧٠.

قال المصنف: ولّما ذكرت أسماء الكتب التي صنفها الشيخ العالم أبو محمد ناصر ابن الشيخ العالم العلامة أبي نبهان على الملأ، وانتهى مما روي من أسماء أئمتهم وعلمائهم، حتى كمل، انتعش في الخاطر أن أنظم فيهم قصيدة، تحتوي على ذكر أئمتهم وعلمائهم، وأعيان رجالهم، وما حماني على ذلك، إلاّ الصحبة التي كانت بيني وبين الشيخ أبي محمد ناصر بن أبي نبهان، إذ ينبغي للحر أن يذكر صاحبه، الذي هو جدير بالثناء عليه، ولعمري إنهم جميعاً لجديرون بالثناء، وقد سميت هذه القصيدة الدر المرصوص في مدح جهابذة بني خروص، وهي شعراً:

لله قوم أحالوا الأرض أفق سما	ومجدهم ناشر أعلى السُّها علما
هم البدور إذا ما الليل جنّهمُ	هُمُ الشموس إذا ضوء النهار نما
في كل ثغر لهم ذكر بنفحته	يعطّر الصخر والألواح والعلما
حكى صغيرهم حُلماً كبير هُمُ	فالشيخ والطفل منهم حلمه عظما
فما خبت لهم للضيف نار قرى	ومنهم كل ذي جود حوى الكرما
وإن بحثت قديماً عن إمامتهم	إليك قيل هم سادوا الورى القدما
ياصاح عندك مثلي صحَّ أنهم	لكل حرب عوان قعقعوا اللّجما
لهم مراتب فضل ليس غيرهم	يحط حيث سعت أقدامهم قدما
فلم يكن منهم إلاّ حليف ندىً	أو باسل أو إمام قد غدا أُمما
أو عالِمٌ عَلَمٌ في الفقه أو لبق	يرضى إذا نشر الألفاظ أو نظما[1]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية الأخرى، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

ذكر أئمتهم:

ففي الإمامة قل لــي مــن كــوارثهم ... ومن يحاكي المهنّا في العــلا هممــا

والصلت نِعــم إمــام مــنهم وفــرى ... برأي عزان والصمصام مــن ظلمــا

فمات ذاك شــهيداً بعــدما قطــرت ... سيوفه مــن رؤوس المعتــدين دمــا

فيالها وقعــةً حــزب العــراق قلــى ... من بأس عزّان فيهــا خرمــةً ودمــا

تكفّــن الــدَّم إذعنــه الــذي رتقــت ... بــه قرونتــه عــن نــصره انهزمــا

ومنهم نجــل شــاذان الخليــل فمــا ... له شكى السيف لمّــا بــايعوه ظمــا

ونجل قاسمه الــصلت الأخيــر لــه ... عزايم لو رما طــوداً بهــا انهــدما

ونجــل راشــد ثــم عــامر دفعــت ... لــه الإمامــة تــاج العــزّ منتظمــا

ونجل غسان والرســم الــشريف لــه ... محمد بــصريح العــدل قــد حكمــا

والخالــدان إمامــان ســرى لهمــا ... صيت به كل صــيت للعــدى ثلمــا

ومنهم بن علــي قــد حــوى شــرفاً ... مثل الهجاري فحــازاه ومــا اقتــسما

إثنــان مــع عــشرة عــدّاً أئمــتهم ... بمجدهم يبهــرون العــرب والعجمــا

تجنبوا الظلم في الحكم الــذي اتبعــوا ... به الكتاب فــصاروا للــورى نعمــا

أعطوا السيوف من البــاغين بغيتهــا ... وكــل أفــق كــسته خــيلهم قتمــا

فنــوا و مجــدهم بــاق تفــوه بــه ... أفواه حزب وكتبٍ مــا حــوين فمــا

وكــان أولهــم فــي العلــم وارثهــم ... والصلت مثل المهنّــا بــالعلوم طمــا

وما اشتكى منه عزان الشهيد صــدى ... ولا أبو المؤثر استــسقى فتــى ديمــا

وحــسبُهم بــأبي نبهــان جاعــدهم ... وحــسبنا إذ يــسمى عــيلم العلمــا

بحـــر إذا مادنـــا أوشــط ســائله ... أتاه منـــه الجــواب الجــم منتظمــا

تجني جــواهره أهــل العلــوم فكــم ... فوج إلــيهم عليــه بالثنــا ازدحمــا

فمن رأى بعض ما في العلــم صــنّفه ... رأى الكثير الذي مــن غيــره لممــا

به علم ما تضربُ الأمثال كل ّ فتــى ... بغيــره وبــه بالــسبق قــد علمــا

وكل من زعم المجــد الــشريف لــه ... لا غيره فهو أضحى فوق ما زعمــا

لهُ لهُ قــصب الــسبق اغتــدى فــإذا ... لغيــره قــال قــال مــان أووهمــا

وابنــه ناصــر للعلــم مــدّ يــداً ... وكل ما شــاءه منــه بهــا اصــطلما

قد أودع الــدّر مــن تــصنيفه كتبــاً ... فراقم النــاس بــالأنوار مــا رقمــا

لــم يبــق مــستغربا ً إلا وأبــرزه ... فيهــا فمــا تركــت أنــواره ظلَمــا

كأنما العلم طُــراً صــار فــي يــده ... أو أنــه كــل ّ علــم ثغــره التقمــا

ذو هيبةٍ ســيفه أضــحى بهــا قلــم ... فكم به حدّ سيف حاسم حــسما [٨١١]

ما ناقل الصخرة الصما ســواه فمــن ... إذن بما قلــت فيهــا تــدعي صــمما

وكــم شــهدت لــه ســراً أكتمــه ... فلا أذيــع لــه الــسّر الــذي كتمــا

سقى الحيــا قبــره إذ لــست أذكــره ... إلا ودمعي كوبل في الــصعيد همــا

ومنهم الحبــر منــصور تــشد لــه ... ذاك الرحال فيجــدي الوفــد مبتــسما

ولا يماطـــل مــن وافــا بمــسألة ... له الجــواب وهــذا مــذهب الكرمــا

قد كان منصور حيّا فاغتــدى عــدماً ... ولم يكن فخــره لمّــا مــضى عَــدَما

ونجل ناصــر عبــدالله بحــر نــدى ... لــه يــد العلــم فــي آفاقهــا خيمــا

تلاطم العلم منـــــــــه فهوعيلمه ... فمن عليه به تسدى نفى الســـــــدما

إذا ذكرت سعيداً في العلوم فتـــى محمـــد نلـــت نهـــلاً ســـائغاً شـــبما
وقد شهدت خميساً زاهـــداً ورعـــاً سليل جاعد من ترجـــى لـــه الرُّحمـــا
ويكرم الضيف مهما زاره لقـــرى ويصدق العـــزم إعجـــالاً إذا عزمـــا
وسالم والفتى الغشري يروق لنـــا إذا همـــا نثـــرا لفظـــاً ومـــا نظمـــا
فـــشاعران أديبـــان همـــا انتـــسبا إلى خروص وما مـــا نـــا ولا وهمـــا
وفـــي ســـمايل أشـــياخ جهابـــذة منهم لنا نِعْمَ صـــحب عـــدهم نعمـــا
فمنهم ناصر كانـــت مـــشار بُـــهُ في النظم سائغة تـــذري بمـــاء لمـــا
والكل منهم حوى كُـــلّ الثنـــا وإذا تكلـــم الحكمـــا كـــانوا هُـــمُ الحُكمـــا
بني خروص لكم فخر به افتخرت أكارم ....
وللثنـــا أنـــتم أهـــل فـــأيّ فتـــى [1]إلاّ بحمـــــــــدكُمُ لا زال ملتزمـــــــا
مدحي لكم قد حوته قبل ذا كتُـــبُ ولم أكـــن فـــيكم مـــا قلـــت مُتهّمـــا
ودّي إلـــيكم صـــريح لا يمازجـــه ضدّ الصريح يرى أريـــا إذا طعمـــا
ألا خذوها بلا مهـــر فتـــاة نُهـــىً صحيحة اللفظ لا تـــشكو لكـــم ســـقما
ومن بيـــان معانيهـــا مرصـــعها وما أبوها علـــيكم مهرهـــا احتكمـــا
قولوا قبولاً فـــإن المهر ذاك لهـــا وبالـــسلام علـــيكم قولـــه ختمـــا[2]

رجعنا إلى ذكر الأئمة، ثم نصب بعد ما مات، عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد ابن شيذان بن صلت هذا، وهو الذي أظنه ثالث عشر أئمة بني خروص، إذ عددهم

---

[1] سواد تعذرت قراءته

[2] بعد البحث والتدقيق تبين أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية الأخرى، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

على الأغلب ثلاثة عشر، وهكذا ذكر الغشري في قصيدته، التي ذكر فيها أئمة بني خروص وجها بذتهم، وذكر أسماء أهل الفضيلة، وقال مع الجملة: إنهم ثلاثة عشر، ولم يذكر إمامهم [٨١٢] الثالث عشر منهم، أو ذكره ، فنسيه الناسخون مع رقم التاريخ، وأنا سمعت من بعض الناس، أن الإمام عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد خروصي النسب، قال: وقول المؤرخين: أحمد بن شيذان بن صلت غلط، والصحيح أنه أحمد بن شاذان بن صلت، فوقع خلطهم في شاذان فأثبتوه شيذان، إن هذا كلامه، والله اعلم بالصواب. ثم نُصب من بعده القاضي محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج الأزدي، في سنة أربع وتسعين بعد ثمانمائة سنة من الهجرة النبوية، فلبث في الإمامة سبع سنين وما أحد تكلم في سيرته بعيب ولا بريب.

[الإمام عمر الشريف]:

ثم نصبوا من بعده عمر الشريف، وأقام في الإمامة سنة، فلم يرضهم، فخلعوه، ومضى هو بعد ما خلعوه إلى بهلاء، واتفق أهل نزوى على محمد بن سليمان ثانية، فبايعوه، فلبث في الإمامة مدّة وخلعوه وعقدوا من بعده للإمام أحمد بن عمر.[١]

[الإمام أحمد بن عمر]:

وعقدوا من بعده لأحمد بن عمر بن محمد الربخي، وكان مسكنه ضنك من الظاهرة، والرباخ هؤلاء يمنّيو النسب، قليلو العدد، ومنهم الرباخ أهل إقليم طيوي.

---

[١] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٧٠.

[الإمام أبو الحسن محمد بن عبد السلام]:

ولمّا مات [أحمد بن عمر]، عقدوا لأبي الحسن محمد بن عبد السلام، وأقام دون سنة، وخرج عليه سليمان بن سليمان النبهاني، فقعد محمد عن حربه، فخلعوه، ونصبوا مكانه محمد سليمان ثالثة، وأقام أياماً، فلم يرضهم، فخلعوه.

[الإمام محمد بن إسماعيل الإسماعيلي]:

وعقدوا لمحمد بن إسماعيل بن محمد بن عمران بن أحمد الإسماعيلي، واختلف في نسبه، فمنهم من زعم أنه يمني النسب ومنهم من زعم أنه نزاري النسب، متخصل نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وأن بني إسماعيل العمانيين يمنيين، وغيرهم هم بنو إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهما السلام، وعندي هذا هو الأصح، والله أعلم. ولم أذكره في كتاب المؤتمن مع العدنانية، لأجل هذا الإختلاف، وكان مسكن محمد بن إسماعيل المذكور بحجرة الوادي من بلدة نزوى، من سكة باب مزار، والسبب الذي أوقعه في الإمامة، أن سليمان بن سليمان النبهاني هجم على إمراة من أهل نزوى تغتسل بالغنتق، فخرجت من الفلج هاربة عنه، عريانه، فظلّ يعدو في أثرها، حتى وصل حجرة الوادي، فرآهما محمد بن إسماعيل، فخرج إليه، وقبضة، وصرعه على الأرض، حتى مضت المرأة، ودخلت العقر، فخلى سبيله، فعند ذلك فرح المسلمون لما رأوا من قوته في الأمر بالمعروف والنهي عن النكر، فنصبوه إماماً سنة ست وتسعمائة سنة، ومات يوم الخميس، لتسع ليال بقين من شوال سنة إثنين وأربعين وتسعمائة[1].

---

[1] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٧٠.

قال المصنف: أخبرني الشيخ القاضي مبارك بن عبدالله النزوي[١] وغيره، عن السبب الذي أوقع محمد بن إسماعيل في الإمامة أن بني نبهانِ في ذلك الزمان، كان أعظمهم شأناً سليمان بن سليمان، وكان هو المالك في ذلك الأوان لحصن بهلا، فتخلى ذات يوم عن الناس، فخرج من سور البلد، وقعد في ظل شجرة، يفكر في نفسه، في استنكاف أكثر رجال عمان عنه، فجعل يصوغ الحيلة على طاعتهم إليه قسراً، فسمع هاتفاً، ولم يَرَ شخصه، وهو يقول: تمتع يا فتى بني نبهان، فمالك في دولتك نصيب، إلاّ سبعة أيام، فتطير سليمان من ذلك، فرجع إلى حصنه وصوت الهاتف يتبعه، وكلما نظر يميناً أو شمالاً أو أعلى أو أسفل، لم يَرَ شخصاً لصاحب الصوت، فلمّا دخل حصنه قعد مهموماً مغموماً، فقال له بعض وزرائه الجبابرة: ماذا جرى عليك ؟ فإني أراك مهموماً مغموماً، فأخبره بما سمعه، فقال له وزيره: ما ذاك إلاَّ من بعض خيالات الشيطان، ووساوس النفس، فلا تحزن، فإنك أنت ملك عمان، على رغم أنف حاسدك، وجعل يسلّيه، فما قدر على سلوانه. ثم إن سليمان بعد سته أيام، ركب ناقته، يريد نزوى، وكان له فيها بيت الإمارة، فلما أناخ نا قته، ووضع ما حمله عليها في بيت الإمارة، أخذ عصاه، وخرج إلى الغنتق يريد أن يفجر بمن يصادفه من النساء في الغنتق، فرأى إمرأة ذات حسن وجمال، [٨١٣] وهي متجردة، تغتسل في الغنتق، فهجم عليها، فهربت منه، فتبعها حتى بلغا إلى

---

[١] الشيخ مبارك بن عبدالله النزوي: من العلماء العاملين، الذين قامت عليهم دولة الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي، تولى القضاء في نزوى، وعرف بشدته في الحق، كان على خلاف مع العلامة سعيد بن أحمد الكندي حول تجنيد الإمام أحمد للرعية لمحاربة الخارجين على طاعته. انظر: الفارس، ناصر بن منصور: نزوى عبر الأيام معالم وأعلام، ص ١٨٥.

حجرة الوادي، فصاحت المرأة واغوثاه، فجرّد محمد بن إسماعيل سيفه، فضرب به عنق سليمان بن سليمان، فأبانه عن جسده، وأخبر أهل الحجرة بما صنعه بسليمان ابن سليمان، فأسرعوا في دفنه، واجتمعت رجال نزوى، فشكروا محمد بن إسماعيل، واتفقوا على نصبه، فنصبوه إماماً، وذلك في سنة ست وتسعمائة، كما ذكرنا أولاً، والله أعلم بالصواب.

[الإمام بركات بن محمد]:

ونصب ولده بركات بن محمد بن إسماعيل الإسماعيلي في، اليوم الذي مات فيه أبوه محمد، ثم لمّا كان يوم السبت، لعشر ليالٍ من المحرّم، سنة خمس وستين وتسعمائة، أخرج جبر بن محمد بن جفير بن علي بن هلال الجبري، بركات بن محمد بن إسماعيل من حصن بهلا، وذلك بعد أن دخل السلطان الأعظم، سلطان بن الحسن بن سليمان بن سليمان بن نبهان نزوى، وملكها، سنه أربع وستين بعد تسعمائة، وثبت حصن بهلا في يد محمد بن جفير، إلى أن اشتراه منه آل عمير بثلاثمائة لك، ودخل آل عمير الحصن، لتسع ليالٍ بقين من شهر جمادي الأخرى، سنة سبع وستين بعد تسعمائة، ولعل كان الإمام الفضيلي[1]، وهو عمر بن قاسم الفضيلي، في أيام بركات بن محمد بن إسماعيل، والله أعلم[2].

---

[1] عمر بن قاسم الفضيلي: إمام عاش في القرن العاشر الهجري، تولى حكم عمان عندما سخط أهلها على الإمام بركات بن محمد بن اسماعيل، فرضي الشيخ الفقيه أحمد بن مداد ومعه كثير من أهل عمان بإمامته، وبايعوه، دخل مدينة منح، ثم حصن بهلا سنة ٩٦٧ هـ، ولم يبق وقتاً طويلاً، إذ انقلب عليه أهل عمان، وبايعوا عبدالله بن محمد القرن إماماً لهم. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢٠.

[2] الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٧٠-٤٧١.

[الإمام عبدالله بن محمد القرن]:

ثم نصب الإمام عبدالله بن محمد القرن في منح يوم الجمعة لخمسة عشر يوماً خلت من شهر رجب، سنه سبع وستين وتسعمائة، ونسب عبدالله بن محمد القرن هذا، من آل أو يس القرني الزاهد المشهور(١) يمني النسب. ودخل عبدالله بن محمد القرني حصن بهلا يوم الاثنين لليلتين بقيتا من هذا الشهر، من هذه السنة، ثم لمّا كان ليلة الأربعاء، لثلاث ليال بقين من شهر رمضان، سنه ثماني وستين بعد تسعمائة سنه، دخل بركات بن محمد بن إسماعيل حصن بهلا، وأخرجوا منه عبدالله بن محمد القرن، وكان الشيخ الفقيه أحمد بن مداد(٢) يبرأ من محمد بن إسماعيل وولده بركات ابن محمد، فقال في سيرته: فمن ديننا الذي ندين به لله، البراءة من إسماعيل، بجبايته الزكاة من رعيته بالجبر من غير حماية لهم، ومنع من الجور والظلم، لأنه جاء في آثار المسلمين المشهورة عنهم الصحيحة، ومن دين المسلمين أن لا يجبوا

---

(١) أويس القرني: القدوة الزاهد، سيّد التابعين في زمانه، أبو عمرو، أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني المرادي اليماني. وفد على عمر، وروى قليلاً عنه وعن علي. روى عنه يسير بن عمرو، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبو عبد رب الدمشقي وغيرهم، حكايات يسيرة، ما روى شيئاً مسنداً، ولا تهيأ أن يحكم عليه بلين، وقد كان من أولياء الله المتقين، ومن عباده المخلصين. انظر الترجمة الكاملة في: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ١٩-٣٤.

(٢) الشيخ أحمد بن مداد: العلامة الفقيه، العارف النحرير أحمد بن مداد بن محمد الناعبي العقري النزوي، أحد أقطاب العلم والعمل بنزوى، من ذرية آل مداد، الذين طبق الأرض صيتهم، واشتهروا بالعلم والفضل، فكانوا قادة للمسلمين، وحماة للدين، وسعاة لمرضاة رب العالمين. وللشيخ أحمد رأي في إمامة بركات بن محمد بن اسماعيل، فهو ومن معه من الفقهاء يبرأون من بركات بحجة أنه لم يحم الديار، وعلى هذا ليس له أخذ الصدقة من الناس. انظر: الفارسي، ناصر ابن منصور: نزوى عبر الأيام، معالم وأعلام، ص ١٤٥ – ١٤٦.

جزية، ولا صدقة، حتى يكونوا على الناس حكاماً ويمنعوا من جبـوا مـن الظلـم والعدوان، ومن دين المسلمين، أن لا يجبوا أرضاً لم يحموها ولا يمنعوها، وقـال محمد بن محبوب: إنه ليس لإمام أن يجبي قوماً ولا يأخذ صدقاتهم، وهو لا يمنعهم من أن يُجار عليهم، فإذا فعل ذلك، فقد جار عليهم، ولا فرق بينه وبين أهل الجور الذين يأخذون منهم، وليس للإمام أن يأخذ من هؤلاء شيئاً، ولا يعقد عليهم لـوال ولاية بلا حماية لهم، ويمنع ومن دين المسلمين، أن لا يجتمع خراج و زكـاة فـي رعيه واحدة، وندين لله عزّوجل بالبراءة من محمد بن إسماعيل، بجبـره الرعيـة [٨١٤] على شراء الزكاة من ثمرة النخيل، بما يقومه عماله من الـدنانير، وأخـذه لتلك القيمة بالجبر منهم، لأن الجبر من الإمام على شراء الزكاه من الحب والتمر، قبل قبضها، وبعد قبضها، لايجوز في دين المسلمين، إذ الجبر على الـشراء فـي الأملاك، لا يجوز بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وكذلك لا يجوز البيع، إلاّ فـي حال الحكرة والضرر، والإمتناع من البائع عن تسليم حق واجـب عليـه تـسليمه لغيره، وليس في هذا اختلاف بالرأي، وندين الله عز وجل بالبراءة من محمد بـن إسماعيل، بجبايته المعاشير غير الزكاة، دنانير بقيمة ثمرة النخل، من أموال رعيته، بما يقومها أعوانه وعماله بالدنانير، بالجبر من رعيته اليتامى، والبالغين، والأرامل، وغيرهم لنفسه، وأعوانه، ولخطاره، وأضيافه، وأهله هدراً وفرضاً بالبينة، لأن الله قد حرم في كتابه أخذ أموال الناس وأكلها بالباطل، وحرمها رسـوله، صـلى الله عليه، وسلم في سنته، إلاَّ بحقها. وقال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد البسيوي[1]

[1] الشيخ أبو الحسن علي بن محمد البسيوي: الفقيه العلامة، الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن علي بـن محمد بن الحسن البسيوي الأزدي اليحمدي. من شيوخه العلامة أبو محمد بن بركة البهلوي، والعلامة محمد ابن أبي الحسن النزوي. له مؤلفات كثيرة منها: كتاب "الجامع" المسمى "جامع أبي الحسن، مطبوع في ثلاثـة أجزاء، وكتاب "المختصر" المعروف بـ "مختصر البسيوي" مطبوع أيضاً. انظـر الترجمـة الكاملـة فـي البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج ١، ص ٣٠٠- ٣١٩.

إذا سئل عن الأموال ما يُحل منها وما يحَّرم، فقال: إن الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده، وقد جعل الله الأموال مقسمة على خلقه، وملك من ذلك ما شاء، وحرم على عباده منها ما شاء، وقد قال الله في كتابه ﴿لا تظلمون ولا تظلمون﴾[1]، فحرم الظم كله والأموال كلها، إلاَّ من وجه مااتفق عليه أنه حلال من أموال المسلمين. وندين لله عز وجل بالبراءة من محمد بن إسماعيل بجبايته للخراج والكره للجبارين من أموال رعيته على الخوف وخشيته الظلم على دولته ونفسه ورعيته، لأن ذلك الخراج والكسرة، هو إثم وعدوان، وقد حرّم الله التعاون على الإثم والعدوان. وقال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[2]، وحرّم الركون إلى الظلم، وطاعة الإثم والكافر، وقد نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن معونه الظلَمَة، وأوعدهم النار، فقال: يحشر الظلمة وأعوانهم ومن أعانهم ببري قلم أو مدّه مداد، فمأواه النار، والله لا يحب الظالمين. وقال: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وقد أجمعت الأمة أن الذي يطلبه الجبار وأهل البغي وغيرهم من الناس بالجبر على الخوف منهم على نفسه وماله، وعلى الخوف على الناس، وعلى أموالهم، من إمام أو غيره، فقد أعان على الإثم والعدوان، وأطاع الإثم على إثمه، والكافر على كفره، وقد عصى الله ورسوله بفعله هذا، وقد استحق الخلع والبراءة في دين المسلمين، وقد جاء في الآثار الصحيحة عن المسلمين: إذا دخل الظالم البلد، وخاف أهلها اغتصابه وظلمه، فغير جائز أن يأخذ من مال اليتيم والغائب والحاضر، ويدفع به الظالم، قبل وقوع ظلمه، لأن الله قادر أن يدفع ذلك بأسرع من طرفة العين، ويمنع من وصول الظالم، وقد أجتمع الخراج للجبابرة، والزكاة في رعية واحدة، عند محمد بن إسماعيل، وقد ضلّ وكفر محمد بن إسماعيل بأخذه أموال الناس [٨١٥] واليتامى والأرامل والمساجد لنفسه وأعوانه

---

[1] سورة البقرة، الآية ٢٧٩.
[2] سورة المائدة، الآية ٢.

وعياله وخطاره وأضيافة، وللجبابره على الخوف، وخشية الظلم، وخالف بأفعالــه هذه كتاب الله وسنة رسوله ودين المسلمين، وصاربأفعاله هذه فاسقاً ظالماً منافقــاً ضالاً مبتدعاً كافراً كفر نعمة، لأنه قد حكم بغير ما أنزل الله، وقــال فــي ســيرته أيضاً: وندين لله بالبراءة من ولده بركات بن محمد بن إسماعيل لجبايتــه الزكــاة، لأبيه محمد بن إسماعيل من الناس بالجبر، ودخوله في طاعته وتصويبه إياه علــى بدعته هذه وضلالته، فصار بركات بن محمد بن إسماعيل، بولايته لأبيه، وتصويبه إياه في أخذه أموال الناس بالباطل والعدوان،لأن من تولى فاسقاً، فهو فاسق مبتــدع مثله، وكذلك ندين لله تعالى بالبراءة من بركات بن محمد بن إســماعيل، بولايتــه لأبيه، وتصويبه إياه في أخذ أموال الناس بالباطل والعدوان، لأن من تولى فاســقاً، فهو مبتدع مثله، وكذلك ندين لله تعالى بالبراءة من عبدالله بن عمر بــن زيــاد[١]، ومحمد بن أحمد بن غسان[٢]، لولايتهما لمحمد بن إسماعيل، و ولده بركــات بــن محمد بن إسماعيل، وتصويبهما إياهما لبدعتهما وضلالتهما، ودخولهما في طاعتــه على فسقه وظلمه وبدعته وضلالته، التي ذكرتهما في هذه السيرة، من غير توبــة تصح منه معهما، ندين لله تعالى بالبراءة من بركات بن محمد بن إسماعيل بتسميته الإمامة، وبإدعائه أن إمامته ثابته على الناس، وأن له الطاعة على الناس، وبجبايته الزكاة بالجبر من الناس، لأن بركات بن محمد بن إســماعيل لــيس بــولي عــدل

---

[١] عبد الله بن عمربن زياد: عبد الله بن عمر بن زياد بن أحمد الشقصي البهلوي، شيخ، فقيــه، شاعر، من أهل بهلا، عاش في القرن الثامن الهجري، وعاصر الإمام محمد بن اسماعيل، كــان واسع المعرفة، طليق اللسان، من شعره قصيدة مخمسة في سيرة الرسول صلى الله عليه وســلم والخلفاء أهل الإستقامة وعلماء عمان، وقصيدة في أحكام الطرق والتحريم، وله رثاء في عمــار ابن ياسر والمرداس بن حدير. انظر دليل أعلام عمان، ص ١١٤.

[٢] محمد بن أحمد بن غسان: عالم، فقيه، شيخ جليل، عاش في القرن العاشر الهجري، كان مــن كبار العلماء في عهد الإمام محمد بن اسماعيل، وفي عهد ابنه بركات بن محمد بــن اســماعيل. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤٤.

عندالمسلمين، بل هو منافق فاسق ضال ظالم مبتدع، كافر كفر نعمة، متّخذ دين الضلال، لا تجوز له الإمامة، وإمامته فاسدة من أصلها وفرعها بالكتاب والسنّه، وإجماع الأمة من أهل الإستقامة، ثم إن بركات بن محمد بن إسماعيل لم يقنع بفساد إمامته وازداد فسقاً فوق فسقة، وظلماً فوق ظلمه، وكفراً فوق كفره، باستحلال ما حرّم الله في كتابه، ورسوله في سنته، ودين أهل الإستقامه من أمته، لأنه أخذ أموال رعيته البالغين واليتامى والأرامل والمساجد، وجباها أعشاراً هدراً وقرضاً بالنيّه بالجبر والإكراه، زيادة فوق الزكاة لنفسه وعياله وأعوانه وللجبابرة على خوف وخشية الظلم، واقتدى بفعل أبيه محمد بن إسماعيل، وقلّده وقلّد من أفتى أباه من العلماء المتأخرين، قياساً ونظراً منهم على الصلاح وعلى نظر منهم على الصلاح وعلى قياس السفينة، إذا ضربها النخر في البحر، فخالف هو ومن أفتى باجازة ذلك كتاب الله وسنه رسوله، ودين المسلمين من أهل الإستقامه، وقاس هو ومن أفتى بذلك من العلماء المتأخرين في موضع النص والدين، كما قاس إبليس، لعنه الله، عند وجود النص والدين، فخالف بقوله هذا حكم كتاب الله وسنه رسوله، بفعله ذلك بالكفر والفسق والظلم، لقوله عزّوجل ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾[1]. الكافرون والظالمون كذلك محمد بن إسماعيل وولده بركات، قلّدا في دينهما، من أفتى بإجازة أخذ أموال الناس التي حرمها الله في كتابه، وفي سنه رسوله، وفي دين أهل الإستقامة من أمته فضلاً، وأضلا من اتبعهما وصوّبهما على ذلك وتولاّهما بالدين، لأن التقليد في الدين حرام لا يجوز [٨١٦] في دين الله، ومن ديننا البراءة من بركات بن محمد بن إسماعيل، بزيادته جنائر في أواد أفلاج رعيته، وقعده لتلك الجنائر المزادة بالجبر، وإنفاقه من ذلك على أعوانه وللجبابرة من أهل البغي، كما صالحهم على خوفه منهم على نفسه ودولته، وعلى رعيته

---

[1] سورة المائدة، الآية ٤٧.

وأموالهم باقتدائه بأفعال أبيه المذكورة في هذه السيرة، وتقليده إياه ومن أفتاه باجازة ذلك، لأن ذلك كله محرّم لا يجوز بالكتاب والسنه وإجماع الأمة، وأفعال محمد بن إسماعيل وبركات بن محمد بن إسماعيل وأحداثهما التي ذكرتها في هذه السيرة، شاهرة ظاهرة، لا ينكرها فاعلها بركات ووالده، ولا غيرهما من رعيتهما وأعوانهما، يشهد بذلك الخاص والعام والبدو والحضر من أهل عمان، وربما شهر ذلك في بعض الأمصار من غير عمان و ربما شهر ذلك عند مخالفينا و قومنا فتعجبوا من هذه الأفعال التي فعلها بركات بن محمد، وطعنوا في المذهب الإباضي من أفعاله هذه على ما ظهر عندنا وبلغنا، وفاعل هذه الأفعال يستحق الطعن والإنكار، إذ هي مخالفة لدين الملك الجبار، ولا يفعلها ويعتقدها صواباً، إلاّ مفسد في الأرض جبّار، وقد دان المسلمون من أهل الإستقامة بتخطئة من عمل بها من إمام أو عالم أو فاجر ختار، وأقاموا على ذلك الحجج من الكتاب والسنة، وإجماع العلماء الأبرار، وبركات بن محمد بن إسماعيل ووالده يكفيهما من الضلال والبدع بدعة واحدة، فأول بدعهما الخرص في ثمرة النخل وحكمها بما يقومه الخراص بالجبر على رعيتهما بعشر ذلك الخرص، ولو ذهبت تلك الثمار بريحٍ أو مطر أو جراد، البدعه الثانية: منهما تقويمهم ذلك الخرص بدنانير بما يقومه عمالهما وأعوانهما وحكمهما بالجبر على الرعية بتسليم تلك القيمة على سبيل بيع الزكاه قبل قبضهما بالجبر والإكراه على الشراء من البيع. البدعة الثالثة: أخذهما عشر الحبوب فيها الزكاه من الزجر والنهر غير الزكاة بالحب من عند الأيتام والأرامل ومن كره من البالغين هدراً لا قرضاً، وأخذهما عشر الحبوب التي يباح فيها نصاب الزكاة من الفلج والزجر، ولو مكوك حب، فخالفا بذلك سنه الرسول، عليه السلام، وإجماع الأمة من أهل الإستقامة، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: (ليس في مادون خمسة أوسق صدقة)، والوسق: ستون صاعاً، فذلك ثلاثمائة صاع: البدعة الرابعة: أخذهما

من أموال الرعية عشر القت والقصب وجميع الخضرة بالجبر والإكـراه، فخالفـا بذلك إجماع الأمة. البدعة الخامسة: أخذهما قيمة أموال الرعية، وأكثرها دنانير، بما يقومة عمالهما وأعوانهما. البدعة السادسة: اجتماع الخراج للجبابرة، وأخذ الزكـاة منهما من أموال رعيتهما ، فإن حكم كتاب الله و سنة رسوله و دين المسلمين بالحق و الهدى لنا وباجازة الإمامة للإمام العدل الولي عمر بن قاسم الفضيلي، أيـده الله [٨١٧]، فنحن راضون بحكم الله، واتبعوا في الحكم بيننا وبين بركـات كتـاب الله وسنه رسوله ودين المسلمين، ولا تقلدونا، ولا تقلدوا بركات بن محمد بن إسماعيل، ولا أحداً من المسلمين من العلماء الأولين والآخرين في الدين، لأن التقليد في الدين حرام، لا يجوز في دين الله ودين المسلمين، قال صاحب كتاب كشف الغمة: فهذا ما اختصرته من سيرة الشيخ أحمد بن مداد، يدل أن إمامة عمر بن قاسـم الفـضيلي، وقعت على إمامة بركات بن محمد بن إسماعيل، والله أعلم وبه التوفيق(١).

ذكر الملوك المتأخرين من النباهنه وغيرهم إلى ظهور الإمـام العـادل ناصر بن مرشد ، رحمه الله:

إعلم أن قوة ملك بني نبهان العمانيين الأولين بعمان كانت في السنة الخمسمائة من الهجرة النبوية، ولم أجد لهم تاريخاً يشتمل على كوائنهم البسيطة ، لإغفال علمـاء السير والمؤرخين من أهل عمان الأبرار كوائنهم ومجرياتهم، وإهمالهم لكوائنهم و مجرياتهم في أيام دولتهم من الخلط مرتبة سامكة من مراتبهم السامكة، لأن سـفور الكوائن في التواريخ، تظهر محاسن المناقب، وتراقم بأنوارهـا وجـوه المناسـب والمناصب.

---

(١) الأزكوي، سعيد بن سرحان: المصدر نفسه، ص ٤٧١ – ٤٧٤.

وأما ملوك بني نبهان الآخرين العمانيين، فقد أبرزت سيرهم وكوائنهم أهل العلم بالسير، من أهل عمان، وكان ابتداء شأن دولتهم في سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية، وكان شاعرهم الشيخ الأديب موسى بن حسين المحلياي، ومحليا: هي بلدة صغيرة في وادي عندام من عمان وعلى الإطلاق إن الشيخ الأديب أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي، أشعر من الشيخ موسى بن حسين، ويده في الشعر أطول من يد الشيخ موسى بن حسين، فإن الشيخ أحمد بن سعيد الستالي كان فريد عصره، وقطب مصره وغير مصره في الشعر، ولا أعلم أن شاعراً كان أشعر منه بعمان، إلى هذه الغاية، وأما الشيخ موسى بن حسين مشربه في الشعر، مشرب الشيخ الأديب علي بن هتيمل في الرقة، وحسن صيغة الكلام، وديوانه وديوان الشيخ أبي بكر أحمد بن سعيد الستالي موجودان بعمان وغيرها من البلدان، واختلفوا[1] في الشيخ أبي بكر أحمد بن سعيد الستالي أهل عمان، فمنهم من زعم أنه خروصي النسب، وبلدته ستال وهي بلدة من بلدان بني خروص، أهل وادي العليا، ويحكى عنه أنه قبل أن ينظم القصيدة التي مدح بها السلطان المعظّم، أبا العرب يعرب بن عمر، وهي القصيدة البائية التي هنأه بها بعيد الأضحى، سنة أربعمائة وتسعين سنة من الهجرة، لقد بعث السلطان المعظم أبو العرب إلى الشيخ أحمد بن سعيد الستالي ألف دينار، وثياباً فاخرة له ولأهل بيته، ففصّل من تلك الثياب قميصاً لابنة الشاعر أحمد المذكور، فلما كان يوم العيد، مضت إلى بيت الإمارة لتعيّد على السلطان، وجلست حذا ابنته، بعدما سلّمت عليها، وكانت نسما بنت الشيخ أحمد تسمى ابنة الشاعر حسنا، فلما خرجتا إلى المصلى لاستماع الخطبة، مسكت ذيل قميص ابنة الشاعر شجرة صغيرة ذات شوك عظيم، فجذبت القميص جذباً مفرطاً،

---

[1] وهذه لغة تتكرر عند المؤلف في عددٍ من المواضع

حتى انشق أكثر القميص من تلك الجذبة، فالتفتت إليها ابنة السلطان، فقالت لها لمّا نظرت انشقاق ذيل قميصها: لو كان أبوك اشترى هذا القميص لما صنعتي به هذا الصنع، [٨١٨] فأخجلتها بذلك الكلام، ولم تحر ابنة الشاعر لها جواباً، فلما انقضت الصلاة والخطبة، ورجعتا، سبقتها ابنة الشاعر إلى بيت الإمارة، ورجعت هي إلى بيت أبيها، وقعدت بين يدي أبيها مطرقة رأسها إلى الأرض، فقال لها أبوها: ما ورائك يا بنيّة ؟ فأخبرته الخبر، فقال لها: ارجعي إليها، وقولي لها إن أباك كسانا حلّة تبلى، وكسوناه حُللاً لا تبلى، فالفضل لنا عليكم، فرجعت، وقالت لها مثل ما قال أبوها، ورجعت مسرعة إلى بيت أبيها، فدخلت ابنة السلطان على أبيها مغضبة، وأخبرته بما قالت ابنة الشاعر لها، فقال لها: لقد صدقت في كلامها هذا يا بنية، فإن الفضل لهم علينا، لقد كسانا أبوها حُللاً لا تبلى، وكسوناه حُلّة تبلى، فليتك ما قلت لها ما قلت، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. ويحكى أن رجلاً من أهل العراق وفد على السلطان أبي العرب يعرب بن عمر هذا وأهدى إليه فرساً رائعاً، جميل الصورة، سريع الركض، وزعم أنه قاد إليه فرساً غيره، وهو مثله في الصورة وسرعة الركض، فمات في الطريق، و أعطاه عن الفرس الذي وافاه به عشرين ألف دينار، و أعطاه عن الفرس الذي زعم أنه مات في الطريق عشرين ألف دينار، وبعث له بحلل خطيرة سنية، وكان يعرب هذا رجلاً جواداً مشهوراً بالكرم والشجاعة، محباً لأهل الشعر، يجيز من وافاه بالمدح إجازة جميلة، مكرماً للضيف، ولمن يعطي مثله حق السيف يوم الطعن بالرمح والضرب بالسيف، منجزاً للوعد، صادق القول، والقصيدة التي مدحه بها أبو بكر الشيخ أحمد بن سعيد الستالي مطلعها:

كبرتُ والبيض واللذات من أربي حتى كأني لم أكبر ولم أشبِ[١]

وفيها يقول:

يهنيك يعرب أخبار مؤثرة محفوظة لك في الألباب والكتبِ

فهن أحسن مذكور ومستمع بين المشاهد من شعر ومن خُطبِ[٢]

وقد مدح الشيخ أبو بكر أحمد بن سعيد المذكور السلطان المعظم أبا محمد نبهان بن ذهل بن عمر بن نبهان بن عثمان النبهاني بقصيدة همزية، وهنأه بها بتزويج ابنة السلطان أبي العرب بلعرب بن عمر بن نبهان، وقد مهرها بأربعة آلاف دينار، فضلاً عن الثياب الخطيرة والذهب الثمين، ومطلع هذه القصيدة:

هل أنجزت لك وعد الوصل أسماء أم شان موعودها مطل وإنساء[٣]

فحكي عنه أنه أجازه أبو محمد نبهان بن ذهل عنها بثلاثة آلاف درهم، وقد مدح أيضاًالسلطان المعظم ذهل بن عمر، وهنأه بعيد الفطر فيها، ومطلع هذه القصيدة:

زمن الصّبى وملاعب الخلطاءِ بعثا قديم صبابتي وبكائي[٤]

فحكي عنه أنه قد أجازه منها بثلاثة آلاف درهم، وحكي عنه أنه لما مدح السلطان المعظم أبا القاسم علي بن عمر بن محمد بن عمر النبهاني بهذه القصيدة، ومطلعها شعراً:

---

[١] انظر: ديوان الستالي، ص ٢٦.

[٢] المصدر نفسه، ص ٣١.

[٣] المصدر نفسه، ص ١.

[٤] المصدر نفسه، ص ٦.

تحيّرتُ في تقليب أمرك يا قلبُ   وخاطبت تياهاً لقد عظم الخطب[1]

قال له: إن شاء الله، لا يعظم خطبك، ووصله بمالٍ جزيل. ولمّـــا مـــدح الــسلطان يعرب بن عمر بن نبهان بهذه القصيدة:

يا مجلس الأنس واللذات والطرب   لا زلت في العزّ مغموراً مدا الحقب[2]

بعث إليه بمال جزيل، وثياباً فاخرة، وركوباً رائعاً، وكان أخصّ ممّا مدح به الشيخ الأديب [٨١٩] أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي من بني نبهان أبا عبدالله محمد، وأبا الحسين أحمد، وأبا محمد نبهان، وأبا عمر معمّر، وأبا القاسم علـــي ذهــل، وأبـــا العرب يعرب، وأبا إسحاق إبراهيم بن أبي المعمرعمر بن محمد بن عمر بن نبهان. ومن أولادهم أبا عبدالله محمد بن عمر أبا المعالي كهلان بن محمد، وأبـــا عبـــدالله محمد بن أحمد بن عمر، وأبا محمد بن نبهان بن ذهل، وأخذ جوائزهم السنية، ونفق شعره في سوق كرمهم المشهور، ولمّا مدح السلطان أبا عبدالله محمد ابـــن عمـــر، وعزّاه في والدته سعادة، وذلك في سنه ست وخمسمائة، بعث إليـــه بثلاثـــة آلاف درهم، وركوب رائع، ومطلع هذه القصيدة:

ألـــم تعلـــم بمـــن تقـــع الخطـــوب   وهل تدري النوايـــب مـــن تنـــوبُ
بلـــى وكأنمـــا الأحـــداث تغـــشى   أخلتنـــــا وأفـــــضلنا تـــــصوبُ
خطوب في الصّعاب أشـــدّ نكـــراً   وفي الأشـــراف موقعهـــا غريـــبُ

[1] المصدر نفسه، ص ١١.
[2] المصدر نفسه، ص ٢٣.

وفقـــدان العزيـــز أشـــد خطبـــاً　　　وفوت المعجبات هــو العجيــب[1]

وهي قصيدة طويلة، أجاد فيها وأحسن. ولمّا مدح السلطان المعظم محمد بن عبدالله الريّس، سخط عليه السلطان المعظم نبهان بن عمر بن محمد بن نبهان النبهـــاني، فقال له: لِمَ تصرف المدح إلى غيرنا؟ ألم نكافئك عليه؟ ألم نعطيك ما يكفيك؟ فطلب الشيخ أحمد منه الإقالة والمسامحة، فأقاله وسامحه. ومطلع القصيدة التي مدح بهـــا محمد بن عبدالله الريّس شعراً:

يا مزنة الصيف من دّر الحيا صوبي　　　بواكفِ القطر منهلّ الشآبيب[2]

ومضيت ذات يوم من الأيام في سنة إثنين وخمسين ومائتين وألف، إلى مجلس من مجالس أهل الأدب بمسقط حرسها الله، فلما وافيت رحّبت بي أهله، وكان فيهم شيخاً أديباً قد أحنى الدهر صعدته، وأبدى من الكبر عدته، فقال له بعض أولئك الأدبـــاء: أيها الشيخ، إن هذا أديباً من أدباء أهل عمان، ينظم الأشعار، ويحب الأدباء الأخيار، فقال له: لعلّه ابن رزيق ؟ فقال له: أجل، فأقبل علّي باحتشام وابتسام، وقـــال لـــي: أيها الأديب، أسمعني شيئاً من شعرك، فقلت له: أيها الشيخ، تسمع بالمعيدي خيـــراً من أن تراه، فقال: لا والله ما أنت الذي يقال فيه هذا، فأنشدته أبيات نظمتها ســـابقاً في وصف حمامة مغرّدة على فننٍ شعراً:

أتـــرى تبكـــي علـــى فـــننٍ　　　لخلـــيط شخـــصُهُ شـــحطا

بخلـــت بالـــدمع والتبـــريحُ　　　عليهـــا بـــالغرام ســـطا

---

[1] المصدر نفسه، ص٣٧.

[2] المصدر نفسه، ص٤٧.

سـألوها عـن قـضيّتها إن جهلـتم حـدّها الوسـطا
قاتـل الله الغـرام امـا تخّطـا العاشـقين خُطـا
كلـف الأطيـار والتكليـف عـن الأطيـار قـد سـقطا
فغـدت تبكـي علـى شـجنٍ شـجو عمـدٍ لـم يكـن غلطـا
واسـتقلت فـوق مورقـة عودهـا لبكائهـا انبـسطا [٨٢٠]
لـو تراهـا وهـي نايحـة والجـوى يبتّزهـا فرطـا
لقليـت الذائـدين لهـا أبـداً مـن وجـدها سـخطا[1]

فقال لي: يا نظير ابن هاني، زدني من مقاطيع مشربك العماني، فأنشدته في وصف سحابة ذارفة مدامعها الوسمية:

هل شمت سارية والـريح تبـسطها إلى طلول بـشرق الـسقط مـسقطها
نعم لقد ألبـست خـضراء سندسـة فالبرق من ضـوئه وهنـاً يـسمطّها
فلا تزال إلى سقيا قـرىً قبـضت وللحيـاة يـد الأقـدار تبـسطها
حتـى إذا لحظـت قفـراء مهملـة وقـد تأيـت دمـوع المـزن تنقهـا
جادت عليها بدمع مـن محاجرهـا لّمـا رأت أن شـح الـدمع يـسخطها
فأصبحت وهـي منها روضة أُنـفٌ وقد زهـت بـسطة منهـا بـسايطها
والعيش للناس بالأيناس فـي وسـط وإنمـا أحـسن الأشـياء أو سـطها[2]

فقال: هل قلت شيئا في الرعد والبرق والمطر؟ قلت: أجل. فقال: أنشدني، فأنشدته:

---

(1) ابن رزيق حميد بن محمد: سبائك اللجين، مخطوط في مكتبة وزارة التراث والثقافة،ص٣٨٢.
(2) المصدر نفسه، ص ٣٨٠.

ألا هل بجدب الأرض ذا الجوّ يسخط ... وإن كــان منهــا بالمحلّــة يــشحط
فمــا بالـــه تــنقض منـــه رواعـــد ... بزمجرة كادت علـــى الأرض تــسقط
يظل لخصب الأرض يقري صحايفاً ... علانيـــة فـــي نـــصّه لـــيس يغلـــط
أتلـــك تهاطيـــل تـــرى أم عـــزايم ... بها تنتــشي الــسّحب الثقــال وتنــشط
رضاً لسقي الأرض يتلـــوا رياضـــه ... بساط الدجى يطـــوى إليهـــا ويبـــسط
بها انجلبت ســـود الغمـــايم خــشيةً ... فمـــدمعها صـــحف البـــسيطة يـــنقطُ
إذا أفرط الجدب البذيء انبـــرى لـــه ... بزمجرةٍ من هولهـــا الخـــصب يفـــرطُ
نما برّه بـــراً وبحـــراً ولـــم يـــزل ... على الجدب فهـــو الأريحـــيُّ المـــسلّط
ولا زال يجدي كل مثـــر ومتـــربٍ ... وكل فتـــى مـــن رحمـــة الله يقـــنط[١]

فقال لي: لا غرو هذا منكم يا أهل عمان، إذ منكم الشيخ أبو بكر أحمد بـــن ســـعيد الستالي، لا يختلف في ذلك إثنان، فقلت له: يا شيخ أين دارك التي ضـــربت فيهـــا خيامك، وأطلت بها مقامك، فقال: الحسا، فإن كنت لم ترها فعسى، فقلت له أعندكم شيء من نظم الستالي ؟ فقال: أجل، وإنه في نظم القريض لذو معالي، وعندنا من أشعارك كثير، و لا ينبيك مثل خبير، ثم ودعت الشيخ ومـــن معـــه مـــن الأدبـــاء الأفاضل، ورجعت إلى منزلي بوافر السرور الكامل، وبالجملة. إن الشيخ أبا بكـــر الستالي الأديب طبقة والمدح من الناس إليه شن وطبقة، وإن بني نبهان، أهل ذلـــك الزمان، لهم في الكرم انسجام، لا تناظرهم فيه الغمام.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٨١.

وأما ملوك بني نبهان الآخرين، فمن دونهم في البذل والقوة، وإن وصفهم الوصف في السخاء والمرؤة، ولكل زمان رجال. وبغير مرية، إن الشيخ موسى بن حسين، لقد أخذ جوائزهم، وركز أعلام مرامه في مراكزهم. قال صاحب كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة وغيره: إنه لمّا مات السلطان [٨٢١] سلطان بن المحسن النبهاني، وكان موته ليلة الإثنين لا ثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة سنة، ترك ثلاثة أولاد وهم: طهميا و قيل : طياقز بن سلطان، وسلطان ابن سلطان، ومظفر بن سلطان، وكان المظفر هو المتقدم عليهم في الملك، وكان موته ليلة السبت من شهر محرم، سنة ست وتسعين سنة وتسعمائة سنة، وترك ولده سليمان صغيراً، لا يقوم برئاسة الملك، وكان أبوه فلاح بن محسن[1] مالكاً في حصن مقنيات، فلما علم بموت مظفر جاء إلى بهلا، وأقام مكانه، وعَدَل في ملكه[2].

قلتُ: وكان الفلاح بن المحسن هذا رجلاً كريماً، وملكاً مهيباً مشهوراً بالهيبة وأريحية الكرم، فوفد عليه ذات يوم رجل من أهل العراق راكباً على فرس رائع، وكان الفلاح يومئذ بحصن مقنيات من الظاهرة، وهو الحصن المسمى الأسود، فلما كان بمرأى منه، ربط فرسه، وأقبل على الفلاح، وهو بارز نحو الحصن، وقد أحاطت به قومه يميناً وشمالاً، فقال الرجل للفلاح بعدما سلّم وأثنى عليه: يامولانا،

---

(١) فلاح بن محسن: ملك من بني نبهان، عاش في القرن العاشر الهجري، كان مسكنه في مقنيات من أرض السر، بنى فيها حصن سماه الأسود، وهو حصن منيع، وهو الذي غرس شجرة الأمبا بمقنيات، فكثرت في عمان، ولما ذكر أنها شجرة طيبة، غرس في مقنيات منها شجراً كثيراً، ولما توفي الفلاح، تولى الحكم ولده عرار بن الفلاح بن المحسن، فحذا حذو أبيه في الكرم وحسن الخلق. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٢٩.

(٢) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٧٥.

أريد خيلاً لقتي، بل أريد قتاً لخيلي، فتلجلج لسانه من الهيبة، فقال الفلاح: يعطى فرساً وقتاً، ويعطى قتاً لفرسه، فلما انصرف الفلاح إلى حصنه، وانقضت برزته، قال رجل من أصحابه للرجل العراقي: أين فصاحتكم يا أهل العراق؟ فإنك قلت للملك أريد فرساً وقتاً، لا بل أريد قتا لخيلي، فقال له الرجل العراقي: ياهذا إن برزة الفلاح بن المحسن تخرس فيها الألسن، فلو برزت أنت أو برزت أمك وعمتك لما تلجلج لساني، ولا وقع علّى مثل هذا الغلط. فبينما هما كذلك إذ أقبل خادم من خدم الفلاح، يقود للرجل فرساً، ويحمل صرتان من القت، فقال للرجل العراقي: يسلم عليك الفلاح، ويقول لك تفضل بالقبول، فإن الفرس لك والقت لك. فشكر الرجل الفلاح وانصرف عنه جذيلاً بالحبوة.

وقيل: إن الفلاح هذا هو الذي غرس شجر الأمبا ببلدة مقنيات، وكان غير موجود بعمان، وذلك فيما حكي عنه، أنه تزوج امرأة أبوها من ملوك أهل الهند، فأسكنها حصن بلدة مقنيات، فلما استقرت قالت له: إن هذه الدار خير دار، لكن لا أرى فيها شجرة صفتها كذا، وثمرتها كذا، ولم يحك لذّة ثمرتها ثمرة شجرة، فبعث الفلاح في الحال رجالاً من أصحابه، وجهز لهم مركباً إلى الهند، فوافوه لمّا رجعوا من الهند بشجر كثير من الأمبا، فأمر بغرسه في مقنيات، وتتابعت الناس بغرس الأمبا في عمان، حتى كثر. وملك الفلاح بن المحسن سبع سنين، وعدل في الرعيّة، ومدحته الأدباء منهم موسى بن حسين، فلما مات ملك من بعده سليمان بن مظفر، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، واستولى على الأمر في عمان ونواحيها، وأخذ خراج أهلها من الطائع والعاصي والداني والقاصي، وحاربه أهل نزوى، وكان معهم رجل جبري يقال له محمد بن جفير، وعنده جيش عظيم، فطلع إليه سليمان بن مظفر، وعرار

ابن فلاح، وعندهما ناصر بن قطن[1]، ومن معهم من العساكر، فلما التقواهم ومحمد ابن جفير استقام بينهم الحرب والقتل، فقتل محمد بن جفير، وانكسر قومه، وكان ناصر بن قطن منتظراً الأمر بينهم، فنادى بالكف بين القوم عن زيادة القتل، وكان لمحمد بن جفير ولد صغير واسمه محمد بن محمد، وأمه بنت عمير بن عامر، فتزوجها سليمان بن مظفر بعدما قتل زوجها، فركن إليها بالبادية، فكان بالشتاء ينزل ببادية الشمال، ويترك ابن عمه عرار بن فلاح ببهلا، وإذا جاء الصيف رجع إلى بهلا، وكان مهنا بن محمد الهديفي[2] مالكاً بلد صحار، فسمع أن العجم متأهبون إليه فأرسل إلى سليمان [٨٢٢] بن مظفر لينصره عليهم، فلبّى دعوته، وأطاع كلمته، فخرج إليه بمن عنده من العسكر، وتكاملت القوم بصحار، ووصلت إليهم العجم من البحر، فاستقام بينهم القتال وعظم النزال، وارتفع العجاج، وأظلم الفجاج، فانكسر العجم، وقتل منهم من شاء الله، ورجع سليمان بن مظفر إلى داره بهلا، وعنده بنو عمه و هم عشرة، عرار و نبهان، ومخزوم، وبعضهم من أولاد فلاح بن المحسن، وكان المقدم عليهم عرار، وأمّا أخوه نبهان، فلا يملك رأياً دون رأي

---

[1] ناصر بن قطن: ناصر بن ناصر بن قطن، أحد زعماء آل قطن، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد قادة الجيش الذي توجه لمحاربة نبهان فلاح في ينقل، وإخراجه منها، تغلب على ينقل، وتحصن فيها ضد الإمام ناصر بن مرشد، فتوجه له الإمام على رأس جيش وانتصر عليه وأخرجه من ينقل، وظل على ظلمه وبغيه، ينهب، ويسلب، ويقطع الطريق، حتى سيّر له الإمام جيشاً في شمال عمان، هزمه شرّ هزيمه، فهرب. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٦١.

[2] مهنا بن محمد الهديفي: كان والياً على صحار، استنجد بسليمان بن مظفر، عندما علم بقدوم العجم إلى صحار، فلبى سليمان نداءه بجيش جرار، فنشبت الحرب بين الفريقين، ودارت الدائرة على الفرس. انظر: دليل أعلام عمان ص ١٥٥.

أخيه، وكان لعرار بن فلاح ملك الظاهرة، وأعطى سليمان بن مظفر مخزوماً ينقل، فبقوا عنده تسعة، أحدهم حمير بن حافظ بن حمير بعد رجوعهم إلى بهلا بسنه، وبقي معه من بني عمير اثنان من العشرة، أحدهما مهنا بن محمد بن حافظ، وعلى بن ذهل بن محمد بن حافظ، وهم علي يدي سليمان بن مظفر، وكان لسليمان وزراء في القرية، وفي النزار من قرية إزكي، وفي سمد الشأن، وكانت سمد الشان لقبيلة الجهاضم، وكان جائراً وزيره عليهم، ففروا من شدة جوره وبطشه، وتفرقوا في البلدان مدة ثلاثين سنة، وهم يحتالون في دخولها والتوصل إليها. وكان بنو هناءة من أقرب الناس إلى سليمان بن مظفر، وكانوا أكثرهم عدداً وعدة وبأساً وشدة، وكان فيهما رجلان يليان أمرهما، وهما خلف بن أبي سعيد وسيف بن محمد بن أبي سعيد، وكان عندهم قدوة أهل زمانهم، وكان سبب الفرقة بينهم أن قبيلتين من أهل سيفم، أحدهما بنو معن، والأخرى بنو النير، وسبب ذلك أن امرأة من بني معن دخلت زرعاً لبني النير، تحشُ منه، فمرت عليها أمة رجل من بني النير، فقالت لها: اخرجي من زرع سيدي، فأبت، فوقع بينهما الجدال، فضربت الأمة المرأة الحرة، فأفقأت عينيها. وخرج ذات يوم جمل لبني النير، ودخل زرعاً لبني معن، فقطعت أذنه، فوقعت الفتنه بينهما، وهذا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل مبين، وأصل الفتنة كالنار اليسيرة تحرق الأشياء الكثيرة، فافترق عند ذلك القوم فرقتين: أما بنو معن و بنو شكيل، فهم مع سليمان بن مظفر، وبنو النير مع بني هناءة، فعند ذلك سار خلف بن أبي سعيد إلى داره دارسيت، وعنده بنو عمه، وكان سليمان بن مظفر يومئذ بالبادية، فعلم بذ لك، فأرسل الى وزيره محمد بن خنجر أن قل لخلف يترك شأن القوم، فأرسل إليه بالكف عن ذلك لغلب القوم على ذلك يريد الإصلاح

بين بني معن و بين بني النير، فأرسل الوزير إلى مولاه سليمان أن خلفا غلب على التكفية، فندب سليمان بن مظفر إلى الوزير من كدم، وكانت تلك الأموال للشيخ خلف بن أبي سعيد، فوقعت العداوه والبغضاء بينهما، فأمر عند ذلك الشيخ حلف بن أبي سعيد بني عمرأن اغزوا بهلا فغزوها، فقتلوا من قتلوا فيها [٨٢٣] فكتب الوزير محمد بن جنجر إلى سليمان بن مظفر. ما جرى في بهلا، فلما علم سليمان ذلك، قفل من الشمال إلى بهلا، وأراد الصلح بينه وبين بني هناءه، فلم يقع بينه وبينهم صلح، وهيأ كل واحد منهما الحرب لصاحبه، فجمع السلطان سليمان ما عنده من العسكر ليقاتل بني هناءة، فعلم بذ لك الشيخ خلف، فأرسل إلى الأميرعمير بن حمير ملك سمائل ينتصر به على سليمان بن مظفر، فأجابه إلى ذلك، وجاء بمن عنده من القوم من سمائل، فعلم بذلك سليمان بن مظفر، فسار بعسكره إلى غبرة بهلا، فالتقوا هو والأميرعمير بن حمير، فاستقام الحرب بينهما ساعة من النهار، وكانت الحرب بينهما سجالاً، ثم رجع سليمان إلى بهلا ، و رجع الأمير عمير إلى سمائل ،و ترك بعض قومه في دار سيت ، وكان الأمير عمير ذا خلق حسن واسع، فلما وصل إلى سمائل، أرسل إلى بني جهضم، وهم متفرقون في قرى وبلدان شتىّ، فأقبلوا إليه، فوقعت بينهم الإلفة وإثبات الصحبة، ثم أرسل إلى سلطان الرستاق، وهو مالك بن أبي العرب، ليصله إلى سمائل، فسار كذلك بن أبي العرب، وصحبة أبو الحسن علي بن قطن، فلما وصلا إلى سمائل، ساروا مع بني جهضم إلى سمد الشأن، وبنوا لهم بنياناً حول دارهم، وترك عندهم الأمير البعض من قومه، وترك لهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام، أو الشراب، وآلة الحرب، ورجع إلى سمائل. وأما بنو هناءة وسليمان بن مظفر، فإنهم لِمَ تنقطع بينهم الغزوات، ثم إن

الأميرعمير بن حمير والسلطان مالك بن أبي العرب، ساروا إلى نـزوى، وهمـا ينتظران الأمر، وكان لمالك بن أبي العرب وزير في عيني من الرستاق، فـدخل عليه أهل الدّار وأخرجوه منها، وجاء رجل من أهل عيني إلى سليمان بن مظفـر، يطلب منه النصر على الخصم، فأعانه ببعض قومه، وأرسل معه عرار بن فـلاح، فجاء الخبر إلى السلطان مالك بن أبي العرب، بما جرى في داره، فأراد المسير إلى داره، فقال له الأميرعمير بن حمير: قف معنا ولا تخـف، فهـذا مـن علامـات السرور، فقال: كيف ذلك، والعد وفي داري؟ فقال الأميرعمير: ذ لك عندي، وأنـا إن شاء الله من الغالبين. قال الله تعالى: ﴿فإن مع العـسر يـسرا إن مـع العـسر يسرا﴾[1]، وكما قال شعراً:[2]

إذا الحادثات بلغن المدى	وكادت تذوب لهن المهج
وحل البلاءُ وقل العزاء	فعند التناهي يكون الفرج[3]

ثم إن بني هناءة أرسلوا إلى الأميرعمير بن حمير أن إقبل إلينا بمن معك من القوم، لندخل بهم بهلا فسارهو ومن معه إلى بعض الطرق، فنظر إلـى قومـه، فاسـتقل عددهم، فرجع إلى نزوى، وكان بنو هناءة ينتظرونه في ليلة كانت بينهم للـدخول، فلم يصل إليهم، فسار إلى الشيخ سيف بن محمد من دارسيت إلى نزوى، وجـرى بينهم جدال كثير، من باب العتاب، فقال الأمير عمير بن حمير: خـذ مـن القـوم

---

(١) سورة الشرح، الآية ٥، ٦.

(٢) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٧٥ – ٤٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٧٧.

[٨٢٤] ما شئت، فأخذ من عنده قوماً كثيراً، وسار إلى دارسيت، والأمير عمير ينتظر الأمر بنزوى، فجاء الخبر إلى سليمان بن مظفر، أن القوم طلعوا من نزوى إلى دارسيت، فمنهم من يقول: إنهم قاصدون القرية، ومنهم من يقول: قاصدون سيفم، ومنهم من يقول: قاصدون بهلا، فقسم سليمان قومه، فجعل بعضا منهم في القرية، وبعضا في سيفم، وبنى بيتاً في رأس فلج الجزيين، مخافه أن يضربه القوم، وترك فيه قوماً، وقسم بقية القوم في بهلا، وترك في الخضراء جماعة من قومه، وكذلك ترك في حلة الغاف أحدا، وترك في الجامع من البلاد حمير بن حافظ ومن عنده من القوم، وقسم بقية قومه في العقر، وكان ابن عمه عرار بن فلاح ومن معه من القوم في عيني من الرستاق، فسار سيف بن محمد بقومه من دارسيت ليدخل بهم بهلا، وكان أول دخوله من جانب الغرب، فتسوّروا السور، ودخلوا البلاد، وكان منهم ضربة لازب، ولم يشعر بهم أحد، فقسم سيف قومه ثلاث فرق: فرقة باليمين، وفرقة بالشمال، وفرقة بالوجه، وهي التي تلي الجامع من البلاد، وأحكم أمره في الأماكن المختارة للقتال كمسجد الجامع ومسجد أبي عمر، وجميع أبواب العقر، فما بقي لسليمان بن مظفر شيء غير الحصن والخضراء، بعدما قتل من قتل من سادات قومه وفرسانه تلك الليلة، ونادى سيف بن محمد بالأمان في البلاد، وكان بعض أهل البلاد معه، وجاء الخبر إلى الأمير عمير بن حمير وهو في نزوى، إن قومك دخلوا بهلا، فركب عند ذلك هو والأمير سلطان بن محمد، والسلطان مالك بن أبي العرب، والمنصور بن قطن، وأهل نزوى، وركب خلف بن أبي سعيد الهنائي بمن معه من دارسيت من القوم ينظرون أصحابهم، وكان دخولهم ليلاً، ونزل الأميرعمير بحلة الغاف، وكانت الخضراء في ملك السلطان سليمان، وفيها

علي بن ذهل، وعنده قوم كثير، فأرسل إليهم الأمير عمير، ليخرجوا بما معهم من الزانة، فورد علي بن ذهل على قومه يحرضهم على القتال، فلم يجبه أحد، وعندوا على الخروج، ووصل الخبر إلى عرار بن فلاح، وهو في عيني من الرستاق، أن القوم دخلوا بهلا، فنهض من عيني بمن معه، ودخل القرية، وكانت القرية في ملكهم، وكان عمير وسيف لم يشاركهما أحد في البلاد، إلا الحصن، وهم به محدقون، وصنعوا في شجرة الصبار التي في السوق برجاً من خشب في أعلى رأسها بالليل، وقعد فيه رجل من الجهاضم، يقال له جمعة بن محمد المرهوب، فضرب رجلا من الحصن، كان خارجاً في القصبة إلى بيت الوزير، وعمل قوم الأمير عمير برجاً في الجامع، فضرب صاحب البرج رجلاً من الحصن من مبرز الغرفة من عسكر سليمان، ثم إن القوم قشعوا سور الحصن بالليل، فلما انهدم الجدار، علم بهم عسكر سليمان، فمنعوهم من الدخول، ثم إن العسكر طلبوا من سليمان الخروج من الحصن مخافة القتل، فأقاموا في الحصار ثلاثة عشر ليلة، ثم أذن لهم، فطلبوا من الأمير عمير أن يسيرهم، فسيرهم بما عندهم من الزانة، وسير معهم وزيره، ثم طلع سليمان بن مظفر هو وبنو عمه وعسكره مسيرين من بهلا إلى القرية، فخرج هو وعرار من القرية إلى الظاهرة، فأمر بعد ذلك الأمير عمير بن حمير بهدم الحصن، فهدم، ولم يبقَ عمار ولا جدار، فهذه قدرة الله تعالى: ﴿يؤتي ملكه من يشاء، والله واسع عليم﴾[1]}[2]

---

[1] سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

[2] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٧٧-٤٧٩.

وجعل عمير بن خلف بن أبي سعيد مأمونه في بهلا، ورجع إلى سمائل، فأقام خلف ابن أبي سعيد [٨٢٥] في بهلا أربعة أشهر، ثم خرج عليه سليمان بن مظفر، وابن عمه عرار بن فلاح، فدخلوا الخضراء، وهو في العقر، وكانت هذه الدخلة ليلة رابع من شهر ربيع الأول، سنة ست عشرة سنه بعد الألف. وكان سيف بن محمد هـو وبعض قومه في السر، فأرسل سليمان بن مظفر لخلف بن أبي سعيد، ليسيره بما عنده من الزانة، فخرج خلف مسيراً، وأخذ الأمان على أهل البلد، فمنهم من أقام مكانه، ومنهم من خرج خوف السلطان، فلما علم سيف بن محمد هذا الخبر جاء من السر، وعلم به الأمير عمير بن حمير، أقبل من سمائل إلى نزوى، ومضى إلى القرية، فأخذها، ووهبها لسيف بن محمد، فكان مأمونه فيها، ورجع إلى نزوى ينتظر الأمر مدة أيام فمات سليمان بن مظفر، وكان له ولد صغير السن، فملك من بعده عرار بن فلاح، ثم طلع سيف بن محمد إلى نزوى، وأخذ من الأميرعمير قوماً كثيراً، فسار بهم إلى القرية، فمكثوا بها سبعة أيام، ثم سار بهم و دخل بهم حلةً من نزوى اسمها حارة أبي مان ، فأحدق بهم عرّار بن فلاح مدة أيام ثم إنه سيرهم بما عندهم من الزانة، وثبت له حصن القرية، وتجديد الخدمة مدة سنة، وكانت هذه الدخلة ليلة سادس من شهر صفر سنة أربع وعشرين سنة بعد الألف.(١)

وملك من بعده مخزوم بن فلاح مدة شهرين من الزمن، فخرج عليه نبهان وسيف ابن محمد، ليخرجاه من الحصن، فطلب التسيار، فسيره بلا زانه ولا سلاح، وكان خروجه إلى ينقل من الظاهرة، فتولى الأمر على أصحابها مدة من الزمان، وأقام بها بعده نبهان بن فلاح، وجعل ابن عمه علي بن ذهل مأمونة في بهلا، وعلى أثره

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٧٩.

سيف بن محمد، فسار نبهان بن فلاح إلى داره مقنيات، وساق ابن عمه سلطان بن حمير من بهلا إلى صحار، فتولى مكانه ذلك الأمر سيف بن محمد مدّه سنه، والله أعلم. ثم طلع بعد ذلك الأمير عمير بن حمير بما عنده من القوم إلى بهلا، فمنعه سيف بن محمد من الدخول، فرجع هو وقومه إلى نزوى منتظراً الأمر. ثم بعد أيام، رجع عمير وقومه إلى بهلا، ودخل العقر، وكان سيف بن محمد في دارسيت، فعلم بذلك الأمر، فنهض من دارسيت بمن عنده من القوم، ودخل الحصن بقومه، فلم يمنعه أحد، ثم أرسل إلى نبهان بن فلاح أن القوم دخلوا الدار، فأقبل بمن عندك من العسكر، فأقام مدّه أيام يجمع عساكره، وكان الأمير، عمير بن حمير قد أحكم مقابض البلد من أولها إلى آخرها، وأقام سيف بن محمد في الحصن مدّه أيام، ينتظر نبهان وقومه، فلم يصل إليه، وأرسل عمير بن حمير ليسيرّه، فأبى سيف لأنه يرجو وصول نبهان إليه، ثم طلب سيف التسيار من الأمير عمير، فسيّره بما عنده من الزانّه، وقصد القرية، وأقام عمير بن حمير في بهلا مدّه أيام، ثم أرسل إلى سيف بن محمد، فوقعت بينهما يمين على الصحبة، فأقام سيف في ولاية الرعية، وعدل فيها، فكان متولي الأمرعلى بني عمه، وهم له ناصحون، ولمّا استوى الأمر لسيف بن محمد، وكان سلطان بن حمير، ومهنا بن محمد بن حافظ، وعلي بن ذهل ابن محمد بن حافظ مسكنهم يومئذ صحار، مع محمد بن مهنا الهديفي، وكان محمد ابن مهنا أراد ليدخل بهم على ابن عّمهم نبهان بن فلاح في مقنيات، ليصلح بينهم، وكان مخزوم في حصن ينقل، فلم يقع [٨٢٦] بينهم صلح، فطلع بعد ذلك سلطان ابن حمير، وعلي بن ذهل بما عندهما من العسكر، فجاء الخبر إلى عمير بن حمير وهو في سمائل، أن سلطان بن حمير سار بقومه من الظاهرة ليدخل بهم بهلا، فطلع

هو وقومه من سمائل إلى بهلا، ينتظر الأمر، ودخل سلطان بن حميـــر النبهـــاني، حارة بني صلت من بهلا، ليلة التاسع من شهر صفر، سنة أربع وعشرين سنه بعد الألف، فجاء الأمير عمير بن حمير بقومه، وعلى أثره سيف بن محمد، فوقع بينهم القتال، وبنوا لهم بنياناً حول الحارة من أولها إلى أخرها، وأرسل الأمير عمير بـــن حمير إلى أصحابه من جميع القرى، فطلع إليه الشيخ ماجد بن ربيعه بن أحمد بـــن سليمان الكندي[1]، وعمر بن سليمان العفيفي[2]، والشيخ سعيد بن أحمد بن أبي سعيد الناعبي[3]، مع سادات أهل نزوى ومنح، وأقام سلطان بـــن حميـــر هـــو وقومـــه محصورين مدّه ما شاء الله تعالى، لم يخرج منهم أحد، ولا يدخل إليهم أحد، فطلب عند ذلك سلطان بن حمير بن الأمير عمير بن حمير التسّيار والخروج، فسيّره ومن معه بما عندهم من الزّانه إلى الظاهرة، وأقام سلطان بن حمير، وكهلان بن حميـــر وعلي بن ذهل، ومهنا بن محمد بن حافظ في مقنيات مدّه أيام، وحبس نبهان مـــنهم

---

(1) ماجد بن ربيعة: ماجد بن ربيعة بن أحمد بن سليمان الكندي، أحد زعماء سمد نزوى، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، استعان به عمير بن حمير في محاربة سلطان بن حمير. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤١.

(2) عمر بن سليمان العفيفي: أحد الزعماء في القرن الحادي عشر الهجري، أصله مـــن نـــزوى، وكان من أصحاب الرأي المسموع، استعان به عمير بن حمير في حربه ضدّ سلطان بن حميـــر في بهلا: انظر أعلام عمان، ص ١٢٠.

(3) سعيد بن أحمد بن أبي سعيد الناعبي: زعيم، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، من أهل الحل والعقد بنزوى، خرج على رأس قومه إلى بهلا، لمساندة الأمير عمير بن حمير في حربه مع أبناء عمه سلطان بن حمير، وعلي بن ذهل من النباهنة، فالتقى الفريقان في حارة بني الـــصلت، ودارت رحى الحرب بينهما، وآحاطوا بسلطان بن حمير، وضيقوا الحصار عليه، حتـــى خـــرج مستسلماً. انظر دليل أعلام عمان، ص ٧٨.

خيفة أن يخرجوه من مقنيات، فأخرجهم منها، ومضوا إلى صحار، عند الهديفي محمد بن مهنا، وأقاموا معه سنه زماناً، والله أعلم. ثم إن سلطان بن حمير، أشار على محمد بن مهنا أن يغزي دير عمير بن حمير، وهو في باطنه السيب، وكان في الدير الأمير سنان بن سلطان، والأميران علي بن حمير، وسعيد بن حمير، فركب محمد بن مهنا، وسلطان بن حمير، وقومهما من صحار، فجاء الخبر الى الأمراء سنان بن سلطان وعلي بن حمير وسعيد بن حمير أن القوم طلعوا من صحار، فما كان إلا بقدر مايخلع الرجل نعليه، أو يغسل رجليه، حتى أقبلت العساكر، وسلت البواتر، من البر والبحر، والسهل والوعر، فوقع القتال وعظم النزال حتى بلغت القلوب الحناجر، وقتل عند ذلك الأمير علي بن حمير، وانفصل القتال، ورجع محمد بن مهنا، فعلم بعد ذلك الأمير عمير بن حمير بما جرى على إخوته وبني عمه، وهو يومئذ ببهلا، فاعتقد عقيدة الحزم، وتسربل سربال العزم، أن لا يرجع عن صحار حتى يحصدهم بالسيف أو يحرقهم بالنار، أو يبدد شملهم بكل دار، فأخذ في جمع العساكر من البّر والبحر، فاجتمع معه قوم كثير، وركب إلى مسقط، ليجمع قوماً من البحر، وأرسل إلى ملك هرموز، لينتصر به، فنصره بعدّة من المراكب مملوءة من المال والرجال وآله الحرب، وكان قد وصل مركب من الهند بعسكر كثير، وفيه آلة الحرب، فردته الريح إلى مسقط، فأخذه الأمير عمير بن حمير، وسار هو و من معه من النصارى و غيرهم ، و أقام عمير بقومه في باطنة السيب سبع ليالٍ ، فعلم بذلك محمد بن جفير، فتوجه بقومه لينصر محمد بن مهنا، فدخل محمد بن جفير وقومه صحار، ففرح به محمد بن مهنا، فأدخله الحصن، وكان بينهما بعض المقاصيد ساعة من النهار، فأمر محمد بن جفير عبده ليقبض محمد بن

مهنا، فرمى نفسه من سور الحصن، وندب قومه، وكان بعض قومه في برج داخل الحصن ، فوقع القتال بينهم ساعة من النهار ، و طلع محمد بن جفير بقومـــه مـــن صحار، فبلغ هذا الخبر إلى الأمير عمير بن حمير، فتوجه إلى صحار بمن معه من الجنود من بر وبحر، ودخل صحار نهار التاسع عشر [٨٢٧] من ربيـــع الآخـــر، فاستقام بينهما القتال من أول النهار إلى الليل، وانفصل القتال، ثم بعد ذلك بيـــوم أو بيومين، هبطت النصارى من المراكب بما عندهم من آلة الحرب، وكانوا يجـــرّون قطع القطن قدامهم، ليتلقوا بها البنادق، وكان معهم مدافع تسير على أعجـــال مـــن الخشب في البر، وعليها ستور من الخشب، وكان في جانب الدار برج لمحمد بـــن مهنا، فيه عسكر كثير، فجرّب عليه النصارى قطع القطن، وضربوه بمدفع حتـــى انهدم منه البعض، وخرج القوم منه، فدخلته النصارى، فعلم محمد بن مهنا بـــذلك، فندب قومه، فوقع بينهم القتال على البرج بالليل، فقتل عند ذلك علي بن ذهل بـــن محمد بن حافظ، وقتل محمد بن مهنا الهديفي ليلة واحد وعشرين من ربيع الآخـــر سنة خمس وعشرين بعد الألف، وأقام بعد ذلك سلطان بن حمير بن محمد بن حافظ النبهاني، وأخوه كهلان بن حمير، وابن عمه مهنا بن محمد بن حافظ، وعـــسكرهم في الحصن، بعدما قتل محمد بن مهنا الهديفي، فلما علم الأمير عمير بن حمير أن سيد القوم قتل، ندب قومه للقتال، فكان القتال بينهم في النخل، ثم طلع عمير بمـــن معه من تلقاء جامع البلد، فلم يمنعه أحد، فقتل عند ذلك سلطان بن حمير، فانكـــسر القوم، فصاروا أشتاتاً متفرقين، فمنهم من قتل، ومنهم من حرق، ومنهم من أُســـر، ومنهم من جرح، ومنهم، من خرج ذاهبا على وجهه، لا يدري أين يتوجه، ولا أين يذهب، وعلى هذا جميع أهل البلد، وأحرقت البلد باجمعها من أولها الـــى آخرهـــا،

وأقام النصارى في حصن صحار، ورجع الأمير عمير إلى بلـــدة ســمائل جــذلا مسروراً، وكان مخزوم بن فلاح متولياً في حصن ينقل، فقبض منهم رجلين، فأمر عبده ليقتل واحداً منهم، فسل عليه السيف ليضربه، فاستجار به، فلم يجره، وضربه ضربة ثانية، فاستجار به، فلم يجره، فلما أراد أن يضربه الثالثــة اســتجار بــالله، فاهوى إليه ليمسك فاه، والعبد قد أهوى بالسيف، فضرب يد مخزوم، وأقام ســبعة أيام بجراحه، ومات منه، وأما الرجل، فإنه سحبه العبد، ويظنه ميتاً، وبه رمق من الحياه، فمر به رجل من أهل البلد، فقال: من يعينني على مواراة هذا الرجل، فنطق الجريح: إنني حي، فحمله على كتفه، وأدخله البلد، فعوفي من جراحه، وعاش بعد ذلك زمناً، والله على كل شيء قدير. وكان هذا بعد دخلة صحار بثلاثة أشهر، فلما علم نبهان بموت أخيه، ركب من مقنيات إلى ينقل، وجعل فيها وزيراً، ورجع إلـــى مقنيات، وأقام في الملك بعد خروجه من بهلا إلى الظاهرة ثلاثين شـــهراً، ثـــم إن نبهان بن فلاح خرج من مقنيات إلى ينقل، وترك بعض عسكره في حصن مقنيات، وكانوا قد ملوّه من كثره جوره وبغيه، فعزموا على إخراجه من مقنيـــات، فتوجــه رجل إلى الأمير عمير بن حمير وإلى سيف بن محمد، ليستنصر بهما، فسار الأمير عمير بن سيف بمن معهما من القوم، ودخلوا حصن مقنيات بلا منـــع ولا قتـــال، وأقاموا مدّه أيام، ثم ركبا ببعض قومهما إلى ينقل، فعلم بذلك نبهان بن فلاح، فخاف نبهان على نفسه، فركب هو وأربعة من عسكره بلا زانه، وقصد إلى دار أخوالـــه الرياسية وذلك لا ثني عشر يوماً خلت من شهر صفر، سنة ست وعشرين [٨٢٨] بعد الألف، وأقام الأمير عمير بن حمير، وسيف بن محمد في ينقل أيامـــاً، ثـــم إن الأمير عمير بن حمير وهب البلاد لأهلها، يأكلونها هنيئاً مريأ، ورجع إلى مقنيات،

ثم أرسل إلى أهل البلد، فسألهم عمّا كان يأخذ عليهم نبهان، فقيل: إنه كان يأخذ نصف غلّه النخل، وربع الزرع، فاقتصر الأمير عمير عليهم بعشر الزرع، وأما أموال السلطان لمن أقام في الحصن، وجعل في الحصن عمر بن محمد بن أبي سعيد، ورجع الأمير عمير بن حمير وسيف بن محمد إلى بهلا[1].

ثم إن نبهان بن فلاح أخذ جنوداً من أخواله آل الريّس، ووصل بهم إلى الظاهرة، ودخل فدا، وأقام فيها مدّه أيام، ثم جاءه أحد ممّن كان له مصاحباً، من قبل من أهل ينقل، فقال له: نحن ندخلك البلد، ونثبتُ قدمك، ونشدّ عضدك، وننصرك على القوم، ونستفتح لك الحصن، فسار بقومه، ودخل ينقل ليلة النصف من ربيع الآخر، سنه ست وعشرين بعد الألف، وحكم مقابض البلاد من أولها إلى آخرها، إلاّ الحصن، وكان فيه قبيلة من بني علي، فتحصنوا فيه، وأحدق بهم نبهان، واستقام بينهم القتال، فخرج رجل من أهل الحصن، ومضى إلى الأمير قطن بن قطن، وكان الأمير يومئذ ناصر بن ناصر، فركب معه محمد بن محمد بن محمد بن جفير، وعلي بن قطن بن قطن بن قطن بن علي بن هلال بما عندهم من القوم، وكان مسكنهم ببادية الشمال، فساروا، حتى دخلوا ينقل، فاستقام بينهم وبين نبهان بن فلاح القتال، واشتدّ بينهم الطعن والنزال، وارتفع العجاج، وارتّجت الفجاج، فانكسر عسكر السلطان نبهان بن فلاح، فمنهم من قتل، ومنهم من طلب التسيّار، فسيّر، ومنهم من مضى على وجهه. وبلغ الخبر إلى الشيخ سيف بن محمد الهنائي، أن نبهان بن فلاح دخل ينقل، فخرج بعساكره ليقاتل نبهان، فلما كان ببعض الطريق، بلغه ما وقع على السلطان نبهان بن فلاح من الأمر الكائن، والقدره الغالبه، فرجع بعكسره إلى بهلا، وأما الأمير

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٧٩ – ٤٨١.

عمير بن حمير، فإنه كان يومئذ يجمع الجموع، لينصر بهم السلطان مالك بن أبي العرب اليعربي، على بني لمك، فأمدّه بعساكر جمّه، فكانت الدائره على بني لمك، ولبث سيف بن محمد الهنائي في بهلا، وآل عمير في سمائل، ومالك بن أبي العرب في الرستاق، والجبور في الظاهرة، إلى أن ظهر الإمام الأشد و الهمام الأمجد، إمام المسلمين ناصر بن مرشد، فاستفتح جميع عمان، ودانت له منها جميع البلدان، فطهرها من البغي والعدوان والكفر والطغيان، وأظهر فيها العدل والأمان، وسار في أهلها بالحق والإحسان، إلى أن توفاه الله إلى دار الرضوان، إنه كريم رحيم منان[١].

ظهور الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وذكر الأئمة من بعده:

قال صاحب كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة: ولّما أراد الله أن يمّن على أهل عمان، ويكّف عنهم الجور والعدوان، ويقصم أهل البغي والطغيان، من بعد أن ابتلاهم بما وقع عليهم من الفتنه والامتحان، صار أمر أهل عمان إلى الخمول، وزالت تلك المخاصمات، ودرست الضغائن والحنّات، وخلف خلف بعد السلف، وبقيت عمان مقفرة بعد تلك الرؤساء المتضادين والخصماء المتّحادين، ولم يبقَ إلاّ ذكر أخبارهم، وما ذكروه في سيرهم وآثارهم، وآل العلم والعلماء إلى النقصان، [٨٢٩] والحفظ الى النسيان، وحصل بينهم التواصل والتراسل، وطفئت بينهم تلك الإحن من القلوب، وخمدت مسعرات تلك الحروب، وصارت كلمتهم واحدة، يحملها عليهم أي زمان يقل فيه العلم وأهله، حتى قيل: إنه احتاج في بعض الأزمان ملك من ملوك اليعاربة من أهل وبل من الرستاق إلى قاضٍ، فلم يجد قاضياً من أهل

---

[١] المصدر نفسه، ص ٤٨٢-٤٨٣.

الدعوة، فاتخذ قاضياً من أهل الخلاف، فلا أعلم من أي المذاهب، فهمَّ أن يقلب المذهب، ويغيره إلى مذهبه، فسمع به أهل عمان، فأرسلوا إلى ذلك الملك بعزله، فعزله، وأرسلوا له قاضياً من أهل الدعوة، فتعلم منه العلم أُناس من أهل الرستاق، وتمسكوا بمذهبهم زمان، وأكثر ملوك عمان أهل جور وفساد وظلم وعناد، وعضدهم على ذلك رؤساء القبائل والظلمة من البدو والأراذل، وساموا أهل عمان سوء العذاب، وساسوهم شر مصاب، وعمّوا بالظلم الكهول والشباب، وأكثروا فيهم القتل والضرب والإغتصاب والإذلال والأسر والإنتهاب، ثم أوقع الله بينهم العداوة والبغضاء، وهكذا طبع أهل عمان، وأرجوا أنه لا يزول عنهم، لهم الهمم العالية والنفوس الأبية، لا ينقادون لسلطان، ولا يقرون على هوان، ولا يستسلمون لغالب، ومع ذلك لا يتركون المطالب، همة الضعيف منهم، كهمة الأمير من غيرهم، كل واحد منهم يريد أن يكون الأمر بيده، أو بيد من مال إليه بوده، والناس أتباع له، والآخر كذلك، وإن لم يكونوا أهلاً لذلك، إلا من شاء الله من أهل الورع والصلاح والعفة والفلاح، فإنهم لا تميل بهم الأهواء، ولا تأخذهم الحمية الجاهلية إلى أن صار الأمر منهم إلى الوحشة من بعضهم بعض، فتضادوا، وتحاربوا، وتناهبوا، وتسالبوا، ولم يقصر كل فريق منهم عن إساءة قدر عليها في خصمه، ولم يبق أحد من أهل المدر والوبر، من البادية والحضر، ولو كان في شواهق الجبال، أو في أودية الرمال، إلاّ وقد تجرّع غصص المخاوف، وصار الدين والأموال والأنفس إلى أشدّ المتالف إلاّ من هوّن الله عليه المحنة، ونجاه من الفتنه، ومنّ عليه بالعصمة، فلم يزالوا كذلك منهمكين في موبقات المهالك، سالكين شرّ المسالك، إلى أن منّ الله عليهم بظهور عبده الأرشد إمام المسلمين ناصر بن مرشد، وذلك أنه اختلفت أراء أهل الرستاق، ووقعت بينهم المحنة والشقاق، وسلطانهم يومئذ مالك بن أبي العرب، المقدّم ذكره، فاستشار العلماء المسلمين أهل الاستقامة في الدين أن

ينصبوا لهم إماماً، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، فأمضوا نظرهم، وأجالوا فكرهم، من يكون أهلاً لذلك، والقدوة يومئذ خميس بن سعيد الشقصي[١]، فاجتمعت آراؤهم أن ينصبوا السّيد الأجل ناصر بن مرشد، فمضوا إليه، وطلبوا منه ذلك، ورغبوه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأجابهم إلى ذلك، فعقدوا له في عام أربع وثلاثين بعد الألف، وكان مسكنه بقصرى، من بلد الرستاق[٢].

قلت: وقد وقفت على تواريخ عدّه لأصحابنا أهل عمان في السبب الباعث، لنصب الإمامة، لقطب أهل مذهب الاستقامة، الممجّد ناصر بن مرشد، فمنهم من اختصر، ومنهم من طوّل الكلام، وقد فات من اختصر ومن طوّل منهم كثير، من إبراز مناقبه الجليّه، وسيرته الصالحة الرضيّة، فأشار عليّ بعض الإخوان في دين الله المنان أن أنظم سيرته في سلك الحقيقة لأهل مثلى الطريقة، [٨٣٠] فلما رأيته في ذلك، لا يقبل ولا يسوغ له، إلاّ ذلك القيل، أجبته عما وضح به الدليل، شجت سيرته الرضيّة فنشت غصونها بأشعار جليّة، وسميتها كتاب **سراج المسترشد الهادي إلى مناقب سيرة الإمام الممجّد ناصر بن مرشد** بن مالك بن ناصر بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن بلعرب بن مالك بن يعرب بن مالك

---

[١] خميس بن سعيد الشقصي: هو الشيخ العالم العلامة الفقيه خميس بن سعيد بن علي بن مسعود ابن عبدالله بن زياد الشقصي الرستاقي. والشقصي: نسبة إلى أبي الشقص جدّ لهم. ويعدُّ من مشهوري علماء عمان في القرن الحادي عشر الهجري، ومن المؤلفين والمتصدرين في الفتيا، من مؤلفاته: منهج الطالبين"وكتاب"منهج المريدين"، اختصر فيه كتاب منهج الطالبين. والشيخ خميس هو الذي أشار على إخوانه من العلماء والأكابر البيعة للإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله) لما عرف عنه من الفضل والزهد والورع، وصار الشيخ خميس من أركان دولته، وقاضيه، وقائد جيشه لحرب البرتغاليين في مسقط. انظر الترجمة الكاملة في البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج٣، ص ١٤٩ – ١٥٩.

[٢] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٨٣-٤٨٤.

اليعربي العربي، وهذه خطبة سيرته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ناصر أئمة العدل على من طغى من العباد في البلاد، مرشدهم بسلطان الاجتهاد إلى طرائق وحقائق الجهاد، مالك عزّة عزائمهم الصادعة، ببلعربهم عزّه عزائمهم أهل العناد بحد المشرفية الحداد، المؤيد منهم كل عادل ناسك، بسلطانه السامك، فأصبح منهم كل مالك محظوظاً بمرّي المراد، الذي أبا العرب السالكين مذهب الاستقامة إلا نيل عزّة وإمامة، ترغم أنوف أهل الإحن والأحقاد ببيض حداد، وسمر صعاد، فلله درّهم، لقد نالوا محض الحمد المحمّد ، فأصبح لسانهم يعرب الشكر للصمد الموّحد، ويثني على محمد، ويعرب له التفخيم عن النفس البسيطة والعقل المجرد في الأصايل والأراد، أولئك الذين تسربلوا بسلطان حمير، فشرفهم مزاحم بلعرب المرتضى محمد مناكب مناقب الفضلاء الأمجاد، فلا غرو أن فاقت العرب بالثناء المتدارك على يعرب بن مالك، وليعرب بن مالك شرف يزهى على الزهر بالاتقاد، والصلاة والسلام على خير من جاهد في الله حق الجهاد، سيدنا محمد خير العباد، وعلى آله وأصحابه أهل العدل غيوث البلاد، ليوث الجلاد.

أما بعد، لقد أشار علي من أردت نصحه، وأرى أنوار الأراد بصبح صلحه، أن أنظم درر عهد سيرة الإمام الأرشد ناصر بن مرشد اليعربي العربي، رحمه الله، على الجملة والآحاد، فاشتغلته بعدم المواد، وسلب السّائغ الشائع بمرّي واجبه المراد، واعتذرت إليه من أمور كدتُ بها أمور، وأحوال كدتُ بها أحور، وأملاق بعرفه منكرة ومعرفّة، فلما رأيته لا يقيل، ولا يسوغ له من المعذرة المقيل، لبيّته سميعاً،و أجبته مطيعاً، وقلت شعراً:

مفارقة المرافق يا يميني   تهون لدى مفارقة الرفيق

وكـــل فتـــى يـــصدّ الـــصدق عنـــه إذا أضـــحى يـــصد عـــن الـــصديق[1]

ولمّا نبهت الفكرة من سنتها هبّت، وأصبت القلوب صباها حين هبّت، وحين نفــح الأنوف بنفسجها، وحرّكت القلوب سجسجها، قلت لها ويك، ناظري ســجع حمــائم الأيك، وفوهي عن شانك بسائغ لسانك، حتى يقول الناقض والمبرم: ناهيك ناهيك، إنه للفظ مُحكم، فإنّ الإمام الهُمام الأرشد ناصر بن مرشد بغير شك بهيم، لجــدير بالتفخيم ، شعراً:

شـــأنه شـــــائع بكـــل مكـــان وثنـــــاه ســـناً بكُـــلِ لـــسان
مايقول الـــشاني إذا شـــان أيعكـــس شـــــانا يـــشع بالشعـــــشعان[2]

أيا من حوى من المعرفة العباب، لقد سميت هذا الكتاب المستطاب "سراج المسترشد الهادي إلى مناقب سيرة الإمام ناصر بن مرشد"، فلله درّه من إمام عادل، [٨٣١] و ندب نابه فاضل. أما في سمو النسب، فقد كاد أن يكون محلّه مع السبعة الشهب، وأما في صفة الجمال، فقد حاز غاية الكمال، وأما في الورع والخــشوع المــشهود لواجب الوجود، فهو ممن سيماهم في وجوههم من أثر السجود، وأما في الحكم فهو

---

[1] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية والتاريخية التي وضعها ابن رزيــق تبــين أن هــذه الأبيات غير موجودة فيها، وحفظها لنا في مخطوطته هذه.

[2] بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية والتاريخية التي وضعها ابن رزيــق تبــين أن هــذه الأبيات غير موجودة فيها، وحفظها لنا في مخطوطته هذه.

العلم الباهر، وأما في العلم، فهو العيلم الزاخر، وأما في ذلاقة اللسان، فهو الندُّ لسحبان، وأما في طريقة الحقيقة فقد فاق بصفة صوفيته الأنيقة، وأما في البسالة والجلاد فهو أسد الآساد، وأما في الصبر على محن الزمان، فهو أقسى في باب القياس من كهلان، شعراً:

حوى الفضل فهو الفاضل الكامل العدل	فقل فيه مما تشتهي ولك الفضل
زكى فعله والمرء لم يحومريةً	إذا ما زكى في الصالحات له الفعل
له الله من ندب وليّ بنسكه	بغير مراءٍ يشهد العقل والنقّلُ[1]

وبالجملة، إن مناقبة لا تحصى، وفضائله لا تستقصى، ولكن سأشرح بعضها، ولا يستطيع المعارض نقضها، وبالبعض الكفاية، لمن له دراية، فمن ذلك عمّا روت عنه بعض الرواة ، المصدّق قولهم كل أواه: إن رجلاً قام ذات ليلة في مسجد قصرى من الرستاق، فرأى كأن في زاوية من زوايا ذلك المسجد سراجاً أو بارقاً لا يفتر بائتلاق، وقد استوعبت كُرَة ذلك المسجد المعمور، و تماذج ذلك النور، فلما انتبه من المنام، لم يَرَ فيه مضطجعاً غير الإمام[2]، فاعترف بشانه وفضله وبرهانه شعراً:

(1) بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية والتاريخية التي وضعها ابن رزيق تبين أن هذه الأبيات غير موجودة فيها، وحفظها لنا في مخطوطته هذه.
(2) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٣.

سرُّ الولايـــة بـــالأ نـــوار يـــأتلق ... فاهلهـــا بهـــم لـــم يـــبهم الفلـــقُ
إن المـــساجد تبـــدي كـــل مؤتلـــق ... عنهم كما يبدي عن برق الحيا الأفـــق
رأى بمسجد قصرا ناصـــراً رجـــلٌ ... ونوره في الكرى عنه انتوى الغـــسقُ
فقال هُنّيـــت بـــالنور الجلّـــي أيـــا ... هذا الـــولي فمنـــك الـــصلحُ مُتّـــسِقُ
ففي النهار وجنح الليل ما برحـــت ... أنـــوار وجهـــك بالإيمـــاض تـــستبقُ
إذا حضرت وإن غبت الكرام فعـــن ... إيماض صلحك يا نور الهدى نطقـــوا
يقـــول كـــل لبيـــب للـــرواة إذا ... تحدثوا بـــضياء عنـــك قـــد صـــدقوا
يا ناصر ناصر للـــدين أنـــت وقـــد ... تألّقـــت لـــك مـــن أنـــواره الطـــرقُ
إن نّم عن نورك المحراب لا عجباً ... إن الـــولي بـــه المحـــراب يـــأ تلـــقُ
أنت الإمام الـــذي أنـــواره اتّقـــدت ... من يصحب النور لا بالنار يحترقُ[1]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أنه كانت له أم تحـــت [٨٣٢] زوج بعـــد أبيه، وكان يأمرها أن تؤخرّ صنع طعام زوجها، وتقدم صنع طعامه، لئلا تبقى بقية من طعامهم، فيدخل في طعامه، وذلك من نسكه واحتـــشامه، فخالفـــت ذات يـــوم المقال، أو نسيت ما قال، فأدخلت بسبب غسل الإناء في طحينة من طحينهم بعض الإضافة، فلما خبرته بلطافة، التصقت يدها بالطوبج المحتدم، فلما أقبل إليها ولـــدها

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

الإمام، وهي واهية من الألم نزع يدها ببنانه، وخلصها من الطوبج الـدالع شـرر لسانه، ورضي عنها عما اقترفته[1]، وحمدت شأنه لما عرفته، شعراً:

قـل بمـا شـئت هكـذا الأوليـاء سرّهم يـسري فـي سـناه الـضياء
إنمّـا قـولهم يُـرى منـه تـاثير فعنــه لا يُــستطاب الإبــاءُ
إن ممّا جرى على حُـرّة الجيـب إذا مـا بخثـت وهـو الـصلّاء
نسيت قول ابنهـا الناسـك الطهـر وتنـسى مثـل الرجـال النـساءُ
دونها الناس كانت في كل صـلحٍ دونـه فـي الدّيانـة الأتقيـاءُ
سلمت كفّهـا مـن الحـّر بـالكّف التـي نورهـا لـه أنـواءُ
وعفـافهي عفـة وهـو عَـفُ فعليهـا كمـا عليـه الثنـاءُ
إنمـا ناصـر إمـام ولّـي فلـه تـشهد الـورى الكرمـاءُ
ألف الزهد فهو عـن كـلّ مثقـالٍ مـن الحـوب كفّـهُ بيـضاءُ
رضـي الله عنـه فهـو منيـب فاضـل دون فـضله الفـضلاءُ[2]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أنه بعدما عقد له بالإمامة، وصار معلومـاً بها مع الخاصّه والعامة، اجتمع أُناس من أهل الرستاق، منـسوبون إلـى النفـاق، يسبّونه بكلام قبيح، في بيت رجل منهم غير مليح، فنهتهم زوجـة صـاحب ذلـك

(1) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩١.
(2) بعد البحث والتدقيق في الأعمال الأدبية والتاريخية التي وضعها ابن رزيـق تبـين أن هـذه القصيدة غير موجودة فيها، وحفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

البيت، وهم يعر بدون بالسّب عربدة شارب الكميت، فلما لم تَـرَ مـنهم مطيعـاً، خرجت عنهم، فخرّعليهم سقف ذلك البيت[1]، فماتوا جميعاً، شعراً:

من سّب أهل التقى بَـشّرهُ بـالتلفِ	وعزّه بانقـضاض البيـت والـسُقُفِ
أهـل النفـاق علـيهم دكّ بيـتُهُم	لما أبوا قـول ذات العقـد والـشّنفِ
أضحى لهم جدثاً من بعدما اعترفت	لـه المعـارج والأركـان بـالغرفِ
سبّوا الإمام وقد ذاقوا الحمـام فـلا	بكـتهم مقلـة بالمـدمع الـذرفِ
تفرقوا بعد جمع في الصعيد ومـن	يفعل كذا يُجز ذا والأمر غير خفـي
ما ضرّ ناصر من أهل النفـاق فـم	إذا تكلـم منـسوب إلـى الجيـفِ
أوداهم إفكهـم فاستـصحبوا سـقراً	وصلحه نير يُـستَفّ فـي الـصحفِ
إن ابن مرشـد لا زالـت محامـده	ما فوفت روضة في ثغر كـلّ وفـي
للّه مـن ناسـك أضـحت محاتـده	لها مناسـك فـضلٍ نيّـر الـشرفِ
لا زال في النظم والنثر الجلي لــه	مدح يقـصرعنه لؤلـؤ الـصدف[2]

ومن فضائله وبراهينه، رضى الله عنه، أن مطّية لبعض الرّجال، أكلت مع الإغفال، من زرع بيت المال، فتحرشت تحرشاً، كاد أن يفضي بها إلى الزوال، فلمـا رأت الإمام، وثبت إليه، ووضعت رقبتها عليه، وحين أتى صاحبها، سأله الإمام عنهـا،

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩١.

[2] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فأخبره عمّا كان منها، فسامحه وأحلّه وإليه أدنابها، ومسح بيده على رقبتها فـزال عنها عناها[1]. شعراً:

هكـذا العـدل هكـذا البرهـان	مـن إليـه كناصـر الطهـر شـانُ
قد أصـاب الـشملال داء فقـالوا	أطعـام لهـا انبـرى أم طعـانُ
أكلت والإمـام لـم يـدرِ حتـى	خيـل سـنانها أتـاه الـسنانُ
وهَوَتْ من تحرشٍ اسـقط الـوبر	منهـا فعـاث فيهـا الهـوانُ
نظـرت حتفهـا يعـوم فـلا ذت	بإمـام منـه يرجّـى الأمـانُ
وضـعت رقبـةً إليهـا عليـه	فـشفتها بـاللمس منـه البنـانُ
وأتى خاضـعاً لـه مـن حواهـا	فحـوى مـا يحـب منـه الجنـانُ
نال منـه الإحـسان فهـو كـريم	مـن أتـاه لـه أتـى الإحـسانُ
فـانثنى بالـسّرور يثنـي عليـه	وبحمـد لـه يفـوه اللـسانُ
إنما ناصـر بـن مرشـد نـدب	ناسـك فاضـل سـريّ هجـانُ
رضـي الله عنـه فهـو ولـي	فبـه طـاب للأنـام زمـانُ[2]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أن جراب تمر أشبع أيام دولته مائة رجل أياماً، ومثل ذلك قورة أرز، فحسبه برهاناً وإكراماً[3] شعراً:

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩١-٤٩٢.

[2] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[3] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

إن بالعــدل تنــزل البركــات وتنــآى الــورى بــه المــسغبات
لا عجاب إذا جراب مــن التمــر لقــوم نمــت بــه الــساعاتُ
أو بأرزٍ يقّـل فــي الكيـل أياما طــوالا إلــى الــورى أقــواتُ
هكـذا العـدل صـنعه إنمـا نـا صــر برهانــه لــه آيــاتُ
فاضـل ناسـك إمـام تقـي في البرايـا سـرت لـه الحـسناتُ
فعـل الطيبـات والخيـر تنميـه إذا مــا بحثــتم الطّيبــاتُ
كيـف تـسري مجاعـة للبرايـا وأياديــه للــورى ثــرّاتُ
وجد المترب الضَّريك بـه التبـر ففاقــت بعدلــه الفاقــاتُ
إن بالعـدل يكثـر الـرزق للنـا س وتحلــوا بعذبــه الحــالاتُ
لم يزل سعيه مدى الدهر مشكوراً فبرهــان ناصــر غايــاتُ[١]

ومن فضائله وبراهينه، رضى الله عنه، أنه كان نائماً ذات ليلة فـي سـطح بيتـه بقصرى، فارتقى إليه رجل من أهل النفاق، يريد أن يقتله قسراً، [٨٣٤] فلّما سـلّ عليه الخنجر، مسكت يده، وتحيّر، وحين انتبه الإمام من رقاده، سأله عن مـراده، فقال: ما يسعني غير حلمك وعفوك، فإني عزمت على قتلك، فهذا ما جرى، كمـا ترى، فعفى عنه الإمام، ومضى، ويده صحيحة، لا بها تقلص، ولا آلام.[٢] شعراً:

مـن البغـاة ولـي الله محـروس ومـن مبـادرة الإيحـاش مـأنوسُ

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.
[٢] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

إذا غوي على المرء الــولي نــضا سنان نصل أتاه الأمــر معكــوسُ

خناجر البغـــي لا يغــرين خنجـره لهـــا إلـــى الله تــسبيح وتقـــديسُ

فكم يدِ مسكت نصلاً وقــد مــسكت عن الولي فما أمــسى لهـــا بــؤسُ

من عنْــدَهُ الله نـــال الــسّعد قاطبـــة منه فما حظــه المــسعود منحــوسُ

يدُ المنافق لا نــصراً لهـــا وجــدت أما درت ناصــراً ينمــوه نـــاموسُ

لا نهـــرة بظـــلام فيـــه ممكنـــة وفي صباحٍ فمـــا تغنـــي الحنـــاديسُ

عـــز المنـــافق إبليـــساً فقـــال لـــه لا نافع لك في المجــروس إبلــيسُ

هبّ الإمام بـــلا ذعـــر فقـــال لـــه ما بال نصلك لا في الغمد مدســـوسُ

فقال ما نـــافعي إلاّ الــصواب فقــد أردت قتلك منــك العفــو ملمــوسُ

فقال كفّك هل كُفّــــــــت فقال أجل تقلصتّ إذا دهت قلبي الوساويـــــس

فقال لا بـــأس حركهـــا فقـــال لـــه تخلصت كل من نـــاواك مرمـــوس

أسرار ناصر تسري والــبلاد فلــم تجهل بهن الكرام الــسّادة الــسوسُ

إمام عدلٍ أيـــا أهـــل القيـــاس بـــه إذا وجـــدتم لعـــدلٍ غايـــة قيـــسوا

فحمده كـــل حـــين فـــي مدارســـها لها به فتيـــة التــدريس تــدريسُ[1]

ومن فضائله وبراهينه، رحمه الله، ورضي الله عنه، أن بدوياً ضلتّ له ناقة، فتجشّمَ في طلبها وعراً وسهولاً، ورأى أثر قدم استظهرها عرضاً وطولاً، فانتهى به قصُّ الأثر إلى خميلة منحشرة الشجر، مخضلّة الزهر والثمر، فسمع صوتاً مـــن بـــاطن

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

كُرة تلك الشجر الداني يقول: أبشر بالتهاني فإن ناقتك في المكان الفلانـــي، وقــل للإمام الأرشد ناصر بن مرشد أن يلزم هذه السيرة فإنها سيرة خيرالأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فرجع البدوي مذعوراً، تمسك صدره المضطرب الرواجب، و رأى ناقته في المكان الذي وصفه له ذلك المخاطب ، فركبها و مـضى بـنجح المرام إلى الإمام، فأخبره في محفل من الورى، عما قيل له ورأى، واتفق أن الإمام رأى في المنام بدوياً يبشره أنه على سيرة خير الأنام محمد، عليه أفضل الـصلاة والسلام، فأخبر بذلك الكلام بعض الكرام، قبل أن يأتي إليه البدوي الــذي ضـلت ناقته، فوجدها، وأخبره عن صاحب الصوت من كرة الشجر المخـضرة قبـل أن يحرز مقودها، وما قال له: قل للإمام، كما ذكرنا إلى تمام الكلام.[١] شعراً:

به هتفت فـــي المورقـــات الهواتــف ... ألا من له عـــرف بـــه فهـــو عـــارفُ
يفخّمه من لا يُــرى كالــذي يُــرى ... ويثنـــي عليـــه إلفـــه والمخـــالفُ
لقد صدق الراوي الذي ذهبــت لـــه ... ذلـــول فلاحـــت حـــين لاح الطرائـــفُ
فحاك من القول الطريـــف مطارفـــاً ... إذا نشرت تطوى لديها المطارفُ [٨٣٥]
روى عن صدوق في ظلال خمائل ... لهـــا أرج فيهـــا إليـــه مواقـــفُ
به وجد الحرف التي ذهبــت ومـــن ... دلالته الوصـــف الـــذي هـــو واصـــفُ
فقـــال لـــه بلـــغ ســـلالة مرشـــدٍ ... ســـلامي فـــذاك الطهـــر للـــدينَ آلـــفُ
له سيرة يرضى بهـــا الله ذو العلـــى ... وأحمـــــد فليحمـــــده راجٍ وخـــــائفُ

---

[١] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

عليـــه بهـــا فهـــو الـــذي ببهائـــه أضـــاءت أقـــاليم القـــرى والتنـــايفُ
حكى للإمام العدل عمـــا حكـــى لـــه بنيه عن الأســـرار بالكـــشف كاشـــفُ
فكان كما فـــي النـــوم قيـــل مقالـــه إليه ومنـــه طـــاف مـــا منـــه طـــايفُ
ألا إن محمـــود الـــسّجية ناصـــراً على الدين والإيمـــان والبـــرّ عـــاكفُ
عليه من الـــرحمن إيمـــاض رحمـــةٍ بمـــا تـــستهل الـــساريات الـــذوارفُ[1]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أنه كان يعطي نفقة من بيت المال، ولم يكن له قدر يطبخ لهم فيها طعام، فكانت زوجته تنقص من النفقة قليلاً قليلاً، فلما مضت على ذلك أيام باعتها واشترت منها قدراً من صفر، فلما رآها الإمام، سألها ســـؤال الحاذق الذمر، وحين أخبرته عن الطيّ والنشر، قال: استعمليها، وارفقي بهـــا مـــع الإستعمال، فإنها لبيت المال، وأمر وكيل الغلّة أن ينقص من نفقتهم ما كانت تنقصه زوجته[2]، فانظر لما حوى من صالح الأعمال، شعراً:

مثر من الزهـــد لا مثـــر مـــن المـــال من أكثر الزهد لم يحفـــل بـــإقلالِ
الترب كـــالترب عنـــد الأوليـــاء فـــلا ميـــل إلـــيهم إلـــى مـــال بآمـــالِ
إذا حوى قـــدر صـــفر كـــان قـــولهم لها فأنت لبيت المال فـــي الحـــالِ
له الهنى ناصـــر بالعـــدل فهـــو لـــه مع الإمامة أضحى أصـــلح أبـــدالِ
قلـــى الـــدنانير بالـــدين المنيـــر ولـــم يكن إلى ســـحتها يومـــاً بأكـــالِ

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

(٢) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

وَمُـــذْ رأي فــضلةً أفــضت لنفقتـــه	بنقــصها أمــر المعطـــي بإعجــالِ
والقدر قال لبيــت المـــال مرجعهـــا	فإنمـــا مـــال بيـــت المـــال لا مـــالي
كذا كذا يفعل الزهـــد الـــصريح كـــذا	فليـــصنع الـــصّالح الـــسامي بأفعـــالِ
ما كلّ من يسمو في مجدٍ إليه رضـــىً	بمطعـــم يرضـــى أو ثـــوب أســـمالِ
لقـــد تـــسربل زهـــداً ناصـــر و أرى	إليه مـــا لاح بـــرق خيـــر ســـربالِ
حاز الإمامة والزهـــد الـــصريح فـــلا	يزهـــى بمـــالٍ ولا فـــال ولا آل[١]

ومن فضائله وبراهينه، رضى الله عنه، أن قاضيه محمد بن عمر،[٢] دخـــل عليـــه ذات يوم من الأيام، فرأه متغير الحال من الإهتمام، فسأله عن الأجـــاج والقـــراح، فسكت عن الإيضاح، ثم أخبره بعد الإلحاح أنه لم يكن له من الطّارف والتليد مـــا ينفقه على أهل بيته لسّنة العيد، فذكر القاضي إلى الوالي عبدالله بن محمد أن يـــدفع إلى الإمام شيئاً من دراهم بيت المال، فدفع إليه عشرة دراهم[٣]، فانظر إلـــى مـــا حوى من صالح الأعمال شعراً:

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[٢] محمد بن عمر: هو الفقيه العلامة الزاهد العالم العامل، قاضي المسلمين، محمد بن عمر بـــن أحمد بن مداد بن عبدالله بن مداد بن محمد بن مداد بن عبدالله بن مداد بن محمـــد بـــن فـــضالة المدادي الناعبي، من علماء النصف الأول من القرن الحادي عشر، وأول العلماء المداديين فـــي القرن المذكور. والشيخ محمد من القضاة وله أجوبة كثيرة في مسائل الأديان والأحكـــام. انظـــر الترجمة الكاملة في: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج ٣، ص٤٧٠-٤٧٥.

[٣] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

ألا قــل هكــذا فعــل الحميــد ومن في قلبه خــوف الوعيــدِ [٨٣٦]

يد بيـضاء مــن بـيض وصـفر إلـــى ملــك خلــت أيــام عيــدِ

ألا إن الإمـــام غنـــيٌّ زهـــد فقيـــر مـــن طريـــف والتليـــدِ

أتـــى عيـــد إليـــه ولا إليـــه مـــن الأتـــلاد كفـــوء للوليـــدِ

فقـــال إليـــه قاضـــيه بلطـــف أراك اليـــوم فـــي هـــمّ عتيـــدِ

فكان النـشر منــه بعــد طــيٍّ يـــد للعيـــد مثـــل يـــد البليـــدِ

فناجـــا عنـــه واليـــه فوافـــا إليـــه النـــزر مـــن كنـــز مديـــدِ

كـذا شـأن الإمامـة إن حواهـا ولـــــيٌّ لا ينـــــافق بالـــــسجودِ

حوى الرشد بن مرشد فهو عــدل إليـــه الزهـــد لـــم يـــك بالزهيـــدِ

عليـــه ألـــسُنُ النـــسّاك تثنـــي وتتلو الحمــد فــي بـيض وســودِ[١]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أنه منذ سكن عقر نزوى ، بعد البيعة، كما يروى لم يمت من بشرها كبير ولا صغير، والخبر شهير شعراً:

يطــول العمــر بالعــدل الطويــل ومن جــمّ التقــى جــمُّ الجميــلِ

أرى كثر العويــل بنــزر عــدلٍ وكثــر العــدل إقــلال العويــلِ

وكــل محلّــة أضــحت محــلاً لناصــر ربعهــا غيــر المحيــلِ

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيــة العمانيــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

إمـــام فاضـــل مافـــاه عنـــه | فتى حاوي الفـضائل بالفـضولِ
تطـــول بعدلـــه الأعمـــار حتـــى | كأنّ الموت عنهـا فـي رحيـلِ
يحلُّ الخيـر حيـث يحـلُّ طـراً | فما للـشر فيـه مـن سـبيلِ
إليـــه ســـيرة غـــرّاء ترضـــي | إله العـرش والهـادي الرسـولِ
يقـــوم إذا أقـــام بكـــلِّ أرض | مقـام الـسحب طـراً والـسيولِ
وللأغـــصان بـــالأنواء نـــور | و للأطيـــار أنـــواع الهـــديلِ
لقد حاز الثنـاء المحـض حتـى | به الأعمار طالـت أي طـولِ[١]

ومن فضائله وبراهينه، رضي الله عنه، أنه لم يفترس في أيام دولتـه ذئـب شـاةً بأرض عمان، حتى مات، تغمده الله بالمغفرة والرضوان، شعراً:

بالعدل لا أطلس للـشاة يفتـرس | إذ نوره العـدل منـه يهـرب الغلـسُ
إن الإمام الولي العدل ناصـر ذو | نصرٍ به لا يـصول العابـث الـشكس
أمانـه جنّـة للنـاس فهـو بـه | من العواء أصـاب الأطلـس الخـرسُ
إذا رأى الذيب شاةً راغ مندهـشاً | عنها وقـلّ لـه مـن رعبـه الـنفسُ
وكلُّ باغٍ تـشكى وخـز هيبتـه | كأنمـا خطـه مـن رمحـه الـورسُ
أمانه للورى شمساً غـدا ولهـم | أمسى هو البدر لم يحفـل بـه القـبسُ

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

به الهدى رائق الإيراق وهو بـــه	حمّى الضلال وربــع البغــي منــدرسُ
يحاذر الليث والـــسرحان هيبتـــه	فعن سطى الذيب أهل الكفر قد نعـــسوا
مطهر بسيوف العدل كـــلّ حمـــى	يحلّـــــه بخـــس أو كــــافر بخـــسُ
وكلّ من سلك الأنـــصاف منزلـــه	ينيره العدل لا بالجور يخـــتلسُ [٨٣٧]
به الهدى رائق الإيراق وهو بـــه	حمى العدى بالمواضـــي أرســمٌ درسُ
لا زال بالنصر مشهوراً وهيبتـــه	بها الهزبـــرُ إذا مـــا ضـــامه نكـــسُ[١]

فيا أيها الباحث عن السبب الباعث إلى إمامته وإظهار براهينه وكرامته، وهو السّيد الفاضل الأرشد، ذو الورع الناسك ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك بـــن أبـــي العرب اليعربي العربي نسباً، وقصرى الرستاق مسكناً، والإباضي مذهباً، لقد جرى بعمان من الجور والطغيان، قبل أن يلي الإمامة، ويعُم عدله الخاصة والعامة، مـــا يتعذّر حصره على العلماء الأعلام، بجموع الصحف والأقلام مـــع كثـــرة الليـــالي والأيام، وتفاقمَ الظلم، واندرسَ العلم بعمان، فصار أهلها في هوان وتناهي امتهـــان من أهل البغي والطغيان، أعراضهم وأموالهم منهوكة مهتوكه، ودمائهم، مـــسفوحة مسفوكة، لا دائد لهم مجير، ولا قائد خفير، ولا نابه يفوهُ بإصابة الصواب، ولا عالم عيلم له يد في المسألة والجواب، حتى بلغنا أن ملكاً من ملوك اليعاربة من أهل وبل الرستاق، لما كثر الجهل من الفساّق، واضمّحل العلم وأهله من عمان على الإطلاق لم يحصل إليه قاضٍ من أهل الاستقامة يقضي بين الخاصة والعامة، فأتي له بقاض

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

من أهل الخلاف، الحائدين عن الانصاف، فلما تولى الحكم، استعمل فيه الظلم، حتى أراد أن يدرس به مذهب الاستقامة وأن يذهب المتمسكون به إلى مذهبه المفضي لضدّ السلامة، فسحقاً له من حائدٍ لم يسلك الرشاد، ولم يبلغ السداد، ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، أو يشهد الله على ما في قلبه، وهو ألدّ الخصام ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنّسل والله لا يحب الفساد﴾[١]، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون﴾[٢] ﴿يريدون أن يظفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[٣] فهو كما قال الشاعر:

قاضٍ يميل عن الهدى وإلى الضلال يميلُ
فإذا قضى فقضاؤه لم يصطحبه دليلُ
فهو الصحيح مع الكِذا ب مع الصواب عليلُ

فلما سمع خيار أهل عمان بسوء صنيعه وتشنيعه، بعثوا كتبهم بعزله إلى الذي أمره بالحكم، فعزله وأراح الله العباد من الظلم، في ذلك الزمان بالعدل، إذ لم يبق أحد من أهل المدن والقرى من أهل عمان إلاّ وتجرع غصص المخاوف، وصار في قبضته الهوان والامتهان والمتالف إلا قليلاً، والقليل من روادف الرّواجف صار

---

[١] سورة البقرة، الآية ٢٠٥.

[٢] سورة المائدة، الآية ٤٥.

[٣] سورة الصف، الآية ٨.

عليلاً ضئيلاً، فلما تفاقم الظلم بعمان، عمَّ الجور والنفاق، ووقع طائرالشقاق بين أهل الرستاق غدوا لما دارت الدوائر، كما قال الشاعر:

قـــــوم تـــــــتلّهُمُ البغـــــاة	إلـــــى الفـــضايع بالــــصـّقاح
وتقـــــول إن جـــــدّت ببغـــــي	إن ذا بعـــــــض المـــــــزاح
أمـــــوالهم وهـــــي الأجـــاج	إلـــــيهم مثـــــل القـــــراح
ودمـــــائهم وهـــــي الحـــرام	علــــــيهم مثـــــل المبـــــاح
وإلـــــيهم شـــــري الكـــرام	ألـــــذّ مـــــن أرى وراح[٨٣٨]
ومقـــــالهم عنــــد الجنــــوح	إلـــــى المـــآتم لا جنـــــاح

وكان يومئذ ملك الرستاق مالك بن أبي العرب على الإطلاق، وملك نخل بلا ريب سلطان بن أبي العرب(١)، وملك سمائل مع الجمهور مانع بـن سـنان العميـري المشهور، وملك حصن سمد العالي علي بن قطن الهلالي ، وملك إبرا عـن أهـل الدّراية والخير محمد بن جفير، وإزكي على الشهرة بيد بني عزرة، ونـزوى بيـد أهل العقر كما يروى، ومنح عما روت أهل الأمثال السائرة بيد الأغـابرة، ومـع السامع والرائى حصن بهلا، وحصن بلادسيت بيد سيف بن محمد الهنائي، وحصن مقنيات وبات على المشهور بيد الجبور، وحصن ينقل في ذلك الزمن بيد الهلالـي ناصر بن قطن، وحصون جوّ توام عن كل مفضال بيد بني هلال، وحصن لوى بيد

---

(١) سلطان بن أبي العرب: والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، تولى الزعامة على نخل قبيل قيام دولة ابن أخيه الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، الذي حاربه، وانتزع منه نخل. انظـر دليل أعلام عمان، ص ٨١.

المنسوب لهم اللوى، لبحير سيف بن محمد بن جفير، وحصن جلفار الصّير بيد العجمي ناصرالدين عن الجماهير، وأما صحار ومسقط وقريات وصور، فبيد النصارى على ما روى الجمهور، فاجتمعت أراء المسلمين الذين لا تأخذهم في الله ملامة والمتمسكين بمذهب الاستقامة أن ينصبوا لهم إماماً يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر المأنوف، فاجتمعت مع ذلك المرام من جهابذة العلماء الأعلام سبعون رجلاً لا يطوون عزائمهم، إذا نشروا إلى الحرب علم الأعلام، شمُّ الأنوف، يتوثبون إلى الصّفوف كأساد الشرى، شراة يرون من باع نفسه في سبيل الله بها حياته اشترى، شعراً:

استقاميّة لهم في الجهاد	دلفات القساور الآسادِ
قاليهم فيه أمر المنأيا	لا يشك المنيب أمر المرادِ
مقتوا كل مايل لضلالٍ	فغدا حدّهُم له بالحدادِ
لم تذر بيضُهُمُ عنيداً ولا سمراً	وبيضاً إلى أهيل العنادِ
لم يرعهم ضرب الرقاب ولا طعن	صدور بالذابلات الصّعّاد
إنما الضرب عندهم ضرب والطعن	فند يوم الوغى والجلادِ(١)

وكان القدوة لأولئك الأعيان في ذلك الزمان المجدُّ في المراقي و النظر، الشيخ التقي، الجهبذة الناسك، خميس بن سعيد الشقصي الرستاقي، فلما أمعنوا النظر بمركزه في الإمامة، وصاحبها المتسربل بأثواب الثواب والكرامة، كلّمهم قال في

---

(١) انظر الأبيات في: ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آل بوسعيديين، ص٢٣٠.

المجال: ليس لها غير الفاضل الممجّد ناصر بن مرشد، فلما مضوا إليه، وأخبـروه بما عولوا عليه، أجابهم إلى ذلك بعد عذر بسيط متدارك، فعقدوا له الإمامة جهـراً في مسجد قصرى، في يوم الجمعة، السادس من شهر الحج، بغير خلف، عام أربع وثلاثين بعد الألف، وكان مسكن الإمام المذكور على المشهور في قصرى الرستاق على الإطلاق، فلما بايعته المسلمون، وعلم ببيعته الشرائية الأدنـون والـشاسعون، لاذت بذيول رايته آساد النزال وأيدّته، لا سّيما رجال اليحمد بـالأنفس والأمـوال، وقال مالك بن أبي العرب، المالك لقلعة الرستاق استهزاءاً بين أهل الشقاق، افتحوا أبواب القلعة لناصر ومن معه، لإزالة البدعة، فطفقوا في استهزائهم يقهقهـون، الله يستهزء بهم، ويمدّهم في طغيانهم يعمهون، فلما دلف إليه رجال [٨٣٩] الإستقامة، أخرجه ومن معه، يعض الكف من الندامة، فظل مالك يخاطب بلسان حالـه عنـد زياله من كان له صديقاً ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطـل كـان زهوقـا﴾[١] شعراً:

ما أشرق الرسـتاق بعـد ظلامهـا	وأتمّهـا نـوراً بنـور إمامهـا
إن ابـن مرشـد للبريّـة مرشـد	نالـت بـه الأفـراح فـي أيامهـا
إن قلت شمساً فهو شمس ظلامهـا	أو قلـت بـدراً فهـو بـدر تمامهـا
متـسربل درع الإمامـة ضـارب	جيد العدى بـوميض حـدّ حـسامها
لـم يبـق جـوراً عدلـه لمعانـد	هـام العـداة أذلّ مـن أقـدامها
إن الضلال به انتوى وبـه خلـت	كُرة البسيطة مـن دجـى إظلامهـا

[١] سورة الإسراء، الآية ٨١.

لله مـــن نـــدب إمـــام عـــادلٍ ‏ للمـــسلمين غـــدا ســـنام ســـلامها

أو ما يرى الرســتاق خاليــة مــن ‏ الفــساق حاليــة بعقــد نظامهــا

لا زال شمساً للعبــاد ولــم تــزل ‏ فلكاً فقل مــا شــئت فــي إعظامهــا

نصر الإله على الأعــادي ناصــراً ‏ وأذاقهــا بظبــاه كــأس حمامهــا[1]

فلما صارت إليه قلعة الرستاق، وانشقت شقشقة أهل الشقاق، رَحَـلَ إلـى نخـل، مستصحباً جيشاً لُهاماً فاصطلم حصنها من ابن عمه سلطان بن أبي العرب، بعد أن حاصره أياماً، ثم إن سلطان بن أبي العرب نقض إبرام العهد والميثـاق، قبـل أن يرجع الإمام إلى الرستاق، فحصره الإمام في حصنها المشّيد، ومع سلطان فئة من أهل نخل مناكيد، وقد أتت نصرة إلى الإمام رجال اليحمد وغيرهم من الأنام، فبّدد بهم شمل الأعداء بعد الإلتأم، وحين خلصت إلى الإمام بلدة نخل، وصـارت إليـه البيعة من أهلها على الآحاد والجُمل، رجع بحسن الوفاق، إلى الرستاق:

نخل نما بـسليل ناصــر نورهــا ‏ وسرى إلى ســّر القلــوب ســرورها

أضــحت بــه وضـــاّحة فكأنمـــا ‏ شمس الضحى منها يلــوح ســفورها

وكأنمـــا مـــن لؤلـــؤ و حــصاتها ‏ وصـــعيدها جريالهـــا وعبيرهـــا

إن الإمام النـــدب ناصـــر ناصـــرٍ ‏ أرجـــا عمـــان وأهلهـــا ونـــصيرها

كانت ترى نخـــل دجـــيً فأنارهـــا ‏ إذ شمـــسها هـــو حـــسبها ومنيرهـــا

بلد بـــه أضـــحت تـــروق جنانهـــا ‏ وتلـــوح بـــالنور الجلـــيّ قـــصورها

من كان يقصر عن زيارتها الخطا ‏ في كـــل حـــين بالـــسرور يزروهـــا

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

أضحت تميس غصونها وحمامهـا يـصبي القلـوب هـديلها وهـديرها

أضحت بناصر في أتـم سـرورها معـذوذب لفـم الأنـام نميرهـا

رضي المهيمن عنه فهو من الورى تثني عليه صـدورها وسـطورها[1]

ثم إن الإمام بعد أن لبث في الرستاق بعض الأيام على الإتفاق، وَفَدَ إليه الشيخ أحمد ابن سليمان العبسي برجال من قومه، كرام الشمائل، ورجال من قبـل مـانع بـن سليمان العميري، يدعونه إلى الإستيلاء على حصن سمائل، فأجابهم إلى المقـال، ووثب إليها بمصاليت أبطال من اليحمد وغيرهم [٨٤٠] المشهورين بزلازل النزال، فلما وصلها، أخذ البيعة من أهلها جميعاً، وترك مانع في حصنه، لمّا رآه له سميعاً مطيعاً، ثم مضى الإمام بجيشه الهمام إلى إزكي ومعه الشيخ الثقة خميس بن سعيد، كما ذكر المحكي، فلما وصلها، حمل رجالها، إذ سلّمت إليه أنفسها ومالها، شعراً:

زكـت إزكـي فـشرّفها الإمـام بعـدلٍ منـه ينجـاب الظـلامُ

غـدت بضيائه أفقاً فقالت أشمـس أنت أم بدر تمامُ

نعم إن ابن مرشـد شـمس عـدلٍ و بـدر إن تفـاخرت الكـرام

حـوت إزكـي بـه أنـواع نـور وأنـواء تجـول بهـا الغمـامُ

فقـل لعمـان إنـكّ فـي أمـانٍ تقيـلُ مـع الـسّباع بـه الـسّوامُ

أُتـيح لناصـر نـصر وفـتح بـه يبكـي ويبتـسم الحـسامُ

لقد أفنى العـدى بـوميض بـيضٍ يطيـر بهـنّ للأعـداء هـامُ

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

معاديـــــه بلـــــسعته ســــليم مواليــــــه يــــــسلّمه الـــــسلامُ
يمـــــنٌ علـــى أعاديـــــه مـــراد ويحلـــو للمحـــب بـــه المـــرامُ
عليـــه رحمـــة الـــرحمن تـــسري برضـــوان يـــسرمده الـــدوامُ[١]

ثم مضى بجيشه إلى نزوى، فالتقته أهلها بالترحيب، وأقام بعقرها، فصدع الباطـل بعدله المهيب، فلبث فيها بعض الشهور عل المشهور، ثم إن بعض أهل المكر مـن أهل العقر، أراد أن يخرجه من كُرَة الحجرة، وطووا النّشر عـن العامـة، فنالـت الخاصة بذلك محض الخسرة والحسرة، فلما كان يوم الجمعة، خرج الإمام للصلاة إلى المسجد الجامع، وحوله من حاولوا البغي، يمشون مشية الخاضع الخاشع، فلما قضيت الصلاة، أخبر الإمام بعض الأنام عن شأنهم، فلما شاعت إليه أشياء شنانهم، أمر بإجلائهم من البلاد، ونهى عن قتلهم، والبطش بهم، مـع القـرب والإبتعـاد، فتفرقوا أيادي سبا في البلدان، ولجأ جمهورهم إلى سيف بن محمد الهنائي[٢] ببهلا، وإلى العميري مانع بن سنان، وقبد كان مانع قد عاهد الإمام على إتبـاع الحـق، فشايعهم على الضلال، وفتق الرتق، وضد الصدق، وقد زهى ســيف بــن محمــد

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[٢] سيف بن محمد الهنائي: قائد ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، سار بقومه مـن بـلاد سيت إلى بهلا مناصراً للأمير عمير بن حمير، فتولى الحكم بها، بعد أن أصبح كل جـزء مـن عمان يخضع لحكم غير الذي يخضع له الآخر، خاض حروباً ضدّ الإمام ناصر بن مرشد، فوجه إليه الإمام جيشاً بقيادة عبدالله بن غسان، فلما نزل الجيش بلاد سـيت، هـرب الهنـائي مـن الحصن، فأمر الوالي بهدم حصنه، فهدم، ثم أتى الهنائي إلى الإمام يطلب منه العفـو والغفـران، ودانت بذلك للإمام جميع قبائل عمان. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٨٧.

الهنائي المتولي حصن بهلا بمشايعة الفئة الناكثة، وتخيلت إليه بواعث من نفسه العابثة، فلم يزل الإمام يغازيه، ويفل شوكة عازيه، وقد أشاد الإمام بشورى كل ناسك الحصن القديم الذي بناه بالعقر الإمام الصلت بن مالك، فلما أكمل بنيانه، واستملح عيانه، أتته رجال أهل منح، لإقامة العدل فيهم، وكف كف من يبغي يوافيهم، فوفد عليهم برجال ضياغم كماة أكارم، فاستأصل الحصن والبلاد، وأنال العباد من عدله وإحسانه المراد، شعراً:

لقد حوت منحاً لم أحصها منح	وعمّها بالإمام العادل الفرحُ
ألقى لها ناصر نصراً به انشرحت	وكل صدر بنصر منه منشرحُ
لها به حصل الإبهاج فهي به	لها بهاء به الإبهاج متضحّحُ [٨٤١]
تهنى الأنام به فهو الإمام لهم	ومنه أفراحهم ما ابتزها التّرحُ
بعدله الناس بالإيناس في دعةٍ	بأمنه العُفُر والسيدان تصطلحُ
بابن مرشد نال الناس رشدهم	فعنهم ما يُعنّي النفس منتزحُ
بعدله دمّر البغيَ البهيمَ فما	بنوره ظلمات البغي تتشحُ
للّه من عادل ندبٍ فلا عرض	به يُحَسُّ إلى باغ ولا شبحُ
يُثْني عليه ويتلو حمد سورته	بالعدل مغتبق سارٍ ومصطبحُ
من الصدور سطور من محامده	فكم لنا الشارحون الحمد قد شرحوا(١)

فلما خلصت له منح، وحصلت لها من عدله المنح، رجع إلى نزوى، عما يروى، أتته رجال أهل سمد الشأن بخضوع وإذعان، وكان يومئذ ملك حصنها العالي علي بن قطن

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

الهلالي، فبعث إليها الإمام جيشاً يعب بالشجعان أميره الشيخ الفقيه مسعود بن رمضان(١)، فلما وصلها، استأصلها، واستعذبت الكرام زلالها، حين نزلها، شعراً:

سمد الشأن حزت بالعدل شانا ... وانتوى عنك كلما قيل شانا
صرت خير المكان والعدل لا زا ... ل بأنواره يزين المكانا
أنت إن لُحت لُحت للعين أنها ... راً وطابقت بالقصور الجنانا
نلت عدلاً من ناصر وبه نال ... من الله ذي العلى الرضوانا
ما أحيلا به عمان لقد أضحت ... عمان به تجر الأمانا
مزّق البغي وانتوى الخوف عنها ... فهي تغري أمانه إعلانا
إنّ للحال ألسناً يخفض السمع ... إليها من كان شهماً لسانا
حاز فضلاً ينيره منه برها ... ن فأضفى الأفضال والبرهانا
شمس عدل وبحر علم فلا يلفظ ... إلاّ الجمان والمرجانا
نال منه محبّةً سنن الفضل ... ونال العدو منه السّنانا(٢)

(١) مسعود بن رمضان: الشيخ العلامة الفقيه مسعود بن رمضان بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عمر بن نبهان بن مظفر بن نبهان بن ذهل بن محمد بن عمر بن نبهان بن عثمان النبهاني النزوي العقري، كان مسكنه سمد نزوى، وكان من قضاة الإمام وولاته، وهو الذي افتتح سمد الشأن للإمام ناصر، وللشيخ مسعود فتاوى كثيرلاة، توفي في أيام الإمام ناصر بن مرشد اليعربي. انظر الترجمة الكاملة في البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص ٤٨٩ – ٤٩١.

(٢) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فلما صارت إلى الإمام سمد الشأن، وفدت عليه رجال إبرى بإذعان، وكان ملكهـا يومئذ عن كل نابه وحبر محمد بن جفير بن جبر، فدلف إليها الإمام، وحصل لها إذ خلصت له الكرام، ودانت إليه جعلان وسائر الشرقية، ففازت أهلهن بعيشة رضية، شعراً:

قـــل لإبـــرا وســـائر الـــشّرقيّة	جـــاءكن الهنـــى أرى بالـــسويّه
ولجعـــلان قـــد أتـــاك أمـــان	بعـــد طعـــن الـــصدور بالـــسمهريّه
إن فضل الإمـــام فـــاض علـــيّكن	علـــى أنـــه أبـــرّ البريّـــه
ناسك سار سيرة الناسـك الـصدّ	يـــق أو ســـار ســـيرة عمريّـــه
استقاميٌّ أبـيض الوجـه والفعـل	نقـــي التقـــى رضـــيُّ الـــسجيّة
حبُّـةُ الـدّين لا الـدراهم واللُّـذا	ذة لا جمـــع صـــرّة عـــسجديّة
بذل النفس للجهـاد وقـال الـشر	ف المحض في ظبى المشرفيّة[٨٤٢]
منه نالت عمـان محـض أمـان	فهـــي غـــرّاء بالفعـــال الرضـــيّة
إنما ناصـر بـن مرشـد مفـضا	ل إمـــام زاكـــي الفعـــال الجليّـــة
رضـــي الله عنـــه فهـــو ولـــي	يتـــولاه ذو المـــساعي الزكيّـــة[1]

ثم إن الإمام رجع إلى نزوى مؤيداً بالناموس، وبقيت صـور وقريـات ومـسقط وصحار بيد النصارى الطموس، وقد أنفذ الإمام جيشاً إلى بهلا، فرجع أميره مـن

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

قاع المرخ لرأي رآه من المناجزة الأولى، ثم جمع جيشاً جراراً، وضم إليه رؤساءً أخياراً، ومضى به إلى الظاهرة بعزيمة قاهرة، وحين وصلها، نصرته رجال الغيالين على القالين، ففتح وادي فدا على رغم العدى، وأقام أركان حصنها القديم، فأجره على الله الكريم، شعراً:

بنى الإمام العدل حصناً ... على رغم العدى كهلاً وناشي
فجاء إليه راكبهم ذليلاً ... يعثره الجوى في زي ماشي
يقول لصحبه و العيس تحدي ... به و بهم أرى ذا الذل فاشي
ألا إن الإمام إليه جيش ... على أعدائه ينمو بجاشِ
فليس لنا سوى الإذعان شيءٌ ... فإني خاشع نكس وخاشِ
أُتيح لناصر نصر وفتح ... له في كل حاشيه حواشِ
إذا غشي العداة بجّر جيش ... فلا تبقى لهم منه غواشِ
إمام قد أمات الخهل طراً ... وأضحى العدل منه في انتعاشِ
فبات عدوه يذري دموعاً ... ويفترش الكآبة في الفراشِ
به أضحى المحب حليف بشر ... وقاليه بلسعِ وانتهاشِ[1]

فلما قضى الإمام وطره من فدى، ورجع مسروراً إلى نزوى بفل شوكة العدى، مضى إلى سمد الشأن، فلم ير من أهلها غير الطاعة والإذعان، ثم مضى بجيشه الدفاق إلى الرستاق، برجال كرام من بني ريام، فلما وصلها، أتاه صارخ عن نخل،

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

إن محمد بن جفير بقومه دخلها، فاستحلها، فوثب إليه الإمام بجيش همام فيه من المعاول وغيرهم رجال كالأعلام، فلما سمع محمد بن جفير بجيش الإمام فر فرار الفرّار من الإضرام، فلبث الإمام في نخل يومين، ثم رجع إلى الرستاق بنصر الله الخلاق، قرير العين، شعراً:

زكت بالهدى أعراضه وجواهره	ألم تر إن سار السرور يسايره
يؤيده إيمانه فهو طاهر	فما في النضير النسك ندب يناظره[1]

فلما كان مقامه بالرستاق بعض الأيام، وفد عليه الشيخ خميس بن رويشد الضنكي،[2] بمعاشر فاخرة، يستحثّه على حروب الظاهرة، وفل شوكة من فيها من الجبابرة [٨٤٣] فدفق الإمام جيشاً أرعناً عليها، وخيم بالصخبري، حين دلف إليها، وقد نصرته أهل الشرق الضحاحكة بأموال ورجال متداركة، فلما مضى إلى الغبيّ

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن البيت غير موجود في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظه لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

(٢) خميس بن رويشد الضنكي: الشيخ العالم الفقيه خميس بن رويشد بن خميس المجرفي الضنكي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، أيام الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله). وعندما توجه الإمام ناصر إلى الظاهرة، وافتتح وادي فدى، وأمر ببناء حصنها، ناصره أهل العلاية من ضنك، وكان في مقدمتهم الشيخ خميس بن رويشد، ورجال الفياليين. وهو من ولاته وقواد جيشه، ولما تحركت الظاهرة بعد فتحها، أقبل الشيخ خميس يستنصر الإمام، فجهز الإمام جيشاً، ساربه بنفسه، وفتح عبري وحصن الغبي، وولي الشيخ خميس على حصن الغبي. وللشيخ خميس ارجوزة في الفقه تبلغ مئات الأبيات، أولها:

الحمد لله الذي ليس له　　قبل ولا ولا عدله

توفي الشيخ خميس بن رويشد الضنكي أيام الإمام ناصر بن مرشد. انظر الترجمة ونص القصيدة في: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج٣، ص ١٤٤ – ١٤٩.

بالرجال، صك بهم دونها جمهور آل هلال، فكانت بينهم وقعة تطايرت بها الجماجم، وتصرمت الآجال والصوارم، فقتل من مصاليت الإمام الأشد أخوه جاعد ابن مرشد[1]، ومن ساير قومه يسير، ومن فئة الأعداء كثير، والخبر شهير، شعراً:

قضى الرضي جاعد بالصارم الخذم ... فنال أجراً جزيلاً غير منخذمِ

إلى الجهاد مضى حتى قضى فبكى ... عليه كلّ كمّي ناسك بدمِ

مضى حميداً شهيداً في ثياب دم ... فباء قاتله بالسخط والندمِ

قد كان في موقف الهيجا يرى علماً ... إذا أتى جحفل الأعداء بالعلمِ

لا غرو إن صاريا أنصاره عدماً ... فكل حي سوى الرحمن للعدمِ

أجر العزاء لقد خُصّ الإمام به ... وعمّ أهل النهى والمجد والهممِ

من باع للّه نفساً في الجهاد له ... منه الرضى وجزيل العفو والكرمِ

إن الشهيد له أجر له أرج ... أنواع أنواره في اللوح والقلمِ

من لم يمت بالظبى كانت منيّته ... بغيرهن وغير الله لم يدمِ

تفنى النفوس ويبقى الفعل مصطحباً ... يوم المعاد وجوه النور والظلمِ

ياللرجال قضى خير الرجال ففي ... أفواهكم حمده تفضيله وفمي

فيها الجهاد لقد أرضى بمهجته ... ربّ العباد فلا يرتاب كلّ كمي

ففي الزحام إمام كلما احتدمت ... نار الوغى داسها بالنعل والقدمِ

فما يقول مع الأهوال واسفي ... ولا يقول مع الأغوال واندمي

إذا رأى شهب الأرماح لاح له ... وجه هو البدر لا يرتاب في الحممِ

أعطى الظبا حقها بالضرب فهو فتى ... لفيلق الخصم فلّاق إلى القممِ

---

[1] جاعد بن مرشد: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وهو أخو الإمام ناصر بن مرشد وأحد رجال دولته، قتل في حصن الغبي في الحروب التي دارت بين الإمام ناصر مناوئيه. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٤٥.

لاغرو إن ثلمته البيض يـوم وغـىً
إن الحـسام لقـد ينبـوا بـلا سـئمِ

مضى حميداً فلا ذمـاً إليـه تـرى
أهل الحفاظ وأهل الـصدق والكـرم

أضحى الثناء عليـه بالـسنا سـوراً
فمحمده في اتصال غيـر منـصرمِ

كسعيه مـن أراد الحمـد يـصحبه
يسعى فلا خيم للمقصور في الخيم[١]

فلما تحصّنت الفئة الباغية عن الإمام في صياصيها، دلف إلى عبري، فافتتحها بعد سفك دم عاصيها، ثم رجع إلى الصّخبري مهلل وملبي، وفتح بالمحاصرة حـصن الغبيّ، فجعل واليه فيه خميس بن رويشد الضنكي شعراً:

لقـد دانـت الغبـيّ بعـد عنادهـا
ولان بحدّ البـيض صـعب انقيادهـا

رماهـا إمـام المـسلمين بفتيـةٍ
تصعّد أرواح العدى في صعادها[٨٤٤]

حـلا نـصره للناسـكين فجرّعـوا
به عـصبة الأعـداء غيـر مرادهـا

حوت فئة الأعداء شجواً فلـم تـزل
قلـوبهم فـي جمرهـا واتّقادهـا

ألم يعلموا أن الـشراة إذا انتـضت
حساماً رأت كل الهنى فـي جهادهـا

محبتهم في الـدين لا فـي دراهـمٍ
يلوح اتّقـاد الحـسن عنـد انتقادهـا

كفى ناصـراً نـصر الإلـه فإنـه
به أحـرم الأعـداء طيـب رقادهـا

هو الباسل النّدب الذي ترك العـدى
ترى جمعها من وحشةٍ فـي انفرادهـا

رماهم ببيض الهند والسمر فاغتـدت
رؤوسـهم تـدلى بينـع حـصادها

ألا في سبيل الله ما عنّ مـن عنـىً
له فهو أعطى البـيض حـقّ جلادهـا

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

لقد نـــال رضـــوان الإلـــه بـــسيرةٍ لها ســـنن فـــي قـــصدها وســـدادها[1]

ثم إن الإمام، مضى إلى بات، ففتح حصنها بالعزم والإثبات، وجعل إليه فيه الشيخ الرستاقي محمد بن أحمد، ومعه محمد بن سيف الحوقاني[2] الممجد، شعراً:

حوت بات أشتات الهنى بابن مرشـــد فأصـــبح غاويهـــا رشـــيداً بمرشـــد
رأت كل صلح نيّر حـــين صـــالحت إماماً حوى إخلاص نـــسك وســـؤددِ
إمامتـــه بالعـــدل يـــضفو فرنـــدها بـــأنواع أنـــوار علـــى كـــل مهتـــدِ
رنا كلُ من يبغـــي الهـــدى بمـــودّة رما كلّ مـــن يـــأبى الهـــدى بمهنـــدِ
تجرّد بالنـــسك الـــصريح فلـــم يـــزل يؤيـــده شـــرعاً بعـــضب مجـــرّدِ
يصول على الأعداء في كـــل معقـــلٍ ويقـــتلهم فـــي كـــل بيـــد وفدفـــدِ
إليـــه وداد فـــي جهـــادٍ ولـــم يكـــن إليـــه وداد فـــي لُجـــين وعـــسجدِ
له سيرة يرضى بهـــا الله ذو العلـــى وخيـــر العبـــاد الهاشـــمي محمـــدِ
علـــى أنـــه طهـــر إمـــام مهـــذّب عليه الثناء المحض في كـــل مـــشهدِ

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[2] محمد بن سيف الحوقاني: قائد، والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحد رجال الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله). قام بدور مهم في أيامه لإقامة معالم الإسلام فـــي ربـــوع عمان، ولاه الإمام ناصر قرية بات، ومعه والٍ من أهل الرستاق، وعهد إليه بالتعاون مع والـــي الرستاق، ثبّت دعائم الدولة اليعربية في منطقة الظاهرة. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤٧.

حمى الدين بالسيف الصقيل وقد سقت بواتره كأس الـردى كـل معتـدِ[1]

وعند رجوع الإمام من بات إلى نزوى، أمر محمد بن أحمد ومحمد بن سيف بسلّ السّيف على أهل الشقاق والعدوان، وبفتح ما بقي من قرى الظاهرة بيد الجبـابرة، فلما أزمع الإمام للترحال، ترادفت المغازي عليها من بني هلال،وهم يومئذ بناحية الأفلاج من ضنك وأقاصي الشمال، فدلف إليهم الواليان الوليّـان بجـيش كثيـر، فصادف جمعهما بالذّير، فتمزق جيش البغاة بسيوف جيش الشراة تمزيـق الثـوب البقير، وقد أخذ الواليان الوليّان إبل قطن بن قطن الهلالي ليستنصرا بها على كـل مستنكف قالي، وقد حصر أركان حصنه الشهير بالمشاهير، فلما يئس من النـصر، ركب إلى الإمام، فصالحه على تسليم حصنه بردّ الإبل والعير، فكتب الإمام بـردّ إبله وعيره عليه حين صار حصنه إليه، فكان الوالي فيه من قبل الإمام، محمد ابن سعيد بن عبدالسلام.[2] ثم دلف الولاة إلى حصن مقنيات، فحصروه، وبه وزير من قبل الجبور فقهروه، واجتمع للجبور، من بني الرّيس وبني هلال جيش لا يحـصيه غير العليم المتعال، فخاف جيش الشراة إدلاف جيش البغاة إلى بات، [٨٤٥] فلمـا

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

[2] محمد بن سعيد بن عبد السلام: هو الشيخ الفقيه محمد بن سعيد بن عبد السلام، من بلدة نخل، له مؤلفات عديدة منها: كتاب "سرّ الأحكام، ورحمة الحكام" في الفقه، وكتاب "منهاج الأبرار فـي بيع الخيار". وكلاهما في مكتبة وزارة التراث. انظر: البطاشي، حمود بن حامد: اتحاف الأعيان، ج٣، ص ٤٤٤.

مضوا إليها بالعزم والإثبات، صادفوا بمري جيش الجبابرة، فزاحموه بالعزائم الباهرة، فوقع بينهم ضرب وطعن شديد، تثلّم منه الحديد، فانكشف جيش البغاة إلى مقنيات، وتبعه جيش الشراة بعزائم أريحيات، فوقع القتال الثاني بينهم دون الدار، من صلاة الفجر إلى نصف النهار، فكان القتل والجراح في المسلمين، وأكثره في المستتكفين، حتى عجزوا عن دفن أصحابهم باليسار واليمين، فلّما تحصنت البغاة في حصنهم الأسود، من مقنيات رجعت المسلمون بالخط الأبيض إلى بات، وأما الإمام، رضي عنه الله، العلاّم، جمع جيشاً يموج كاللج، فدخل به ليلة العاشر من الحج، فلما حصرها بجيشه اللهام شهرين إلاّ ثلاثة أيام، دلف من الظّاهرة جيش الجبور نصرة إلى سيف بن محمد الهنائي المتوقّل في الطّماح المشهور، فالتقى فيلقهم فليقُ الإمام بمصاليت كرام، فتبّدد شمل جيش الطغاة الطغام في البيد والأودية والأكام، وقد قتل من جرثومة الجبور الدهمشي القاسم بن مذكور[1] وما خلاه من قومه كثير، والخبر شهير، فلمّا طال على الهنائي الحصار وعدم الانتصار، سلّم الحصن إلى الإمام، ومضى إلى بلاد سيت، سليماً من السنان والحسام، شعراً:

ألا إن بهلا عمّها الخير والهنا	وليس لها عَمَّنْ إذ سالمت عنا
عتت ثم دانت للإمام الذي غدت	محبته في الدين لا في هوى الدّنا
حوى ناصر نصراً من الله فاتحاً	به كل باب قفله البيض والقنا
إذا ما سعى يبغي الجهاد وقد رأى	أمرَّ المنايا فيه فهو له المنا
إمام حباه الله عزاً وصولةً	بها إذتفانى الصبّر لا يختشي الفنا

[1] قاسم بن مذكور الدهمشي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحد قادة جيوش الجبور في مقنيات، والتي حوصرت من قبل الإمام ناصر بن مرشد على يد الهنائي لمدة شهرين، وقد قتل في هذه الحروب. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٣٣.

مهيبُ يــروع المعتــدين بهيبــةٍ إذا مــا نــأى عــنهم لــه الله أودنــا

يطاول أفــلاك الــدراري ســنانه ويبهرها إن لحــنَ بالــضوء والــسّنا

معاديه في رأس الأســنة رأســه وكّــف مواليــه لهــا الغُــنمُ والغنــا

ألم تَرَ بهلا قد غدت بعــد ظلمــة إليها يرى نــور الغزالــة مــن رنــا

ألا رضي الــرحمن عنــه فإنّــه لقد كان شهماً صالح الفعــل مُحْــسنا[1]

فلما صار حصن بهلا إليه، رجع إلى نزوى وألسنة الناس تثني عليه، فما لبث فيها غير أيام قلائل حتى جمع جيشاً، فدلف به إلى سمائل، فلما وصلها، عاهــده مــانع على اتباع الحق، وعفا عنه، لمّا رآه راتقاً للفتق، ثم إن الإمام أمر ببنيــان حــصن سمائل القديم، فلّما تم، ولّى فيه الشيخ محمد بن إبراهيم شعراً:

شرفت ســمائل بالإمــام العــادل وســـمت بـــشّم مناقــب وشــمائل

وجدت بناصر نصرها فتنــاظرت أرجاؤهــا ببــسيط بُــشر كامــلِ

فغدا بها غيــث الرفاهــة ســائلاً وغــدت بــذاك و ســائلاً للــسائل

دار غدت داريــن فــي نفحاتهــا إذ فــضلها بإمــامِ فــضلٍ عــادلِ

قد أشرقت فضياؤها مــن جــوهر يمحــو بــه ظُلــم البهــيم الحايــلِ

لا غرو إن أضحت به مخــضّرة لما حماهــا بالوشــيح الــذايل [٨٤٦]

لــسيوفه فــي كــل بــاغٍ رنّــة وبُكــا الــصوارمِ بابتــسام الباســلِ

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيــة العمانيــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

للّـــه مـــن نـــدبِ إمـــام عـــادل يهوى الجهـاد ولـم يـصخ للعـاذلِ
فاليـه أشـهى مـا تمنّـى فيلـق متـــآلف بـــذوابل ومناصـــل
فعليه رحمـة ربّـه مـا غـرّدت ورق الحمام في اخـضرار خمائـل[1]

فلما قضى الإمام وطره من سمائل، رجع إلى نزوى، يشتمل الشمائل، فلما وصلها، لبث فيها بعض الأيام، ثم مضى إلى مقنيات بجيش لُهام، فلما وصلها وقع بينه وبين الفئة الباغية طعان، رعفت منه الحراب، وضراب تثلّم منه القضاب، وقد خلص له حصنها بعد أن حصره ثلاثة أشهر، هكذا الخبر على الأشهر، شعراً:

دانت مقنـات بالهنديـة القـضبِ وبالقنا الأصـفر المنـسوب للعـربِ
وسلّمت لإمام العـدل حـين رأت يُرى الضرّاب له أحلا مـن الـضَّربِ
رمى العدى ببروق من بـوارقه و من قناه رمى الأعداء بالشـهب
و بالكتائـب وافـاهم فغـادرهم في ألسُنِ الناس أخبـاراً وفـي الكتـبِ
للّه من عادلٍ ريقَ الحُـسامِ يَـرَى أحلا له من رُضـاب الخـرّد العُـربِ
له مقنيّات دانت بعـدما عبـست بوجهها فغـدت بالبـشر فـي طـربِ
تمزّقت بسيوف الـدين وانْتَثَـرت بغاتها فـي الحمـى والبلقـع الخـرَبِ
ونالَ من مالَ للتقوى هنيً وغنـيً إن الهـدى لثـراء المتـرب التـرب
من نال من ناصر نصراً أُتيح لـه بأس يناظر بأس الحـرب والحَـرَبِ

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

أعلا محلتـــه ربّ الـــسماء فمـــا   زالت مراتبه تعلـــو علـــى الرُّتـــبِ[1]

فلما صار بيد الإمام حصنها المشيّد، جعل واليه فيه الشيخ محمد بن علي بن محمد الممجّد، ثم إن سعيد بن سيف الخيالي وجماعته، جزاهم الله شراً، جعلوا يكـــاتبون الجبور لحرب ولاة الإمام سرّا، فدلفوا إلى الصخبري بطغاة لئام، فقتلوا رجلاً مـــن الضحاحكة، وأناساً من شراة الإمام، فدلف إليهم محمد بن سيف والي الإمام العادل بقبائل وقنابل، وكان بينهم من البؤس نظير حرب البسوس، ومن الهياط والمياط عام ابن همّام بدمياط، أماّ ملحمتهم بالعجفيه غير مخفيّة، ووقائع بملاحم متوالية بالغالية، ووقعة بالمطّهرة غيرمنسيا،ووقعة بالزيادة ربت بالزّيادة، ووقـــايع شـــتى كـــاد أن يتزعزع بهّن ركن الإسلام أو حتى، فلما تكاثرت على محمد بن سيف مدد الأعداء جمهوراً جمهوراً، أدبر عنه أكثر قومه، فبقي في حصن الغبي محصورا، فلّما علم محمد بن علي بمصابه، وتجّرع صابه وأوصابه استصرخ رجاله، ودعى أبطالـــه، [٨٤٧] فسار بهم إلى الغبّي سراً، ووضع السيف على الأعداء، لمّا وصلها جهراً، فصدعهم بالبيض والزّجاج صدع الزجاج، وتركهم بالمدى والخناجر رؤوساً بـــلا حناجر، فلجأ من نجا منهم إلى ينقل، والى كلّ منزل إلى الأعداء ومعقل، وأيّـــد الله المسلمين بالنصر والفتح المبين، شعراً:

بالنـــصر حـــزب الإســـتقامة أجـــدر   حـــزب البغـــاة وإن نمـــا لا يظفُـــر

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

ضحكت سيوف فتى علي في العدى	وبكت فمدمعها نجيع أحمرُ
هزّ الصوارم والزجاج فأصبحوا	مثل الزجاج لدى الوغى تتكسّرُ
للّه من ليث هزبر زائرٍ	لا للعداة لديه ليث يزأر
يهوى الوغى فإليه حرّ نزالها	يوم الهياج هو الزلال الكوثرُ
فإذا تأخرت الرّجال عن الوغى	يوماً سعى فيها ولا يتأخرُ
كثرت على أعدائه دلفاته	فبه لقد يروى الوشيجُ السمّهرُ
ويرى إذا البيض الحداد تألقت	بيضاً تألق لاذها المتعصفرُ
ترك العدى يوم العريكة سجّداً	والسيف للباري الجليل يكبّرُ
فكأنما أضحى خطيباً سيفهُ	والهام من فئة الأعادي منبرُ
لا زال ناصر ناصراً إذ ناصر	ندب لأهل الإستقامة ينصرُ[1]

ثم إن مانع بن سنان طفق يكاتب سيف بن محمد الهنائي ذي الشنان، وبعض رجال عقر نزوى، لنكث عهد الإمام بالكتمان، فلما أجابوه على المكر، دخل بقومه حلّة العقر، فما تركوا إلى الإمام ذماما منشوراً، بل لّجوا عتّواً ونفوراً، وتركوه ومن معه في الحصن محصوراً، فلما علمت فئة الإسلام بما جرى على الإمام، أتته رجال النصرة من إزكي وبهلا وجبل بني ريام، فأخرج به الفئة الباغية من العقر، وصرع من صرع منهم بالردينّية والبتر، فخوطبوا بلسان الحال، مع الانحلال من مال إلى الضلال رأس أفعاله خبيث فعله (ولا يحيق المكر السّيُ إلاّ بأهله) أيا من تمشّى تيهاً، من حفر لأخيه حفرة أوقعه الله فيها، ومن أراد محض الغدر بأهل الشكر

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

عذره لا ينفعه، ومن كان مع الله كان الله معه، يحظى كل ناسك حليم من الكريم الكرامة، ويحظى كل باغ مرتاب من شديد العقاب بضدّ السلامة، أيا من راغ ويا من رعا لمقال ذي الجلال سمعاً ، وإن ليس للإنسان إلاّ ما سعى، فلما صفا كدر نزوى إلى الإمام، وعذب مشربها للأنام، مع الرّي والأوام، وجب تفخيمها بالنثر والنظام،لا سيما إذ هي تدعى بيضة الإسلام، شعراً:

حوت نزوى لها البشرى ضياءَ	وحازت بالسّنا الضافي الضياءِ
رأت من نصر ناصر كل نورٍ	وقد شفّت ببهجتها ضياءَ
تقول الزّائرون أأنت أرضي	أيا نزوى فصرتِ لنا سماءَ [٨٤٨]
حباك النور صنع إمام عدلٍ	فمحض النور منك لنا تراءَ
فحسبك بالإمام العدل فخراً	فأنت به لقد حزتِ الثناءَ
به الإسلام أصبح في ابتهاجٍ	يهز من الضياء له لواءَ
رمى الأعداء بالبيض الدّوامي	فدّفق في ربوعهم الدّماءَ
يرى ضرب الطُّلى ضربا إذا ما	عن الدين العدى ركبوا الإباءَ
رأت راياته الأعداءُ تسري	بنصر فتحه منه أضاءَ(١)

فلما صارت بيد الإمام، مضى إلى سمائل بجيش كامل، فهدم على رغم أهل العدوان حصن مانع بن سنان،وقد هرب مانع قبل وصول الإمام إلى فنجا، ثم مسقط، مع النصارى بالمنجا، ثم رحل إلى لوى، فلاذ بمحمد بن جبير والتوى، فلما رجع الإمام، بحظو الغاية القصوى إلى نزوى، جمع جيشاً يموج كالتيار بالإكثار، أميره

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

عبدالله بن محمد، صاحب كتاب خزانه الأخيار في بيع الخيار، فقصد به عن أمره بلادسيت، فلما وصلها، ترك تربة حصنها بالهدم دارسيت ، وقد فرّ واليها سيف بن محمد ببعض الأنام إلى الإلمام، فلما وصله، وطلب منه العفو مع الإمام، عفى عنه وصار معه من الأمان، و الذّمام وفي عزازة واحتشام، فلما دانت قبائل عمان بلا إبهام، وحصل له منها مري المرام، زهت به فخراً، وأثنت عليه شكراً، وفاه لسان حالها بتفخيمه شعراً:

صفى فصفت بنضرته عمان ... ولاح لها بنصرته الأمانُ

فما برحت به تصفو بهاءً ... له في أوجه البشرى عيانُ

لقد كانت دجاً فغدت نهاراً ... به ولها من الأنوار شانُ

تلف العفر والسيّدان فيها ... من الأمن المحاني والرعانُ

وكل محلةكانت خراباً ... نمت فيها المساجد والأذانُ

إذ سنّ البغاة البغي فيها ... تثنّى في رؤوسهم السنانُ

فحسب عمان حازت محض نصرٍ ... بناصر فهي بالبشرى جنانُ

نما الإيمان فيها فهي تزهو ... بأمن يستضيئ به الزمانُ

عليه الناس بالإيناس تثني ... ثناءً في معانيه بيانُ

تسربل بالإمامة نور عدلٍ ... فأضحى في المكين به المكانُ

جزاه الله خيراً فهو ندب ... إمام في الطغاة له طعانُ[1]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

ثم إن الإمام، مضى بجيش لُهامُ، ومعه الشيخ خميس بن سعيد الهُمام، فحضر بحصن ينقل ناصر بن علي الهلالي، ومن معه من الأنام، فلما استيقن ناصر أنه مغلوب ومن الحصن على طول الحصرمسلوب، سلّم الحصن إلى الإمام، وسلم من السّنان والحسام، شعراً:

أتى خاضعاً دونه الخاشع ... وأنى له لوعتا مانع [٨٤٩]

فتى قَطَنٍ ناصرٌ لَمْ يجد ... له ناصراً عزمه ناصع

أتاه بجند الهدى ناصر ... وفي كفه مخذم قاطع

فألقى السّنان وحاز الأمان ... وفارقه الحصن والتّابع

حواه إمام له صولة ... يقصّر عنها الفتى الشّاجع

محبتُه الدّين ليس الدُّنا ... وخِلٌّ له السّاجد الراكع

إلى اللغو لم تصغ آذانه ... وللصلح فهو الفتى السامع

غدا سعيُهُ في سبيل الإله ... به يقتدي الناسك الطائع

فراياته كل عين تراها ... يرفرفها نصرُها اللامع

عليه الثناء إليه سنا ... تألّقه للورى شائع[١]

فلما صار حصن ينقل للإمام، جَعَلَ وإليه فيه العبري بجاد بن حمحام، وحين رجع الإمام المؤيد بنصر الخلاّق إلى الرستاق، جهّز جيشاً يموج بجأش قوي، أميره الشيخ عبدالله بن محمد بن غسان النزوي، وأمره أن يقصد بذلك الجيش اللهام بلدة

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

الجّو المعروفة بتوام، فلّما مضى عبدالله إليها بالجيش المجري، صحبه الشيخ خميس بن رويشد الضنكي، وحافظ بن جمعة الهنوي، ومحمد بن سيف، ومحمد بن علي، ومن معهم من الأنام، فافتتحوها بالجيش اللهام، بعد طعن السنان وضرب الحُسام شعراً:

دانـــت الجّـــو للإمـــام الرّضـــيّ	بعـــد جـــزّ الرقـــاب بالمـــشرفيّ
ورأت لا علوهـــــــا بعلـــــــوّ	هـــو مجـــدي لهـــا مـــع الـــسّمهريّ
فتـــرأى لهـــا خميـــساً خميـــساً	ورأت هونهـــــا مـــــع الهنـــــويّ
ورآهـــا فتـــى علـــيّ ضـــراباً	مـــا حكـــاه إلا ضـــرابُ علـــيّ
ورأت من ســـليل ســـيف مـــن ال	ســـيف ردًى مـــن جهـــاده العمـــريّ
أســـتقامية لقـــد نـــصروا الـــدين	فكـــانوا يـــد الإمـــام الـــوليّ
ووفاهم صـــديقهم و هـــو أعـــلا	رتبـــة عنـــد ربهـــم والنبـــيّ
نـــصر الله ناصـــراً فهـــو نـــدب	ناســـك ذكـــره بكـــلّ نـــديّ
مزّق البغي بالقواضـــب والـــسّمر	فلـــم يبـــق بغـــي بـــاغ غـــويّ
إنمـــا حبّـــه التقـــي لـــيس هـــواه	فـــي وســـيم اللجـــين والعـــسجديّ
رضـــي الله عنـــه فهـــو جـــدير	برضـــى الخـــالق العلـــيم العلـــيّ[1]

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فلّما صار حصن توام إلى الإمام، ولّى على أهلها الشائع بالشرف أحمد بن خلف،[1] وقد وقع حمّ شقاقٍ منشور، وتفاقم نفور بين الجبور، لمّا قتل محمد بن جفير المشهور، فأقوى بذلك قوى بني هلال، وأشرف نظام عقدهم إلى الانحلال، وقال لسان الحال مع الزيال انقرضت دولة أهل البغي والشّماس، ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾[2]. وكان المالك يومئذ لحصن لوى المشيد، سيف بن محمد بن جفير النّجيد، فكتب محمد بن علي إلى الإمام الولي بما جرى بين أهل الشنئآن من الشأن، فأمر بجمع جيش، ونشر لوى لحرب لوِى، فجمع ونشر، ودلف إلى لوى كما أمر، فلما أحاط بها لم يترك لسيف بن محمد بن جفير نصيراً، بل تركه في حصنه محصوراً، وأمّا إخوته ووزاؤه لعدم الانتصار [٨٥٠] لجأوا إلى النصارى بصحار، فكانوا هم ومانع بن سنان ومن معهم من أهل العصيان يغزون أصحاب الإمام الحاصرين حصن لوى بجيشهم اللهام، وطفق أبناء محمد بن جفير يسعون في الصلح غدراً، ويمّدون شيعتهم المحصورين بالطعام وآلة الحرب سرّاً، فلّما شاع إلى والي الولّى محمد بن علي، ما كان منهم من الغدر، بعث جواسيسه، فوجدوهم مجتمعين بالمنقل، مما يلي جنوب الحصن على ساحل البحر، فلّما أخبروا محمد بن عليّ عن شأنهم، وما سمعوه من لسانهم، دلف إليهم برجال الجلادو ضياغم العناد ،فناجزهم بالبيض والسّمر الصّعاد، فلّما شرّد محمد بن عليّ أهل الضلالة، رجع

---

[1] أحمد بن خلف: هو الشيخ أحمد بن خلف بن أحمد الرقيشي، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، ولاه الإمام ناصر بن مرشد، ناصره الولاة في وجه هجوم ناصر بن قطن. انظر دليل أعلام عمان، ص ٢٧.

[2] سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

إلى الحصار، فأحاط بالحصن إحاطة الهالة، وقد التفّ مع الوالي المذكور قبل اصطلامه للحصن المشهور ناصر بن قطن ورجال المعمور، فلما طال على سيف بن محمد الحصار، وله تعذر الانتصار سلّم الحصن على الإرغام لوالي الإمام، شعراً:

نشرت لِوى ليد الإمام لواها	فتألقت بسمائها وسناها
نفضت غلوّ بغاتها ومن الهدى	أضحى يباري النيّرات علاها
أضحى إمام المسلمين مليكها	وبه تألق للعيون هداها
فهو الذي أنأى الضلال بعدله	وهو الذي عنها العدى أنباها
يغشى الحروب ولم يخف أسادها	مهما أتت بزئيرها وظباها
يهوى الجهاد فلا يزال مجالدا	فئة يفيء إلى الضلال هواها
سلَّ السيوف الآكلات عداته	ومن النجيع قناته روّاها
بالعدل يحكم فهو منشور له	علم به فئة الضلال طواها
دانت عمان له فصار له حمىً	لا يستباح الهتك حين حماها
فعليه رحمة ربة ما حركت	عذب الغصون المورّقات صباها[1]

فلما نشر محمد بن سيف بحصن لوى، لوى المرام، ترك في الحصن خيار أصحابه، ومضى هو حتى وفد على الإمام، فلما أخبره عماً كان، وشرح له المكين والمكان، جهّز الإمام جيشاً يموج بجأش الشّجعان أميره الشيخ الناسك مسعود بن

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

رمضان، وأمره أن يقصد به مسقط لمحاربه النصارى، وهم يومئذ من صولة الإمام و شراته حيارى، يرون من الخيال والأهوال أنواع القتال، شعراً :

صليل ضراب سـيف المـسلمينا ... يبـــثُّ صـــواعقاً فـــي المـــشركينا
يلــوح إذا أضــاء البــرق منــه ... فيخطـــف بـــالوميض الكافرينـــا
جزى الله الإمــام العــدل خيــراً ... لقــد أحيــا بمــوت الــشرك دينــا
إليــه تهيبــت طــرف الأعــادي ... رأى منهــا الــصواعق والمنونــا
مواكبــــه تــــسير بكـــل أرض ... فتــصطلم الأعــادي والحــصونا
مــصاليت إذا شــهدوا كفاحــاً ... إلــيهم حــرّه أضــحى معينــا
لهم من سّر ناصر جـيش نـصرٍ ... بــه قــد شــاهدوا فتحــا مبينــا
رعا الله بن مرشـد فهـو نـدب ... ولــيٌّ شــاد عــزّ المؤمنينــا [٨٥١]
أبــاد المــشركين وكــل حــزب ... عــــدوّ للـــــشراة الـــــصالحينا
عــلاً بفخــارة والفخــرُ يعلــو ... بنــسك يرضـــي ربّ العالمينـــا[١]

فلما مضى ابن رمضان بالعزم الأوضح، وأباد بالجيش كل بيد وأبطح، أقام بطوي الرّولة من بلدة المطرح، فنازل بالموّحدين فئة المشركين نزالاً استطار بــه شــرر المشرفيّة، واتقد به ذبالُ السمهرية، وكان شعار أهل الفرقان، يوم التقى الجمعان الله أكبر، خسئت فئة المدامة، وربحت فئة الإستقامة، فلله درّ المسلمين، لقد فلّوا شوكة المشركين، فهدموا من مسقط لأهل الفرنجة بروجاً باذخة ومبان شامخة، وقتلوا من

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فئة المشركين رجالاً عجزت عن دفنهم أهلهم باليسار واليمين، ثـم إن المـشركين صالحت المسلمين بعد الملحمة الذريعة على فك ما بأيديهم في صحار من أمـوال العمور والشيعة، فلما وفّوا بالعهود رجع مسعود إلى الإمام بالسعود، ولم يزل مانع ابن سنان كامناً إلى الإمام بالعدوان، فلما تفاقم منه الفساد في دولـه الإسـتقامة، و تأججت مظالمه بالضّرامة، استأذن مداد بن هلوان[1] الإمام في قتله، فأذن له إذ كان ذلك بذلك هو الجدير بفعله، فلم يزل مدّاد ينفذ كتبه إليه من لوى إلى دبـا، وعليـه بالثناء والحمد ما أبى، ولم يزل بذلك الشان مانع بن سنان يكسر أراءه ويـصوغ، ويقبل تارة إلى القول ويروغ ، تأنسه أفكاره تارة بأخذ شامخ الأركان ، وتوحـشه أطواراً بضرب الحسام ووخز السنان، فهو كما قال الشاعر في هذا الشان شعراً:

أسأتَ إليّ فاستوحشت مني　　　ولو أحسنت آنسك الجميل

فلما تواترت إليه كتب مداد، وأطمعه الظن بالبياض والسواد، فركب ناقته، فانساب في القفار حتى أناخها بأرض صحار، فلما علم مداد أنه بصحار، التوى بعد النوى، بعث كتاباً يعده فيه بملكه حصن لوى عند وصاله بأكارم العمومة في ليلة معلومة، وكان الوالي يومئذ بحصن لوى شاجع الشجعان حافظ بن سنان، فأخبر مداد الوالي، بما جرى بينه وبين الإمام، في مانع من الكلام، وأشعره عن التحـصيل بالكامـل

---

[1] مداد بن هلوان: أحد رجال الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، عاش في القرن الحـادي عـشر الهجري، كلفه الإمام باعداد حيلة للقبض على مانع بن سنان، الذي تآمر عليـه، فنفـذها مـداد بالتعاون مع حافظ بن سيف والي لوى، وتمَّ القبض على مانع، وقتله. انظر: دليل أعلام عمـان، ص١٥١–١٥٢.

والبسيط الطويل على التفضيل، وقد بعث الوالي ليلة الميعاد آساد الجلاد، لاحاطة البلاد، وأمرهم بأسر ابن سنان، وقتل من يمانع عنه بالسيف والسنان، فلما أكمنوا ووافى بالرجال والجمال انسابوا اليه كالصلال، وأحاطوا به عن يمين وشمال، فأخذ حينئذ مانع إلى الوالي قهراً، فأمر به فقتل صبراً، وقتل من قومه مع الاضطراب من وقف للطعن والضراب، وسلم منهم من فرّ على ظهر الركاب، شعراً:

كذا كذا البغي في الدنيا عواقبه ... وصاحب الخسر يوم الحشر صاحبُه
قد ظنّ مانع بالطغيان ممتنعاً ... ولا يلين لحّد السيف جانبه
غدا أسيراً وسيف العدل يرفعه ... بوقع ضرب به فرّت مناكبه
ففي لوى ظنّ أن يضحى اللواء له ... وخاطبُ النّصر في الأعواد خاطبةُ
وما درى البغي يطوي ما تبشره ... ظنونه وبه تقوى مراتبُةُ[٨٥٢]
من الحُسام رأى كأس الحمام وما ... كأس الحمام له تحلوا مشاربُهُ
قد كان مانع ذا غدرٍ تؤيده ... به الأباعدُ من خير أقاربُهُ
قضى بعضب فلا يبكي عليه فتى ... تلوحُ في رُتبِ التقوى مناقبُهُ
تبسَّمَ الدهر لمّا مات من فرحٍ ... وكل من كان يقلي الدين نادبُهُ
فالحمد لله لا هماً ولا حزناً ... عليه فليبكه من لايجانبُهُ(١)

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

ثم إن الوالي، بعث إلى الإمام أساطيرَ كتابه، شارحاً فيها إليه عمّا جرى على مانع ابن سنان وأصحابه، فلّما وصلته، وفهم ما فيها من خطاب، دخل عليه السرور من كل باب، فما لبث غير يسير، حتى جمع جيشاً لحرب الصّير، أميره علي بن أحمد، ومعه عدّة من بني يعرب مشاهير، وكان ملك جلفار الصّير يومئذ من الأمم ناصر العجمي، ومعه عدّة من عساكر العجم، فلما وفد عليهم علي بن أحمد بالأجناد، جالدهم بالبيض الحداد، وطاعنهم بالسّمر الصّعاد، وتفاقم بينهم حرّ الضراب والطعان، حتى تركوا الأرجاء بسفك الدماء كالأرجوان، ثم إن أهل الفئة الباغية عجزوا عن الخروج، فمكثوا في الحصن وسائر البروج، وكان لحصن الصير برج خارجة جدره من جدره العليّة، وبه فئة تقاتل بعزيمة ربويّة، وللنصارى سفن تدافع بمدافعها المسلمين، وتذودهم برصاصها الحديدي عن الحصن الحصين، فلمّا كانت ذات ليلة حالكة الجلباب، ركض المسلمون على البرج، فاقتحموه بالمشرفية والحراب، ثم مالوا بجبال الحديد إلى الحصن المشيدّ، فاصطلموه بنصر الله الحميد، شعراً:

سلّمت بالشفار جلفار قهراً ... إذا أتتها عساكر الدّين تترا
خفضت جاشها لجيش يحيل الجمر ... ماءاً ويترك الماء جمرا
بهظ المعتدين بالبيض والسمر ... وسدّ الآفاق بيضاً وسمرا
إن جلفار قد أتتها رجال ... كلّ مُرّ يرونه هو أمرا
نالت الرشد بابن مرشد محضا ... فاستنارت بناصر الدين نصرا
ناسك عادل إمام وليّ ... نشر الدين بالصوارم نشرا
حبّه الدّين لا الدراهم والدينا ... ر إن أشرقت لجيناً وتبرا
جيشه في مشارق الأرض والغر ... ب به يبتغي من الله أجرا
نال منه التقي عدلاً وعزاً ... نال منه الغوي سمراً وبتراً

رضـــــي الله عنــــه فهــــو ولـــــيّ   حـمده في محافل الــشمّ يُقــرا[1]

فلما صار حصن جلفار إلى الإمام المؤيد، جعل الشيخ علي بن محمد والياً للإمــام فيه العنبوري عبدالله بن محمد، وكان لجلفار حصن ثاني للنصارى علــى ســاحل البحر، متقلّصة به أهله، خشية الأسرة والقهر، وقد أقبل خميس بن مخزوم بــبعض الأنام من الدهامشة الكرام، نجدة لأصحاب الإمام، فلّما سرّ بقدومه قلــب الــوالي، الموالي، [٨٥٣] وساء قلب القالي، أمر محمد بن علي الوالي ببناء حصن مقابــل حصنهم العالي، فلما تمَّ، جنحت النصارى إلى السلم، فسلموا حصنهم العــالي إلــى عليٍّ، وسلموا من السنان والقضم، فترك الوالي المذكور فيه بعض رجاله، ومضى إلى نزوى، فشكر الإمام صُلحَ أفعاله، ثم إن الإمام كتب إلى حافظ بن سنان، والــي لوى، بجمع عسكر وبشر لوى، وأن يسير بالجيش الجرّار إلى صحار، ويبني بهــا حصناً شديداً، ليرغم به من كان طاغياً عنيداً، فلما وصله كتاب الإمام، شرع فــي جمع جيش لُهام، واشتملت عليه من بني خالد والعمور وبني لام كثير من الأنــام، وكان رجال جمّه من أهل صحار، يكاتبون الإمام بالانتصار، فلما مضى بــالجيش إليهم حافظ، وقال له: قرّبت العمق لحظها إلاّ حظ بات بالعمق، ودلف ضحى إلــى صحار من الغرب والشرق، وقد كان ذلك بغير خُلف، آخر المحرم، ســنة ثــلاث وأربعين بعد الألف، فكان مقامه منها بالبدعة عمّا حكت غير أهل البدعة، فاشتدت الحرب حينئذ بين المسلمين والمشركين، وتواترت بينهم الحمــلات مــن اليــسار واليمين، حتى تفرقت المرافق بالبوارق، وتخرقت الصدور بالعواســل والبنــادق، فجعل المشركون يضربون المسلمين من الحصن برصاص المدافع، حتى تــأخروا من المكان الذي أقاموا به، إلى مكان ثانٍ غير شاسع، وجاءت رصاصة من مــدفع حصنهم بشهابها الوقاد، فأصابت الشيخ الثقة راشد بن عباد، فمات شهيداً، فــأجره

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيــة العمانيــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

على ربّ العباد بالجهاد، ثم إن الشيخ حافظ بن سنان شرع في بنيان الحصن، حتى أتمَّهُ بمحكم البنيان، ولم يزل يزلزل النصارى بوقائعه، ويقطع أصولهم، وفروعهم بقواطعه، وقد بعث إمام المسلمين الشيخ خميس بن سعيد برجالٍ موحدين إلى من بمسقط من النصارى المشركين، فلما سار إليهم بالعديد الأكثر، وأقام ببوشر، أتته رسل نصارى مسقط، تريد منه محض الإصلاح والأمان لرقابهم من ضرب الصفاح فأتحفهم بالأمان الأوضح، وسار بمن معه، حتى أناخ بأرض المطرح، فلمّا انتشرت فيها ألويته المنصورة، أتته أكابر نصارى مسقط، وأيديهم بالإذعان بعد المدّ مقصورة، فصالحهم على فك ما قبضت يدهم من مسقط والمطرح من المعاقل، وعلى رفع السيف عنهم من فئة الإمام العادل، وعلى السّياق لسوقهم ما يشتهونه تخيراً من الأمتعة المحللة للشرى، فلما تمَّ بينهم العقد على ذلك، رجع إلى الإمام، فحمد سعيه بذلك، ثم إن الإمام أنفذ لُهام جيش منصور إلى بلدة صور، فحصرها أياماً، ثم افتتحها إرغاماً، شعراً:

لوى ناصر المنصور قد رَف في صورٍ ... فطمّس ناموس النصارى الشناظير
إمام فما يخشى الجموع إذا أتت ... فمفرده في الروع جمُّ الجماهير
رما صور بالجمهور فابتز حصنها ... فأضحى له العاصي نسيب العصافير[٨٥٤]
أصار نصاراها تلوك مآتماً ... وتذري دماها بالدوائر في الدورِ
يقولون هاك الحصن والدار إننا ... خذلنا فما جند إلينا بمنصورِ
ألا في سبيل الله سعى ابن مرشد ... إليه جبان في الوغى غير مذعورِ
لقد نصر الدين القويم فلم يذر ... له علما في موضع غير منشورِ
محامده ترضي الصدور وفخره ... إليه بهاء باهر في الأساطيرِ
صَبُوّ إلى ما تنقش البيض من دم ... بجند الأعادي لا لنقش الدنانيرِ
ألا رضي الرحمن عنه فإنه ... إمام ولي لا يميل لمحضورِ[1]

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

و لمّا اصطلم صور بالعزم والإثبات، دلف إلى قريات، وكان بها حصن للنصارى، فبنى أمير جيش الإمام حصناً حوله، فتركهم بالحصر في حصنهم حيارى، فلما تجرعوا مرَّ المرام، سلموا الحصن إلى أمير جيش الإمام، فحينئذ صارت أقاليم عمان إلى الإمام جملة، واستعذب من النصر المعين والفتح المبين العلّة والنهلة، شعراً:

عمان أصابت بالإمام أمانها ... وقد حمدت عين السرور عيانها
فلاحت مع البشرى قصوراً عليّة ... مجاورةً أنهارها وجنانها
حوت كل نصر مستبين بناصر ... فوشى بشان النصر والفتح شأنها
رمى من غدا للدين خصماً بقاضب ... تفارق كفّ الخصم منها بنانها
رئيس العدى أضحى برأس قناته ... يناظر مع دلع اللسان لسانها
أصار قصور الخصم للخيل حلبةً ... تجرُّ متى تدعى بهنَّ عنانها
على ناصر يثني الجهاد فإنه ... به حمدت أهل الجلاد زمانها
فلا زال يسعى حيثما كانت العدى ... إلى أن رأت شرَّ المكان مكانها
لقد نال رضوان الإله بسعيه ... فإن به أهل الجهاد أعانها[١]

فدانت للإمام جميع الديار، ماخلا مسقط بصحة الأخبار، ظل ناصر بن قطن يغزوا أقاليم عمان، ويدلف من الحسا إليها بالرّكبان، يسلب من بواديها كرائم العيس، ويقتل مع الأقتدار من صادف من مشاهيرها كل رئيس، ثم يرجع إلى الحسا ببغيه يتحسّا، فلما تواترت منه الغارات، وتفاقمت بدلفاته الآفات، كتب الإمام إلى محمد بن سيف الحوقاني بالتجسس عن ذلك الشّاني، فإذا علم بقدومه إلى عمان، فليسعى له دونها بالأبطال والشجعان، فلما وصله كتاب الإمام، بعث إلى تجسيسه كرام الأنام، وحين ناجت ثغور الجواسيس، أذن الوالي بقدوم ناصر بن قطن الهلالي،

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

سار إليه بجيش جرار من بدوي وحضري كرّار، فلما علم ناصر بجيش القهر، رجع، فانحصر في حصن الظفرة، وقد حمته رجال بني ياس، وهو مع تلك الحماسة من الحياة في ياس، ثم إن ناصر بن قطن، بعث رسله إلى الوالي يطلب منه محضة الأمان، وليرجع ما أخذه من عمان لأهلها، إذا وصل إلى أراضيه والأوطان، فصالحه محمد بن سيف على ذلك لعدم الزّاد، وابتعاد البلاد، فلّما رجع الوالي إلى نزوى، وأخبر الإمام عمّا كان بينه وبين ناصر بن قطن من الشرى والسّلوى، تواترت عنه صحائح الأخبار من الديار، على أنه قد جمع رجال الظفر ليصطلم حصن الجوّ بهم بالقسر، وكان والي الحصن المذكور أحمد بن خلف المشهور، ولما دلف إلى الجوّ بالأقوام، أعانته بغاة توام على والي الإمام، فأطاعوا شيطانهم المريد، وأعانوا ناصر بن قطن العنيد، [٨٥٥] فحصروا الوالي بالعدد والعديد في القصر المشيّد، شعراً:

لا درّ درُّ بغاة الجوّ إنهم ... على الضّلال أعانوه فتى قطنِ
أتوا إليه فأضحى قدوة لهم ... وكان بالبغي أخلاهم من الفطنِ
توهم الدين أضحى في أسنته ... فظل خصماً لدين الله والسننِ
بجنده خادعته أذنه بوغى ... ما آفة القلب غير العين والأذنِ
حتى رأى ظنه محض الضنون فلم ... ينل بها غير طعم الصّاب و الحبن
قد فاته الخير لكن لم يفته غداً ... شرّ تجرّع منه حنظل المحنِ
من شأنه الغدر لا ينفك في محن ... تزفه لدواهي القبر والكفنِ
فليت ناصر إذ كانت سرائره ... شراً عليه لحاه الله لم يكنِ
أفنى الزمان هموماً والزمان بها ... معمّراً وهو من جمّ الهموم فني
أضحى فتى قطن بالبغي مدّرعاً ... وللردى شام عضباً منه في الذقن[١]

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فلما أحاط ناصر بن قطن وشيعته بحصن توام، وثبت عليه من الباطنة والظاهرة جنود الإمام، ولمّا ركض بهم أحمد بن خلف عليه وهزمه، وما ترك عصبة إليه، ثم أقبل من نزوى إلى توام والي الإمام عبدالله بن محمد بجيش لُهام، فلما فاته جلاد جيش الناكثين، هدم حصون الجوّ، ما خلا حصن إمام المسلمين، وقد كان عبدالله نجل محمد المذكور كبير ولاة الإمام على المشهور، شعراً:

ألا إن عبدالله نجل محمد ... كبير ولاة الأريحي بن مرشدِ
له السَّبْقُ في يوم الفخار بنسكه ... على كل وال للإمام ممجّدِ
وكلٌّ له فضل ولكنّ فضله ... تفوه به الأفواه في كل مشهدِ
غدا نسكه يرضي الإله وبأسه ... به ويرضي حدّ المشرفي المهنّدِ
يضيء إذا سلّ الظبا موقف الوغى ... يضيء إذا صلى معاً كل مسجدِ
أضاءت أراضي الجوّ كالجو إذ أتى ... فأضحى لها كالكوكب المتوقدِ
فهدّم بنيان الغواة ولم يذر ... سوى معقل الندب الإمام المؤيّدِ
ولم يبق أنفاً شامخاً لمعاند ... ولا مرفقاً منهم رفيقاً إلى يَدِ
غدا سيف نصر للإمام مجرّداً ... إذا هزّه في ماقطٍ كلّ معتدِ
ألا في سبيل الله إماض سعيه ... لقد كان وسمي الندى وسنا النّدي[1]

ولمّا نأت فيه الطعاة عن توام، ورجع عبدالله مؤيداً بنصر الله إلى الإمام، تفرقت شيع ناصر بن قطن في البلاد، فلجأ مع النصارى بصحار جرثومتهم عمير بن محمد ذو الأحقاد، وذهبت طائفة منهم بالفرار إلى عقبة جلفار، فكانوا يقطعون السبيل، ويصلون العدوان الطويل، فطفق يغازيهم الوالي محمد بن خلف، ويسقّيهم بغاراته كأس المكاره والتلف، فعقر عليهم عدّة من [٨٥٦] الصلندحات، وأبكى

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

عليهم جمّة من النائحات، وقد غزا ناصر بن قطن الباطنة بأقوام، فأخذ عدّة من إبل بني خالد، وبني لام، وسلب ما على النساء من الحلي والكساء، ثم رجع بإلمامه إلى الحسا، ثم دلف ثانية إلى عمان، فقصد أرض باطنتها للغارة بالعدوان، فلمّا شاع خبره إلى الإمام، أنفذ جيشاً أميره العبري علي بن أحمد القمقام[1]، ومعه أحمد بن بلحسن البوشري[2]، ذو الإقدام، ومحمد بن الصلت[3]، جرثومة بني ريام،ومراد بن راشد بن حسام[4]، وأخاير الشراة الكرام، فصادف جيشهم جيشه بأرض لوى، فكشفوه، وطووا إليه لنشر اللّوى، ثم مال بجيشه إلى مجيس، فكشفه علي بن أحمد العبري بكل رئيس، فلمّا تقصّد جيشه من اليمين والشمال، قصد ببقيته أرض الخروس من الشمال، فلحقه أحمد بن بلحسن، ومراد بن راشد برجال النزال، فقاتلوه قتالاً فجيعاً، حتى قتلوهم، رحمة الله عليهم جميعاً، شعراً:

---

[1] علي بن أحمد العبري، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحد قادة جيوش الإمام ناصر ابن مرشد اليعربي، أرسله على رأس جيش به بنو عمه آل يعرب، وأمره باسترداد قرية جلفار- الصير-من يد ناصر الدين العجمي ومن معه من الفرس، فحاصر الجيش حصن الصير، ودارت الحرب، ولما كان العجم يمتلكون سفناً حربية مجهزة بالمدافع، فقد صعب ذلك على العمانين الوصول إلى الحصن، فظلّوا يحاصرونه حتى فتحوه ليلاً على غرّة، ثم سار إلى جلفار، ففتحها بعد هزيمة أهلها، وطلبهم للصلح، فصالحهم، وولى عليها والياً، وعاد إلى نزوى. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١١٧.

[2] أحمد بن بلحسن البوشري: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أحد رجال دولة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، استعان به الإمام مع غيره من الرجال على تثبيت دعائم دولته،، ثم قتل في إحدى المعارك التي خاضها ضدّ ناصر بن قطن. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٢٧.

[3] محمد بن الصلت: محمد بن صلت النبهاني، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد قادة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤٧.

[4] مراد بن راشد بن حسام: قائد بطل، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، خاض الحروب من أجل تثبيت دعائم دولة ناصر بن مرشد، وقتل في إحداها. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٥٢.

مثل هذا فلتصنع النجباء | شهد الله أنهم شهداءُ
معشر جاهدوا البغاة وقالوا | ليس يلوى لوائها الأولياءُ
إن من مات في جهادٍ من الله | إليه خير الجزاء الجزاءُ
إنّ نيل البيض الحسان وعدن | بظبا بيض دونها السمراءُ
في سبيل الإله ماتوا كراماً | فعليهم تبكي الورى الكرماءُ
قد أراقوا دم العداة فأشرقن | عليهم لما أُصيبوا الدماءُ
أصبحوا كالشموس يوم كسوف | لا ضياء بهم لها أو رجاءُ
استقامّية إليهم من الصّلاح | انّقاد يعوم فيه الضياءُ
وكرام لا يبخلون إلى الحرب | بنفس إن شحت البخلاءُ
فوّفوا الزهد بالجلاد فماتوا | كرماء بهم يعيش الوفاءُ
فعلى الله أجرهم إذ هم شوس | كرام أفاضل أتقياءُ[١]

ولماساير جيش الإمام إلى أرض الخروس، ورأوا أجسام أصحابهم، رحمهم الله، بلا رؤوس، وقد فاتهم ناصر بن قطن وأصحابهم الطاغون، قالوا كما يقول المصابون الصابرون: إنا لله وإنّا إليه راجعون، فلما واروا أصحابهم في الصعيد، رجعوا بعدما قبروهم إلى أوطانهم بالصبر الحميد. ثم إن محمد بن حميد بن عثمان غزا أرض السرو، ولم يدلف إلى عمان، والوالي بحصن الغبيّ في ذلك الزمان محمد بن سيف الحوقاني، ومن الخاصة معه سعيد بن خلفان، فأنفذ إليه باستعجال رجال النزال، مع الشيخ سعيد النجيد المفضال، فلما صادفوه، أحاطوا به عن يمين وشمال، فأسروه وأتوا به إلى الشيخ محمد بن سعيد المقتدي بالشريعة، فلمّا أسلموه إليه بمسجد الشريعة، سأله أن يردّ عليه ما كسبَ ونهبَ، فأبى وتغلّب، فأمر عليه

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

بالأسر والقيد بعد التأبي، فأُسِرَ وقُيدّ بحصن الغبّي، ومضى محمد بن سيف إلى الإمام بحسن الوفاق، فوافاه ببلدة الرستاق، فلما أخبره عن الموضوع والمجمول، والفروع والأصول، [٨٥٧] من قبل محمد بن عثمان المكبول، أمر بإلمامه إليه، فلما حضر لديه، أمر بحبسه في سجن الرستاق الأوفى، فلبث فيه شهراً وتوفي، ثم إن الإمام المتسربل بالبرهان جهّز جيشاً يموج بالشجعان، أميره سعيد بن خلفان، وعضده بعمير بن محمد بن جفير، المشهور بالضرّاب والطعان، فمضى الجيش تحت ظل العوالي، لأخذ إبل ناصر بن قطن الهلالي، فألتقته بنو ياس برجال كثيرة في موضع يسمى الشعب، قريب من الظفرة، فتصافحوا بالصفّاح، وتخاطبوا بالرماح، فسجدت حينئذ الجباه بالمشرفية، وخرّت الأذقان بالسمهرية، وكان لبني ياس يومئذ رئيساً، سقير بن عيسى، فنصر الله أهل الاستقامة، على أهل الظلامة، فقتل سقير المريد، وأخوه محمد بن عيسى العنيد، ومن قومهما جمّ يتلاشى به التعديد، وطلب من بقي منهم محض الأمان، من أمير جيش الإمام المؤيّد بالبرهان، سعيد بن خلفان، فَمَنَّ عليهم بذلك مِنَّة الأجواد، ورجعوا إلى الظّفرة من الظفر بسلب المراد ، وقد رجع بالجيش إلى الأوطان، والي الإمام سعيد بن خلفان، شعراً:

ألا إن أهل البغي بالبيض قُتِّلوا ... وبالدم من وخز الأسنّة غُسّلوا
أرادوا الردى للمسلمين ببغيهم ... فبادوا وسيف البغي للمرء يقتلُ
غدوا قوت غربان وسيدٍ وقشعمٍ ... ولم يهنهم من فضلة الزاد مأكلُ
أتيحَ إليهم كل عضبٍ له أذاً ... تخارج عنه الغمد في النفس مدخلُ
إلى البيض علٌّ بعد نهلٍ من العدى ... غدا ولها في جانب الحدّ منهلُ
بقتل شقير ذي الأذى وشقيقه ... لقد عاش في أفراحه المتّمولُ
رمته ببيض الهند والسمر عُصبة ... لها حنظل الهيجاء أريٌ و سلسلُ
غدا في الثرى مُثرٍ ويا بؤس صحبه ... وكلّهم في رأسه صَلٌّ مُنَصّلُ
يقول لسان الحال عند زيالهم ... به هكذا من يفعل البغي يفعلُ

جزى الله جيش المسلمين بسعيه | سروراً به الجنّات والحور تحصلُ
وشرّف بالفضل الجزيل إمامهم | فتى مرشد إذ فضله المحض أفضلُ
ألا رضي الرحمن عنه فإنّه | إمام هدى ما نسكه المحض يُجهلُ[1]

ثم إن الإمام المؤيّد بالبرهان، أمر سعيد بن خلفان أن يمضي برجاله عل كل عرندس، لأخذ إبل ناصر بن قطن الهلالي من المورد المعروف بدعفس، فلما مضى سعيد إليه بالشجعان، أخذها سائمة من ذلك المكان، فتركها عند عمير بن محمد بن جفير أمانة، وحذره الخيانة، فلما رجع سعيد بن خلفان إلى الأوطان، ترك عمير الإبل، التى استأمنها عند أخيه علي بن محمد، فمضى بها لمّا خان، إلى ناصر بن قطن المتمرّد، فما زال ناصر يغزوا أطراف الباطنة بإلمامه، ويسلب كرائم سوائمها بلئامه، حتى أخاف بدوها وحضرها بدلفاته، [٨٥٨] وأوحشها بآفاته، فألجأ بشروره، والطغيان أكثر أهل البادية إلى البلدان، ثم دلف دلفة أخرى، فأقام بقليب دعفس وأنفذ الغارات إلى الظاهرة في زادٍ وأصيل وحندس، فلما شاع خبره إلى الإمام الناسك، أرسل جيشاً عليه أميره اليعربي سيف بن مالك، ومعه من مشاهير جماهير العرب أكرم القمقام، وسيف بن أبي الضرب، فلما مضى الجيش إليه، هجم أول الرؤساء حزام عليه، فتفلّقت بالضراب من أحزاب بن قطن الجماجم، وتخرّقت بالطعان منهم الرقاب والغلاصم، فنصر الله أحزاب المسلمين على الباغين، فقتلوا ناصر بن قطن ومن معه أجمعين، شعراً:

مضى جيش الإمام إلى الجهاد | فصرّعَ بالظُّبا فئة الأعادي
فأضحوا في الصعيد بضرب بيضٍ | ووخز أسنة السمر الصعادِ
فها كفن أصيب له وقطن | فتى قطن المجاهر بالعنادِ
تزول بغيه فمضى بحتفٍ | إلى دار الخلود بغير زادِ

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

لقد وجد المرام أمرّ طعم … وكان لغيره أمر المرادِ
أتى بلئامه يبغي علوّاً … فاسلمه الغلو إلى نفادِ
تصرّم عمره لا لاقى خيراً … وشيعته بضراب ظُباً حدادِ
توهم ناصر ليفلّ شاناً … لناصر ذي المحاتد والأيادِ
أما علم الإمام له ارتياح … وودّ للجهاد وللجلادِ
ومن كسليل مرشد في رشادٍ … وصلح راغم أهل الفسادِ
إذا أسد الوغى دلفت إليه … غدت بفرارها مثل النقادِ
إمام بائتلاف العدل أضحت … إمامته السنيّة في اتقادِ
إذا ما لاح لاح له بهاء … يراقم ضوءه وجد البلادِ
سرت أعلامه شرقاً وغرباً … فزفت في الحواضر والبوادي
لقد هجر الرقاد لنيل أجرٍ … ولم يرعَ الرعيّة بالرقّادِ
ففي المحراب متّقدٌ بنورٍ … وفي يوم الجلاد وكل نادِ
عدوّ للبغاة كبير حُبٍ … إلى أهل الدراية والرشادِ
ولي كالولي له انسجام … إذا شهد الأعادي كالعهادِ
أسال دم العداة بكل ربعٍ … و مهمهة موحّشة ووادي
حلت بأمانه وسمت عمان … فأخلا الخصم منها بالجهادِ
وأضحى جدّه في كل يومٍ … على رغم الأعادي في ازديادِ
له الرحمن من ندبٍ إمامٍ … بنور العدل أهل الدين هادِ
له البشرى بصلح الفعل ترجى … من الرحمن في يوم التّنادِ[1] [٨٥٩]

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخية العمانية الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

فلما قُتل ناصر بن قطن، ورجعت أحزاب المسلمين إلى الوطن، نمـــا الـــسرور، و انطفأت من البغاة النائرة والشرور، ولبست أرض عمان وشائع الأمان، بعد الإمام المؤيّد بالبرهان، فغدت أهل المساعي الحميدة تسعى إليه، وألسنتهم بالشكر له تثني عليه، وقد خلص له حصن صحار من يد النصارى بالحصار، ولم يبقَ بعمان لأهل الضلالة أفياء ظلال، ولا لأخذ يمينيهم والشمال، أرقال مشمعلة شملال، حتى قـــال الشكور لمّا عمّ عمان من أمان الإمام النّور بلدة طيّبة و ربّ غفور، ولم يبقَ مـــن المقطبين بوجه عبوس، المستنكفين عن طاعة الإمـــام المؤيّـــد بالنـــاموس، غيـــر المتحصنين بقلع مسقط والمطرح من النصارى الطموس، فإنهم ما برحوا بالحصرة في حسرة، وبالفكرة في فترة، يلوكون ضريع النّكال بأسنان كلال، ويرتشفون ســـمّ صلال الزيال بالغدو والآصال، وكل واحد منهم بسمّ حيّات الحياة، تكاد نفسه تغيظ، ويأتيه الموت من كلّ مكان، ومن ورائه عذاب غليظ، يلقون الـــسمع إلـــى الـــذعر الدالف إليهم، يحسبون كل صيحة عليهم، يخاطبهم لسان الحال في الغدوّ والآصال، إذا تعلّلوا بالعديد والآلات المعددة، أينما تكونوا يدرككم الموت، ولو كنتم في بروج مشيّدة، ألا إنما الشرك شرك، لا يرى الكافر له به النجاة والمغفرة، قتل الإنسان ما أكفره، فهم إذا نظروا راداً أوأصيلا، لم يروه إلاّ ظلاماً مستحيلا، يقول لسان حالهم، إذا أخذت أضواء أعينهم طامورة الهّم التي بظلماتها تمور، ومن لم يجعـــل الله لـــه نوراً فماله من نور، فهم إذا اضطجعوا على الديباج، استحال شوك القتاد، فأنّى لهم بالرّقاد، وإذا قضموا سكر الأهواز، استحلا هبيد حنظل الأقواد. فأنّى لهم بمريّ المراد، وبالجملة لو دبّت على أحدهم رِجلُ نملة على اليسار أو اليمين، توهمها من الذعر كركدن الصين.

وأما عمان بأمان الإمام المؤيّد ناصر بن مرشد، تجرّ وشائعها الـــشائعة بـــالأنوار، وتسري دقائق أسرارها بأنواع أنوارها إلى الدّانية والشاسعة من القرى والأمصار، يقول لسان حالها والحديث شجون، إذا نظرت لنضرة ناصرها الناظرون، لمثل هذا فليعمل العاملون، فللّه دره من إمام عادل ناسك، له في ملاحب الفـــضل مـــشاعر ومناسك، وناهيك من ولّي قد أحيا الهدى بصنُلح الأعمال، وأمات بعدلـــه جرثومـــة البغي والضلال، يقول الناسك إذا نأى أو دنى منه، رضي الله عنه، وكفى عمّا فـــي الصدور من حمده في السطور، كيف لا وفخره بعد وفاته كفخره أيام حياته، شعراً:

إنمـــا الأوليـــاء يـــشرق فـــي المحيـــا | لـــــك الله نـــــورهم والممـــــات
عمـــروا الـــشرق والمغـــارب بالعـــد | ل فأضـــفوا الـــبلاد بالبركـــات
إنما ناصـــر بـــن مرشـــد قـــد حـــاز | ثنـــاءً فـــي موتـــه والحيـــات
في سطور وفـــي صـــدور لـــه حمـــد | أنـــارت بـــه ثغـــور الثقـــات[1]

فلله درّ فتىً، عاش نقيّاً، ومات وليّاً، فعنه أهل الإستقامة راضون، ولـــه موالـــون متولّون، وكانت وفاته بنزوى من غير خلف، يوم الجمعة، لعشر خلون من ربيـــع الآخر، سنة تسع وخمسين بعد الألف، وأمّا مدّة أيام دولته عما أنطق الصواب بـــه الألسنة[٨٦٠] ست وعشرون سنة، وقد رثته شعراء عـــصره بقـــصائد فائقـــات مطوّلات ومختصرات، ورثيته أنا بهذه القصيدة الدالية المشرقة اللؤلوئيـــة، فقلـــت شعراً:

حوى محض ومض النور قبر بن مرشد | خلا وله لم يخلـــو حمـــد بمـــشهد
فللـــه مـــن نـــدبٍ تـــألق ســـعيه | بنور هدى يـــسعى بـــه كـــل مهتـــد
إمـــام لـــه يُعـــزى لـــواء ولايـــةٍ | فمـــن نـــشره نـــشر الألـــوّة يجتـــد
فكـــم قائـــل مثلـــي ألا هـــل ســـمعتم | ثوى قبل أن يـــودى خـــضمٌ بملحـــد
وهـــل قبلـــه شـــاهدتم أيهـــا الـــورى | بشمس توارت تحت تـــربٍ وجلمـــد
لـــــك لله قـــل فليبكـــه كـــل فاضـــلٍ | بدمع الحيا في كـــلّ ربـــعٍ ومعهـــد
بكى النصر لمّا مات ناصـــر والهـــدى | وأضحى يباكي الغمـــد كـــلّ مهنـــد
وقال لسان السمر هـــل كـــفّ طـــاعن | يسل بهـــا مـــن بعـــده قلـــبُ معتـــد
لقد مات حرٌ الـــضرب والطعـــن بعـــده | أمـــا مـــن جهـــاد بعـــده لمؤيّـــد
على ناصـــر يبكـــي دمـــاً كـــل منبـــر | على ناصر يبكي جوىً كـــل مـــسجد
لـــه الله مـــن نـــدبٍ ولـــيّ يجلُّـــهُ | ويثني عليـــه كـــل عقـــلٍ مجـــرّد
لقد كان عـــدلاً ناصـــر الـــدين بالظُّبـــا | ولم يصطحبه كل ذي صـــارم صَـــد

[1] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـــة العمانيـــة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

إذا مــــا تجلــــىَّ للكفــــاح بعزمــــه / أشـــارت بـــه أهـــل البـــسالة باليـــدِ
لقد باع فـــي ســـوق الجهـــاد حـــشاشة / ولم يـــكُ مقـــصوراً بقـــصرٍ مـــشيّدِ
وليّ عـــن الأعـــداء لـــم يلـــوِ عزمـــه / فصمصامه عن هامهم غيـــر مغمـــدِ
قلــــى صــــرّة الـــدّنيار إذ لاجنانـــــه / إليــــه وداد فـــــي لّجـــين وعــــسجدِ
له ومـــض نـــور فـــي نـــديّ ومـــسجدٍ / فَسَل كُرَة المحراب عنـــه أو النـــدي
براهينـــه تـــروى فـــسل كـــل نـــاطق / أريـــب وســـل عـــنهنّ كـــل مجلـــدِّ
ففي وجهـــه الوضـــاح للنـــور مبـــزغ / فإن (الغيينا) مـــن وجهـــه المتوقـــدِ
يكاد عليـــه الغـــصن يثنـــي إذا انثنـــى / ويتلـــو إليـــه الحمـــد كـــل مغـــردِ
مُقلّ مـــن الـــدنيار مثـــر مـــن الهـــدى / يبيد الأعـــادي فـــي ربـــوعٍ وفدفـــدِ
مهيـــب لـــه بـــين الـــصحّاب بـــشاشة / لها في العدى وخزّ بنجـــر و أكبـــد
ســـما بفخـــار دونــــه كـــل ســـيّد / فما سيد يحكيـــه فـــي فخـــر سـؤدد
يرى عسلاً طعن العواسل فـــي الـــوغى / وريق الحسام العضب ريقـــة خَـــرّدِ
إذا ذكـــرت يومـــاً إمامتــــه انبـــرى / إلى ذكرها نور كثير التوقّـــدِ [٨٦١]
لقـــد فـــاق فـــي حلـــمٍ وعلـــمٍ وهيبـــةٍ / وجـــــدَّ لمجـــــدٍ ســـــامكٍ متفـــــرّدِ
لقد كان في التقوى وفـــي الـــدّين قـــدوةً / به كلّ من يرضى به الـــدّين يقتـــدي
إذا فادحـــات الـــدّهر هبّـــت بنكبـــةٍ / تماســـك عـــن نيـــلٍ ولـــم يتـــأوّدِ
ألا إن رضـــوى فـــي الـــشدائد دونـــه / ويخشاه إن جاس الوغى كـــل مزبـــدِ
فلم يبق فخـــراً فـــي الثـــواب لناســـكِ / ولم يبق مجداً فـــي العلـــى لمَمَجَّـــدِ
غدا الـــدّين طلقـــاً باســـماً فـــي حياتـــه / ولم يمشِ بالأنصاب مـــشي المقيّـــدِ
لقد فقدتـــه النـــاس والبـــاس والـــوغى / وكـــل عليـــه وجـــده لـــم يُـــصردِ
وقــــالوا عليــــه رحمــــة الله إنّــــه / لقـــد كـــان طهـــراً قـــدوة المتعبّـــدِ
بـــه تـــورق البيـــداء وهـــو ســـميدع / إذا غـــــرّد الهنـــــديّ لا لمغـــــرّدِ

---

(١) بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في المصادر الأدبية والتاريخيـة العمانيـة الأخرى، حفظها لنا ابن رزيق في مخطوطته هذه.

له الحمد مــن ثغــر الــورى فمحمــد بـــسيرته يرضـــى وربٌّ محمّــدِ(١)

وكان قبره بنزوى مع مساجد العُبّاد، عليه رحمة ربّ العباد، فهذا ما لاح لي مــن سنا سيره، وشائع خبر خبره، لمجرد الرواية عن أهل الدراية، وأنا أستغفر الله مما خالفت فيه الصّواب، وأسأله المغفرة التي لا ينالها غير التائب الأواب، وما توفيقي إلاّ بالله، وكان الفراغ من نظم سلك هذه السيرة الرائقة للنــاظمين والنــاثرين مــن هجرة سيدنا محمد الأمين عليه صلوات ربّ العالمين، سنة ألف ومــائين وواحــد وستين، وناظم سلكها السائل ربه عنه وعن المسلمين دفع كل ضيق، ســليل ابــن رزيق.[٨٦٢]

الإمام سلطان بن سيف :

الإمام سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بــن مالــك بــن بلعرب اليعربي ، بويع له بالإمامة في اليوم الذي مات فيه ابن عمه الإمام ناصــر ابن مرشد رحمه الله ، و هو يوم الجمعة لعشر ليال خلون من شهر ربيــع الآخــر سنة ست و خمسين سنة و ألف سنة من الهجرة النبوية ، فقام بالعدل ، و شمر في ذات الله ، و نصب الحرب لمن بقي من النصارى في مسقط و المطرح ، و ســار إليهم حتى نصره الله ، و فتح مسقط و المطرح ، و ابتزهما من النصارى ، و سبب فتوحه لهما أنه لما مات الإمام ناصر بن مرشد ، رحمه الله ، و أفضت إليه البيعة ، لم يمكث بنزوى إلا أياماً قلائلة حتى دلف إلى النصارى ، فأقام بالمطرح نحو بئر الرولا بمن معه من الجند ، و كان حد معسكره منها إلى أقصى ســيح الحرمــل و أقصى دار سيت بكمال عدة و عديد ، فكان كل ما طلعت الشمس أمر قومه بالدلفة إلى حصن مطرح و سائر بروجها ، فيركضون عليها كما أمر ، فيرامون النصارى بالتفق ، و النصارى يرامونهم من الحصن و سائر البروج بالتفق و المــدافع إلــى آخر صلاة العصر ، فيرجع عسكره إلى المعسكر ، و كذلك صنيعه بمسقط في كل يوم .

أخبرني غير واحد ممن شهد أبوه وصحب أبيه ذلك العصر، منهم الشيخ معروف ابن سالم الصايغي، وحميد بن سالم، وخاطر بن حميد البداعي[١]، وغيرهم، وقد دخل كل منهم بعضه في بعض بالصحّة الكائنة مع المعاينة، أن النصارى المالكين بلدة مسقط والمطرح، كانت لهم أربعة مراكب عظام، وفيهنّ من الرجال وآلة الحرب شيء كثير، فصرفوا إلى المطرح مركبين نصرة لأصحابهم القابضين الحصن وسائر البروج، يرمون بالمدافع أصحاب الإمام سلطان بن سيف، ورمي أصحاب المركبين أصحاب الإمام بالمدافع متصل غير منفصل، حتى تراجع المسلمون أصحاب الإمام إلى معسكرهم، قالوا : وقد مدّ النصارى المالكون مسقط وسائر بروجها سلسلة طويلة من حديد، أولها في البرج الذي أعلا بيت أبي محمد ابن رزيق، وآخرها في البرج الذي يقابله في الجبل المشرف على قلعة الرّواية، التي بناها السيد سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، ولم يكن في ذلك الزمان في الجبل الذي هو أعلاه بيت أبي برج، ولا في الجبل الذي يقابله برج، بل كان في كل واحد منها بومه عظيمه، والبرجان المذكوران والقلعة، قد أحدثهن السيد سلطان بن الإمام، قالوا : وجعل في أول تلك السلسلة إلى آخرها سُرراً من حديد، في كل سرير خمسين رجلاً، وارتفاع السلسلة هذه خمسون ذراعاً عن الأرض، فإذا دلف إليهم المسلمون رموهم برصاص التفق، فيمنعوهم عن الوصول إليهم، فضلاً أن يصلوا إلى السور، وقد حفروا دون السور خندقاً عظيماً، وأجروا عليه الماء من البحر، فكان عرض ماء الخندق عشرين ذراعاً، فما زال الأمر بينهم كذلك إلى ستة أشهر، ولم يجد المسلمون لدخول سور مسقط، ولا لاستيصال حصن المطرح من النصارى سبيلا، لشدَّة حذرهم، وقوّة بأسهم، وتفاقم حربهم، وصبرهم على القتال، واسم هؤلاء النصارى البرتكيس، وولايتهم أعني بلدهم الكبيرة جوّه، ولهم غيرها

---

[١] خاطر بن حميد البداعي: شيخ، مؤرخ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، عاصر الأحداث التي واكبت دخول مسقط، تحت إمرة أحمد سعيد آلبوسعيدي، فكان ممن أرخوا لهذه الفترة. انظر دليل أعلام عمان، ص ٥٧.

بلدان كثيرة، وكانوا في ذلك الزمان هم أشد من سائر النصارى قوّة وبأساً ومــالاً. وحكي لي الشيخ محسن القصاب[1]، وقد عاش مائتي سنة، قال : وكنت أنــا أيــام تصنع البرتكيس عقبة الخيل في بلدة شيراز، فسمعت غير واحد أن البرتكيس تصنع عقبة من المطرح المشرفة على المطرح وريام، ومراكبهم متواترة علــى بعــضها بعضاً، تطرح الأحجار التي تحملها من بلدانها على ريام، وبه كان ترصيفهم لهــذه العقبة، وما احتاجوا من أحجار مسقط ولا المطرح إلى حجرة واحدة، إلــى هكــذا بلغت قوتهم في المال والرجال، انتهى كلامه.

وكان أمير النصارى الذين بمسقط والمطرح رجل يسمى فريرة، وله وكيل بمسقط من الكفرة يسمى سكبيلة، مذهبه مذهب البانيان، يعبد البحر والبقر، وله ابنة جميلة الصورة، صغيرة السن، لم يبن نهاد لها، فخطبها منه النصراني فريرة، وبذل له في تزويجها مالاً كثيراً، فلم يرض سكبيلة أن يزوجه بها، واعتذر إليه بسبب خــلاف المذهب بينهم، لأن النصارى يأكلون لحوم البقر وغيرها، ويشربون الخمر، وسكبيلة وأهل مذهبه لا يشربون الخمر، ولا يأكلون اللحوم، [٨٦٣] وعندهم كل من يأكــل اللحوم ويشرب الخمر لا يجوز أن يزوّجوه ببناتهم، ولو يبذل لهــم مــلء الأرض ذهباً، فلما يئس رئيس النصارى من التزويج، وصح معه أن سكبيلة لا يزوجه بابنته رضىً، تهدده، وقال له: إن لم تزوجني بابنتك رضىً، وإلاّ أخذتها منــك كرهــاً، وأغلظ عليه الكلام، فلمّا خشي منه الاغتصاب والعذاب، قال له: ســمعاً وطاعــة، لأزوجك بها، ولكن أمهلني إلى سنة زماناً، كي أصوغ لها مما تحتاجه العروس من الحلي، وفي بلدك مسقط ما أحد يعرف صنعه الحلي الذي تلبــسه نــساؤنا، فــإني لأُرسل أحداً من قبلي إلى بلدة نانجة، وهي بلدة بالهند مقتربة من مدّي المعروفــة بكتش، وصوّاغ نانجة هذه مشهورون بصياغة الحلي المحكمة، لا يناظرهم أحد في

---

[1] محسن القصاب: محسن القصاب العجمي، شيخ، مؤرخ، عاش فــي القــرن الثــاني عــشر الهجري، أرخ للأحداث التي جرت في عصره، وأخذ المؤرخ ابن رزيق عنه، وعن أبيه أيــضاً. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٣.

الصياغة المحكمة، لاسيما في حلي الذهب، لاندّ لهم فيها، وقد أضمر سكبيلة الغدر للنصارى، لمّا أكرهوه على التزويج، فلما أجابه رئيس النصارى على ذلك، جعل يكاتب الإمام سلطان بن سيف سراً، ويعده بفتح مسقط والمطرح على يده، وأخبره في كتبه التي بعثها له عما جرى بينه وبين النصارى من قبل التزويج، ونفوره عنهم بسبب ذلك، ثم أرسل إليه رسولا، فقال له: أيها الإمام، إن سكبيلة يقول لك تماسك في معسكرك، حتى يأتيك كتابه بركوبكم على مسقط، ولا تذرِ أحداً من قومك، يمضي إلى مسقط ومعاقل المطرح بحرب، فإذا أتاك كتابه بالوثبة على مسقط، فلا تتواني ساعة واحدة في المعسكر، وأخبره بما سيصنعه في النصارى من الحيلة. فتماسك الإمام مع ذلك عن الدلفة والركضة، وأمر قومه أن لا أحد يفضي إلى مسقط ولا إلى المطرح، فأجابوه إلى ذلك، فقال سكبيلة لرئيس النصارى الذي أراد منه التزويج : أيها السلطان، لقد طال الحصار علينا من الإمام سلطان بن سيف، وما هو براحل عنّا، وقد بلغني أن المدد يأتيه في كل يوم من عمان برجال وآلة الحرب، وبارود الحصنين قد قدم، وضعفت قوته، والبرك اللواتي فيهما قد قدم ماؤهن، وكثر فيه الدود، فمن شرب منه لا يسلم من علّة قاتلة، والرأي السديد أن نصب ماء هذه البرك في البحر، ونطهّر البرك بماء جديد، ونملأهن بماء جديد، فإذا طال بيننا وبينه الحصار لم نخشَ من شرب مائهن آفة، ثم إن البارود لنخرجه من الحصنين، فندقه ثانية، فيعود بعد الفساد كما كان، فأجابه رئيس النصارى على ذلك، وكره أن يخالفه، لأجل إذ عانه له بالتزويج، وشغفه بابنته، وإفراط إشباقه فيها، فلما أخرج سكبيلة الماء والبارود من الحصنين ، و بقيت البرك ما فيهن قطرة من الماء ، و لا ذرّة من البارود ، أرسل رسولاً إلى الإمام سلطان بن سيف، وقال له: يقول لك سكبيلة : إذا كان من يوم الأحد أول بزوغ الشمس، أركض إلى مسقط بمن معك من القوم، ولا تترك أحداً في المعسكر من قومك، فإن في يوم الأحد لم يكن للنصارى فيها إلاّ شرب الخمر، ووضع السلاح، فإذا وصلتم إلى السور، انصبوا عليهما السلالم، فإذا ملكتم أبوابه، اتركوا بعض القوم فيهن، واركضوا على

الحصنين ببقية العسكر، وانصبوا عليها السلالم، فإنه قد صنع كـذا [٨٦٤] وكـذا بالنصارى، فلما كان يوم الأحد، ركض الإمام بمن معه من القوم على مسقط، وقد غلب السكر على النصارى، فما رمى رام منهم قوم الإمام ببندقية، فوضعوا علـى السور السلالم، وملكوا أبوابه، وقتلوا من رأوا فيهنَّ، وركضوا علـى الحـصنين، ونصبوا عليهما السلالم، فدخلوهما، وقتلوا فيهما من النصارى رجالاً كثيرة، وقتلوا من فريرا معهم، ولم يسلم أحد من النصارى من سيوف المسلمين ورماح الموحدين إلاّ قليلا، وخضعت للإمام معاقل مسط كافة، ولم يبـق مـن النـصارى محـارب للمسلمين، إلاّ رجل منهم يسمى كبريته، وهو شجاع من شجعانهم، وبرجه هو الذي يسمى برج كبريته إلى هذه الغاية، فطفق كبريته يحارب المسلمين، ويركض عليهم في كل صباح إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار، رجع هو ومـن معـه إلـى برجه، وكان عدّة أصحابه أربعمائة رجل شاكين السلاح، يقاتلون المسلمين بالسيف والتفق، وما قدر المسلمون على استئصال البرج منهم، ولا طلبوا من الإمام الأمان لهم، ثم إن كبريته وقومه، خرجوا ذات يوم على المسلمين، فتواثبوا عليـه وعلـى قومه كالأسود الضواري، وكان شعار المسلمين يومئذ: الله أكبر، خاب من جعل مع الله إلهاً آخر. فلما كبرت المسلمون عليهم، انكشف أصحاب كبريته عـن كبريتـه، وفرّوا فرار الأغنام من الليث الضرغام، وبقي كبريته يجالـد المـسلمين بنفـسه، فأشرعوا فيه السيوف، حتى ألقوه على الأرض صريعاً، ومزقت أوصاله الـسيوف كل ممزّق، وكانت هذه الوقعة التي قتل فيها كبريته في سوق البز في مسقط.

أخبرني غير واحد من المشائخ المسنين، أن الإمام سلطان بن سيف، لمّا استأصـل مسقط من النصارى، سلم القابض منهم حصن المطرح له حصن المطرح وسـائر بروجها، ونهى الإمام عن قتله، وقتل أصحابه، لمّا طلب منه الأمان، فجهّـز لهـم مركباً وزوّدهم، وعبروا من مسقط إلى بلدهم، وهي جوّه، وبقيت الأربع المراكـب التي للنصارى ترمي رقعة مسقط والمطرح برصاص حديد المدافع من المدافع، فلما كثر أذاهم في المسلمين، جهّز الإمام عليهم الرجال، فسعوا إلى بحرهم على سـفن

صغار، وهي التي تسميها العامّة بلغة الاصطلاحيّة المواشي، فتجمعوا على الأربعة المراكب المذكورة، ولم يثنهم عنهن رصاص التفق والمدفع، حتى ملكوهن، وقتلوا من فيهن من النصارى كافة.

وأخبرني غير واحد من الشيوخ المسنّة، أن رجلاً من المسلمين، في يوم الوقعة التي قتل فيها كبريته، صادف رجلاً من النصارى شاكاً في السلاح، فوثب المسلم عليه، ففرّ النصراني منه، فتبعه، فلاذ بعجز مدفع من الحديد، قد نصبته النصارى على عجل من خشب أمام الجزيرة، فضربه المسلم بسيفه، فقطع فخذية وذنب ذلك المدفع بضربة واحدة، فجعل ذلك النصراني يقول لمن يمرُّ عليه من المسلمين، والله ضربة واحدة، والله ضربة واحدة، حتى مات، وقيل : إن الرجل الذي ضربه، وقطع فخذيه وذنب المدفع، هو الإمام سلطان بن سيف، [٨٦٥] والله أعلم، ولمّا شحن الإمام مسقط والمطرح بالرجال وآلة الحرب، وولى عليهما رجل ثقة من المسلمين، يقال له سليمان بن عبدالله بن صالح بن سليمان، من بني سليمان، من أهل عقر نزوى، ورجع بسائر قومه إلى نزوى، وأمر وإليه سليمان، قبل أن يرتفع إلى نزوى بالإحسان إلى سكبيلة وصحبه، ورفع الجزية عنهم، عوض إعانتهم لدولة المسلمين، فبلغني إلى أيام دولة الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، لا تؤخذ على أهل بيت سكبيلة جزية. ولمّا وصل الإمام سلطان بن سيف إلى نزوى، لم يلبث إلاّ أياماً قلائل، إلى أن بعث جيشاً كثير العدد إلى حرب الهند، وكتب إلى وإليه سليمان بن عبدالله أن يجهزهم بأكمل جهاز إلى الهند، فامتثل أمره، وأركبهم في مراكب صغار وكبار، بأتم زاد، وأكمل آلة حرب، فدلفوا إلى دمن الهند، فاستأصلوها، وإلى الديو وناجنة، فاصطلموها من الكفار، وقتلوا من الكفار خلقاً كثيراً، وغنموا مغانماً جمّة، واتفقت الروايات أن القلعة التي بناها الإمام سلطان بن سيف بنزوى من غنيمة الديو، وثبت بنيانها، إلى أن تم اثنتي عشرة سنة، وأحدث فلج البركة، الذي هو بين إزكي ونزوى، وإلى إزكي أنه أقرب مسافة. وكثر مع الإمام المال من الغنائم، وربما تكلم متكلم في إمامته، فزعم أنه التفت إلى التجارات، وكثر ماله من البيع

والشراء، وإنما المتكلم عنه بهذا ما أصاب الصواب، وكأنه يزعمه هذا فصل الخطاب، والصحيح إن شاء الله، مما حكى لي عنه غير واحد من الشيوخ المسنّه، أن الإمام سلطان بن سيف، رحمه الله، قد بعث جملة رجال إلى البلدان الشهيرة بالتحف الخطيرة، ليشتروا منها ما تقوى به الدولة الغرّاء من سيوف ودروع وخيل، وغير ذلك، مما يحصل به عزّ المسلمين. قالوا : وقد بعث الإمام رجلاً من قبله إلى صنعاء اليمن، ليشتري ما يجد فيها من الأشياء الخطيرة، التي تقوى بها دولة المسلمين، فوجد ذلك الرجل بسوق صنعاء دلاّلاً يسوم عنان فرس، وذلك العنان مرصّع بالجواهر الثمينة، فأقام عليه الزبون، فلما بلغ من الثمن مائة ألف، خاف صاحب الإمام لا ئمه الإمام في شرائه له ذلك العنان، وقال في نفسه، إنه قد بلغ الحد في ثمنه، فتماسك عن شرائه، فلما رجع إلى الإمام، وأخبره بذلكم، قال له : إرجع بالحال، وأشتري ذلك العنان من الذي اشتراه، بما يكون من الثمن، ولا تذر ملك صنعاء وقومه يتهكمون بنا، فرجع الرجل من يومه، فلما وصل إلى صنعاء، سأل عن الرجل الذي اشترى ذلك العنان، فلما أُخْبِرَ به قصده، فقال له لمّا أتاه: أنت الذي اشتريت العنان بلك؟ فقال: نعم، فقال : بعني إياه، فقال: بلكين، فقال: قد اشتريته، فلما سلّم إليه اللكّين، قبضه منه، ورجع به إلى الإمام، فلما علم ملك صنعاء بذلك وجل قلبه، فقال لوزرائه: إن إمام عمان سلطان بن سيف لملك كثير المال، كثير الرجال، وإننا لعلى خطر منه، إذا لم نسالمه، فجعل يكاتب الإمام، ويهاديه بالتحف الخطيرة، ويظهر إليه الإذعان والانقياد في مكاتبته له.

وفي زمن الإمام سلطان بن سيف، كثرت العلماء ودور العلم بعمان، وذهب عنها الظلم من أهل العدوان، واعتمرت عمان، وحصل لها [٨٦٦] به الأمان، واستراحت الرعيّة، وشكرته سرائرهم والعلانية، ورخصت الأسعار، وكثرت الأمطار، وصلحت الأثمار، وكان هو متواضعاً لله القهّار، ليّن الجانب للرعية، لم يحتجب عنهم في قضية، ويخرج في الطريق بغير عسكر، ويجلس مع الفقراء والأغنياء، ويحدّثهم بسلاسة، ويسلّم على صغيرهم وكبيرهم ببشاشة وطلاقة وجه، ولم يزل

قائماً مشمراً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى مات، رحمه الله، ضحى يوم الجمعة من العاشر من شهر القعدة سنة تسعين وألف سنة، وقُبر لمّا مات بنزوى، حيث قبر الإمام ناصر بن مرشد، رضي الله عنه، ورحمهما الله جميعاً. وكانت مدّة دولته من اليوم الذي نُصّب فيه للإمامة إلى اليوم الذي مات فيه سنة وأربعين سنة، والله أعلم.

الإمام بلعرب بن سلطان:

الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يترب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب ابن محمد بن مالك اليعربي، عقد له بالإمامة في اليوم الذي مات أبوه فيه، وقيل: بل عقد له بعد موت أبيه بشهر، والله أعلم بالصواب. فلما بويع له بالإمامة، أظهر العدل والإحسان، فشكرته الرعيّة، وأثنت عليه، وأذاعوا بالحمد إليه، وقصدته الوفود، فأطالوا المكث لديه، وكان بلعرب هذا رجلاً جواداً كريماً، وبالرعيّة رؤوفاً رحيماً، وبنى الحصن المشهور بالقوّة والارتفاع والعزازة والامتناع بيبرين[1] [جبرين] وانتقل من نزوى إليه، ووفدت الركبان عليه، وأقام بحصن يبرين مدرسة شريفة للعلماء ولطلبة العلم، فدرّست العلماء فيها الطلبة، وأفاض على العلماء والمتعلمين بديم الكرامات، والتفت بالبشاشة إليهم بكل الالتفات، فأضحت إليهم أوقاته طريفة، وأيامهم به شريفة، فما خلا من تلك المدرسة اللطيفة عالم فقيه، ومتعلم نبيه، وأديب له في النظم براعة، ولسبله في النثر بلاغة، فمن المتعلمين في تلك المدرسة الشريفة، وصاروا بعد ذلك علماء جهابذة الشيخ سعيد بن محمد بن

---

[1] حصن يبرين: أو حصن جبرين، بناه الإمام بلعرب بن سلطان في حياة والده الإمام سلطان بن سيف بن سلطان الأول نازعه أخوه سيف بن سلطان (قيد الأرض) عليه، وتوفي ودفن فيه سنة ١٦٩٢ م. انظر: عمان في التاريخ ص ٢٧٠-٢٧١.

عبيدان الشيخ الغافري خلف بن سنان[1] وغيرهما، ومن اللهجين بعلم الشعر، وصاروا بعد التأديب والتهذيب أدباء، منهم: الشيخ الحبسي الرئيس راشد بن جمعه بن خميس، حتى قال في حقه الشيخ العالم سليمان بن بلعرب بن عامر بن عبدالله بن بلعرب بن عبدالله بن بلعرب[2] الذي هو من بني محمد بن سليمان العقري النزوي العماني: ولد الحبسي بالقرية المسماة تين بني صارخ، من قرى الظاهرة من عمان في سنة تسع وثمانين بعد الألف من الهجرة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فرمد وهو ابن ستة أشهر، ثم انتقل منها، وهو ابن سبع سنين، قد مات أبوه، ونزل بقرية يبرين، في سكن الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب اليعربي العماني، فربّاه بها، وأحسن إليه [٨٦٧] غاية الإحسان، فتعلم في ظلّه القرآن والنحو والصرف واللغة، وما شاء الله من العلوم المفيدة، وخرّج شاعراً مجيداً، أريباً حاذقاً أديباً، فلما مات هذا الإمام، انتقل منها إلى أرض الحزم من ناحية الرستاق من عمان، مسكن أخيه السيّد الهمام سيف بن سلطان، المالك بعده، وأقام بها معه في أجمل حال، إلى أن مات، فلما مات ارتحل إلى نزوى عمان، واتخذها موطناً دون الأوطان، انتهى كلامه. قلت: وقد مدح الشيخ راشد بن جمعه بن خميس الحبسي هذا السيد الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف المذكور بقصيدته النونية، التي مطلعها شعراً:

---

(١) خلف بن سنان الغافري: الشيخ الفقيه، العالم، الناظم البليغ، خلف بن سنان بن عثيم الغافري، من علماء القرن الحادي عشر، كان والياً وقاضياً للإمام سلطان بن سيف الأول، وله ديوان شعر كبير، وله أشعار وقصائد أخرى لا توجد في الديوان، وله أجوبة كثيرة في الأثر، منها: "كتاب البيان" انظر البطاشي، حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج ٣، ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) الشيخ سليمان بن بلعرب بن عامر: عالم، مؤرخ، كان أحد المؤرخين الذين لهم دور بارز في تدوين تاريخ عمان، كما كان شاعراً، أخذ الشعر عن استاذه المعروف الشاعر الحبسي، له كتاب "المؤتمن في ذكر مناقب نزار واليمن". انظر دليل أعلام عمان، ص ٨٢.

دعها تحنُّ إلى الأوطـــان والـــسكن ولهانةً هاجها الماضي مـــن الـــزمنِ[1]

وأثنى عليه فيها ثناءً جميلاً، حتى قال في آخرها شعراً:

لأنه خيرُ من تعنـــو الرقـــاب لـــه ومن يفـــضّل عليـــه غيـــره يَمِـــنِ[2]

اليمين في اللغة: الكذب، وأصله من مان يمين، أي كذب يكـــذب، وهـــي قـــصيدة طريفة، عددها تسعة وثلاثون بيتاً.

وأخبرني غير واحد من الثقات، أن الإمام بلعرب هذا، قد جعل للعلماء والمتعلمـــين في المدرسة الشريفة بيبرين أشرف المأكل من الحلوى، وغير ذلك مـــن الفواكـــه، فقيل له ذات يوم: إن الشيخ ابن عبيدان سريع الحفظ مقبلاً على العلم بكليّة الإقبال، وأنه رجل أكول، فينبغي لك إفراد مأكله عن سائر المتعلمين، فلا يخالطه أحد فيه، فأمر له كل يوم بطبخ مورة أرز زين، وبذبح تيس سمين، فيأكل ما يقدر عليه من الأكل، فجعل ذلك إليه أيام إقباله إلى العلم، حتى انفصل من يبرين إلى نزوى، وهو عالم بليغ، لا يسوف السائل في الجواب. وأخبرني شخص، فقال : إن ابن عبيدان المذكور، أتى إلى الإمام زائراً ذات يوم من الأيام، فأخذ بيده الإمام إلى غرفته التي يسكنها بيبرين، وكان الشيخ ابن عبيدان هذا رجلاً أعمى، فجعل الإمام يسأله، وهو يجيبه بأحسن جواب، فلما قدمت إليه خواني المأكل، وفرغ من الأكل، جعل يجـــسُّ بيده بساط تلك الغرفة، وهو بساط عبقري ثمين، وهو يقول له : يا مولانا، كم قيمة هذا البساط العبقري؟ فقال له: ما شريته حتى أخبرك بثمنه، وإنما قد أهداه إليّ ملك العجم، فلما أراد ابن عبيدان الانصراف عن الإمام إلى نزوى، أمر الإمام بطي ذلك

---

[1] انظر نص القصيدة في ديوان الحبسي، ص ٣٧.

[2] المصدر نفسه، ص ٤٠.

البساط، ويحمل إليه إلى بيته قبل وصوله إليه، فلما دخل ابن عبيدان بيته بنزوى، وجد ذلك البساط مفروشاً في غرفته، فكاد أن يصرعه البهر، وأخبره أهله أن خدّام الإمام قد حملوه من يبرين إلى نزوى، وأمرهم أن يفرشوه في غرفتك هذه، وقالوا له: إن الإمام يسلم عليك، ويقول لك: تفضّل بقبول اليسير، وكن لمحبك ساتراً.

وقال أيضا أحد المشايخ المسنين: إن ابن عبيدان قد زار الإمام ذات يوم بيبرين، فأكرمه وأحسن إليه، فلما أراد الرجوع إلى نزوى، قال له: يا مولانا إني قد أكلت من المآكل الطيبات جملة، وإلى هذه الغاية ما أكلت تمر نخلة الباطنة، فقال له: الإمام: طب نفساً، وقرّ عيناً، فإني لأبعث كذلك ببعض تمر نخل الباطنة عن قريب، إن شاء الله، فلما انفصل الشيخ ابن عبيدان عنه، كتب إلى عامله بالذيل، أن يبعث ألفي جراب تمر من أحسن تمر نخيل الديل إلى الشيخ ابن عبيدان، ففعل عامله كما أمره، وبعث بالتمر إليه وسلّم أكبراً، فلما أُنيخت الركاب حذا باب بيت ابن عبيدان وقريء عليه خط عامل الإمام بما أمره الإمام به، قال لأهله: إني ما دمت في قيد الحياة لا أسأل هذا الإمام عن شيء يُؤكل ويُفرش، فقد بهظني بعطاياه، فهو كما قال الشاعر المعري :

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يهجر للإفراط بالخصر

وأخبرني أيضاً غير واحد من الثقات، أن هذا الإمام الكريم وفد عليه رجل من أهل البصرة [٨٦٨] وقد أخنى عليه الدّهر، فأصاره فقيراً بعد الغنى، كثير الدين، سهير العين، حليف متربة بعد ملكة يده للبيضاء والصفراء، ففرا إليه بجناح الذّل من البصرة إلى يبرين، فلما وصل إليه، ورأى إفراطه في الكرم، وازدحام الناس عليه، أخذه الحياء، وأخفى أمره عنه، فما لبث بيبرين إلاّ يومين، إلى إن انفصل عنه ، فلما وصل مسقط ، رأى سفينة قاصدة إلى البصرة ، فركبها ، فلما وصل إلى البصرة بقي في بيته محزوناً، تذرف عيناه بالدموع، فلما قيل للإمام: إن الرجل

الغريب، الذي وفد عليك، ارتحل من يبرين، ولا ندري إلى أين توجه، فبعث بطلبه الركبان إلى كل البلدان المعزوّة إلى عمان، فما وقفوا له على أثر، حتى أخبر الإمام بعض الأنام، أن الرجل هو من أصحاب البصرة، وكان من خبره كذا وكذا، وهو لمّا انفصل عنك، هبط إلى مسقط، فصادف سفينة قاصدة إلى البصرة، فركبها، فلما تحقق مع الإمام أن شأن ذلك الرجل كما أخبره من أخبره عنه بذلك، بعث إليه رسولاً من قبله على طريق البحر، وأنفذ إليه مائة ألف دينار، وكتب إليه كتاباً جميلاً، يعتذر فيه إليه بانشغاله عنه أيام قدومه إليه بيبرين. وقال لذلك الرسول: إذا وجدت ذلك الرجل ميّتاً، فادفع الكتاب والدنانير إلى ورثته. فلما وفد على البصرة رسول الإمام، سأل عن الرجل، فأخبروه عنه، فقصده، فوجده في بيته حليف اكتئاب، وقد دخل الهم عليه من كلّ باب، فلما طارحه رسول الإمام بالسّلام، قال له: ما عذرك في الرجوع إلى البصرة بغير إذن من الإمام، وأنت قد أتيته زائراً لسؤالٍ ومرام ؟ فقال له : يا هذا، إني لمّا رأيت افراط كرمه للناس، استولى عليّ الخجل، فرجعت عنه، وأنا عنه راضٍ، إذ كان كرمه في غياهب الهموم كالمقباس. فقال له رسول الإمام: لا بأس عليك، فقد حصل لك الايناس، فلما دفع إليه الكتاب والدنانير، كاد الرجل من السرور والفرح أن يطير، ولما رجع رسول الإمام إلى الإمام، وأخبره بثناء الرجل عليه مع الإلمام، وأنه قد صار في سرور بعد الإهتمام، قال له الإمام: إن الفضل له علينا بزيارته إلينا، فجزاه الله عنّا خيراً كثيراً، لمّا قبل منّا نوالاً يسير. وأخبار الإمام بلعرب في الكرم لا تحصى وبوجود جوده وإحسانه للناس قد أشرقت عمان، وعمّها منه محض الأمان، حتى وقعت بينه وبين أخيه سيف الإحن والفتن والحروب المتفاقمة والمحن، فأصاب من شأنهما كثيراً من الفقهاء والمشايخ أهل الورع والزهد وغيرهم عقوبات، أدّت إلى تلف نفوسهم من إتباع السفهاء واقتفائهما آرائهم وقبول كلمتهم، ثم خرج الإمام بلعرب من نزوى ويبرين إلى ناحية الشمال، ثم رجع إلى نزوى، فمنعه أهل نزوى دخولها، فسار إلى يبرين. وقال من كان له محبّاً: إن بلعرب قد صار بلى العرب، واجتمع أكابر أهل

نزوى، فعقدوا الإمامة لأخيه سيف بن سلطان، وكثير من القوم قد دخل في الأمـر تقيّة، وبعض قد عوقب بتركه الدخول للعقد، فخرج سيف على أخيه، وأخـذ كافـة حصون عمان، وكافة الحصون التي هي على ساحل عمان، ولم يبق مع بلعرب إلاّ حصن يبرين، فسار سيف إليه، وحاصره، فوقع بينهما حرب طويل، يطـول فيـه الشرح، حتى مات بلعرب في الحصار، فطلب أصحابه الأمـان، ليخرجـوا مـن الحصن، فأمنهم سيف، فخرجوا من الحصن.

وسمعت غير واحد يقول: إن بعضاً من أهل العلم لم يزالوا متمسكين بإمامة بلعرب حتى مات، ويرون أن أخاه سيفاً باغٍ عليه، وكان وفاة الإمام بلعرب فـي حـصن يبرين، وقبر فيها يوم الاثنين، من شهر المحرم، سنة مائة سنة وألف سنة، وحكـي عنه لمّا اشتَدَّ عليه الحصار، وتعذّر إليه الانتصار، توضـى، وصـلى لله تعـالى ركعتين، وسأل ربّه عزّ وجل أن يميته، ويريح الله المسلمين [٨٦٩] من الحـروب والفتن المتفاقمة بينه وبين أخيه سيف، فاستجاب الله دعاءه، فأماته في الحال.

أخبرني غير واحد من الذين شهدوا عصاه ونعليه والبساط الذي فرشه للسجود فيه، فقالوا: إنا قد شهدنا عصاه ونعليه وبساطه الذي فرشه للسجود فيه في حصن يبرين، والكل غير بالٍ إلى هذه الغاية سنة أربعين ومائتين وألف.

الإمام سيف بن سلطان:

الإمام سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك ابن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بـن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. الملقب بقيد الأرض، وأبوه سلطان بن سـيف، كان يلقب صاحب الكاف، واختلفوا في لقب أبيه بصاحب الكاف، فمنهم من زعم أنه صاحب الكيمياء، وليس الأمر ذلك، إذ هو غير مشهور بصناعة الكيمياء، والصحيح أنه لُقب صاحب الكاف، إذ جعل سمة إبله على خدودها كافاً، فقيـل لـه صـاحب

الكاف، وأما ولده سيف هذا لُقّب قيد الأرض، لهيبته التي قيدّ بها بغاة عمـان مـن البدو والحضر، فما سعى منهم أحد لسلب، ولا لقتل، ونهب، ولا همَّ لفساد. وبويع له بالإمامة أيام حروبه لأخيه بلعرب. وكان الإمام سيف هذا رجلاً مهيباً منـصفاً في رعيته، راداً قويهم عن ضعيفهم، وهابته القبائل مـن عمـان، وغيرهـا مـن الأمصار، وسائر الديار الدانية والشاسعة، وحارب النصارى في أقطارهم، وأخرج عتاتهم من ديارهم، وابتزّهم من قرارهم، ومزّقهم بسيوف هيبته كل ممزّق، وأخـذ منهم ممباسة والجزيرة الخضراء وكلوه وبتّ، وغيرها من البلدان الغاتية، وسالمته نصارى ممباسة، وبنى بها قلعة شاهقة، وجعل فيها رجالاً من قبلة، يأخـذون مـن النصارى كلّ سنة على ما اتفقوا عليه من الآداء والخراج والجزية، وعمر مكانات كثيرة من عمان، وأجرى فيها الأنهار، وغرس فيها النخيل والأشجار، وجمع مـالاً جمّاً، وملك ماءً وعبيداً، يتعذّر عددهم عن الحصر، وكان شـديد الحـرص علـى المال، فحكي عنه أنه وفدت عليه ذات يوم أعراب أكابر الشمال، فـسألوه نـوالا، وذكروا له إكرام أخيه بلعرب لهم أيام دولته، فقال لهم: أما أخي بلعرب، فهو يقـال له أبا العرب، فلا غرو أن أعطاكم، وأما أنا فاسمي سيف، فليس يجود الـسيف إلاّ بالضرب، فسكتوا عنه، وخافوا، ومضوا عنه. وحُكي أنه أمر أن تلقى في السحاماة مورة فلفل، لينظر من يمدّ إليها يده، فضلاً أن يأخذها، فبقيت على حالها، ملقاة على قارعة الطريق ثلاث سنين، وكل من يمرُّ عليها، فرّ رعبا ورهبا، ويقول: والله إنها الفتنة، نصبها الإمام إلى الأنام، فالويل كل الويل لمن يتعرّض لها، حتى سمع بهـا رجل من الأعراب، فركب ناقته لينظرها، فلما دنا منها، نزل مـن ظهـر ناقتـه، فبادرها، فأدخل إصبعه فيها، فخرقها، فلمّا كان منه ذلك، استولى عليـه الخـوف والندم، وخشي أن يخبر عنه الإمام أحد من الأعراب أوالحضر، فمضى هو إلـى الإمام، وهو يومئذ ببلدة الرستاق، فأخبره عن صنيعه بتلك المورة الفلفليّة، فقال لـه الإمام: أمدد لي أصبعك التي خرقت بها المورة، فلما مدّها إليه، قطعها بسكين كان معه، وقال: تأدّب يا إعرابي، فإنك إن فعلت [٨٧٠] بها ثانية كفعلتك الأولى، أمرت

بقطع عنقك، فلما علمت الأعراب والحضر ما فعل الإمام بذلك الأعرابي، خافوه خوفاً شديداً، وبقيت تلك المورة ملقاة في السحاماه، حتى مات الإمام.

وحكى لي بعض المشائخ، أن رجلاً تاجراً من أهل اليمن، كان يأتي إلى عمان، في كل سنة مرّة واحدة، فيقصد بلدة الرستاق خاصة من عمان، ومعه جملة أكياس من الورس، فيقيم بالرستاق، حتى يبيع ما جلب إليها من الورس وغيره، فإذا قبض ثمن ما باعه، رجع إلى مسقط، ثم يعبر منها إلى اليمن على سفينة، وهكذا كان شأنه، أيام دولة الإمام سيف بن سلطان، فأتى إلى الرستاق ذات سنة، وباع ما حمل إليها من الورس وغيره، فلمّا قبض الثمن، مضى يريد مسقط على غير راحلة، فلمّا بلغ شعاب المرخ، وجَنَّ عليه الليل، نام، ووضع الكيس الذي ترك فيه الدراهم تحت رأسه، وكان عند انفصاله عن الرستاق قد شهده إعرابي زفيتي، من أعراب الظاهرة، والكيس الذي وضع فيه الدراهم قد حمله على ظهره، فطمع الأعرابي في ماله، فمضى خلفه، إلى أن رآه نائماً في شعاب المرخ، وجده، فأناخ ناقته بعيداً منه، وأتاه يسعى حبواً، فلما قرب منه، وعلم أنه نائم، أخذ الكيس من تحت رأسه، وركب ناقته، فاحتثها، حتى وصل إلى أفلاج عرعر من الرستاق، وكان بعرعر رجل إعرابي، يقصّ الأثر، وقد جعل له الإمام فريضة من بيت المال لقصّ الأثر، فأيقظه الأعرابي الذي سرق الكيس، وشاطره بالمال، وقال له: إذا أتي الرجل مع الإمام، وشكى ممّا جرى عليه إليه، وقال لك الإمام قصّ بأثر السارق، موّه له الكلام، ولا تخبره بي، فإني ما شاطرتك بهذه الدراهم إلاّ لأجل ذلك، فأجابه إلى ذلك، فلما أصبح الرّجل اليمني، ولم يَرَ الكيس الذي فيه دراهمه، جعل يلطم خدّه ويصيح، حتى قدم على الإمام بالرستاق، فأخبره بما جرى عليه، فعند ذلك غضب الإمام غضباً شديداً، وبعث إلى الأعرابي الذي جعل له الفريضة لقصّ الأثر، فلمّا وافاه، قال له: لئن لم تأتيني بالسارق، وإلاّ أدّبتك أدباً ما سمعت مثله، فقال له: أيها الإمام، عليَّ الاجتهاد، وما توفيقي إلاّ بالله، فلمّا انفصل عن الإمام ذلك القاصّ، جعل يضرب ناقته، ويذرع بها البيد طولاً وعرضاً،ثم رجع إلى الإمام بعد يومين ، فقال

له : أيها الإمام ، إني ذرعت بناقتي البيد طولاً و عرضاً ، فوجدت الأقدام وقع بعضها على بعض، فتلاشى عليّ أثر قدم السارق، فاعفني عن هذا، فقال له الإمام: يا كذّاب، لا ينفعك هذا الخطاب، وفي نفسي من قبلك شيء، ثم أمر بصلبه، وأمر أن لا أحد يسقيه، ما دام في الصلب، فلمّا أحَسَّ ذلك بالهلاك صاح، وقال: فكّني أيها الإمام من القيد والصلب، وأمهلني أياماً قلائل، عسى أن أجد هذا السارق، فآتيك به، فأجابه الإمام على ذلك، وأمر بفكّه من القيد والصلب، فركب ناقته، وجعل يقصّ بأثر صاحبه الذي شاطره الدراهم، حتى بلغ إلى ودام من الباطنة، فسأل عنه، فقيل له: قد ركب منذ يومين سفينة إلى مكران، وقد باع ناقته، فاشتراها فلان منه بكذا وكذا، ولو علمنا أنه لصّ لمسكناه، وأتينا به إلى الإمام، فقال لهم: استأجروا لي سفينة إلى مكران، فاستكروا له سفينه في الحال، وقصد بها مكران، ورخص لأهل السفينة بالرجوع، بعدما وصل مكران، وأعطاهم الكرى، فجعل يقصُّ أثر ذلك [٨٧١] الرجل حتى رآه بعد يومين نائماً في ظل شجرة عظيمة، قاصداً في سفره ذلك إلى أرض السند، فأيقظه من منامه، وأخذ منه الكيس، فوجد فيه الدراهم على حالها، لا ناقصً منها شيء، وقال له: أقصد أرض السند، وأسكنها، وإياك الرجوع إلى عمان ما دام الإمام سيف بن سلطان في قيد الحياة، فمضى ذلك إلى السند، ورجع القاصّ إلى عمان، فلما بلغ بلدة ودام، قال لأكابرها: امضوا معي إلى الإمام، وقودوا معكم ناقة السارق، التي اشتراها صاحبكم منه، وأخبروه بمجيئه إلى ودام، وبيعه الناقة، وركوبه البحر من ودام إلى مكران، وبوصولي إليكم، وعبرتي إلى مكران، ورجوعي إلى ودام بالكيس، فإن لم تفعلوا كذا، فأنتم وأنا على خطر عظيم منه، فأجابوه على ذلك، ومضوا معه بالناقة، فلما بلغ إلى عرعر، انصرف عنهم إلى بيته، وأضاف الدراهم التي شاطر بها السارق في الكيس الذي فيه الدراهم، فلما وصلوا إلى الإمام، وأخبروه الخبر كلّه، قال القاصّ: إني وجدته قاصداً أرض السند، فلما رآني، رمى الكيس من يده، وجفل مني جفول النعام، فما أحببت أن اتبعه بعدما ظفرت بالكيس، خوفي أن تطول المدّة مني إليك، فقال الإمام: أما ناقته،

فلا سبيل لأخذها، وبعث إلى الرجل اليمني، ودفع إليه بالكيس، وقال له: أحصي الدراهم، فوجدها تماماً، لا ناقص منها شيء. ثم إن الإمام زودهّ، وأمر القاصّ أن يصحبه إلى مسقط، وقال للقاص: إذا رجعت من مسقط، فأتني بالحال، فأجابه على ذلك. فانصرف الرجل اليمني إلى مسقط ومعه الرجل القاصّ، وانصرفوا أهل ودام إلى ودام بالناقة التي اشتراها صاحبهم من الأعرابي اللص الزفيتي، ولمّا رجع إليه القاصّ، أمر بتقييده في حصن الرستاق، فلبث في القيد سنة، ثم أطلقه، وصرف فريضته إلى رجل قاصّ غيره.

وحكي أيضاً عن الإمام سيف بن سلطان هذا، أنه مضى ذات يوم إلى القنص، ومعه عبد من عبيده، يسمى أبو سعدين، فلما بلغا إلى رهاس السلامين، رأيا رجلاً إعرابياً راكباً على ناقة، قد حمل عليها جرابين تمر فرض من فروض الظاهرة، ليبيعها في سوق الرستاق، فقال الإمام للخادم: انتزحْ عني، فإذا سمعت بيني وبين الإعرابي طال الكلام، أسرع إليّ، وكان ذلك الإعرابي زفيتي النسب، يسكن بلدة تنعم، فقصده الإمام، وقد تأبط قربة ملأها ماءً، فلما دنى الأعرابي منه، قال: يا حضري، اسقني ماءً، فإني عطشان، وهو لا يعلم أنه الإمام سيف بن سلطان، فقال له: إذا لم أسقك، ما أنت صانع بي؟ وجعل الإمام يغلظ عليه الكلام ليختبره، هل هو في نفسه خيفة من العدل، أم لا؟ فلما طال الكلام من الإمام للأعرابي، أقبل العبد يركض، وهو يهز رمحه، فلما حاذاهما، قال: يا إعرابي، أراك تجرأت على الإمام، فمن أي العرب أنت، فلما سمع الأعرابي كلامه، أخذه الذلّ والفزع، فقطع الحبال التي شدّ بهنّ الجرابين، وجعل يضرب ناقته يميناً وشمالاً، والإمام يقول له: إرجع إرجع، لا بأس عليك، إليك الأمان، فلم يلتفت الإعرابي إلى خلفه، قيل والله أعلم: إنه قصد بسيره ذلك لمّا وصل إلى الظاهرة أرض بني مهرة، وما رجع إلى عمان، حتى مات الإمام، وسأل الإمام عن أهله، فقيل له بتنعم من الظاهرة، فبعث بالجرابين إليهم، [٨٧٢] ولمّا سألوهم من حمل لهم الجرابين عن صاحبهم قالوا: والله لا علم لنا به بعد أن رحل عنّا.

ويروى عن سيف بن سلطان أخبار كثيرة في الهيبة والعدل والإنصاف، وقد مدحه الشيخ راشد بن جمعة بن خميس الحبسي، بجملة قصائد منها القصيدة التي ذكر فيها عدد خيله، وهي قصيدة رائعة مطلعها:

حيَّ الأحبة بالتسليم فاستلموا   يدي وقد كان توديعاً سلامهم[١]

وفيها يقول:

إن تسألَنيِّ عن الخيل التي ملكت   يداه سلني فإني عارف فهم
تسعون ألف حصان من كرائمها   غير الرماك فما في قولنا وَهَمُ
فالكمتُ منهنّ والشقر الكرام ومنها   الشهب والبلق والغربيبة الدّهمُ
كريمة عوّدت أمر الحروب فما   يعيى عليهن إلاّ النطق والكلمُ
سنذكر البعض منها في قصيدتنا   يا قوم فاستمعوا للقول تغتنموا
ففي غُزَ يلان والصّناب مبتدأ   لنا وبالكاملين المدح يختتمُ
وفتح خير صباح الخير جوهرها   الميمون والفهد والمنصور جيشهمُ
والنجم والباز والعفريت إن لحقت   بلاحق الخير وافاها سرورهمُ
وفي دهام وفي صبحان فائدة   لا عَسرة عندها يُخشى ولا عدمُ
والحاجز الجيد في المعروف عند مسا   الخير الكريم فتلكم للعدى نقمُ
ومن هديان أنوار لنا وهدىً   وعن عُبيّان أصحاب الضلال عموا
وعند زائد خير في تجارتنا   ربح وعند أبي الغارات قد غنموا[٢]

وبالجملة، إن مناقب الإمام سيف شهيرة، ومآثره كبيرة، وقد ملك من أصول عمان ثلث جملتها، وأحدث سبعة عشر فلجاً، وأجراهنَّ جرياً قوياً، منهنّ البزيلي، ومنهنّ

---

(١) انظر هذا البيت في ديوان الحبسي، ص ٨٥.

(٢) انظر نص القصيدة كاملة في المصدر نفسه، ص ٨٥-٨٩.

الكوثر، ومنهن البرزمان، وأفلاج المسفاة، وغيرهن. وملك ثمانية وعشرين سفينة وكعب رأس، منهنّ: الفلك، والملك، والرّحماني، والصالحي، وفيرزمّان، والباز، وكل مركب من هذه المراكب غاية في العظم، وكان في المركب الفلك ثمانون مدفعاً غلظ، أصل كلّ مدفع ثلاثة أشبار، وفسل في نعمان بركة ثلاثين ألف مبسلي وستة آلاف نار جيلة، غير الذي غرسه ببير النساوة والراصة والمنذرية، واشترى أموال بني لمك وبني عدي من وادي السّحتن، فلمّا ما ت، ورثه ولده سلطان، الذي بنى الحصن المنيع بالجص في الحزم، وورثته ابنته أم الإمام سلطان بن مرشد وأخوته من أمه، وهما : سلطان، وسيف، ابنا الإمام المهنا بن سلطان، ثم مات سلطان، وورثاه ولداه سيف وبلعرب، وأخوه معهما منه، ولمّا ماتت بنت سيف بن سلطان، وورثها أولادها وزوجها المهنا، طلب ما فسل بنعمان المعاول وغيرهم، فأضحى يأخذ ثلاثمائة فسله أو أكثر، بأقلّ ثمن، حتى كثر في وادي المعاول المبسلي من ذلك الفسل، وأخذت وادي السحتن رجال بني عدي بلا شراء، وأسكنهم فيه الإمام أحمد بن سعيد، لمّا أفضت إليه الإمامة، وبقّية أموال سيف بن سلطان اقتسمته أولاده، فأما نصف سيف بن سلطان الأخير، حكم به بلعرب بن حمير بن سلطان لبيت المال، بسبب ظلمه وتعدّيه، وإتيانه العجم إلى عمان، وما وقع منهم بعمان من قتل وسبي، [٨٧٣] واتفقت الروايات أن الإمام سيف بن سلطان قد ملك سبعة عشر مائة عبد، وكان وفاته بالرستاق، ليلة الجمعة، وثالث يوم شهر رمضان، سنة ثلاث وعشرين سنة ومائة وألف سنة، وقبره مزار مشهور.

الإمام سلطان بن سيف:

الإمام سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم ابن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي، رحمه الله. بويع له بالإمامة، بعد

موت أبيه الإمام سيف بن سلطان بعشرة أيام، في بلــدة الرســتاق، فقــام بالعــدل والإنصاف، وجاهد الأعداء في البرّ والبحر، وحارب العجم في مواضـــع شــتى، وأخرجهم من بلدانهم، ودمّرهم في أوطانهم، وبعث إلى حرب البحــرين عــشرين مركباً كباراً، ومن السفن الصغار سبعمائة سفينة، فكان عدد القوم الذين بعثهم الإمام إلى حرب جزيرة البحرين أربعين ألفاً، أميرهم من قبله حمير بن سيف بن ماجــد اليعربي،[١] ومعه من الكبراء الأعيان راشد بن عزيز العزيزي[٢]، ومبــارك بــن غريب الغافري[٣]، ومحمد بن سليمان الحضرمي[٤]، وغيرهم، فنزلوا، لما قــدموا على جزيرة البحرين بستره، وهي حلّة منهل جزيرة البحــرين، وكانــت جزيــرة البحرين يومئذ في حكم العجم، مشحونة بالرجال والخيل، فلمّا زحف المسلمون قوم الإمام من معسكرهم إلى محرق، ركضت عليهم العجم ومن معهم مــن العــرب، فوقعت بينهم ملحمة عظيمة، فقتل من المسلمين مائة رجل، وفيهم الأمير حمير بن سيف بن ماجد اليعربي، وقتل من العجم خلق كثير، وانكشف العجم عنهم، ورجــع كل منهم إلى معسكره، ثم استقام على جيش الإمام سلطان بن سيف، لمّا قتل حمير

---

(١) حمير بن سيف بن ماجد اليعربي: شيخ، قائد، عاش في القرن الحادي عــشر الهجــري قــاد الجيش الذي جهزه الإمام سلطان بن سيف لحرب الفرس، فزحف على البحرين، والتقي بالفرس، وسحقهم، وقد استشهد حميد بن سيف في هذه الواقعة. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٥٣.

(٢) راشد بن عزيز العزيزي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، شارك في الحملة التي جهزهــا الإمام سلطان بن سيف، لمقاتلة الفرس في البحرين، وقد قتل في هذه الحرب.انظر: دليل أعلام عمان، ص٦٨.

(٣) مبارك بن غريب الغافري: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحــد أركــان الجيش العماني الذي خاض الحرب مع الفرس في البحرين، فزحف الجيش على البحرين، ودارت رحى الحرب بين الفريقين، وفرّ الفرس من البحرين، ثم إن الإمام سلطان بــن ســيف حــارب الفرس، فأخرجهم من البحرين، واستولى على القسم ولارك وهرمز، إلا أن مبارك قتل في هــذه الحرب. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٢-١٤٣.

(٤) محمد بن سليمان بن العضد الحضرمي: قائد، عاش في القرن الثاني عشر هجري، أحد رجال الإمام سلطان بن سيف، أرسله الإمام مع جيش عماني كبير، لتخليص البحرين من أيدي الفرس، الذين استولوا عليها بعد البرتغالين، فدارت رحي الحرب بين الطــرفين، فانتــصر العمــانيون، واستشهد محمد. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٨.

ابن سيف بن ماجد اليعربي، رحمه الله، الشيخ راشد بن عزيز العزيزي، فلما أفضى إليه لواء الحرب، ركض بمن معه على العجم، فدلفوا إليهم، فوقعت بينهم ملحمة عظيمة، فقتل من العجم ثمانمائة رجل، وقتل من قوم الإمام سلطان بن سيف مائة وثلاثون رجلاً، وفيهم الأمير راشد بن عزيز العزيزي، ورجع كل منهم إلى معسكره، فاستقام مكان الشيخ عزيز بن راشد العزيزي الشيخ مبارك بن غريب الغافري، فلما أفضى إليه لواء الحرب هزّه، وركض بمن معه على العجم، فواقعوا دون محرّق، فكانت بينهم وقعة عظيمة، من أول النهار إلى زوال الشمس، فقتل من العجم خلق كثير، وقتل من المسلمين مائتي رجل، وقتل معهم الشيخ مبارك بن غريب الغافري، ورجع كل منهم إلى معسكره، ثم استقام مكان الشيخ مبارك بن غريب الغافري الشيخ محمد بن سليمان الحضرمي، فلمّا أفضى إليه لواء الحرب، شمَّر عن ساق، فركض على فئة العجم، فكانت بينهم ملحمة عظيمة، والدئرة على العجم، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقتل من جيش الإمام أربعمائة رجل، ومعهم الشيخ محمد بن سليمان الحضرمي، فاستقام مكانه الشيخ سعيد بن راشد الغافري، فأخمد نار العجم، واصطلم منهم البحرين، وبنى فيها للإمام سلطان بن سيف قلعة سمّاها قلعة عراد، فهي إلى هذه الغاية، يقال لها قلعة عراد، ويقال لها أيضاً قلعة سلطان ابن سيف، فلمّا كتب سعيد بن راشد للإمام بما جرى بينهم وبين العجم من القتل والاستئصال والبناء، وفصّل جملة من قتل من المسلمين، شكر الإمام سعيه وسعي أصحابه، فبعث الإمام الشيخ ناصر بن محمد بن ناصر بن عامر بن رمته الغافري[1] والياً من قبله على جزيرة البحرين، وأمره بالإنصاف والعدل بين

---

[1] ناصر بن محمد بن ناصر الغافري: هو ابن الإمام محمد بن ناصر الغافري، ويعدُّ داهية زمانه، ولاه أئمة اليعاربة إمارة البحرين، وظل فيها ردحاً من الزمن، وازدهرت في زمانه. ثم رجع إلى عمان في عهد الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي، وتزعم في عهده الظاهرة، فكان له فيها نفوذ الحاكم المطلق، مطاعاً في قبائلها، وبنى إذ ذاك حصن "العينين" الشهير، الأمر الذي دعاه أن يقود حملة تمرّد ضد الإمام، لكن كان له بالمرصاد، فوقعت بين الرجلين صدامات عنيفة. كانت حادثة منطقة "سيح الطيب" أعنفها، حيث خسرت الحكومة خلالها الكثير من رجالها، ولكن لم تطل المدّة، حتى انهزمت فلول المتمردين، وقتل ناصر. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٦٠.

الرعية، [٨٧٤] وأن تطرح على بحر جزيرة البحرين من مراكبه الكبار اثني عشر مركباً، ومن سفنه الصغار ثلاثمائة سفينة، وأن لا تنقطع مادة الأخبار بينه وبينه، فامتثل الشيخ ناصر بن محمد بن عامر للأمر. فلما وصل إلى البحرين، نزل بعراد، وواجهته رعيّة البحرين كافة، وأذعنوا للإمام وله بالطاعة والانقياد، وأجلس معه من القوم الذين بعثهم الإمام لحرب البحرين، وسلموا من القتل والجراح عشرة آلاف رجل، ومن السفن في البحر، كما أمره به الإمام، وقد مدح الإمام سلطان بن سيف، الشيخ راشد بن جمعه بن خميس بقصيدة رائية، ذكر فيها فتوحه لجزيرة البحرين، وما وقع على العجم، ورثى فيها ولاته الأمراء الذين ذكرناهم، وهذه القصيدة مطلعها شعراً:

ألا فانظروا كيف الأعاجم صاروا	غدوا شجرات مالهنّ قرارُ
طغوا وبغوا في الأرض حتى أصابهم	عقاب أليم مهلك وتبارُ
فحلّت بهم من مالك الأمر نقمة	وسوء عذاب دائم ودمارُ
وقد ضُربت أعناقهم بمنا صلٍ	كما خُربت دور لهم وديارُ
فصاروا بها رغم الأنوف كأنهم	سماحج وحشٍ عاقهنّ عثارُ
وقد شربوا كأسا من الحتف والردى	فخرّوا على الأذقان وهي بدارُ
وجُرّوا على أذقانهم بعدما جروا	بخيلٍ وقد جرّوا الذيول وجاروا
وقد حملتهم بعدما عاينوا الظُّبا	مطايا المنايا للبوار فباروا
ليعلم ملك العجم أنّ جيوشه	إلى الموت قد تَسري بهم ويسار
فدوّخهم بالمشرفية فيلق	عظيم لديه المعظمات صغارُ
وقد أيمّوا من بعد ذلك نسوة	عراهن مع سوء الحياة صغارُ
تَباكى عليهم بالنهار وبالدجى	وأدمعها عند البكاء غزارُ
كأنهم لم يعلموا أن باعنا	طويل وأعمار العداة قصارُ
دمائهم هدر ولكن ضربنا	لأعناقهم يوم النزال جُبار

ومــا ذاك إلاّ مــن خــساسة طــبعهم يقولون أضــغاث الرجــال قمــارُ
وليلــة ســعد مــزّق الــسيف ثوبهــا كــأنّ دجاهــا بالــسيوف نهــارُ
تزاحمــت الأبطــال فيهــا كأنمــا بها القوم ســفن والــدماء بحــارُ
ويــوم أثــار النقــع فيــه ســحائباً من الحرب حُمراً حشوهنّ غبــارُ
كــأنّ يحــاميهم العجاجــة عــارض تلامــع فيــه كــالبروق شــفارُ
فمــا زالــت الهيجــاء حتــى تفرقــوا ولكــن عــرتهم ذلّــة وفــرارُ
وقد صارت البحرين فــي ملــك ســيّدٍ كــريم زكــا فــرع لــه ونجــارُ
ســلالة ســيف نجــل ســلطان الــذي لنا أمنت سوح به وقفــارُ [٨٧٥]
هنيــأً إمــام المــسلمين ببلـــدة بكم طاب فيهــا مفخــر وفخــارُ
لقــد كــان فيهــا للأعــاجم غبطــة فزمّوا مطايا البين منها وســاروا
نعم وسقوا من منهــل الحتــف شــربة بها من عقــار الموبقــات عقــارُ
فولــــوكم أدبــــارهم وتبلّــــدوا وقد وقفوا دون المحيص وحــاروا
وكــانوا بهــا أُســداً فلمّــا غــزوتهم غدوا بقــراً عونــاً لهــنَّ خُــوارُ
رأوا مــنكم مــا لا رأى بخــت نــصرٍ ومــا لا يــراهُ مــصدع وقــدارُ

فلــم يبــقَ إلاّ مــن تــراه مجــدّ لاً قتيلاً ومن بــين الرجــال مجــارُ
فلم يحمهم مــن أســيف الأســد قلعــة ولمّــا يــصنهم معقــل وجــدارُ
وما ضرنا مــن غيــر مــوتٍ كرامنــا لأنهــم عــدل بهــا وخيــارُ
كحميري الزاكي بن سيف بــن ماجــد فتى بعــده النــوم اللذيــذ مُطــارُ
ونجــل عزيــز راشــد ومبــارك سليل غريب هــم هــديت ذمــارُ
ولــم أنــسَ ذاك الحــضرمي محمــداً فموتتــه للمــسلمين خــسارُ
شــجاعُ كفــاحٍ لــم يقاومــه ضــيغم وعضبُ وغيً ما بتَّ منه غــرارُ
ولكــن صــبراً فالــسنون حوامــل وفيهــا الليــالي ولَّــدُ وعــشارُ

وللفلــــك الــــدّوار عُظـــمُ عجائـــب   وفـــي دهرنــــا للــــدّائرات مــــدارُ
ودم يــــا إمــــام المـــسلمين مظفـــراً   طوال الليالي لا نبــت بــك دارُ[1]

وقد مدح الحبسي أيضاً الإمام سلطان بن سيف بقصيدة لامية، وسبب نظمـه لهـذه القصيدة، أنَّ سائلاً سأله عن نسبه، ومن أين هو، فأراد أن يبيّن له ذلك، فنظم هــذه القصيدة، وسماها الفهّاميّة:

الفخر بالـــدين لـــيس الفخـــر بـــالآلِ   فكلّ شيء سوى الإيمـــان كـــالآلِ[3]

وقد مدحه أيضاً بقصيدة دالية، من بحر السريع، ويذكر قدومه من مكان، ومطلعها:

قـــــدومكم ســــرَّ جميــــع العبــــاد   وأخـــصب الأرض وأحـــي الـــبلاد
قـــدوم غيـــث بعـــد جـــدب غـــدا   ممتلئـــاً مـــن خيـــره كـــل واد[3]

ومدحه أيضاً بقصيده رائية، مطلعها شعراً:

صـــبّحك الله ومـــسّاك بـــالخيرا   ت يــــا أعـــــلا الـــــورى قـــــدرا
نعـــــم ويـــــا أعلاهـــــم رتبـــــة   أجـــلْ ويــــا أشــــرفهم نجـــرا[4]

---

(1) انظر القصيدة في ديوان الحبسي، ص ٦٠-٦٣.
(2) المصدر نفسه، ص ٦٣.
(3) المصدر نفسه، ص ٦٧.
(4) المصدر نفسه، ص ٧٠.

ومدحه أيضاً بقصيدة رائية، من بحر الكامل، من النوع الآخر، وذكر فيها قدومه من مكان، مطلعها:

مــلأ الــبلاد قــدومكم فرحــا وقـــد مُلئـــت ســـرورا
يــا نجــل ســيف أنــت بحــر لــن يغيــب ولــن يغــورا[1] [٨٧٦]

وكان من جملة ما مدحه بها الشيخ راشد بن جمعه بن خميس الحبسي من القصائد، وحفظتهنّ عنه، اثنتين وأربعين قصيدة مطوّلات ومختــصرات ومقــاطيع، ولــولا خوفي الإطالة، لرمتهنّ جميعاً في هذه الترجمة، وكفى بما أثبته الآن عنه في هــذه الترجمة. ولمّا نمت قوّة الإمام سلطان بن سيف، وخافته ملوك العــرب والعجــم، وسرى صيت هيبته لكل مكان، شرع في بنيانه لحصن الحزم، فجعل عرض كــل جدار منه اثني عشر ذراعاً، وطول سطحه في الارتفاع اثنان وسبعون ذراعاً، وهو يشبه القبّة، لا خشب إليه، بل جعل عوض الخشب جصاً مرتكماً بعضه على بعض، وأمر أن يؤتى إليه الجصّ من الدبيشي، إذ كان ترابها المحرق، لا له نظيــر فــي القوّة. وأنفق الإمام سيف لبناء هذا الحصن ما ورثه من أبيه سيف بن سلطان من المال الذهب والفضة كافّة، واقترض بعد ذلك من أموال المساجد والوقوفات لكوكا، فلمّا أتمّه وسكنه، بعث إلى حرب المخا من قبله عبدالله بــن محمــد بــن خلــف العنبوري، ومعه من القوم ثلاثون ألفاً، أحراراً وعبيداً، ومــن المراكــب الكبــار عشرين مركباً، ومن السفن التي دونها في العظم سبعمائة سفينة، ومن آلة الحــرب والزاد شيئاً كثيراً، فلما وصلها، حصرها براً وبحراً، وكان كل عسكره منها عنــد البيت المسمى إلى هذه الغاية بيت الأمانة، وإنما سمي بيت الأمانة لنزول أصحاب والده الإمام سيف ابن سلطان فيه، وهم الذين بعثهم لشراء التحف من أرض اليمن، فمكث عبدالله بن محمد في محاصرته للمخا شهرين، ثم أتاه النعي بمــوت الإمــام

---

[1] المصدر نفسه، ص ٧١.

سلطان بن سيف، فارتفع عنها، ورجع بمن معه من الرجال وآلة الحرب والسفن إلى مسقط، وإلى هذه الغاية أيضاً، تسمى النخل التي غرسها خدام الإمام سلطان بن سيف وعبيده، نخل العبيد، وهنّ من نوى التمر الذي أكلوه أيام إقامتهم لحصار بلدة المخا، وكانت مدة دولته في الإمامة إلى أن مات، رحمه الله، لم تتحرك عليه حركة حرب من أهل عمان، ولا من غيرهم، وتوفي في شهر جمادي الأخرى يوم الأربعاء، لخمس ليالٍ خلون منه، في سنة إحدى وثلاثين سنة وألف سنة للهجرة، وقُبر في حصن الحزم.

ولمّا مات الإمام سلطان بن سيف، ووقع الاختلاف بين اليعاربة، وعلم ملك العجم بما جرى بينهم من الاختلاف، بعث إلى حرب جزيرة البحرين أُلوفاً كثيرة من العجم، فركبوا السفن من بندر عباس إلى البحرين، فلمّا وصولها، أحاطوا بالشيخ ناصر بن محمد بن ناصر بن عامر بن رمثه الغافري، والي الإمام سلطان بن سيف على البحرين، فوقع بينهم حرب شديد، وقد أيس الشيخ ناصر بن محمد بن ناصر ابن عامر من الانتصار، لأجل الخلف الذي وقع بين اليعاربة بعمان، فجعل العجم يركضون عليه، وهو يقاتلهم تجلّداً، ثم بذلوا له مالاً كثيراً لإنصرافه عن البحرين، فصالحهم على ذلك، وقبض منهم أموالاً كثيرة من الذهب والفضة والسلاح، وغير ذلك، ومن جملة المال الذي أخذه منهم المخشا الذهب، له عناقيد من ذهب كعناقيد العنب، فلما صار إليه كل ما طلبه منهم، انصرف من البحرين على سفن إلى خور فكّان، ثم ارتفع منه إلى أرض السرّ من الظاهرة، ولمّا تفاقم الاختلاف بين اليعاربة، وتشعّبت القبائل الذين في قلوبهم الحميّة، أراد غير أهل العلم أن يكون مكانه ولده سيف، وهو يومئذ صغير، ولم يراهق، وأراد أهل العلم وبنت الإمام سيف أن تكون الإمامة لأخيه الكبير المهنا بن سلطان، إذ رأوه أهلاً لها، وأنه لذو قوّة وشجاعة، ولم يعرفوا ما يخرجه من الولاية، [٨٧٧] وعرفوا أن إمامة الصبي لا تجوز على حال، إذ إمامته لا تجوز في الصلاة، فكيف يكون إمام مصر، يتولىّ الأحكام، ويلي الأموال والدماء والفروج، ولا يجوز أن يقبض ماله، فكيف يجوز أن يقبض مال الله

ومال الأيتام والأغياب، ومن لا يملك أمره. فلمّا رأى الشيخ عدي بن سليمان الذهلي[١] ميل الناس إلى ولد الإمام، ولم يجد الإمام ولا الرخصة ليتابعهم بها، وخاف أن تقع الفتنة لاجتماع الناس بالسلاح، وربما شهر مع ذلك السلاح، ووقع بينهم الجراح، فقال لهم مع ذلك: أَمامَكم سيف بن سلطان، بفتح الألف، والميم الثانية، يعني قدّامكم، فعند ذلك نادوه بالإمامة، وضُربت المدافع إظهاراً وإشهاراً، وانتشر الخبر في عمان، أن الإمام سيف بن سلطان، فلمّا سكتت الحركات، وهدأت الناس، أدخلوا الشيخ مهنا الحصن خفية، وعقدوا له الإمامة في هذا الشهر الذي مات فيه سلطان بن سيف من هذه السنة.

الإمام مهنا بن سلطان:

الإمام مهنا بن سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب ابن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. فلما أفضت إليه الإمامة، واشتهر بها مع الخاصة والعامة، قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

[١] الشيخ عدى بن سليمان الذهلي: هو الشيخ العالم الفقيه القاضي، عدي بن سليمان بن راشد بن حسن بن بغسان بن سعيد بن ربيعة بن سعيد بن كهلان بن راشد بن محمد بن صلت بن ربيعة الذهلي. من علماء القرن الثاني عشر الهجري، ومن قضاة أئمة اليعاربة الآخرين، أيام الإمام سلطان بن سيف الثاني، ثم الإمام مهنا بن سلطان ، وكان هو العاقد عليه الإمامة، وذلك بعد وفاة الإمام سلطان بن سيف الثاني. لكن اليعاربة أرادوا البيعة لسيف بن سلطان الثاني، ولم يبلغ الحلم، فقال الشيخ عدي بعدم جواز ذلك، ووقع الخلاف بين اليعاربة و رؤساء القبائل من جهة، وأهل الحل والعقد والإمام مهنا بن سلطان من جهة أخرى، وأضمروا العداوة لهم، وألقوا القبض على الشيخ عدي، وقيدوه، وقتلوه سنة ١٧٢١، انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص ٣٨٨.

واستراحت الرعيّة بعدله وإنصافه، وحطّ عنهم العقودات بمسقط، ولم يجعل بها وكيلاً من قبله، وربحت الرعيّة في متجرها، ورخصت الأسعار، وبورك في الثمار، ولم ينكر عليه أحد من العلماء، وهو مع ذلك قليل العلم، بل لا يقدم على شيء لا يسأل عنه العلماء، فلبث على ذلك سنة، حتى قتل، رحمه الله تعالى، وسبب الفتنة، وما آلت إليه أمور أهل عمان، أنهم لمّا عقدوا له بالإمامة،لم تزل اليعاربة وأهل الرستاق مسرّين العداوة له، وللقاضي الشيخ عدي بن سليمان الذهلي، ولم يزالوا بيعرب بن بلعرب، يحضونّه على القيام والخروج عليه، حتى خرج يعرب ابن بلعرب عليه، فقهر عليه مسقط، ولم يدخلها بجيش، وعسى أهلها لم يعدم من خيانة للإمام مهنا بن سلطان، وكان الوالي فيها يومئذ مسعود بن محمد الصبّاري الريامي، وكان الإمام مهنا يومئذ خارجاً إلى فلج البزيلي من ناحية الجوّ، فبلغه الخبر، فرجع إلى الرستاق، فقام وشمَّر، وطلب من أهل عمان النصر على من اعتدى عليه، فلم ينصروه، وخذلته الرعيّة، وتنغّصت عليه عمان، وحصره أهل الرساق في قلعتها، وحاربوه، ووفد يعرب من مسقط على الرستاق، وسأل مهنا بن سلطان النزول من القلعة، وأعطاه يعرب ومن معه الأمان على نفسه وماله، ومن معه من الناس، فنزل من القلعة، فزالت بذلك إمامته، فأخذوه، وقيّدوه، وخشبوه، هو وأحد من أصحابه، ثم جاء إليهم من جاء من الخدم، فذبحوا مهنا، واستقام الأمر ليعرب بن بلعرب، ولم يكن يدّعي الإمامة له، بل يدّعيها لابن عمه سيف بن سلطان، وهو القائم له بالأمر، إذ كان سيف صغير السن لا يقوم بأمر الدولة، وسلمت له جميع حصون عمان وقبائلها، وكان هذا الشأن سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، فلبث على ذلك حولاً، ثم إن القاضي عدي بن سليمان الذهلي استتاب يعرب من جميع أفعاله، وتعديه على المسلمين، وبغية على مهنا بن سلطان، واغتصابه لدولة المسلمين، وأن يعرباً كان مستحلاً خروجه هذا، فلم يلزمه ضمان ما أتلف، لأن المستحل لما ركبه ليس عليه ضمان إذا تاب، ورجع فتاب مع ذلك ورجع، فعند ذلك عقد له [٨٧٨] بالإمامة.

الإمام يعرب بن بلعرب :

الإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعـــرب بـــن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمــد بـــن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن مالك اليعربي. عقد له بالإمامة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف سنة، فاستقام له الأمر، وأظهر العدل في الرعيّـــة، فحمدوا صنيعه، وشكروا سعيه، وسلّمت له حصون عمان، فلبث أياماً قلائـــل فـــي الرستاق، ثم ارتفع إلى نزوى، فدخلها يوم تسعة وعشرين من شعبان من هذه السنة، فلم يرض أهل الرستاق أن يكون يعرب إماماً، فأظهروا العصبية لسيف بن سلطان، فما برحوا يكاتبون بلعرب بن ناصر، خال سيف بن سلطان، وهو مقيم بنزوى مع الإمام يعرب، ويحضوّنه على القيام، حتى خرج من نزوى، ليلة ست مضت مـــن شوال من هذه السنة، وقصد بلاد سيت، فحالف بني هناءة على القيام معه، على أن يطلق لهم ما حجره عليهم الإمام ناصر بن مرشد، رحمه الله، من البنـــاء وحمـــل السلاح، وغير ذلك، وأعطاهم عطايا جزيلة، فصحبوه إلى الرستاق، فاستقام الحرب في الرستاق، حتى أخرجوا الوالي منها، وذلك أنهم أحرقوا باب الحصن، فـــاحترق مقدّم الحصن جميعاً، وأحرقت ناس كثيرة من بني هناءة، ومات كثير من رؤسائهم، ورؤساء بني عدي من ذلك الحريق، فاتفقت الروايات أنه احترق مائـــة وخمـــسون رجلاً، واحترقت كتب كثيرة، مثل بيان الشرع، والمـــصنف، وكتـــاب الإســـتقامة، ومجليات الطلسمات، قدر أربعين مجلداً، وغير ذلك من الكتب كثير، لم يكن لهـــن نظير بعمان، وظهر مع هذا الحريق كنز عظيم به أموال جزيلة. فبلغ الخبر الإمام يعرب بما صنع أهل الرستاق، فسرّى سرية، وأمر عليها الشيخ صالح بن محمد بن خلف السليمي، وأمره بالمسير إلى الرستاق، فسار، حتى وصل العوابي، فلم يكـــن لهم قدرة على دخول الرستاق، فرجعوا مسرعين، ثم إن بلعرب بن ناصر كتب إلى

والي مسقط أن يخلصها لهم، وكان الوالي فيها يومئذ حمير بن منير بن سليمان بن أحمد الريامي[1]، فخلصها لهم، وخلصت لهم قرية نخل بغير حرب، ثم أخرجوا سريّة عليها مالك بن سيف اليعربي، فوصل إلى سمائل، وافتتحها بغير حرب، وأخرج الوالي منها، وذلك في شهر القعدة من هذه السنة، وصحبه بنو رواحة، فجاء إلى إزكي، فافتتحها بغير حرب، ثم إن يعرباً خرج بمن معه من أهل نزوى وبني ريام، والقاضي عدي بن سليمان الذهلي، ووصل إلى إزكي، فخرج إليه مشائخ إزكي بالضيفة والطعام، وقالوا له: نحن معك. فمكث يكاتب مالك بن سيف[2]، ليخرج من الحصن يومين، فلم يخرج، فنصب بلعرب له الحرب، فضربه ضربتي مدفع، ثم وصلت إلى يعرب عساكر بني هناءة، يقدّمهم صاحب العنبور من أهل الرستاق، فتفرقت عساكر يعرب، فبقي مخذولاً، فرجع إلى نزوى، وأما القاضي عدي بن سليمان، فإنه قصد إلى الرستاق، فلما وصل إليهم، أخذوه، وصلبوه، هو وسليمان بن خلفان، وجاءهما من حاكمهما من أعوان بلعرب بن ناصر، فقتلهما مصلوبين، وسحبهما أهل الرستاق، وذلك يوم الحج الأكبر من هذه السنة. ثم مضى صاحب العنبور إلى نزوى، وجعل يكاتب يعرب، ليخرج من قلعة

---

(1) حمير بن منير بن سليمان بن أحمد الريامي: والٍ، قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وكان والي مسقط، كتب إليه أن يسلم مسقطَ للسرية التي أرسلها، وخلصت لهم قرية نخل بغير حرب، ثم عين والياً على مسقط، في عهد الإمام يعرب بن بلعرب، قام حمير بن منير على رأس قومه، ومعه أهل سمائل، بمقاتلة الفرس، الذين استقدمهم سيف بن سلطان لمناصرته على ابن عمه بلعرب بن حمير، ثم سار منير بمن معه من العسكر وأهل إزكي، وبنو ريام إلى بهلا، وحرروها من الفرس. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٥٣.

(2) مالك بن سيف: مالك بن سيف بن ماجد اليعربي، قائد، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، أحد قواد الإمام بلعرب بن ناصر في حروبه ضدّ يعرب بن بلعرب، أرسله بلعرب على رأس سرية عسكرية إلى سمائل، فافتتحها بغير حرب، وصحبه بنو رواحة إلى إزكي، فافتتحها أيضاً بغير حرب، ثم خرج يعرب بن بلعرب ومن معه من أهل نزوى قاصداً إزكي، فأرسل إلى مالك كي يخرج منها، فرفض، وقامت الحرب بينهما، إلى أن انتهت بانتصار مالك، فرجع يعرب إلى نزوى مخذولاً. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٢.

نزوى، ودخل على يعرب ناس من أهل [٨٧٩] نزوى، وسألوه الخروج منها، لأجل حقن الدماء، فلم يزالوا به، حتى أجابهم على ذلك، واشترط عليهم أن يتركوه في حصن يبرين، ولا يعرض له بشيء من السوء، فأعطوه العهد على ذلك، فخرج يومئذ من نزوى، فزالت إمامته، ومضى إلى يبرين، ودخل صاحب العنبور قلعة نزوى، وضرب جميع مدافعها، ونادى بالإمامة لسيف بن سلطان، وخلصت له جميع حصون عمان[١].

الإمام سيف بن سلطان:

الإمام سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك ابن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. اتفقت الروايات أنه لمّا خلصت له جميع حصون عمان، وسلّمت له كافة القبائل والبلدان، استقام أمرهم على ذلك. قال صاحب كشف الغمة في افتراق الأمة وغيره: فلمّا كان بعد شهرين إلاّ ثلاثة أيام بعده، نادى صاحب العنبور له بالإمامة، وقع التنافر بين أهل عمان من قبله ويعرب بن بلعرب، حتى أراد الله ظهور ما سبق في علمه أنه سيكون على أهل عمان، بما غيروا وتكبرّوا، لأن الله لا يغيّر ما بقوم، حتى يغيّروا ما بأنفسهم، وفي ذلك الامتحان، ليظهر المثبت في دينه، المخلص في سريرته، ممن زلق في دينه، وخالفت علانيته سريرته في علم الله، قال الله جلّ وعلا: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[٢]. وعلم الله ها هنا ظهور سابق في علمه من القدر المحتوم، فيظهر من كل ذي فعل فعله، فيعاقب بما صنع، ويثاب ما أطاع، ليجزي

---

[١] الأزكوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة، ص ٤٩٦-٤٩٧.

[٢] سورة العنكبوت، الآية ١، ٢، ٣.

الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. والفتنة ها هنا الاختبـــار، كما يختبر الذهب الإبريز بالنار، وقيل : عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان(١).

فلما استقر الأمر ليعرب بن ناصر، على أنه هو القائم بالدولة، وعلـــى أن الإمـــام سيف بن سلطان، ووفدت إليهم القبائل ورؤساء البلدان يهنوهم بـــذلك، وقـــع مـــن بلعرب تهدّد على بعض القبائل وخاصة على بني غافر وأهل بهلا، فقيل: إنه قـــدم محمد بن ناصر بن عامر الغافري في جماعة من قومه، فوقع علـــيهم تهـــدّد مـــن بلعرب بن ناصر، فرجع محمد بن ناصر بمن معه مغضباً ، و جعل يكاتب يعرب بن بلعرب و أهل بهلا ليقدموا بالحرب ، وركب هو قاصداً إلى البدو من الظفرا من بني نعيم وبني قتب وغيرهم، وأما بلعرب بن ناصر، أرسل إلى رؤســـاء نـــزوى، ليصلوا إليه، فاجتمع كثير من رؤسائهم، ومضوا إليه، فرأوا منه محـــلاً وكرامـــة، وأمرهم بالبيعة لسيف بن سلطان، ثم إنه سرّى سرّية، وأمر عليها أخاه سليمان بن ناصر(٢)، وأمر بالمسير إلى نزوى على طرف وادي سمائل إلى يعرب، ليأتي بـــه إلى الرستاق، وأمر على أهل نزوى أن يصحبوا تلك السرية، فلم يزالوا يتـــشفعون برؤساء الرستاق إليه، ليعذرهم من ذلك، فعذرهم، ومضت السرية، حتى وصـــلت فرق، وباتت فيها، فبعث أهل نزوى بطعام لهم ولدوابهم، فبينما هم كذلك، إذ سمعوا ضرب المدافع في قلعة نزوى، فسألوا عن الخبر، فقيل لهم: إن يعرب بن بلعـــرب دخل قلعة نزوى، فعند ذلك رجعوا إلى إزكي، فأشار من أشار على ســـليمان بـــن ناصر بقبض حصن إزكي، ففعل ذلك، ومكث في إزكي، وكان بلعرب بن ناصر قد سرّى سرية أخرى لحرب يعرب، وبعثهم من جانب الظاهرة، فلما وصلوا بهـــلا، قبضهم [٨٨٠] أهل بهلاء، وقيدوا أكثرهم بها، وبعث سرّية أخرى لحـــرب بنـــي

---

(١) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٨.

(٢) سليمان بن ناصر اليعربي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وهو شقيق يعرب بن ناصر، أرسله أخوه على رأس سرية، وأمره بالمسير من جانب وادي سمائل ليقبض على يعرب ابن بلعرب الملك المخلوع، ويأتي به إلى الرستاق، ومضت السرية إلى أن وصلت إلـــى فـــرق، فسمعوا صوت المدافع في قلعة نزوى، فعرفوا أن يعرب دخل القلعـــة، فرجعـــوا إلـــى إزكـــي، واستولوا على حصنها. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٨٥.

غافر، أهل وادي الرستاق، فانكسرت السرّية، ورجعت إلى الرستاق. وأما يعرب، فإنه بعث سرية إلى إزكي، تسحب مدفعين من نزوى، فلمّا وصلوا إلى إزكي، ركضوا على الحصن، فانكسروا، وقتل منهم ناس قليل، فرجعوا إلى نزوى، ثم سرّى سرية ثانية، فأقاموا بالجني الغربيّات، ثم أصبحوا من الليل راجعين، ولم يكن منهم حرب، ثم سرّى سرية ثالثة، وصلوا إلى إزكي، ومكثوا يضربون الحصن بمدفع، فمكثوا على ذلك عشرة أيام، ثم وصل مالك بن ناصر من الرستاق إلى إزكي، فخرج هو وأهل الحصن على قوم يعرب، فانكسر مالك ومن معه، فأغارت البدو من قوم يعرب على سُدّي وحارة الرحى من إزكي، فنهبوا من طرفيهما ما نهبوا، وأحرقوا، فقام حمير بن منير، وكان هو خارجاً من حارة الرحى، ثم ركض ولاة سرية يعرب على أهل اليمن، فانكسروا، وقتل والي السرية محمد بن سعيد بن زياد البهلوي، وقيل لمالك بن ناصر: إن أهل النزار خرجوا مع سرية يعرب، حتى ركضوا على اليمن، فأرسل إلى مشائخ النزار، وقيّدهم بالجامع من إزكي، ثم أرسل إلى أهل الشرقية، فجاءت منها عساكر كثيرة، وجاء بنو هناءة بخلق كثير، فاجتمعت العساكر بإزكي، فركضوا على سرية يعرب، وأخرجوا أهل الطبول وأناس قليل من جانب المنزليّة، وخرجت العساكر من جانب العتب يوم الجمعة، عند زوال الشمس، فكانت بينهم وقعة عظيمة، سُمع فيها ضرب التفق كالرعد القاصف، وبرق السيوف كالبرق المتراسل الخاطف، فانكسرت سرية يعرب، ووقع بينهم قتل كثير، وقتل من الفريقين ثلاثمائة رجل(١).

ثم إن مالك بن ناصر ارتفع بمن معه من العساكر، وقصد قرية منح، وأغارت شرذمة من قومه على فلج وادي الحجر، فقتلوا منه أُناساً، ونهبوا ما فيه، وأحرقوا بيوتاً من زكيت، ومن المحيول، وحتى وصلوا منح، فنهبوا حجرة معد، وأحرقوا بيوتها، وقتلوا من قتلوا، وتفرّق أهلها، ثم ساروا إلى نزوى، ووصلوا إلى مسجد المخاص من فرق، فضربوا هناك معسكرهم، وأقاموا محاصرين نزوى، وأفسدوا الزروع، وأحرقوا سكاكر كثيرة من الحيلي والخضراء، وأحرقوا مقامات من فرق،

---

(١) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٤٩٨-٥٠٠.

وعاثوا في البلاد، ثم خرج إليهم أهل نزوى ومن معهم من عساكر يعرب، فوقـــع بينهم الحرب، ثم رجع كل فريق إلى مكانه، فكان الحر ب والقتل بينهم كل يـــوم، واشتّد على أهل نزوى البلاء، ثم وقعت بينهم وقعة عظيمة، وكادت تكون الهزيمة على قوم مالك، إلاّ أنهم لم يجدوا سبيلاً للهرب، إذ قد أحاطت بهم الرجال كحلقـــة الخاتم بعدما انهزم منهم أكثر من النصف، وبقي من بقي، فظنوا أن لا ملجأ لهم من القتل، فتجلّدوا على القتال. وأما أهل نزوى فظنوا أنهم غالبون، فانشغل أكثـــرهم بالنهب والسّلب، واتكل بعضهم على بعض، فعطف عليهم القوم بعزم ثابت، وجدّوا في الاجتهاد، فولّوا منهزمين، فكثر فيهم القتل والجراح، وأتـــبعهم القـــوم يقتلـــون ويسلبون إلى الموضع المعروف بجنور الخوصة قريباً من جناة العقر، فقتل في ذلك اليوم من أهل نزوى رجال عدّة، ورجع بلعرب إلى معسكرهم، ولم تزل الحـــرب بينهم قائمة على ساق، ثم إن مالك خرج بكافّة أصحابه، إلاّ قلـــيلاً، تـــركهم فـــي المعسكر، حتى وصل قريباً من جناة العقر، فأراد أن يحاصرها من بستان شـــويخ، وليثقب جدرها لمرامي التفق، فخرج إليهم أهل نزوى، فدارت رحى الحرب بيـــنهم ساعة من النهار، ثم قتل مالك بن ناصر، فانكسر قومه، ورجعوا إلى معـــسكرهم، وأقاموا هنالك، وقد ضعفت قوتهم [٨٨١] بموت مالك، ولم تزل الحرب بينهم وبين أهل نزوى، حتى وصل محمد بن ناصر الغافري بجيشه من الغربية، بعد حـــروب كانت منه لها وقعات عظيمة، منها بوادي الصقل، ومنها بالجوّ وضـــنك، ومنهـــا بالغبيّ، وغير ذلك مما يطول الشرح، وحين وصل محمد، أمر بالركضة على مـــن بالمخاض، فركضوا عليهم، وأحاطوا بهم، ووقع الحرب والرمي بالتفق من الصبح إلى الليل، فلّما جنهم الليل، أمر محمد أن يفسحوا لهم من الجانـــب الأســـفل مـــن الوادي، ففسحوا لهم، فأصبح مكانهم من الليل خلاء ليس فيه أحد، وتفرقوا شـــتى، ورجع محمد بن ناصر إلى نزوى، وكان يعرب بن بلعرب يومئذ مريضاً بيبـــرين، فأقام محمد بنزوى أياماً قلائل، وكان الحصار لنزوى قبل قدوم محمد بشهرين، ثـــم إن محمد أمر بالمسير إلى الرستاق، فسار إليهم بجيش كبير، فدخلها، ونزل بفلـــج

الشراة منها، وأراد أصحابه أن يركضوا على البومة التي فيها علـــي بـــن محمـــد العنبوري، فنهاهم عن الركضة إلى أن ركض صاحب العنبور، وكانت هذه البومة تسمى بومة العنبور، وأكثر ما يقول العامة لعلي بن محمد العنبوري علي بن محمد العنبوري، فقتل صاحب العنبور، وقتل من قتل من قومه، وانكسر الباقون، ورجـــع محمد بن ناصر إلى فلج الشراة، ودخل في اليوم الثاني في فلج المـــدري، فالتقـــاه بلعرب بن ناصر مسالماً، فصالحه على تسليم قلعة الرستاق، وجميع الحصون التي بيده، ومضوا جميعاً إلى قلعة الرستاق، فأراد بلعرب أن يخدع محمد بـــن ناصـــر، وكان محمد رجلاً فطناً حذراً، فأبى أن يدخل، إلاّ أن يدخل هو وجميع القوم الـــذين صحبوه إلى الحصن، فلمّا دخل كافة من معه من القوم، وقع من القوم فـــي البلـــد السلب والنهب والسبي في الذراري، حتى أنها بيعت، وحُملت إلى غير عمان، وذلك بما كسبت أيديهم جزاءاً بما كان يعملون، وبما فعلوا في قاضي المسلمين عدي بن سليمان، ﴿ذلك بأن الله لم يك يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفـــسهم والله سميع عليم﴾[1]. ومات يعرب بن بلعرب ومحمد بن ناصر يومئذ بالرســـتاق، لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادي الأخرى، سنة خمس وثلاثين سنة وألف ســـنة، وكتم أهل نزوى موته خيفة أن يقوي عليهم عدّوهم، ونحواً من خمسين يوماً أخبروا بموته، ثم إن محمد بن ناصر أمر، فقيّد بلعرب بن ناصر، بعد مـــا أمـــر بلعـــرب بتخليص الحصون التي بيده، ولم يبق إلاّ مسقط وبركة في يد بني هنـــاءة، وأقـــام محمد بن ناصر بالرستاق، وأشهر أن الإمام سيف بن سلطان، وتفـــرق أصـــحاب الرستاق في الجبال والأودية، حتى قيل : إنه وجد بكهف من جانب حلاه المهاليـــل مائة نفس من صبيان ونساء ميّتين من العطش، خافوا أن يرجعوا إلـــى الرســـتاق، فيحملونهم أصحاب محمد، ويبيعونهم بيع العبيد، وجاءت ثيبة لمحمد بن ناصر بعد أن أخذ الرستاق بثلاثة أيام قدر ألف ونصف من بني قليب وبني نعب أصحاب تفق

---

[1] سورة الأنفال، الآية ٥٣.

ورماح، ووصل محمد بن مطر بن رحمة الهولي بقـــدر خمـــسة آلاف مـــن بـــدو وحضر، وفيهم من لا يعرف العربية، ولا يعرف الصديق من العدو، وكان خلف بن مبارك المعروف بالقصير الهنائي من أهل الغشب من الرستاق وقت الحرب، فقهر حصن بركة وفي مسقط والمطرح، ومعه بنو هناءة، فأرسل محمد بن ناصر، علي ابن محمد الخروصي [٨٨٢] والياً لحصن بركة، فقتل، ورجـــع أصـــحابه إلـــى الرستاق مع محمد بن ناصر، فأمر الجيش بالمسير إلى بركة، فسار رحمة بن مطر الهولي بقومه، وحمزة بن حمّاد القليبي[١] بقومه، وأحمد بن علي الغـــافري ببنـــي كعب، وبالعسكر الذي خرج من عند محمد بن ناصر لهم، ومحمد بن عـــدي بـــن سليمان الذهلي بالقوم الذين جاء بهم من جانب الصيّر، ومحمد بن ناصر الحراصي بقومه، فسار هؤلاء، كلّ والٍ على قومه، حتى نزلوا مصنعا، ثم ورد كتاب من قرع الدرمكي، ومن بني هناءة، إلى رحمه بن مطر الهولي، إنك لا تصل إلينا، فـــنحن واصلون إليك على معنى التهدد، فلما قرأهُ، وعرف معناه أمر بالمسير إلى بركـــة، وقدَّم عيوناً من أصحابه إلى بركة، فوجدوا قرع وأصحابه قاصدين إلـــى رحمـــة، فرجعت العيون، وأعلموه أنهم وجدوا قرع وأصحابه مقبلين إليه، فالتقـــاهم رحمـــة بمكان يسمى القاسم، فوثب عليهم قضيب الهولي على فرس، والقوم علـــى أثـــره، فقتل منهم قضيب عشرة رجال، ثم انكسر أصحاب قرع، بعدما قتل قرع، وجـــرح قضيب جرحاً هَيِّناً، وسار ابن رحمة مشرّعاً بالقوم،حتى نزل بالحفر، التـــي هـــي للجبور، يستريحوا، ويأكلوا، ثم إنه بعث عيوناً، فوجدوا خلف بن مبارك القصير قد طلع بقومه براً وبحراً، بجيش كثير العدد، وكان عدد القوم الذين هم أصحاب محمد

---

[١] حمزة بن حماد القليبي: محارب، كان أحد رجالات وقادة محمد بن ناصر في حروبه مع خلف ابن مبارك القصير وحلفائه من بني هناءة. أرسله الإمام على رأس قومه، لمحاربة خلف الـــذي استولى على حصن بركاء، وقتل واليه، فنزل حمزة بقومه بلدة المصنعة على ساحل إقليم الباطنة، ثم ساروا، والتقوا غربي بركاء، فوقعت بينهم معركة عظيمة، انتهت بانتصار حمزة،و وليّ خلف بالفرار. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٥٢.

ابن ناصر خمسة عشر ألفاً من بدو وحضر، من سائر القبائل، والتقوا غربي بركة، فوقعت بينهم صكّة عظيمة، وكانت عند أصحاب رحمة مدافع، يجرّونها على عجلة في البرّ، فضربوا الخشب التي في البحر، فأغرزت الخشب بحراً، وانكسر خلف بن مبارك القصير وأصحابه، وركب ناقته، واتبعهم أصحاب محمد بن ناصر يقتلــون ويأسرون، فلم يجدو ملجأً من القتل، وكانوا يدخلون البحر ليتحصلوا في المراكب، فاغرزت بحراً، ولم ينالوها، والقوم تضربهم بالتفق، فهلكوا جميعاً، وأخذوا ســلبهم من سلاح وغيره، فلفظهم البحر، فوجد جميع القتلى من عساكر خلف ألفــاً، واثنــا عشر رجلاً، ولم يزالوا يتبعونهم، حتى دخلوا هديمهم حصن بركة، ثم نزل محمــد ابن ناصر الغافري بجانب الحيل من بركة، فحاصر الحصن، فأقاموا أربعة أيام، ثم إن أهل الحصن تحصّلوا في المراكب، ومضوا إلى مسقط، ولم يبق به إلاّ قلــيلا، وليس في البلد أحد، ثم إن محمد وأصحابه رجعوا إلى الرستاق، ورجع ابن رحمة إلى بلده، وفسح محمد لسائر القوم، فأصابه جدري شديد، حتى خيــف عليــه، ثــم عوفي، ثم أمر بالمسير إلى ينقل، وجعل بالرستاق محمد بن ناصر الحرّاصي والياً من قبله بالرستاق، وعنده أهل بهلا، وسنان بن محمد بن سنان المخدور الغــافري قائماً على قلعة الرستاق وسار هو وسيف بن سلطان، وحمل معه كافة اليعاربـــة، وترك بلعرب بن ناصر مقيداً بحصن الرستاق، حتى نزل مقنيــات، فلمــا نــزل بمقنيات، أرسل إلى قبائل الظاهرة وعمان يستمدهم، وبني ياس ونعيم، فجاءت إليه القوم، واجتمع معه عساكر كثيرة، قيل: إنهم إثنا عشر ألفاً، وقيل بــل أكثــر مــن ذلك[١].

فلما مضى بهم، نزلوا بفلج المناذرة من طرف ينقل، فأرسل إلـــى أهــل البلــد أن يسلموا له الحصن، فأبوا، ولم يردّوا له جواباً، فارتفع وقت الصبح، يريد الانتقــال منها إلى الجانب الأعلى على شريعة فلج المحيدث من البطحا، [٨٨٣] فالتقاه بنــو

---

[١] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٥٠١ – ٥٠٣.

علي بمن معهم من أهل ينقل، فوقعت بينهم وقعة شديدة، وقتل من بني علي قـوّم كثير، بينهم ابن شيخهم سليمان بن سالم، ومن أصحاب محمد بن ناصر، سالم بـن زياد الغافري، وسيف بن ناصر الشكيلي[1]، واحد من الجرحى، ثم نـزل بـشريعة المحيدث من الجانب الأعلى، وأقام، فحاصرهم، وهو يضربهم بالتفق والمدفع، ثـم وقعت بينهم صكّة ثانية، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وقتل من أصحابه الوالي محمد بـن خلف القيوضي[2]، وأحد بني عمّه، ثم انكسروا عن الماء، فلم يبق معهم ماء، فعند ذلك صالحوا على تسليم الحصن، ووصل الخبر إلى محمد بن ناصر، أن سعيد بن جويد مع الصواوفة من بني هناء لقومه ، فأمر القوم بالمسير إلى الـسليف، فلمـا وصلها، أرسل إلى سعيد بن جويد وأهل السليف أن يؤدّوا له الطاعة، فأبوا، ووصل إليه الصّواوفة من أهل تنعم مؤدّين الطاعة، ثم إنه أمر بالركـضة علـى حـصن المراشيد من السّليف، فركضوا عليه، وهدموه على من فيه من الرجـال والنـساء والأولاد، ثم إن سعيد بن جويد، طلب من محمد التسيار إلى بدره، هو وأصـحابه، فسيّره محمد بن ناصر، وزوّده، وبقي بالسليف حصن الصواوفة، وحصن المناذرة، فأما حصن المناذرة، لمّا رأوا ما أصاب المراشيد صالحوا، وأدّوا الطاعة لمحمد بن ناصر، فسلموا، ولم يصبهم بأس، وأقرّهم مكانهم، وأما الـصواوفة، فلـم يـؤدّوا الطاعة، فأقام محاصرهم، يقطع نخلهم والقتل فيهم كل يـوم، وفـسح للبـدو مـن أصحابه، إلاّ بني ياس، وقبائل الحضر، وكان الحصار فوق شـهرين، ثـم إنهـم صالحوا على هدم حصنهم بأيديهم، فهدموه، وكان خلف بن مبارك القـصير، لمّـا

---

[1] سيف بن ناصر الشكيلي: قائد، خال الإمام سيف بن سلطان، عاش في القرن الحـادي عـشر الهجري، أرسله الإمام إلى مسقط، واستولى عليها، وهو من أصحاب محمد ناصـر، قتـل فـي المعركة التي دارت بين محمد بن ناصر وبني علي. انظر دليل أعلام عمان، ص ٨٧.

[2] محمد بن خلف القيوضي: والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وهو أحد ولاة محمـد ابن ناصر الغافري، شارك في الحرب التي دارت بينه وبين بني علي، وقتل في المعركة التـي دارت بينهما في منطقة شريعة المحيدث. انظر دليل أعلام، ص ١٤٥.

رأى محمد بن ناصر مشتغلاً بحر السّليف، حاصر الرستاق، وكان سباع العموري قد أخذ حصن صحار، فلمّا قتل سنان بن محمد المحذور الغافري، القائم بالقلعة، خرج محمد بن ناصر الحرّاصي وأصحابه من حصن الرستاق، ودخله خلف بن مبارك، وخلصت له الرستاق ، فلما بلغ ذلك محمد بن ناصر كره الرجوع عن السليف، فمضى إلى الرستاق وصحار، فيقوي عليه خصمه، ثم إن خلف بن مبارك القصير سار إلى حصن الحزم، وكان الوالي فيه من قبل محمد بن ناصر، عمر بن صالح بن مسعود الغافري، فحاصره خلف، وردّ الفلج عنه، وأرسل إليه خلف أن يخرج من الحصن هو وأصحابه بأمان، فأبى، وكتب عمر إلى محمد بن ناصر يخبره الخبر، وأنهم لم يبقَ معهم ماء، إلاّ بركة قليلة، فسار محمد بن ناصر إلى الحزم، بعد ما صالح أهل السّليف، وهدم حصنهم بجيش عظيم، فلما وصل إلى الحزم، ركض على أصحاب خلف، فقتل من قتل منهم، وولوّا هاربين، وتركوا آله حربهم كافّة، ورجع محمد بن ناصر من الحزم إلى الظاهرة، ولم يمر على الرستاق، لأنه كان قصده بلاد سيت، وحشد من البدو والحضر، واجتمع معه عسكر كثير، وسار من الظاهرة إلى [٨٨٤] بلاد سيت، فلما وصلها، أرسل إليهم، ليؤدّوا له الطاعة، فأبوا، فحاصرهم، وأمر القوم الذين معه بالهجوم عليهم، فهجموا عليهم، وقتلوا خلقاً كثيراً، ثم ركضوا على العارض، وهي بلاد لبني عدي، فأخذوها وأخذوا غمر، وخلصت بلدان بني هناءة من العلُو، ولم يبق فيها أحد منهم، فالذي قتل قتل، والذي طلب التّسيار، فسيّره بأمان، وقتل من أصحاب محمد بن ناصر عند الركضة على باب حصن بلاد سيت عشرة رجال، وجرح ناس من قومه[1].

ثم أمر بالمسير إلى نزوى فسار إليها فأقام فيها ستة أشهر، وأرسل إلى أهل البلاد من منح، ليؤدوا له الطاعة، فأبوا، فجهز لهم جيشاً، فحاصرهم به، فطفق جيشه يقطع نخلهم من فلج الفيقين وجرعا، إلى أن أدّوا الطاعة، بعد ما ذهبت أموالهم،

---

[1] الأزكوي، سرحان بن سعيد المصدر نفسه، ص ٥٠٣- ٥٠٤ -٥٠٥.

وأمر بالمسير إلى الظاهرة، ونزل الغبيّ من السرّ، وأخذ في جمــع القــوم، حتــى اجتمع معه خلق كثيرمن البدو والحضر، وأمر على أهل الظاهرة أن يسيرّوا التّمر إلى الحزم، وصحبهم أهل وادي بني غافر ومن ذويهم، وسار هو وجميع من معه، يريد بلدان العوامر من الشرقية، فالتقوا هو والعوامر وآل وهيبة وبنو هناءة، فوقع بينهم حرب شديد، حتى كاد أن تكون الهزيمة على أصحاب محمد بن ناصر، ثــم إنهم ثابوا وثبتوا، فوقعت الهزيمة على بني هناءة ومن معهم، وقتل منهم خلق كثير، واتبعوهم، حتى دخلوا حجرة العاقل، فرجع محمد ومن معه غالباً مظفراً، وكان في صحبته سيف بن سلطان اليعربي إلى يبرين، ثم مضى إلى الظاهرة، ليجمع قومــاً، فاجتمع معه خلق كثير، فمضى بهم إلى نزوى، وجمع أهل نزوى وإزكــي وبهــلا وبني ريام، وسار بهم إلى سيفم، وأرسل إلى سعيد بن جويد الهنائي ومن معه مــن أصحاب العقر والغافات بالمواجهة، فأبوا، فحاصرهم، ثم خرج سعيد بــن جويــد، ومرّ على الظاهرة، ومضى إلى صحار، فجمع قوماً من صحار وينقل، لأن ينقــل نكثت الصلح، فاجتمع معه خلق كثير، ورجع، وجاء إلى عملا، فضمّهم إليه، وجمع جملة بني هناءة ومن ذويهم من وادي العُلى وجميع بلدانهم، فلمّا وصل فلج العيشي، وأراد أن يركض على محمد بن ناصر الغافري وأصحابه، وكان مدّة غيبة سعيد بن جويد سبعة أشهر وأيام، ومحمد بن ناصر قد فرّق العيون في الأمــاكن، خيفــة أن يهجم عليهم على غفلة، فأخبرته العيون، أن سعيد بن جويد قد أقبل بجمــع كثيــر، فأمر أن يلتقوهم دون البلاد، فالتقوا في صدر الغافات، فوقع بينهم حرب عظيمــة، وقتل سعيد بن جويد الهنائي، وقتل من أصحابه غصن العلــوي، صــاحب ينقــل، وجملة من قتل من أصحابه مائتين، وانكسر الباقون، وأمر محمد بالغزوة في كلّ بلدٍ بهلا ونزوى وبلدان الظاهرة، لإظهار الناموس، وسحب أصحاب محمد بن ناصــر سعيد بن جويد بعد أن قتل إلى حصن الغافات، وفيها عياله وأولاده وقومه، حتــى ينظروا إليه ليؤدّوا الطاعة، فأبوا، فحاصرهم شهرين، وفرغ ما عندهم من الطعام، حتى أكلوا ما عندهم من الأنعام، والقائد لأصحاب محمد بن ناصر، مبارك بن سعيد

ابن بدر [٨٨٥] الغافري[١]، فلبوّا الطاعة لمحمد بن ناصر، وسلموا حصنهم، ولم يبق لهم شيء، فلما كتب إلى ناصر بن مبارك بذك، وما كان منه في أهل حصن الغافات، وحصن الغافات من الهدم، فكتب إليه يعزله وجعل مكانه راشد بن سعيد الغافري، وأقام محاصراً حصن العقير، ومعه من أهل بهلا، وإزكي، ونزوى، والظاهرة، وبنو غافر، وبنو ريام، فأحاطوا به، وما تركوا أحداً يخرج منهم، ولا يدخل، حتى فرغ ما عندهم من الطعام، فطلبوا الصلح، فصالحهم على هدم الحصن، فهدموه بيدهم، بعد ما تلفت أموالهم، ولم تبق لهم نخلة ولا فلج، وقد أكلوا جميع أنعامهم ومواشيهم، فعند ذلك صالحوا، وأعطوهم الأمان، ووصلوهم، ورجع القوم كلّ بلده، ثم إن محمد بن ناصر جهّز جيشاً من البدو والحضر، فقصد به بلدان الحبوس من الشرقية المضيبي و الروضة، و التقى بجيش خلف بن مبارك القصير و الحبوس ، و غيرهم من بني هناءة بالمضيبي ، فوقع بينهم حرب شديد، فانكسر خلف بن مبارك ومن معه، وتحصّنَ في حجرة المضيبي هارباً، فاتبعه محمد بن ناصر بجيشه، حتى وصل إبرا، ودخل خلف إبرا، ولم يظن أن محمد بن ناصر يتبعه إلى إبرا، فأقام مع الحرث، فأرسل إليهم محمد بن ناصر أن يؤدوا الطاعة، ويخرجوا خلفاً من عندهم، فأبوا، فأقام عليهم الحرب، فكان كل يوم يقطع نخيلهم، ويدمّر أنهارهم، ويقطع أشجارهم، فلمّا علموا لا طاقة لهم بحرب محمد بن ناصر، أخرجوا خلفاً من عندهم خفية، وكان خلف بن مبارك رئيس بني هناءة كافة،

---

[١] مبارك بن سعيد بن بدر الغافري: وال، قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، كان أحد أصحاب محمد بن ناصر، وكان هو القائد بعد أن رجع محمد بن ناصر إلى حصن جبرين، وذلك في الحرب التي قُتل فيها سعيد بن جويد، والتي دارت في صدر الغافات، وكان محمد بن ناصر، بعد قتل ابن جويد، وهزيمة قومه، عهد بالأمر إلى مبارك بن سعيد والي جبرين، ثم عزله، وجعل مكانه راشد بن سعيد بن راشد الغافري. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤٢.

ومضى إلى مسقط، ثم إنهم صالحوه بعد خروج خلف، وأعطاهم الأمان، ورجع عنهم، وخلصت له جميع الشرقية، وأقام بيبرين، وكان أكثر إقامته بها[(١)].

ثم إنه سار إلى الظاهرة، وجمع منها خلقاً كثيراً، وغرَّب بهم، ولم يعلم من قومه أحد أين يريد، فمرَّ ببلدان بني نعيم، وجمع بني ياس وبني نعيم وقتب وغيرهم، وسار بهم، ومرّ بهم على نجد الجزي، ومرّ على بلدان بني قليب، وصحبته رجال جمّة منهم، ومرّ على خط الباطنة، حتى خاف منه أهل صحار، فلم يغشهم، ثم شرّق، فخاف منه أهل فلج الحواسنة أن يدمّر واديهم، وأصحابه يأخذوا كلمّا وجدو من إبل وغنم، وفيهم من لا يعرف الصديق من العدو، وعلم به خلف بن مبارك القصير، فالتقاه عند أفلاج عرعر، فوقعت بينهم وقعة عظيمة، فولّى أصحاب خلف هاربين، وحُصر خلف في بيت، واتبعه محمد وقومه، ولم يعلموا أنه في ذلك البيت، وظن خلف أن محمد تركه، بعد القدرة عليه، فدخل محمد بن ناصر ومن معه الرستاق، وجعل يدمّر أنهارها، ويكاتبهم أن يؤدوا الطاعة، فأبوا، ودمرّ فلج الميسر، وفلج أبي تغلب والحّمام، وقطع شيئاً من النخيل، ولم يكن لأهل الرستاق قدرة على الخروج لحربه ومنعه، حتى أنهم أرادوا، وهموا أن يؤدوا له الطاعة، فجاء إلى محمد بن ناصر خبر أن راشد بن سعيد الغافري أخذ حصن مقنيات، والوالي فيه مبارك بن سعيد بن بدر الشكيلي، وذلك حسد منه، لمبارك لتقدمه عند محمد بن ناصر، فأمر بالنهوض عن الرستاق، وتركها بعد ما دمّر أنهارها، ثم إن علي بن ناصر بن أحمد الكلباني، مضى إلى راشد بن سعيد، وناصحه، وخلّص له الحصن، وضمن له أن لا تصيبه عقوبة من محمد بن ناصر، فقبض علي بن ناصر الحصن، إلى أن وصله محمد بن ناصر، فترك فيه مبارك [٨٨٦] والياً، وترك معه الحواتم، وسار قاصداً إلى يبرين، فمكث بها ما شاء الله، ثم مضى بمن معه إلى نزوى، فلمّا وصلها، أرسل إلى رؤساء القبائل وأهل العلم من غرب عمان وشرقها، فاجتمعت

---

(١) الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٥٠٥ – ٥٠٦.

إليه جموع كثيرة، فطلب منهم أن يبراؤا من الإقامة بالحرب وبأمور المسلمين، وأن يقيموا من أرادوا مع سيف بن سلطان، واعتذر إليهم كل الاعتــذار، فلــم يعــذره القاضي ناصر بن سليمان بن محمد بن مدّاد[١]، والوالي بحصن نزوى عبدالله بــن محمد بن بشير بن مدّاد[٢]، ومن حضر من المشائخ من رؤساء القبائل، ولم يزالوا في معالجة هذا الأمر، وغلّقت أبواب العقر، وأبواب حصن نزوى، فلا يدخل أحد، ولا يخرج يومهم ذلك وليلتهم، حتى قريب الفجر، فعقدوا الإمامة له تقيّة، وضربت مدافع القلعة، ونادى المنادي بالإمامة له، والعز والأمان لكل قبيلة تــدخل نــزوى، وتريد المواجهة من يمنٍ ونزار، من بدو وحضر، وكان هذا ليلة السبت، لسبع ليال خلون من شهر المحرّم، سنة سبع وثلاثين ومائة وألف سنة، فمكث بنزوى، حتــى صلّى الجمعة، وارتفع بمن معه إلى يبرين، وفسح للقوم، وأقام بها قليلاً، وبلغــه أن مانع بن خميس العزيزي هجم على الغبّي، وقهر حصنها، ونهب سوقها، وأفــسد فيها، فسار إليه، فتسوّر عليهم الحصن ومعه ستة رجال، فلم يشعروا به إلا وهو في أعلى الحصن، فخرجوا من الحصن هاربين خوفاً ورعباً منه، وقتل خادم لمانع بن خميس، فأخذ الحصن، وجعل فيه والياً من قبله علي بن ناصر الكلباني، ورجع إلى يبرين، وأغار مهنا بن عدي اليعربي[٣]، وعامر بن سليمان، وبلعــرب الريــامي،

---

[١] ناصر بن سليمان المدادي: قاض، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، أقام بنزوى، أو فده أهل نخل إلى الإمام سيف بن سلطان كي يطلب منه استرجاع نخل من أيدي بني هناءة. انظــر: دليل أعلام عمان، ص ١٦٠.

[٢] عبدالله بن محمد بن بشير بن مداد: هو الشيخ الفقيه الوالى عبدالله بن محمد بن بشير بن محمد ابن عمر بن أحمد بن مداد المدادي الناعبي العقري النزوي، من فقهاء النصف الأول من القــرن الثاني عشر الهجري، ولا يعرف تاريخ وفاته إلا أنه كان على قيد الحياة ســنة ١٧٢٦ م. انظــر البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص ٣٧٣ – ٣٧٤.

[٣] مهنا بن عدي اليعربي: قائد، عاش في القرن الحادي عشر الهجــري، كــان أحــد الأمــراء الخارجين على الإمام محمد بن ناصر الغافري، لما تقرر عقد البيعة له بالإمامة، ولما علم أعداء الإمام محمد بن ناصر ما صار إليه من الغز والشرف، وما رقي إليه من المجد، فقاموا يعيثوا في الأرضِ فساداً، ومنهم مهنا بن عدي، الذي اشترك في الإغاره على " غالة البركة " وأخذ ما فيها، معادياً بذلك الإمام محمد بن ناصر الغافري. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٥٤.

وسليمان بن حمير بن علي اليعربي، على غالة البركة، فأخذوها، فعلم محمد بن ناصر الغافري بهم، فقصدهم، وأرسل إلى القاضي ناصر بن سليمان والوالي عبدالله بن محمد، ليلحقوا بالقوم من نزوى إلى البركة، ولم يغشَ هو نزوى، ولم يكن عنده إلاّ قليل من عسكره وخدّامه، فهجم عليهم وقت الضحى، فلم يرد قتالهم، وناصحهم على الرجوع، وردّ ما أخذوا من الغالة، فأبوا إلاّ قتاله وحربه، فصنعوا بومةً في مسجد الشريعة الأعلى من البركة، وقبضوا الجبل الشرقي، وكسروا الفلج، وصنع محمد بن ناصر بومة في مسجد الأسفل من شريعة البركة والجبل الأسفل، فكان بينهم ضرب بالتفق، وقتل رجل من عزّاب ركاب محمد بن ناصر، وخرج رجل من أصحابه، فأمر حينئذ أصحابه بالركضة عليهم، فلمّا أيقنوا مع الركضة أنهم مغلوبون، ولّوا منهزمين، فأسر من أصحابهم ناصر بن بلعرب الريامي وعلي بن صالح صاحب كمه، وكان هذا قبل أن يصل أحد من المدد، وأمر بالتّمر أن يحمل إلى يبرين، ورجع هو إلى نزوى، وأقام بمساجد الغنتق منها، وكان أراد حرب تنوف وخرابها، ثم أصلح الله شأنهم، وواجهوه، وأخذ منهم عهوداً أن لا يخونوه، فطابت عليهم نفسه، ثم أمر بالحشد على جميع من بطاعته من أهل عمان، فاجتمعت إليه [٨٨٧] جموع كثيرة، فسار بهم من نزوى، يريد ضنكاً، ليرجع الوحاشا إلى بلدهم، وبنى لهم حصنهم بضنك، الذي دمرّه عليهم، حين كانوا في طاعة خلف بن مبارك، فلم يرضَ أل عزيز برجوعهم إلى حصنهم وبنيانه، فجمعوا أحداً من البدو، وممّن يشتمل عليهم، وأردوا محاربته ومن معه من الوحاشا، فالتقوا بضنك، ووقعت الحرب بينهم، ثم انكسروا، وتبدّدوا، لمّا علموا أنهم ليسوا لهم قوّة على حربه[١].

وقصد مانع بن خميس إلى السنينة مع بني نعيم، فمضى محمد في طلبه مع ناسٍ قليلة من أصحاب الخيل والركّاب، فلم يشعروا به إلاّ وهو معهم، فأسر مانع بن

---

[١] الأزكوي، سرحان بن سعيد: المصدر نفسه، ص ٥٠٦ – ٥٠٧.

خميس، ورجع إلى ضنك، فلما رجع يريد الغبيّ،مر على أفلاجي بدو آل عزيز ، الذين نهبوا سوق الغبّي ، فدمرها و رجع إلى الغبّي ، وأقام بها ما شاء الله، حتى حشد من قبائل الظاهرة من شاء من القوم، وقصد يبرين، فأقام بها أياماً قلائل، وجاء إلى نزوى، فنزل بيت المزرع، حتى يجمع قوماً منها، ثم مضى إلى سمائل، فلم يزل يناصح البكريين وأهل الحيلي وقوم عكاشة، فأما أهل الحيلي وأصحاب عكاشة صالحوه، وأدّوا له الطاعة، فأرسلهم إلى البكريين ليناصحوهم، فلم يقدروا عليهم، فأمر بالركضة عليهم في ليلة شاتية مظلمة مطيرة، ذات برق ورعد، فلم يشعروا به، إلاّ وهو في أعلى السّور، مع الحارس، يقوا للحارس: عمّن تحرس؟ فقال مخافة أن يهجم علينا محمد بن ناصر، فقال: هذا محمد بن ناصر عندك، فخذل أهل الحجرة، وخرج الأكثر منها بأمان منه، ولم يبق إلاّ برج، وبقي من الغرق فيه بكر وأولاده وبنوعمّه، فكانوا يضربون بالتفق حتى قّتلوا عن آخرهم، وقتل من أصحاب محمد بن ناصر أربعة رجال، أحدهم يقال له بخيت النوّبي، مملوك لمحمد بن ناصر، كان قدّمه على سائر العبيد، ضرب بتفق، وهدمت الحجرة عن آخرها، وسلّمت سمائل له زكاة ثلاث سنين، وكان قبل قد أفسد فيها آل عمير، وحازوا أموال الأغياب، فردّ محمد بن ناصر كلّ مال إلى أهله، وقيّد أولاد سعد أبو علي وهدم حجرتهم، ثم إنه أمر بالمسير إلى الحيل، ليقطع من الباطنة لخلف بن مبارك القصير، حين نهوضة من مسقط إلى الرستاق، وكان محمد يصل هو ومملوك له إلى غبرة بوشر، ثم علم خلف بن مبارك، أن محمداً قاطع له، فلم يخرج من مسقط، وجعل الحرس على الطريق والأسوار، وجعل خلف على حلق المطرح سوراً من الأحجار، وهو الذي يسمى إلى هذه الغاية سور بني هناءة، ولم تكن لخلف قدرة على ملاقاة محمد بن ناصر، وأقام محمد بالحيل نصف شهر، وصالحة المعاول، ثم نكثوا، ثم رجع إلى سمائل، ثم هبط يريد البدو من عامر ربيعة وآل سعلي، ومن يشتمل عليهم من سكان الباطنة، فمرَّ على خط البحر، وعقر عليهم إبلاً كثيرة، فكان راكباً على فرس له، وبيده كتّارة ورمح، يضرب به، ويطعن يميناً وشمالاً، ويقطع

أعناق ركابهم، ويعرقب [٨٨٨] أرجلها، ولم يرض لأحد أن يأخذ منها، ووصل إلى طريق من فرقانهم، فقتل رجالهم، فصاحت نساؤهم: الأمان يا خلف بن مبارك، إنّا في طاعتك، إنّا في طاعتك، يظنّونه خلف بن مبارك القصير، فأكثر في قتلهم، وهو أمامُ القوم، ولم يلحقه إلا أصحاب الخيل والإبل الكرام، وسيف بن سلطان معـــه لا يفارقه في جميع حروبه وغزواته، ثم رجع إلى الحزم، فأقام بها أياماً قلائل، ثـــم ارتفع إلى سني من وادي بني غافر وبني شكيل، وأقام بها أياماً، وفسح لجميع القوم إلاّ العسكر والعبيد، ثم قصد الغبيّ، وأقام بها أياماً، ورجع إلى يبرين، وكان أكثـــر إقامته بها، وكان البدو قد أفسدوا جميع الطرق من عمان، ينهبون، ويقتلـــون، فـــلا يقدر أحد أن يسافر إلى مكان إلاّ في حماية كثيرة، وخاصة آل وهيبة هـــم الـــذين أفسدوا الطرق، وكان لهم رئيس يسمونه بو خرق، فحشرهم بجميع أهلهـــم وإبلهـــم وغنمهم، ولم يقدروا على مخالفته، وأمرهم بالنزول حوالي يبرين، وذلك قهراً منه لهم، حتى ماتت إبلهم وغنمهم، ولم يقدروا على مخالفته، فلما كان ليلة أحد عـــشر من شهر الحج، خرج بمن معه من القوم قاصداً آل وهيبة، فدمّر بلـــدهم الـــسّديرة، وقتل من فيها منهم، فكانوا يهربون إلى الرمل من أسافل عمان، وخرابها ليس فيـــه ماء، يظنون أنه لا يتوصل إليهم هناك، وقتل منهم ستة وثلاثين رجلاً من أكابرهم، وأسر خمسة وتسعين رجلاً، وذبح إبلهم وأغنامهم، وحمل الأسرى إلـــى يبـــرين، مربوطين في الحبال، وأمّا أبو خرق، فإنه قصد مسقط، ودخل مع بني هناءة. وقيدّ الأسرى بيبرين، حتى مات عامتهم، وأقام بيبرين شهراً، وأرسل أبو خـــرق إلـــى محمد بن ناصر أنه لا ليضرّ أحد، ولا ليفسد بعدما مضى، ثم أمر محمـــد بالحـــشد على جميع من أطاعه من عمان من غربها وشرقيها، فاجتمعت إليه بيبرين جموع كثيرة، وأرسل إلى بلدان بني هناءة من وادي العلا والحيل، وضمّ وعملا، فأطاعته جميع بني هناءة، ولم يعصه أحد منهم، وسار قاصداً إلى ينقل، ونزل فـــي أعلـــى البلد، وأرسل إليهم ليخلصوا له الحصن، فأبوا، وشدّوا للحرب، فخـــرج ذات ليلـــة رجل من أهل ينقل، يقال له عصام، فصالح محمد بن ناصر، إلاّ أن البلد ليس بيده،

فقال له محمد: ناصح جماعتك لأجل حقن الدم، فلم يتبعوه، وأقاموا الحرب، وكان بيت عصام على السور، وله باب صغير، فأدخل محمد ومن معه البلد، فقتل من أهل البلد رجلين، ثم طلبوا الأمان، فأمنهم، وقيّد أشياخهم، وحملوا إلى يبرين، وترك فيها والياً، وأدّت له الطاعة، ومضى قاصداً بمن معه إلى صحار، وقدم ربيعة بن حمد الوحشي، ليناصح بني عمّه حتى يهبطوا من حصن صحار، فلما وصلهم، قال لهم: شبوّا نار الحرب، فلمّا دخل محمد بن ناصر صحار، التقته بنو هناءة، فوقعت بينهم الحرب، [٨٨٩] وقتل من قتل منهم، وجرح ربيعة بن حمد الوحشي، وأخذ أسيراً، وانكسرت بنو هناءة، ورجعوا إلى الحصن، ونزل القوم بالجامع، ونزل محمد بن ناصر في بيت ابن محمود، وشاور محمد بن ناصر ربيعة بن حمد الوحشي، فقال له: إن أردت أن تقيم معنا فعليك الأمان، وإن أردت أن تسير إلى أصحابك بالحصن، سيّرناك بأمان. فقيل: أنه أراد المسير إلى الحصن، فسيّره محمد إليه، وقيل أنه أراد الرجوع إلى بلدة ضنك، فسيره محمد إليها، وأمر على بعض أهل الخيل أن تصاحبه، حتى يبلغ ضنكاً، فمضى معهم، حتى وصل إلى ضنك، ورجعت الفرسان أصحاب محمد إليه، وهذا الأصح(١).

أخبرني غير واحد عن المشائخ الذين شهدوا وقعة صحار الكائنة بين محمد بن ناصر وخلف بن مبارك، وكان مع محمد بن ناصر إثنا عشر فرساً، جعلها عيوناً تطالع فوارس المشرق، لأنه بلغه أن خلف بن مبارك جمع بني هناءة من الرستاق ومسقط، وإنه نزل بحصن صحم، وكان محمد قد خلصت له جميع صحار ورعاياها، وآمّن أهل البلد من جميع الطوائف، فلم يؤخذ على أحد منهم شيء، وما شذّ عليه إلاّ الحصن، وكان عنده من البدو ومن بني ياس وبني نعيم، ومن اشتمل عليهم والحضر، فأصبحت ليلة من الليالي، قد خرب زرع دخن من طوي من البلد، فجاء صاحبها إلى محمد شاكياً، فسأله من خرّب مزرعتك؟ فقال بنو ياس ونعيم

(١) المصدر نفسه، ص ٥٠٦-٥٠٧.

والبدو الذين معك، فقال: كم غرامة زرعك ؟ خذ مائتي محمّديّة، فأبى، فقال: خذ أربعمائة محمّديّة فأبى، فقال خذ خمسمائة محمّديّة فأبى، فقال: لا أرضى إلاّ أن تنصف منهم، فأرسل إلى أشياخهم، فحضروا عنده، فأمر بهم، فصلبهم، وما كانت نصفته إلاّ الجلد، وكانت هذه حيلة من خلف بن مبارك وبني هناءة ليتفردوا بالبدو عنه، وخرجوا من عند محمد إلى بلدانهم راجعين ساخطين عليه، فلما علم خلف بن مبارك بخروجهم، زحف بمن معه من القوم على محمد بن ناصر، وهجموا عليه على حين غفلة، بعد أن طلعت الشمس قليلاً، فجاء من جاء إلى محمد بن ناصر أن خلفاً وصل بمن معه من بني هناءة، فقيل : إنه قال : هذه ساعة ليست لنا ولا لهم، إلاّ ما شاء الله، ثم ركب فرسه، وركب أصحاب الخيل معه، والتقوا خلفاً ومن معه مع باب حصن صحار، فوقع بينهم القتال، فقتل خلف، فانكسرت بنو هناءة، ومحمد ابن ناصر يتبعهم، حتى وصل جدار الحصن، فضرب محمد بن ناصر من فوق الحصن، ضربته رصاصة تفق، وأخذه أصحابه، ومات، وقتل من أصحابه خمسة عشر رجلاً، ورجع أهل مسقط إلى مسقط، وأهل الرستاق إلى الرستاق، وأقاموا بعدما دفنوه ثلاثة أيام، لم يُعلموا بموته، إلاّ الخاصة، وقد كاد أصحاب الحصن أن يسلموا، ثم أنهم رجعوا بسيف بن سلطان إلى نزوى، فأقامه القاضي إماماً للمسلمين يوم [٨٩٠] الجمعة، بعد زوال الشمس، في شهر شعبان، سنة أربعين ومائة بعد الألف، فلبث ما شاء الله، ثم عُزل، وأقام المسلمون بلعرب.

الإمام بلعرب بن حمير:

الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن سيف بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. اتفقت الروايات عنه، أنه لمّا بويع تبعته فرقة من أهل عمان، وخلصت له بهلا، ونزوى، وإزكي، وسمائل، وحصون الظاهرة، وبقية حصون الباطنة، وأما

مسقط والمطرح والرستاق ففي يد سيف بن سلطان، فجّهز الإمام بلعرب بن حمير جيشاً إلى وادي بني رواحة، وكانوا مخالفين له، وبعث سيف بن سلطان أخاه بلعرب بن سلطان جيشاً نصرة لبني رواحة، فوقعت الحرب بينهم، فانكسر بلعرب ابن سلطان وقومه. وأما بنو رواحة فقد هرب أكثرهم، وتحصن بعضهم في حجرة وبال، فحاصرهم الإمام بلعرب بن حمير أياماً، فأمر بقطع نخيلهم وشجرهم، ففُعل بها كما أمر إلى أن سالموه وأطاعوه، فصرف الجيش عنهم، وأمنهم، ومضى عنهم، بعدما هدم بروجهم ومعاقلهم، ثم سار إلى بلاد سيت، فحاصرهم أياماً، ثم افتتحها، وهدم بنيانها، وقطع نخلها، ودمّر أنهارها، ثم سار إلى يبرين، فحاصر حصنها، وبه يومئذ بنو هناءة قد تركهم سيف بن سلطان، فحاصرهم، إلى أن أطاعوه، فخرجوا من الحصن بأمانة ما بأيديهم من السلاح وآلة الحرب، فذهبوا إلى بلدانهم، وأما سيف بن سلطان فقد بعث رسولاً إلى مكران، فجاء بقوم من البلوش أصحاب التفق، وأضاف إليهم من تبعه من رعيته وأصحابه، وأمرهم بالمسير إلى الجوّ، فساروا، فالتقاهم الإمام بلعرب بن حمير، بقومه فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكادت أن تكون الهزيمة على قوم الإمام بلعرب بن حمير، إلاّ أنهم صبروا، وثبتوا للحرب، فوقعت الهزيمة على قوم سلطان بن سيف، ووقع فيهم قتل عظيم، فما زالوا يأسرون ويقتلون في الطرق والأودية، ومات أكثرهم عطشاً، وما بقي من البلوش إلاّ يسيرا، فجعل يكاتب العجم، لينصروه إلى عمان، فأجابوه على خرابها، وبعث إليه شاه العجم حصاناً شديد الركض، لا يقدر أحد يثبت على ظهره من الفرسان، وقد قتل جملة من الفرسان العجم، وقال لرسوله، الذي بعث الحصان على يده: قل للإمام سيف ابن سلطان، يقول لك ملك العجم، إذا قدرت أن تثبت على ظهر هذا الحصان عند ركضه، فينجدك بما شئت من قومه، وإذا ما قدرت، فلا ترتجي نجدة منه إليك، مع كلام كثير، وإنما أراد شاه العجم بذلك، ليختبر سيف بن سلطان، هل هو ملك شجاع فارس؟ أم رجل جبان لا فارس ممارس؟ إذ لم تعنه كتبه بالنجدة والشكوى من أهل عمان، فلما وصله رسول العجم والحصان، وهو يومئذ بمسقط، نظر في وجه الحصان، فعرف أنه حصان قد عجزت عن ركوبه فرسان العجم [٨٩١]، وأنه

أراد اختباره به، هل هو شجاع فارس؟ أم هو جبان غير فارس؟ فأمر من يقوده له، وخرج هو، وخرج معه عالم كثير، حتى بلغوا به إلى أول العقبة، من وادي الكبير، من مسقط، وأمر أن لا أحد يقف على شفير الوادي، ولا يمشي في الوادي، إلى أن يركضه ثلاثة أشواط، ففعل الناس بما أمر، وما بقي أحد على شفير الوادي، ولا أحد يمشي عليه، فلما استوى على ظهره، ضرب رقبته بجلد ضخم ثلاث ضربات، ففرَّ به الحصان راكضاً، وهو يضربه ضرباً عنيفاً، فلما بلغ به إلى طوي الرولة، وأراد أن يوقفه، وما قدر عليه، صاح بأعلى صوته: أعقروا الحصان، أعقروا الحصان، ثلاث مرات، فما قدر أحد أن يقف على شفير الوادي من الأحجار التي تقذفها رجله، فلمّا بلغ به إلى الجبل الذي على سور باب المثاعيب، ولم ير الحصان ميداناً إلى ركضه باعتراض الجبل إليه، اقتحم به السور، وهو على ظهره، فلما كان على رأس السّور، مع قحمته به نزل سيف بن سلطان من ظهره، فوقع على رأس السور، ووقع الحصان في الوادي المنصوب عليه السور، فتكسرت أرجله، واندقّت عنقه، فمات من ساعته، فتعجب رسول العجم من فراسة سيف بن سلطان، وتعجب سائر الناس كذلك منه، وتأسف سيف بن سلطان على موت الحصان. فلما رجع رسول ملك العجم إلى أرض العجم، وأخبر ملكه عن سيف بن سلطان الخبر كلّه، بعث إليه قومه نصرة له على كل من يحاربه من ملوك عمان، من هم رعيّة لملوك عمان، كافة و لم يرضوا به، واستنكفوا عن طاعته، فلما بلغ جيش العجم بندر عباس، عبروا منه إلى خور فكّان، فكان عددهم ستين ألفاً، وأمّا الخشب التي عبروا عليها، لا يحصي عددها، إلاّ الله تعالى، وكان نزولهم بخور فكان آخر ليلة الخميس، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة ألف ومائة وتسع وأربعين بعد الألف، فلمّا علم أهل عمان بوصول العجم خور فكّان، استولى عليهم الخوف، وزلزل الذّعر عمان زلزالاً شديداً، وكتب بعض أكابر عمان لسيف ابن سلطان، وسيف يومئذ بمسقط، ولم يذكر هذا الكاتب اسمه لسيف بن سلطان، وهذا كتابه له: بسم الله الرحمن الرحيم، إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، تحيّة وافرة،

ونعمة هنيّة، غير نازره ، ورحمة واسعة باطنة و ظاهرة، إلى السيد الهمام القمقام الإمام الضرغام سيف بن سلطان اليعربي العربي، أما بعد. لقد صـدرت أحاديـث باسناد عن أصحابنا بناحية الشمال، فشقّ على المسلمين إظهارها، وعليكم من يمين وشمال، فقلوبهم لأجلها وجلة، وأنفسهم فيها عليكم [٨٩٢] معوّلة، بأن بعض العجم، ومن معهم وتابعهم، من سفهاء قومهم، وصلوا إلى خور فكّـان، لحـرب عمـان، فاستحوذ عليهم الشيطان، وزيّن لهم أعمالهم، حتى همّوا بما لم ينالوا، ولعلّ بعضهم وصل إلى عمان راكبين مطا مطايا مناياهم، فزهوا بإفراط الطغيان، لمّا دلفوا بكثرة رجالهم وخيلهم وسائر الحيوان وعلى ما تصفون، فربنا الرحمن المستعان، فهـذه مصيبة عليكم ما أعظمها، ورزيّة ما أشأمها، فإن ظفروا عليكم، طغوا، وتجبـروا، أعوذ بالله من كل متكبرّ متجبرّ، لا يؤمن بيوم الحساب، فكيف إذا تكاثروا علـيكم، يسومونكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم، ويستحيون نساءكم، وفي المثل كل امـرءٍ أوعزت صدره لا تأمن مكره وكيده وغدره، فسبحان الله، أنت نايم أم يقظـان؟ أم مجنون، أم غلطام، أم استحوذ على قلبك الشيطان؟ أم لك علـى المـسلمين حجّـة وسلطان؟ كيف أنت تتولى قوماً غضب الله عليهم؟ وتبعث كتبـك رسـلاً إلـيهم؟ وتدعوهم إلى حضرتك ؟وترجوهم لنصرتك؟ فإنها لاحدى الكبر لمن اعتبـر ، الله أكبر ، الله أكبر، أجهلت أم ذهلت بما حلّ بهم منكم في جزيرة البحرين مـن قتـل رجالهم، وأخذ سفنهم قسراً قهراً جهراً؟ وتمزيق سيوفكم لكبيرهم وأميرهم سـلطان محراب ومن معه من عجم وكناجين وزعّاب ومن سـائر الأعـراب الأغـراب، وبالشيخ محمد ابن عبدالله البحراني، إذ هو عزّهم وناموسهم بغير ارتيـاب، وكـم غيرهم وغيرهم تركتموه، يضرب برجله خدّ التراب، فأنتم كما زعمنا تزعمون، فما لكم كيف تحكمون، فبئس الرأي، الذي رأيتم، والأمر الذي حاولتم، وعليه عولتم، فو الله لو كانت القلوب لها أبواب وفتحت، لشهدتم نيران العداوة الظاهرة تخرج مـن خياشمهم، وتلفح وجوهكم من الحقد والغضب عليكم، فتعاونوا على البّر والتقـوى، وهذا ما عندنا من محض الوداد والنصح، والله بصير بالعباد، فمن نكث، فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله، فأصلح، فأجره على الله، والسلام، انتهى.

ثم قصدوا العجم الصّير، فخرج سيف بن سلطان إليهم من مسقط، فلما علم ذلك الإمام بلعرب بن حمير، حشد قومه، ومضى لحربهم، فخرج عليهم من نزوى، أول شهر المحرّم، فالتقى الجمعان بموضع يسمى السميني، وفي جيش العجم سيف بن سلطان، وفي جيش العرب بلعرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانكسر جيش الإمام بلعرب، واعتصم أصحابه بالجبال، وقتلوا من قومه أناساً قليلة، وربما أخذهم ضلّ الطريق، وقتل بعضهم بعضاً، ولم يرجع أحد منهم إلى وطنه بدابّة ولا سلاح، ولا شيء من الزاد، إلاّ قليل، وقد نهب بعضهم بعضاً في الطريق، فاستولى سيف بن سلطان على الجوّ وضنك والغبيّ، ودانت له قبائل الظاهرة، وأدت الخراج للعجم، ودخلت العجم حجرة عبري، ووقع في أهلها قتل عظيم، وسُلب كلّ ما فيها، وقتلت أطفالهم، وأصابهم الذلّ [٨٩٣] والهوان، وحُملت نسائهم إلى شيراز، وبيعت فيها بيع العبيد، ورجعت العجم إلى الصير. أما سيف بن سلطان، مرّ على بهلا فحازها، فدانت له، فولىّ على أهلها سالم بن خميس العبري[1]، ومضى هو إلى طيمسا، واتفقت الروايات أن أكثر القائمين بحصن نزوى هربوا منه، حتى كاد الإمام بلعرب بن حمير أن يهرب من نزوى، خوفاً من سيف بن سلطان، من قلّة الناصر له، إلاّ أن سيف بن سلطان لم يقصد إلى نزوى، فمضى إلى منح، ومرّ على إزكي، وهبط إلى سمائل، فأناخ بالعدّ، وكاتب قبائل وادي سمائل لتصل إليه، فتأهبوا إلى مواجهته، لمّا وصلهم كتابه، فسار، ولم يلبث إلى أن يصلوه محثاً سيره إلى مسقط، ولم يتعرض للحصون التي بوادي سمائل، ثم وقع الخلف بين الوالي الذي تركه

---

(1) سالم بن خميس العبري: الشيخ العالم الفقيه سالم بن خميس بن عمر العبري، من فقهاء القرن الثاني عشر الهجري، كان من ولاة بعض أئمة اليعاربة، حيث ولاة الإمام سيف بن سلطان الثاني على بهلا أيام حروب العجم في عمان، وله أجوبة في الفقه من مؤلفاته كتاب " فواكه البستان " وله أجوبة في الأثر، وله منثورة تحتوى على مسائل كثيرة في الفقه، أكثرها من جوابات الشيخ الصبحي، والشيخ ناصر بن خميس الحمراشدي، والشيخ الزاملي، وغيرهم. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

سيف بن سلطان بالغبّي، وبين بني غافر، فتحاربوا، واستولىا بنو غافر على الغبّي، ووقعت المخادعة من أهل بهلا، فأدخلوا الإمام بلعرب بن حمير، فاستولى على بهلا، وجاءت زيادة قوم للعجم من شيراز مع صاحبهم بالصيّر، فقصدوا بهم عمان، فلما وصلوا الظاهرة، صالحتهم قبائلها، وقد دخلوا بهلا، يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة، فاستولوا على جميع ما فيها، بعدما هرب من هرب من أصحابها، وتركوا في الحصن فئة منهم، ومضوا إلى نزوى، أول شهر الحج، فهرب بلعرب بن حمير منها إلى وادي بني غافر، وثبت بنو حرّاص في قلعة نزوى، وصالح أهل نزوى العجم، فلما تمكنت العجم منها، وضعوا عليهم الخراج، وعذبوهم بأنواع العذاب، وقتلوا الرجال والنساء، والكبار والصغار، وحملوا من أرادوا من النساء والأطفال، ولم يسلم من أهلها إلاّ من قدر على الهرب، وأمّا قلعتها، فما قدروا عليها، وكذلك حصنها، وخرجوا من نزوى يوم السادس عشر من صفر، فمرّوا على إزكي، فصالحوهم، وأدّوا لهم الخراج، وأقاموا يوماً وليلة، ومضوا قاصدين إلى الباطنة، وبلغت غاراتهم إلى مسلمات من وادي المعاول، فخرج لهم المعاول يضربونهم بالتفق، فهزموهم، ثم انعطفوا إلى مسقط يوم الرابع والعشرين من شهر صفر، فلمّا بلغوا إلى سيح الحرمل، ركض عليهم سيف بن حمير بن مهنا اليعربي بمن معه من أهل مسقط والمطرح، وكان سيف بن حمير بن مهنا هذا قابضاً حصن المطرح لسيف بن سلطان، وفي مسقط بلعرب بن سلطان، أخو سيف بن سلطان، وقد تعاهدوا على حرب العجم، فلما واقع سيف بن حمير العجم بمن معه، كسرهم، حتى انتهوا إلى روي، وقد قتل منهم فرساناً كثيرة، ثم دلفوا إلى المطرح في اليوم الثاني، فقاتلهم سيف بن حمير، و معه أناس قليلون، فتكاثروا عليه، فقتلوه، هو ومن معه كافة، بعدما قتل من العجم فرساناً كثيرة، وكانت هذه الوقعة بينهم في الربوة التي بسيح الحرمل، وعليها جعلوا أصحاب بلعرب بن سلطان حصبيات بيضاء، علامة لمصارع تلك الشهداء، بعدما خرج العجم من مسقط، ومضت من العجم على خيل طائفة إلى قريات، [٨٩٤] فقتلوا منها

خلقاً كثيراً، وأخذوا أموال من هربوا إليها من مسقط كافة، وحملوا منها نساءً وأطفالاً إلى شيراز، وغيرها من بلدان العجم، ومن جملة أخيذهم من الصبيان منها ولدان لجدّي رزيق بن بخيت، وهما إخوان أبي محمد بن رزيق من الأب لا من الأم، وسلم أبي واخته عمّتي الخالصة من الأخيذ، إذ سبح بهما جدّي رزيق من البّر، إلى الصير الأولى، البعيدة من البّر، التي أول مرور الخشب عليها، الآتية من مسقط، فلما تركهما فيها، ورجع إلى البر، لم ير ولدية المذكورين، فقال له بعض من سلم من أخيذ العجم، وقد أخذتهما العجم، وأما العجم الذين قتلوا سيف بن حمير بن مهنا، دخلوا مسقط يوم الرابع والعشرين من شهر الحج، فأقاموا لها محاصرين إلى يوم الخامس من شهر صفر، سنة إحدى وخمسين ومائة ألف، ثم خرجوا من مسقط، ومضوا إلى بركا وصحار، وأما سيف بن سلطان، فإنه ركب مراكبه هارباً من العجم، فنزل منها إلى بركة، وقصد بلدة الطوّ، فتلقاهُ أهلها بالبشاشة والكرامة، وصحبوه إلى نخل، ثم سار إلى الظاهرة، فالتقيا هو وبلعرب بن حمير بوادي بني غافر، وآل نظر بني غافر أن يستعفوا بلعرب بن حمير من الإمامة، ويرجعوها لسيف بن سلطان حذر الفرقة و إطفاء النائرة ، ليجتمعا على أعدائهما العجم ، فجعلوا الإمامة لسيف بن سلطان ، وأما العجم الذين قعدوا في بهلا، فإنهم لمّا أبطأت عليهم أخبار أصحابهم، بعثوا منهم مائة فارس، ليأتوا لهم خبر أصحابهم، فمرّوا على سمائل أول نهار يوم الثامن من شهر صفر، فالتقاهم أهلها، وعندهم حمير بن منير ومن معه بالحصن، فهجموا على العجم، فقتلوا أكثرهم، ثم سار الشيخ حمير بن منير بمن معه من العسكر، وعنده أهل إزكي، وبنو ريام إلى بهلا، يوم التاسع من شهر صفر من هذه السنة، فدخلوها يوم الحادي والعشرين منه، واستولوا عليها، وتحصن العجم بحصنها، فحاصروهم، فخرج من العجم قوم لقتال العرب، فقتل أكثرهم، وبقي منهم القليل في الحصن، حتى جاء سيف بن سلطان ومن معه إلى بهلا، فأخرجهم من الحصن بسلاحهم، وأمتعتهم ودوابهم، وأعطاهم على ما بأيديهم الأمان، وأمر أن يصاحبهم مبارك بن سعيد الغافري إلى صحار،

فمضوا في صحبته، حتى وصلوا صحار، فحبسهم أحمد بن سعيد السعيدي في حصن صحار، حتى مات أكثرهم، وأما العجم الذين انكسروا من مسقط، ومرّوا على بركا وصحار، ساروا إلى الصّير، وذلك بعدما سار إليهم سيف بن سلطان بجيش عظيم من البرّ، وسيّر عليهم مراكباً في البحر، فلمّا وصل إلى بلدة خّت، وهي بالقرب من الصّير، جاءه خبر أن مركبه المسمى الفلك قد احترق، وغرق من فيه، يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شوال، سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، فعزم على الرجوع فرجع إلى عمان، وبقي العجم في الصّير، ودانت له حصون عمان، [٨٩٥] وأدت له الرعية الطاعة، وحطّ عنها الخراج، ثم اجتمع من شاء الله من مشائخ العلم، من أهل بهلا، ونزوى، وإزكي، ورؤساء بني غافر، وغيرهم من أهل الظاهرة، ووادي سمائل ومشائخ المعاول، على عقد الإمامة لسلطان بن مرشد بن عدي اليعربي.

الإمام سلطان بن مرشد اليعربي:

الإمام سلطان بن مرشد بن عدي بن حامد بن مرشد بن مالك بن بلعرب بن محمد ابن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك اليعربي. عقد له بالإمامة بجامع بلدة نخل، في يوم الجمعة، سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، فاستقام على طريق الاستقامة والعدل والإنصاف، وخلصت له الحصون من نخل وسمائل وإزكي ونزوى وبهلا والشرقية، وسالمته القبائل من الفريقين، وسار بنفسه في جيش إلى الرستاق، وهي يومئذ في حكم سيف بن سلطان، فلما سمع به سيف، جمع قوماً كثيرة، من الرستاق وغيرها، وكمن عند ثقاب فلج الميسر، يترقب الإمام سلطان بن مرشد، ليحاربه، فلما رأى أن لا طاقة له بحربه، انهزم ليلاً عن أصحابه، وتركه بغير آلة الحرب من تمر وغيره معهم، فلما وصل الإمام سلطان بن مرشد صباح يوم الجمعة من شهر شعبان من هذه السنة

إلى الرستاق، لم يجد بها سيف بن سلطان، وقد التقته أهل الرستاق بالبشاشة والطاعة، ورأوه أهلاً للإمامة، فوازروه وأطاعوه، ولم يبق إلاّ الحصن شاذّاً عن طاعته، فلبث يحاصره سبعين يوماً، ثم فتحه، وكان سيف بن سلطان قد ترك فيه عبيده ووالدته وبعض عياله، وسار هو إلى مسقط، فجمع قوماً من مسقط، ومن المطرح، والسيب، وبركة، فأقام بجمعه في بركة، فبعث إليه الإمام سلطان بن مرشد قوماً لقتاله وعلى الجيش سيف بن مهنا أميراً، فالتقاهم سيف بن سلطان بقومه دون بركة، فوقع بينهما القتال، فانهزم أصحاب سيف بن سلطان، وأخذهم بالسيف، فلم ينج منهم إلاّ من طلب الأمان، وهرب في السباسب.

وأما سيف بن سلطان فقد انهزم إلى مسقط، ورجع سيف بن مهنا إلى الرستاق، ثم جاءت لسيف بن سلطان نجدة من بدو الظاهرة، خمسمائة رجل، فلمّا وصلوا الحزم، خرج سيف من مسقط، فجمع بعض الرجال من الباطنة، وجاءته رجال بني عامر ربيعة، يريدون نصرته، فكان من قضاء الله وقدره، أن الذين اجتمعوا لنصرته، وقعت بينهم فتنة، وقتل بعضهم بعضاً، وهو يومئذ بالحزم، ثم تفرقوا. أيدي سبا وبقي معه من القوم الذين أتوه من الظاهرة في الحزم، وأراد أن يهجم بهم على الرستاق، فلم يجد لذلك سبيلا، لسلب القوة والقدرة، فارتفعت عنه أقوام الظاهرة إلى بلدانهم، ورجع هو إلى مسقط، لمّا يئس من النصرة.

وأما الإمام سلطان بن مرشد، [٨٩٦] فقد ترك بحصن الرستاق سيف بن مهنا والياً، ومعه عسكر من جنابه، وحشد هو قوماً من عرب الرستاق، ومرّ على نخل، فحشد منها ومن رعاياها رجالاً. فسار بهم إلى بدبد، فحشد من وادي سمائل ومن إزكي ورعاياها، وسار بالجيش جملة إلى مسقط، يوم الخميس ثاني أيام شهر الحج من هذه السنة، وقد اجتمع معه خلق كثير، ولمّا وصل بالجيش إلى روي، من هذا الشهر، نزل فيها بعض القوم، وسار بأكثرهم ليلاً إلى مسقط، فركض على القابضين في جبالها، فأحدرهم منها، ومن سائر جميع المقابض، ففتح جميع معاقل مسقط، وقت الضحى، يوم الجمعة، ثالث أيام شهر الحج، ثم بعث للقوم الذين تركهم

بروي، وأمرهم أن يركضوا على المطرح وحصنها، فركضوا، وفتحوا حصنها قهراً، وأيّده الله نصراً وفتحاً قريباً، وأمّا سيف بن سلطان، فإنه هرب على مركبه، يريد العجم، وبعث الإمام سلطان بن مرشد مراكباً في أثره، وأميرهن من قبله بجاد بن سالم، وعسكراً من قومه، فأصابها الطوفان، فرجعت إلى مسقط، وأما مركب سيف بن سلطان، الذي هرب عليه انكسرت بعض دقالته، فدخل خور فكان، فنزل هو ومعه ثلاثمائة رجل، فكتب إلى العجم الذين هم بالصّير أن يأتوه، فأتته منهم فرسان على خيل سباق، فمضوا به وبأصحابه إلى الصّير، وبقي مركبه في فكّان، فلمّا علم به أحمد بن سعيد، مضى إليه، فأخذه، وأمن فيه من قبل سيف بن سلطان، فلمّا بلغ سيف بن سلطان أن أحمد بن سعيد قد أخذ مركبه، قال للعجم: إنما الرأي السديد أن نمضي إلى صحار، لأخذ حصنها من أحمد بن سعيد، فإن خلص لنا حصنها، فهو منّي لكم هبة لا رجعة فيها، فخرج العجم بذلك، وقالوا: إنك لنعم الصاحب والمحب الخالص لنا، لقد وفيت بعهدك لنا، لا عدمناك، فمضى، ومضوا معاً إلى صحار، فلمّا أتوها، أحاطوا بها براً وبحراً، وحصروا أهلها حصراً شديداً، وقطعوا عنها المدد، وبعثوا قوماً منهم إلى مسقط، لحرب حصنيها، ورجوعهما من الإمام سلطان ابن مرشد، إلى سيف بن سلطان، فلمّا وصلوها، نصبوا السلالم على الحصن الشرقي، وحصن الغربي، فجعل أهل الحصنين يضربوهم بالتّفاق والمدافع، فتكسّرت السلالم، وانكسروا هم بعد كسر السلالم، فعسكر من بقي منهم في الحلل الخارجة من السّور، وأتتهم زيادة قوم من أصحابهم المحاصرين صحار، فاجتمعوا بهم، فأحاطوا بمسقط والمطرح، فصار عددهم لم يحصه غير الله تعالى، ثم ركضوا ثانية على الحصن الغربي، وحصن الشرقي، فأخذوهما قهراً، ثم ركضوا على حصن المطرح، ففتحوه، ومضى بعضهم إلى بركة، وكان حصنها يومئذ في حكم سيف بن سلطان، وقد ترك فيه أحداً من عياله وخدّامه، ومعهم رجال من المعاول، فلما علم أحمد بن سعيد بأخذ العجم مقابض مسقط، مضى من صحار إلى بركة بأربعة آلاف رجل من قومه، ولم تشعر العجم [٨٩٧] الذين بصحار به، أنه وصل

إلى بركة، فقبض على حصن بركة، فكانت السفن التي تأتي سابقاً من الهند وغيرها، تأتي إلى بركة، فنصبت فيها القبابين التي توزن البضائع، فكثرت فيها التجار، ونما فيها البيع والشراء، فكانت رعايا بركة، ومن انضاف إليهم من أهل مسقط والمطرح، ورجال المعاول الذين تركهم سيف بن سلطان في الحصن، بعد أخذه أحمد بن سعيد منهم، يقتلون كل من أتى من العجم إلى بركة، فصار العجم الذين هم بمسقط لا أحد يجلب لهم سلعة من عمان، ولا من الهند، وما برح أصحابهم المحاصرون صحار، يمدّونهم من صحار على خشبهم بآلة الحرب والطعام. وأما أحمد بن سعيد، لمّا أخذ حصن بركة، رجع إلى صحار، وولى على بركة خلفان بن محمد، المعروف بالمحلا البوسعيدي، وقد بلغ معسكر جيش العجم الذين أحاطوا بصحار، من جانب الغرب إلى شناص، ومن جانب الشرق إلى دون صحم، وفي كل شهر تأتيهم زيادة قوم، وزاد و آلة حرب من شيراز ونواحيها، وسائر بلدان العجم، وقد انضاف إليهم سيف بن سلطان، لمّا أخذت العجم المحاصرين بمسقط، وساءه أخذ حصن بركة، وسرّه تقهقر الإمام سلطان بن مرشد عن مسقط، فجعل يحرّض العجم المحاصرين لصحار لحرب سلطان بن مرشد، وأحمد بن سعيد، وقد جمع الإمام سلطان بن مرشد من الرستاق والظاهرة ووادي بني غافر أقواماً كثيرة، فلما وصلوه، مضى بهم يريد صحار، فلما بلغ بهم إلى الخابورة، انفضّ جمعه عنه، وما بقي من جمعه معه، إلاّ مائتي رجل، وفيهم من جماعته اليعاربة ثلاثون رجلاً، والقطب منهم بعده مهنا بن سلطان اليعربي، فكره الإمام سلطان بن مرشد أن يرجع بهم عن صحار، فلمّا كانوا بالقرب من صحار، أردفوا كتيبة من العجم على خيل سباق، فوقع الحرب بينهم، فانكسرت العجم، فاتبعهم الإمام سلطان بن مرشد ومن معه من الرجال، حتى ألجأهم إلى أصحابهم المحيطين بحصن صحار، فركض بأصحابه لردّ العجم، فوقع بينهم القتال، واشتدّ النزال، فقتل من العجم قائد عسكر خيلهم المسمّى كلب علي، ومعه مائة رجل من أبطال العجم، وقتل من أصحاب الإمام مهنا بن سلطان ومعه كافّة اليعاربة، ومن

سائر قومه خمسون رجلاً، وتفرّق صحبه عنه، ودخل هو حصن صحار، وبه جراحات، فلبث في الحصن ثلاثة أيام، ثم توفي، رحمه الله، وقبر في حصن صحار، فلما بلغ سيف بن سلطان موته وقتل جماعته، انفصل عن العجم إلى حصن الحزم، فما ثبت إلاّ أياماً قلائل إلى أن استرسل عليه البطن، فمات، وقبر في الحزم، ولم تزل الحرب قائمة على ساق، بين أحمد بن سعيد والعجم، وهو يخرج بمن معه عليهم في كلّ صباح، وقد عجب العجم من شدّته وصبره على الحرب، مع كثرة عددهم، وقلّة عدد أصحابه، وهو لم يكترث بهم ، فكان حصار العجم لصحار تسعة [٨٩٨] أشهر، على اتفاق الروايات.

أخبرني والدي محمد، عن أبيه جديّ رزيق، والشيخ معروف بن سالم الصّايغي، وخاطر بن حميد البدّاعي، ومحسن القصّاب، وغيرهم، وقد دخل كل منهم بعضه في بعض، قالوا: إن مدّة حصار العجم لمدينة صحار تسعة أشهر، وإن للعجم ثلاثمائة مركب كباراً وصغاراً، وعددهم ستون ألفاً، غير أصحابهم الذين بمسقط، وفي كل يوم يرمون حصن صحار بألف وسبعمائة رصاصة مدفع، من البرّ والبحر، وأما رصاص التفق، فهو متراسل كالسيل، لا يحصي عدده إلا الله تعالى، وكانوا يجتمعون في كل يوم وعشية في معسكرهم، فيصيرون كأنهم كرةً واحدة، فيصيحون صيحة واحدة، ثم يرمون بعدها السور والحلّة والحصن بالمدافع والتفاق رمياً متراسلاً، فأوجلوا بهذا الشأن أهل السور والحلّة والحصن وجلاً شديداً، فلما تفاقم ذلك منهم، أمر أحمد بن سعيد أن تنصب مقابل كرتهم التي تقودها سبعة مدافع من الحصن والسور، فإذا صاحوا، وصاروا كُرَةً واحدة، أن يضربوها بتلك السبعة مدافع، فاجتمعوا ذات مرّة كعادتهم الأولى، وصاروا كُرة واحدة، وصاحوا صيحة واحدة، فأمر أحمد بن سعيد أن يضربوهم بتلك المدافع السبعة، فضربوهم، وكانت كرتهم كهضيم محتضر، فما اجتمعوا بعد ذلك إلى كرة، ولا صدرت عنهم صيحة، فاستولى عليهم الخوف والذّل، وقد أضرّ بأهل السور والحلة والحصن الحصار، ووقع فيهم الجدري وسائر الأمراض، فصبروا صبراً جميلاً، وبلغ مع ذلك الحصار

الثلاث الضحيات التي تسميها العامة التاسع بعشرة فلوس، وقد أهمل الحرس أهل السور ذات ليلة، من شدّة السهر، فلمّا خفّت أصواتهم، وركضت عليهم العجم، فنصبوا عليهم السلالم، ووضعوا السيف في العرب، فلما كثر الصياح، ثاب إليهم أهل الحلّة والحصن، فوضعوا في العجم السيف والخناجر، ولبث الضرب والطعن بينهم في تلك الليلة إلى الصباح، فانكسرت العجم عنهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقتل من العرب مائتا رجل، فلمّا رأت العجم تجلدّ العرب على الحرب، جعل أميرهم الخان يكاتب أحمد بن سعيد سراً، وفتّر الحرب عن العرب، ثم أتى إلى أحمد بن سعيد، ومعه عشرة رجال من أصحابه، فأدخلهم أحمد بن سعيد الحصن، فقدم لهم الطعام، فلمّا أكلوا وشربوا، عاهد خانهم أحمد بن سعيد على ارتحاله من صحار وسائر عمان، وطلب منه سلامة أصحابة الذين بمسقط، وأن يعبّرهم إلى بندر عباس، فقال له أحمد بن سعيد: إن شاء الله، ولم يزيد على ذلك كلمة، وفي قلبه عليهم خلاف ما طلبوا منه، ثم خرج الخان وصحبه من الحصن، فلم يمكث هو وقومه بصحار: إلاّ يومين، فركبوا سفنهم، ومضوا إلى بندر العباس، وبعدما رحل العجم عن صحار، مضى أحمد بن سعيد إلى بركة، فأقام بها، وكان قد أخذ كتاباً من الخان إلى صحبه القابضين معاقل مسقط والمطرح بخروجهم من المعاقل، ووصولهم إلى أحمد بن سعيد، ليعبّرهم إلى دارهم على سفائن، فأنفذ كتاب خانهم إلى خميس بن سالم البوسعيدي، وبعثه إلى مسقط، فلما وصل القابضين لها من العجم، أبوا أن يقبضوه المعاقل، فرجع عنهم خميس بن سالم إلى أحمد بن سعيد، وأخبره بإبائه العجم، وقد بعث العجم القابضون معاقل مسقط والمطرح رسولاً إلى الحزم، لمّا علموا بموت سيف بن سلطان، وارتحال أصحابهم عن صحار، أن يبعثوا لهم رجلا من أقرب الناس نسباً [٨٩٩] لسيف بن سلطان، فأنفذوا لهم ماجد بن مهنا اليعربي، فلمّا وصلهم، أشاروا عليه أن يمضي بكتاب منهم إلى شاههم بقبض ما بأيديهم من المعاقل له، إن كان يمكن منه ذلك، وأن يخبروه في كتابهم عن موت سيف بن سلطان، وأن الواصل إليه بكتابهم هو أقرب الناس نسباً لسيف،

فأجابهم ماجد على ذلك، ومضى بكتابهم إلى شاههم على سفينة، فلمّا وصل إلى بندر العباس، ارتفع إلى شيراز، فلمّا وصلها ألقى الكتاب إلى الشاه، فلمّا رآه قال له: أأنت ماجد بن مهنا اليعربي، الأقرب نسباً إلى سيف بن سلطان؟ فقال له: نعم، فقال له الشاه: أصحيح أن سيف بن سلطان قد مات؟ فقال له: نعم، فكتب الشاه إلى أصحابه القابضين معاقل مسقط بإخلائهن إليه، فلما رجع ماجد بن مهنا إلى مسقط، أصابه في البحر طوفان، فنزل في صحار، ومضى إلى الحصن عند أحمد بن سعيد، وأخبره الخبر كله، فأمر أحمد بن سعيد بحبسه، وأخذ كتاب شاه العجم منه، وأمر على خميس بن سالم، أن يمضي به إلى مسقط، لقبض المعاقل التي بيد العجم، فلما وصلهم ظنّوا أنه من أصحاب ماجد بن مهنا، فقبضوه معاقل مسقط والمطرح، وكان خميس بن سالم لمّا وَفَدَ على العجم القابضين معاقل مسقط والمطرح أربعمائة رجل، ورجال أحمد بن سعيد، فلما قبض خميس المعاقل من العجم، بعث رسولاً إلى أحمد بن سعيد يخبره بقبضه المعاقل من العجم، فلما وصله الكتاب، مضى من ساعته من صحار إلى بركة، وكتب لخميس بن سالم أن يأتيه بالعجم إلى بركة، ليعبّرهم إلى ديارهم، فلما وصله الكتاب مضى بهم جميعاً إلى بركة.

أخبرني والدي محمد، عن أبيه جدّي رزيق، وأخبرني الشيخ معروف بن سالم الصّايغي، والشيخ خاطر بن حميد البدّاعي، والشيخ محسن القصاب، وغيرهم، قالوا: لمّا رجع العجم القابضون لمعاقل مسقط والمطرح إلى بركة، بصحبة خميس بن سالم البوسعيدي، وضربوا خيامهم ببركة، فلا يمرُّ إنسان على حُلّةٍ من حلل بركة، إلاّ يرى قدوراً تفور بالضيافة من أحمد بن سعيد إلى العجم، ولا حلاّواً بسوق بركة، إلاّ يصنع الحلوى للعجم، بأمر أحمد بن سعيد، ولا زرّاعاً، إلاّ يجزّ ما زرعه لخيل العجم، وما مات أحد وله فلس على أحمد بن سعيد، قالوا: وكلام الناس على حِدَّه والله إن العجم لا يستحقون إلاّ ضرب أعناقهم بالسيف. قالوا: وبعده ختم العجم ببركة ثلاثة أيام، خرجت من الحصن خيام العجم خوان كثيرة طافحة بالطعام، وفواكة كثيرة، ودخل أكابر العجم الحصن، بأمر أحمد بن سعيد، وعدد من

دخل الحصن منهم خمسون رجلاً، فما كان إلاّ قدر ساعة، أن ضرب طبــل فــي الحصن، والمنادي خلفه ينادي: من له وتر ودم على العجم، فليأخذه منهم، قالوا: فما استتم كلامه، إلاّ والسيف يعمل بأرقاب العجم من رعية بركة، ومن إنضاف إليهم، فما بقي من العجم، إلاّ قليلا، وهم يصيحون الأمان، الأمان، يا أحمد، فأمر برفــع السيف عمن بقي منهم، وأما أصحابهم الذين دخلوا الحصن، قتلوا كافة، ثــم أمــر أحمد بن سعيد على أهل الخشب أن يعبّروا من بقي منهم إلى بندر العبــاس، فلمّــا عبّروهم أهل السفن، خرفوا حذا فحل السّواري، فغرق العجم كلهم، وســبح أهــل السفن إلى البّر، فلم يمت منهم أحد، قالوا: ولمّا هلك العجم، أمر أحمد بن سعيد أن يمضي كل أهل بلد إلى بلدهم، ولمّا رجع أهل مسقط والمطرح إليهما، لم يعرفــوا حدود بيوتهم [٩٠٠] من الخراب بمرابط خيل العجم، وكثرة روثها، وكثــر قبــور أصحابهم الميّتين، الذين دفنوهم في حللهم، فوقعت بينهم فتنة عظيمة، وقتــل أهــل الحلل الخارجة من السور بعضهم بعضاً، فكان عدد القتلى ســتين رجــلاً، ثــم إن الوالي خميس ين سالم البوسعيدي، قسّم المكانات التي اشتجروا فيها وبارا بينهم في الدّم.

أخبرني الشيخ معروف بن سالم الصايغي النخلي، والشيخ خاطر بن حميد البداعي النخلي، والشيخ محسن القصاب، وغيرهم ممن شهدوا ذلك العصر، أنه لمّا صارت مسقط والمطرح وبركة وصحار إلى أحمد بن سعيد السعيدي، أتته قبائل عمان من كل بلدٍ، وأدّوا له الطاعة، وشكروا سعيه في الإنصاف، واجتمع معه من أهل عمان عالم كثير، ثم مضى، ومضوا إلى بلدة الرستاق، فخلص له حصنها، بعــد حــرب يسير، ثم مضى إلى سمائل، فاستخلصها بغير حرب، ومضى إلى ازكي، فخلصت له بغير نزاع، ثم مضى إلى نزوى، فخلصت له بغير نزاع، وأتاه يومئــذ بنــزوى

محمد بن سليمان بن عدي اليعربي[1] من سمد، وكان محمد بن سليمان والياً للإمام الشهيد سلطان بن مرشد، فسلّم حصنها لأحمد بن سعيد، فقال له بعدما قبض منه حصن سمد: إمض إلى نخل، فقد جعلت حصنها إليك، إذا صار إليك، وتعاهدا على أن لا يخون أحدهما صاحبه ما داما في قيد الحياة، فمضى إليه محمد بن سليمان اليعربي فقبضه، فلمّا خلصت لأحمد بن سعيد عمان قاطبة، عقدت له الإمامة أكابر الرستاق.

الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي:

الإمام أحمد بن سعيد بن محمد البوسعيدي، أخبرني غير واحد من المشائخ المسنّة، الذين شهدوا ذلك العصر، عن الأسرار التي سرت إليه، قبل أن ينتهي الأمر إليه، وتقوّل الناس عليه: إنه قد مضى ذات يوم من أدم إلى الغبيّ من أرض السرّ، فوافاها يوم عيد، وقد تناظر أعرابها وحضرها بعد الصلاة والخطبة في الاستباق بكرائم الإبل السّب، فلما أراد أن يركض ناقته، ويجريها في الميدان الذي أجروا إبلهم فيه، مسكت زمام ناقته إعرابية من أعراب الظاهرة، وقالت له: يا إمام عمان، لا يجمل بك أن تراكض بناقتك إبل هؤلاء القوم، فإنهم رعاياك، وأنت إمامهم، وإمام أهل عمان قاطبة، فنزل من ظهر ناقته إلى الأرض، فقال لها: أخبريني أيتها الأعرابية ممن أنتِ من العرب؟ فقالت له: زفيتيّة، فقال لها: كأنك تتهكمين بي بقولك إني إمام أهل عمان. فقالت له: لا والله، وإن هذا الشأن الذي ذكرته لك، لصائر إليك عمّا قريب، على رغم أنف كل حاسد، فقال لها: وما اسمك، وأين دارك؟ فقال له: أما اسمي فمبشر، وأما داري فتنعم، وأنا زفيتيّة النسب. فأمسك عن الإستباق، وكتم كلامها عن الخاصة والعامة، فلما رجع أدم، رأى الشمس ذات ليلة قد طلعت من كمّ قميصه، فكتم ما رآه، ولم يسرّه لأحد، ومضى ذات يوم من أدم

---

[1] محمد بن سليمان بن عدي اليعربي: والٍ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، ولاه الإمام أحمد بن سعيد بلدة نخل، وتعاهدا ألا يخذل أحدهما صاحبه. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٤٧.

إلى منح، فسمع صوتاً، ولم يرّ شخصه، وهو يقول أهلاً بإمام عمان، فكتم ما سمع منه، ولم يخبر به أحداً، وقد سرى صيته إلى الإمام سيف بن سلطان بصيانة إمامته، وحسن أخلاقه، ومحض مروّته، [٩٠١] وثبوته في ظهور الإبل والخيل، وقوّة شجاعته في الحرب، فقال الإمام سيف بن سلطان لبعض خاصته: فعلى ما ذكر لي من سجايا هذا الإنسان، متعذّر نظيره في هذا الزمان، فإنه لو أتاني لأكرمته، ورفعت محلّه، فإن محبته قد وقعت في قلبي، لأجل هذه الخصال التي حواها، فكان من التوفيق المقرر للتصديق، أن الإمام سيف بن سلطان، قد أزمع للمسير من مسقط إلى الرستاق، فلما صار في روي صادفه مقبلاً من عمان راكباً على ناقة شريفة، وكان الإمام لم يره قبل ذلك اليوم، فقال له بعض قومه إن أحمد بن سعيد الذي تسمع به هو هذا، فنزل سيف بن سلطان من صهوة خيله إلى الأرض، ونزل قومه معه، ونزل أحمد بن سعيد من ظهر ناقته إلى الأرض، فتصافحا باليدين مصافحة المحب للحبيب، فأخذ سيف بن سلطان بيد أحمد بن سعيد، فجلسا ناحية عن القوم، وقال له: إلى أين تريد يا أحمد، فقال له: إلى بلدك المطرح، لأقضي منها بعض الوطر، فقال له: امضِ إليها، وإذا سمعت برجوعي من سفري هذا إلى مسقط، فأتني في مسقط، فقال له أحمد بن سعيد: سمعاً وطاعة، فلمّا رجع الإمام إلى مسقط، وسمع أحمد أنه قد رجع إليها، مضى إليه: فاكرم محلّه، ثم بعثه إلى أرض الحسا، لقضاء بعض الوطر، فمضى إليها، وأتاه بكل ما أراده منها، فشكر صنيعه، فما زال يترقّى معه من مرتبة إلى مرتبة، فلمّا رآه أهلاً للولاية، ولاّه مدينة صحار وأعمالها، فأظهر الأنصاف بين الرعية، وفشى إحسانه وكرمه إليهم، فأحبوه حباً شديداً، وأتته قبائل الشمال والظاهرة أفواجاً أفواجاً، وفرادى وأزواجا، فأكرمهم وأحسن إليهم، وألان الجانب للغني والفقير، والبصير والضرير، وأظهر بشاشة للكبير والصغير، وبالغ في إكرامهم وإنعامهم، وقصدته شيوخ الجبور من الحفري والحرادي وحيّ عاصم، فرفع منزلتهم، وأحسن إليهم، وسرى صيته في البلاد، وأذعنت له الناس بالانقياد، وأظهر العدل فأثنت عليه الألسنة، فلما بلغ

صنيعه ذلك للإمام سيف بن سلطان، قال لبعض خاصته: والله ما فعل أحمد بن سعيد هذا، إلاّ لينفر الناس عني، ليجلبهم إليه، وإنه يحاول بهذا الشأن، ليصير ما صار إليّ إليه، فإن لم أعز له من ولاية صحار، ليسقني كؤوس الأكدار، ويذرني بسلب ما ملكت يدي عبرة لأولي الأبصار، ثم بعث إليه كتاباً، يدعوه فيه بقدومه عليه سريعاً، فلمّا بلغه الكتاب، وعرف ما فيه من الخطاب، ركب ناقته إليه، ولم يصحبه من أصحابه، إلاّ رجل واحد من مواليه اسمه مسعد، وكان الإمام سيف بن سلطان يومئذ بمسقط، وقد أمر الخاصة من عبيده، إذا أتى إلى مسقط أحمد بن سعيد، أن يمسكوه، ويحبسوه في الكوت الشرقي، وكان بيت الإمام، البيت الذي صار بعده لداود بن خليل الماريديني، فلما وصل أحمد بن سعيد وخادمه مسعد بلدة روي، سلكا طريق عقبة وادي الكبير، فانحدرا من الوادي، حتى بلغا إلى طوي الزبادية من مسقط، فأناخا ناقتيهما، وحمل أحمد بن سعيد سيفه، وقال لمسعد: كن أنت مع الناقتين، حتى أرجع إليك، فمضى عنه، حتى إذا بلغ أحمد حذا بيت جديّ رزيق بن بخيت، وكان جديّ قد خرج من بيته، يريد أن يمضي إلى السوق، وقد أسرّ إليه الإمام سيف ابن سلطان [٩٠٢] عمّا في قلبه، من قبل أحمد بن سعيد، وكان جديّ يومئذ عاملاً لسيف بن سلطان على القلم الحسابي، في فرضة مسقط، وبينه وبين أحمد بن سعيد مكاتبات ومراسلات، فلمّا تصافحا هو وأحمد بن سعيد، قال له جديّ: إلى أين تريد؟ قال: إلى الإمام سيف بن سلطان، لقد وصلني منه كتاب، يدعوني فيه بالمسير إليه، والقدوم عليه سريعاً، فلا أدري بمراده هذا، فقال له جديّ: إرجع سريعاً إلى صحار، قبل أن يعلم بوصولك إلى مسقط، أو يراك أحد من عبيده، فإنهم قد أمرهم بقبضك، وحبسك في الكوت الشرقي، فلمّا سمع أحمد بن سعيد منه ذلك، قال: لعلّه يريد أن يعزلني عن ولاية صحار، قال له جدّي: أجل، يريد أيضاً قتلك، فأرجع إلى صحار، فإني لك من الناصحين، فإن النفس تأبى العطب، وتقلي الشجب، فهذا ما عندي لك من قبل سيف بن سلطان، والسلام. فلمّا سمع أحمد منه ذلك، رجع مسرعاً إلى الزبادية، وركب هو ومسعد ناقتيهما، وسلكا

بهما طريق الوادي، فلما انحدرا من رأس عقبة الوادي، ضربا ناقتيهما بالسياط، فمرتا كريح البساط، فبلغني عنهما أنهما قد وصلا مدينة صحار في اليوم الثاني، عند طلوع الشمس، من اليوم الثاني. وقد أخبر بعض الأنام الإمام سيف بن سلطان بوصول أحمد بن سعيد إلى مسقط، في ذلك اليوم الذي رجع فيه إلى صحار، فبعث إلى عبيده الذين أمرهم بقبضه، فلما أتوه، سألهم عنه، فقالوا له: يا مولانا ما رأيناه، ولا علمنا أنه وصل إلى مسقط، إلاّ من كلامك هذا، فقال لهم: انسابوا إليه، وأتوني به، فتغرّق عبيده في البلد شرقاً وغرباً، فلم يروه، فرجعوا إلى مولاهم سيف بن سلطان، فقالوا: ما وجدناه، ولا نعلم إلى أين توجه، فأمر بصلبهم، وجلدهم، فصلبوا، وجلدوا، حتى أخبره بعض الناس الذين رأوه هو وجدي رزيق يتحادثان في الوادي، فبعث في طلبه الركاب والخيل، فما وقفوا له على أثر، فلما رجعت إليه البواعث، وقالوا له: لقد فاتنا، فما وجدناه، أرسل إلى جديّ رزيق، فلمّا أتاه، قال له: ما حملك على الذي فعلت، فإنك أنت الذي نفّرت أحمد بن سعيد بنجواك إليه، وأين هو توجّه، بعد ما ناجيته، وماذا قلت له، وقال لك، لمّا تناجيتما ؟ فقد صَحَّ معي أنك رأيته وناجيته ونفّرته، فإنّي قد أسررت إليك عمّا في قلبي إليه، فأذعت سرّي، وعصيت أمري، فجعل جديّ يعتذر إليه، ويكثر في قوله إليه لديه: ما رأيته ولا ناجيته، ولا فشيت لك سراً، ولا عصيت لك أمراً، فإن من رفع هذا الخبر عني إليك ليس بصادق، سكّن غضبك، وارجع عن سورتك، فإنك منسوب إلى الحلم لا إلى الظلم، فقال له: ليس مما تقوله بصحيح، وأغلظ عليه الكلام، ثم أمر عليه بالحبس والقتل، فحُبس، وقيّد، ومكث جدّي في الحبس والقيد ثلاثة أشهر، ثم أطلقه، وقد بعث الإمام كتاباً إلى أحمد بن سعيد يدعوه فيه بالوصول إليه سريعاً، فأتاه جوابه، يعتذر فيه عن الوصول إليه، لعلل عائقة ذكرها في كتابه إليه، فأيقن سيف بن سلطان بنفوره واستنكافه عنه، فكتب له كتابا يتهدده فيه، ومن جملة [٩٠٣] ما تهدده فيه: إن لم تصلنا، فنحن نصل إليك، ثم أمر بتجهيز أربعة مراكب من مراكبه الكبار، وشحنهن بالرجال وآلة الحرب، فلمّا طرحت أناجرهنّ على بحر صحار، باقتراب من البّر

الذي عليه الحصن، أرسل إلى أحمد بن سعيد بوصوله إليه، فلمّا بلغه رسوله وكتابه، ركب أحمد في قارب صغير سريع السير، وكان الإمام سيف بن سلطان قد أوقف عبيده على جنبات المركب الذي هو فيه، وأمرهم بقبض أحمد بن سعيد، إذا وصل إليه، فلما اقترب قاربه من المركب، أشارت الخدّام إليه بالرجوع، فرجع بقاربه سريعاً إلى البّر، وصاحت العبيد لمّا رجع: قد رجع يا مولانا أحمد بن سعيد إلى البّر، فقال: لعله قد نسي شيئاً يريد أن يأتي به، فقفوا مكانكم، فإنّه ليرجع، فوقفوا، ومكث يرتقبه في ذلك اليوم، من أول طلوع الشمس إلى غروبها، فما رجع إليه، ومكث بعد ذلك يرتقبه، حتى مضت على ذلك أيام، وكلما بعث إليه كتاباً بالوصول إليه لا يردّ إليه جواباً، فلمّا علم أكابر الجبور الذين هم بالحفري والحرادي وحي عاصم من بركة بمسير الإمام سيف بن سلطان لصحار، وطرح مراكبه على بحرها، ركبوا سفائنهم إليه، فلما وصلوه، قالوا له: أيها الإمام، ما مرادك بواليك أحمد بن سعيد؟ فقال لهم: لا شيء، إلاّ وصوله إليَّ، فقالوا له: كيف يصل إليك وقد أوحشته بكتبك ومراكبك، فلا ينبغي منك هذا له، إذ هو قد صار واليك، الناصح لك في كل الأمور، ولو لم يكن لك ناصحاً ومطيعاً، لما وصلك إلى مسقط، لمّا كتبت إليه بالوصول إليك، ولو لم يوحشه أحد عنك، لما رجع في اليوم الذي وصل فيه إلى مسقط بقلب مذعور إلى صحار، ولو لم يكن لك ناصحاً ومطيعاً، لما أتى في قاربه إليك، ولو لم يوحشه أحد من أصحابك ما رجع بقاربه إلى البرّ، وأنت بحمد الله رجل حليم، وتعلم أن النفس قد تأبى العطب، وإنما الرأي السديد أن تمضي إليه، وتخبره عنك، لنستمع منه الجواب، فإن رأيناه متوحشاً منك بوصوله إليك، أتيناك منه بما يؤنس قلبك، فأجابهم إلى ذلك، فلما وصلوه، وعاتبوه من قبل الإمام سيف بن سلطان، قال لهم: إنّي لست بمستنكف عن طاعته، ولكن النفس تأبى العطب، ولو أنه يمكن أن أفشي أسرار الذين أخبروني عن الشأن الذي عزم عليه من قبلي، لأخبرتكم عنه، ولكن ذلك شيء لا يمكن إذاعته، ولا يحسن، إلاّ كتمه، وما برح أكابر الجبور يسعون بالصلح بينهما حتى اتفق بينهما، على يدهم

الصلح، أن يبعث أحمد بن سعيد ولده هلال بن أحمد بن سعيد، إلى الإمام سيف بن سلطان، ويمكث معه، حيث يمكث، ويصحبه إلى حيث قصد، لكي يطمأن قلب سيف بن سلطان من قبل أحمد بن سعيد، فأتوا بهلال إلى المركب، وأحسن إليه الإمام سيف، وطابت نفسه على أحمد بن سعيد، فرجعت مراكبه إلى مسقط، وما برح هلال بن أحمد معه يمكث حيث يمكث، ويمضي حيث يمضي، وسكنت الحركات بين سيف بن سلطان وأحمد بن سعيد، حتى جرى ما جرى بين اليعاربة من الخلاف، ومقتت أهل عمان، سيف بن سلطان، على ما ظهر منه من الصنيع القبيح، وبذاءة السيرة، وإتيانه العجم إلى خراب [٩٠٤] عمان وقتل من فيها من الشيوخ والصبيان، وسلب أموالهم، وسبي الصبيان والنسوان، كما ذكرنا في كتابنا هذا أولاً، وأوضحنا فيه من البيان.

فلما آل شأن عمان كلّه لأحمد بن سعيد، وانقرضت دولة اليعاربة، عقد أكابر الرستاق وغيرهم الإمامة لأحمد بن سعيد، فاظهر العدل والأنصاف، وولى على مسقط خلفان بن محمد السعيدي، لقبض العشور والخراج، وانفاذ حكم قلمه، لقبض الدراهم من الوكلاء الذين أقعدهم الإمام على الفرضة، وولى أيضاً خميس بن سالم السعيدي على عساكر مسقط والمطرح، وولى حسن الصرهنج[1] على مراكب السلطنة، وجعل القاضي بمسقط، الشيخ محمد بن عامر بن عريق[2]، وأجلس جدّي رزيق بن بخيت في الفرضة لقلم الحساب، ورتب قواعد السلطنة بأحسن ترتيب، واشترى ألف عبد زنجي، وألف عبد نوبي، فأسكنهم في حصن الرستاق، ومعهم من العسكر الأحرار ألف رجل، فكل واحد من هؤلاء الأحرار والعبيد، اشترى له دابة

---

[1] حسن الصرهنج: قائد بحري، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، ولاه الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي على سفن عمان. انظر: دليل أعلام عمان ــ ص ٥١.

[2] محمد بن عامر بن عريق المعولي: قاض، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، من أهالي حلة المطلع في (أفي). ولاه الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي على القضاء في مسقط، له مؤلفات عديدة، طبع كتاب "المهذّب وعين الآدب". انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٧.

من الخيل والرّكاب، يسعى إليها حيث ما سعى إلى عمان، وكان إذا مضى من مكان إلى مكان من عمان، تنشر في مواكبه أربعة أعلام، منها علمان رأسهما من ذهب، وعلمان رأسهما من فضة، ولا يمضي، إلاّ ومعه من القضاة وأهل العلم رجال مشاهير بالزهد والتقوى.

أخبرني غير واحد من المشائخ الذين شهدوا عصره، وداست أقدامهم مصره، أنه قد ترك رجلاً من آل أبي سعيد، نسيتُ اسمه، أميراً على عسكر حصن الرستاق، وقد غضب ذات يوم ذلك الأمير على قصّاب من أهل الرستاق، فسحب اللحم الذي تركه في الوضم على التراب، ثم مرّغه في رماد هرّاس، وكان السبب الباعث لذلك، أنه كان ذلك الأمير يصبرّ ذلك القصاب في أداء ثمن اللحم الذي يأخذه منه إلى يومين، أو ثلاثة أيام، ثم يسلم له ثمن ما أخذ من اللحم، فأخلف العادة التي جرت بينه وبينه، وجعل يماطله بدفع الدراهم، التي صارت عليه لذلك القصاب، وقد أخذ منه لحماً كثيراً، فبلغ ثمنه خمسمائة محمديّة، فلما كان منه ذلك، جعل القصاب يرد رسله الذين يأتونه لأخذ اللحم منه، فغضب عليه، وصنع بلحمه كما ذكرنا، فلمّا صنع به ذلك، مضى القصاب إلى مولاه الشيخ سليمان بن علي الشقصي، فشكي إليه ما جرى عليه منه، فقال له: كم صارت لك معه من الدراهم؟ فقال: خمسمائة محمديّة، فأنفذهنّ إليه، وقال له: امض إلى بيتك، واصنع ما كنت تصنع من القصابة، فإذا أتتك رسله، لا تردّهم، واطوِ الخبر عن الخاصّة والعامّة، ففعل ذلك القصاب بما أمره مولاه، وكان الشيخ سليمان بن علي الشقصي، هو الكبير يومئذ على أهل الرستاق كافّة، يغضبون إذا غضب، ويرضون إذا رضي، ويمشون كافّة خلفه إلى مسجد البياضة، يوم الجمعة، لصلاة الجمعة، فلما كان يوم الجمعة، تماسك عن المسير للصلاة، وتماسك أهل الرستاق، بتماسكه، فلما حان وقت الصلاة، هبط الإمام أحمد بن سعيد من الحصن إلى المسجد، فلم يرَ، إلاّ عسكره من أهل الرستاق، فسألهم عن الشيخ سليمان بن علي، وسائر أهل الرستاق، فقالوا: لا وصل منهم اليوم أحد إلى المسجد، فلمّا صلى الإمام بمن معه من العسكر وأهل السوّق،

أمر بالشدّ على الركاب والخيل، فشدّت، وسار بهم، حتى وصل إلى الشيخ، فلما تصافحا باليدين، أخذ الإمام بيد الشيخ، فجلسا ناحية عن القوم، فقال الإمام: لقد أوحشتنا أيها الشيخ، بتخلّفك عن الصلاة، فما عندك من الشأن، فأخبره بصنيع أمير عسكر حصنه بالقصّاب، فقال له: وهل عندك شيء غير هذا؟ قال: لا، وإن هذا معي لشيئاً عظيماً، فما عذرك بهذا الإهمال عن رعيتك؟ وهل يسعنا أن نصلّي خلف إمام، قد أهمل حقّ رعيته، فصاروا يظلمون، ومن يظلمهم ويهضمهم، هو أمير على عسكر حصنه، فقال له الإمام: ما علمت بهذا الشأن، إلاّ الآن، فقال له: لو كنت متفقداً لأمور رعيتك لما جرى عليهم مثل هذا، فقال له الإمام: طب نفساً، وقرّ عيناً، غداً إن شاء الله، ليأتيك من الخبر على ما تقرّ به عينك، وتطيب به نفسك، ثم مضى الإمام عنه إلى الحصن، وانصرف الشيخ إلى بيته، فلما كان اليوم الثاني، بعث الإمام إلى أمير عسكر الحصن، فلما أتاه، أظهر له الغضب، وقطب عليه حاجبه، وقال له: يا خبيث، ماذا فعلت بالرجل القصّاب؟ فتلجلج لسانه، وكاد أن يموت من الفزع، فأمر عليه بالقيد والخشبة، فقيّدّ وخُشّب، وألزمه بتسليم الدراهم، فبعث إلى أهله بتسليمهنّ، فلمّا حضرت الدراهم بين يدي الإمام، بعث للقصاب، فلما أتاه، قال له: كم لك مع الذي صنع بلحمك ما صنع، فقال: خمسمائة محمديّة، فقال له الإمام: هاكهن، وقد وضعهنّ الإمام في خرقة، فلمّا أخذهن، أثنى القصاب على الإمام، وشكر سعيه، ثم انصرف عن الإمام، ومضى من ساعته إلى مولاه، فلما وافاه أخبره عما جرى على أمير عسكر الحصن، ودفع الدراهم إلى مولاه، إذ كان أقرضه إياهنّ، لمّا أتاه شاكياً من أمير عسكر الحصن، فلما كان يوم الجمعة الثانية، مضى الشيخ إلى الإمام، لصلاة الجمعة، ومضى أهل الرستاق معه، فلما قضيت الصلاة والخطبة، قال الشيخ للإمام: الآن قد طابت نفسي على أمير عسكر حصنك، فحسبه ما أتاه، فتفضّل بإطلاقه من القيد والحبس، فقال له الإمام: هيهات أن أطلعه من القيد، وأخرجه من الحبس، حتى تمضي عليه سنة من يومنا هذا، فمكث في ذلك

الحبس سنة، ثم أطلقه الإمام، وعزله عن الإمارة والتقديمة على العسكر، وبقي في الرستاق، حاله كحال الذين لا يكترث بهم.

أخبرني غير واحد بصحة هذا الخبر، ومن حسن كرم أخلاق هذا الإمام، أنه إذا أراد أن يمضي من الرستاق إلى مسقط، أمر أن تخدم له حلوى كثيرة، فتجعل في غلافات كثيرة، فتحمل على جملين، فإذا وصل إلى نعمان بركة، أتته صبيان الفقراء والمساكين من حد حيّ عاصم إلى الحفري، فيأمر أن يعطى كل واحد من أولئك الصبيان غلافة حلوى، فإذا أخذوا ما على الجملين من غلافات الحلوى، [٩٠٦] قال: انصرفوا إلى منازلكم، بارك الله فيكم، ثم يقيم في نعمان يومين، فتأتيه الرعيّة لتسلّم عليه، من حدّ السيب، إلى المصنعة، فيقبل عليهم ببشاشة وطلاقة وجه، ويسألهم عن حوائجهم، فيقضيها، وينصف من ظالمهم، ثم يمضي إلى مسقط، فإذا بلغ روي، مكث فيها، فلا يمضي إلى المطرح، إلاّ عند طلوع الشمس، إذا لم يكن بروي عند طلوع الشمس، فإذا مضى منها إلى المطرح، اصطفّت الرعيّة الفقراء والمساكين، من أول سيح الحرمل، إلى أول جبال المطرح، ويأمر عسكره برفق المسير حتى تسلم عليه الرعيّة، ويردّ عليهم السلام، فإذا وصل إلى المطرح، مكث في بيت الدّكة، فيأتيه أول ما يأتيه من أعيان الرعية أهل المطرح بنو حسن، ثم تتبعهم اللواتيا، ثم تتبعهم بنو زراف، فإذا سلّمت عليه رعيّة المطرح قاطبة، مضى إلى مسقط على مواشي، والرايات منشورة عليه، فإذا وصل إلى مسقط، دخل الجزيرة، فتضرب الصيرتان مدافعهما والكوتان كذلك ثم تتبعهما المراكب ، فيتراسل حينئذ ضرب المدافع من مقابض مسقط ، ثم يبرز للناس في أعلى الجزيرة، فتأتيه الرعيّة أفواجاً أفواجا على ترتيب، فيسلمون عليه، فيردّ عليهم بالسلام، ويسألهم عن حوائجهم، فيقضيها، ثم يدخل بيته بالجزيرة، ويبعث بعد يومين إلى الواليين خلفان بن محمد، وخميس بن سالم و وكلاء الفرضة، فيقول لهم هذه السنة لنا أم علينا من المدخول بعد المخروج، فيخبروه عن ذلك.

أخبرني غير واحد ممن شهد ذلك العصر، أن الإمام أحمد بن سعيد، لا يمكث في مسقط، إلى أن يمضي عنها، إلاّ اثني عشر يوماً، فإذا مضت عليه عشرة أيام مضى إلى الكوت الغربي، فيتفقدّ ما فيه من آلة الحرب والماء والطعام، ثم يمضي إلى الكوت الشرقي، فيمر على الفرضة، فإذا بلغ إلى الباب الشرقي، منها نادى مناديه: أيها التجار، كل ما هو لكم من المتاع في الفرضة اليوم، فما عليه عشور، فيرفع عنهم العشور في ذلك اليوم، ولو أنهم طرحوا من المتاع في الفرضة ما يبلغ عشوره لكوكاً.

أخبرني غير واحد بهذا، وسألت والدي محمد بن رزيق عن هذا الخبر، فقال لي: نعم، وهكذا كانت عادة الإمام أحمد بن سعيد، إلى أن مات، وسألت والدي أيضاً عن مدخول فرضة مسقط، أيام الإمام أحمد بن سعيد، فقال لي: من الخمسة إلى الثلاثة لكوك في السنة، خالصات من جميع المخروج، وسألته كم كان مكثه بمسقط، حتى يمضي عنها؟ فقال اثني عشر يوماً، وسألته عن جملة عساكرها الذين بمقابضها كافة، فقال لي : ألفان، وسألته عن جملة عساكره الذين بالرستاق، فقال لي: ثلاثة آلاف، وسألته عن جملة عساكره بصحار، فقال لي: ثلاثة آلاف، وسألته هل كان يأخذ الجزية على أهل الذّمة بمسقط وصحار وغيرها؟ فقال لي: نعم، إلاّ على أهل بيت سكبيلة ونروتم. وسألت الشيخ معروف بن سالم الصايغي النخلي، والشيخ خاطر بن حميد البداعي النخلي، عن سبب الواقعة الكائنة بين الإمام أحمد بن سعيد، وبين بلعرب بفرق، لمّا قتل بلعرب بن حمير فيها، فقالا [٩٠٨]: إن السبب الباعث لذلك، لمّا قتل مهنا بن سلطان ومن معه من اليعاربة بادر العجم المحاصرين صحار، ومات الإمام سلطان بن مرشد، من الجراحات التي أصابته من سيوف العجم بحصن صحار، ومات سيف بن سلطان بالحزم، وانقرضت دولة اليعاربة، فصار الأمر بعدهم للإمام أحمد بن سعيد، لم يبق من شجعان اليعاربة، إلاّ بلعرب ابن حمير، وكان مسكنه بالبزيلي من الظاهرة، أتته أكابر اليعاقيب، أهل عبري، وبنو نعيم، وساير بني غافر، أهل الظاهرة، فقالوا له: لم تركت هذا الأمر لغيركم،

وهو لكم ؟ فإنك قد جالدت عليه سيف بن سلطان، والإمام سلطان بن مرشد، ومـا أغمدت السيف عنهما؟ وحيّت بأسك أهل عمان، وانقادوا إليك بإذعان، فلِمَ أصبحت اليوم بعد العزازة ذليلاً، وأكثروا في هذا الإبرام عليه الكلام، فقال لهـم: والله مـا تماسكت عن القيام لهذا المرام، إلاّ لقلّة المال والنّاصر، فقالت له اليعاقيب: قم لهذا الشأن، وعلينا لك الرجال وآلة الحرب، حتى يصير إليكم ما ذهب عـنكم، فقـال: امهلوني في القيام إلى بعض الأيام، فما برحوا يترددون إليه، وهو يماطلهم، حتـى وقعت بين الإمام أحمد بن سعيد وأهل الصيّر الملحمة العظيمة التي بالبثنه، وذلـك أن أهل الصيّر أجمعوا على حرب الإمام أحمد بن سعيد، فحـشدوا خلقـاً كثيـرا، أرادوا أن يهجموا على صحار، فالتقاهم الإمام بمن معه من القوم بالبثنة، فكانـت بينهم ملحمة عظيمة، وقتل من الفريقين خلق كثير، ورجع أهل الـصير، ورجـع عسكر الإمام إلى صحار، ففارقهم الإمام ليلاً، فأحثّ ناقته، فلما بلغ أطراف ينقـل، نزل عن ظهر ناقته، فرأى امرأة مسنّة من أهل ينقل، فاستكتمها عنه الناس، وقـال لها: لا تذيعي خبري إلى أحد، وأنفذ إليها بعض الدراهم، فاختفى في بيتها، وكانت تلك المرأة قد مات عنها أهلها كافّة، فقيرة لا يدخل عليها أحد من الناس، ولها بيت حقير في أطراف البلد، فلما اختفى الإمام في بيتها، سرّح ناقته بمـا عليهـا مـن الفراش، ولم يأخذ إلاّ سلاحه، ومن خرجه إلاّ الدراهم، فلمّا رأها أهل ينقل، عرفوها أنها للإمام أحمد بن سعيد، فهالهم الأمر، ومضت أكابرهم إلى صـحار، وسـألوا رعيّة صحار وأهل الحصن عنه، فقالوا: لا علم لنا به، وفشي الخبر بعمان، فقالوا: إن الإمام قتل بالبثنة، وزلزلت عمان بالخوف زلزلاً شديداً، ونجم نفاق أعدائه حتى استوى على سوقه، فعند ذلك مضت اليعاقيب وأكابر بني غافر وبنـو نعـيم إلـى بلعرب ابن حمير، وقالوا له: اغتنم الفرصة، فإن الإمام أحمد بن سـعيد قـد قتـل بالبثنة، فانهض مشمراً لهذا الشأن الذي ذكرناه لك أولاً، فنحن من خلفك وأمامـك بالمال والرجال، فأجابهم بلعرب بن حمير على ذلك، فادعى الإمامة له، واجتمـع معه خلق كثير، فبلغنا أن الذين اجتمعوا معه عشرون ألفاً، وأنفذ كتبه إلـى كافـة

النزارية، وحلفائهم من أهل عمان، ومضى هو ومن معه من الظاهرة إلى عمـان، فعسكر بهم بفرق، وكتب إلى نزاريـة سـمائل، أن يحيطـوا بحـصن سـمائل، ويحصروه، وبعث إليهم بآلة الحرب والطعام، فزلزلت عمان، وتضاعف ذعرهـا بالخفقان، وكان الإمام أحمد بن سعيد مراده بذلك الاختفاء انتظاراً إلى من تـسموا همته إلى الشأن، الذي صار إليه أهل عمان [٩٠٨]، وتلك المرأة تخبره بما تسمعه من أهل ينقل من الكلام، في كل يوم وليلة، فأتته ذات يوم، وقالت له: سمعت أهـل ينقل يقولون: إن بلعرب بن حمير اليعربي، قد ادّعى الإمامة له، فتابعته النزاريـة كافة، ومضى بقومه إلى عمان. فعند ذلك مضى الإمام إلى صحار، فدخل الحصن ليلاً، وكتب بالحال إلى أهل ينقل والظواهر أن يأتوه بمحامل السلاح، وبعث كتبـه إلى عبدالله بن محمد السعيدي، وهو يومئذ على سمد الشأن، أن يحشد الهنائية مـن الشرقية قاطبة إلى جعلان، ويأتيه بهم إلى فرق، ووقّتَ له الوقت الـذي يريـد أن يوافيه فيه، فلما وصلته رجال ينقل والظواهر، سار بهم، يريد وادي سمائل، وحشد من أعراب الباطنة خلقاً كثيراً، فلما وصل إلى أطراف بدبد، وجد السيابيين ومـن اشتمل عليهم، قد سدّوا عليه الطريق، فركض عليهم، فهزمهم، وقتل منهم رجـالاً كثيراً، فلمّا بلغ إلى مضمار سمائل، وجد قوماً من النزارية قد كمنوا له بالمضمار، فركض عليهم، فانكسروا، وقتل منهم رجال، فلمّا دخل وادي بني رواحة، حشدهم، فمضوا معه إلى فرق، فالتقى هو وعبدالله بن محمد السعيدي، ومعـه مـن أهـل الشرقية، وجعلان خلق كثير، وكان يومئذ بلعرب بن حمير معسكراً بفرق، فوقـع بينهم القتال، فأنكسر قوم بلعرب بن حمير، وقتل هو وأكابر اليعاقيب كافّة، وما سلم من قوم بلعرب، إلاّ قليل، وأيّد الله الإمام أحمد بن سعيد بالنصر والظفر، فما بقي له عدو ومحارب، وعاقب من خرج عليه، ثم عفى عنهم.

وسألت الشيخ معروف بن سالم الصايغي النخلي، والشيخ خاطر بن حميد البـداعي النخلي، والشيخ سيف بن سالم، عن السبب الباعث لحرب الإمام أحمد بن سـعيد، للشيخ ناصر بن محمد بن ناصر بن عامر بن رمثة الغافري، وما جرى بينهما من

الشقاق والمنافرة بعد الاتفاق، إلى أن جرى بينهما ما جرى من القتل في سيح الطيب، من أرض السرّ، وكم بين وقعة فرق، ووقعة سيح الطيب من المدّة؟ فقالوا : وقد دخل كلامهم بعضه في بعض، على الاتفاق، على أن الإمام أحمد بن سعيد قد خطب إبنة ناصر بن محمد، لولده سعيد بن أحمد، فزوّجه ناصر بها، فأولدها أحمد ابن سعيد بن أحمد الإمام، وخطب الإمام أحمد بن سعيد ابنة سيف بن ناصر بن محمد له، فزوّجه بها، فما أنجبت منه ذكراً، ولا أنثى، وقد نال ناصر بن محمد من الإمام أحمد بن سعيد حظوة عظيمة، ولم يخالفه الإمام في شيء يريده لبني غافر، زان أو شأن، فعبروا على ذلك زماناً، وكان يومئذ بالظاهرة رجال من بني غافر، لا ينقادون في جلّ الأمور لناصر بن محمد، وكل واحد يقول في عتّوه وزهوه لصاحبه: أنا، أنا، فطلب ناصر بن محمد منهم رخصة، ليبني بطيبة أنفسهم، لا على الكراهية، بيتاً في العينين، على منابع أفلاج الظاهرة الدانية من العينين، فأبوا، وقالوا: لا نرضى بهذا، فأسرّها محمد في نفسه، وأضمر لهم المكيدة، وكان ناصر ابن محمد [٩٠٩] رجلاً داهية، من دهاة العرب، فلما رأى من بني غافر له الاستنكاف، وضدّ الطاعة في جلّ الأمور، مضى إلى الإمام أحمد بن سعيد، وقال له: إن بالظاهرة رجالاً عنك مستنكفين، ولك غير طائعين، ومنهم أطغى الطاغين، وقد مقتوني بمصاهرتي لك، فأردت أن أبني بيتاً في العينين، فمنعوني، وتهددوني، فإذا وصلك منهم فلان وفلان، أحبسهم، وقيدّهم، وخشّبهم، واتركهم في الحبس والقيد، حتى يموتوا. فكان إذا وصله أحد من القوم الذين يعدّدهم له، يأمر به إلى الحبس والقيد، ويتركه في الحبس، حتى يموت، فلمّا أهلك الإمام من أراد له ناصر الهلاك، وانفلّت شوكة أضداده عنه من رجال الظاهرة، ولم يبق مستنكفاً عنه إلاّ الشيخ سليمان بن مسعود بن سليمان الغافري، صاحب الدّريز، أتوا إلى ناصر مذعنين، وإليه مطيعين، فشرع حينئذ في بناء حصن العينين، فلمّا أتمّه سكنه، فكان كل من يخالفه منهم في شيء يعاقبه، ولا يقدر أحد من أكابرهم أن يخالفه، خوفاً أن يكسر الأفلاج عليهم، إذ منابعهنّ مقتربات من حصن العينين، وبقي حصن الغبيّ

ليس في يده، ورجا أن يسلموه له بغير سؤال منه، فما سلّموه لـــه، فأضـــمر لهـم المكيدة من قبله، فسعى إلى الإمام أحمد بن سعيد إلى الرستاق، وكان الإمام أكثـــر مقامه فيها، فلمّا وصله، قال له: لِمَ لا تقبض حصن الغبيّ من بني غافر، ألست أنت الإمام، وهم الرعية؟ وهل سمعت برعيّة تقبض حصناً عن الإمام، ولا تـسلم لـــه بالأمر، وهو قادر عليهم، ابعث أحداً من قبلك بكتاب إليهم، بتخليص الحصن لمـــن شئت من ولاتك، فبعث لهم الإمام كتاباً ووالياً، فلمّا أتاهم الكتاب والوالي، أبوا أن يسلموا الحصن إليه، ولم يردّوا على الإمام جواباً، وقالوا للوالي وأصحابه: ما معنا لكم إلاّ السيف، فرجع الوالي إلى الإمام، فلمّا أخبره عن اســتنكافهم عنـــه، وضـــدّ طاعتهم إليه، وما قالوا له من التهدد، جهّز الإمام جيشاً من الرستاق على حرب دفع الأودية، وأهل الحصن القرطي، فمضى الجيش والأمير عليه هلال بن الإمام أحمد ابن سعيد، ومعه مسلم بن عمير السعيدي، ومعهما من اليعاربة محمد بـــن حميـــر اليعربي، وزهران بن سيف، فلما دلفوا لدفع الأودية، هـــدموا بـــروجهم ومعـــاقلهم جميعاً، فلمّا بلغوا إلى حصن القرطي، استنكف أهله عن الطّاعة، فجعلوا يضربون الجيش بالتفق، فأرسل إليهم هلال بن الإمام أحمد، محمد بن حمير، وزهران بـــن سيف، ليناصحوهم، ويهبطوا من الحصن على يدهما بأمان، وأنه لا يريد منهم مع المواجهة، إلا هدم الحصن، فمضيا إليهم، وجعلا يناصحوهم حتى رضوا، فأتيا بهم إلى هلال، فلما كانوا بالقرب من هلال، ركض عليهما قومـــه، فقتلـــوهم جميعـــاً، وكانت جملة من قتل منهم اثني عشر رجلاً، ثم ركض القوم على حصن القرطي، فهزموا جميعاً، ورجع الجيش إلى الرستاق، ثم إن هلال دخل الوادي ثانية بجـــيش كثير، فخاضه إلى أن انحدر من عقبة الحويل، فلم يعارضه معارض [٩١٠] مـــن بني غافر، وقصد بالجيش إلى الظاهرة، فلما بلغ إلى العراقي، قدم ناصر بن محمد عليه، ومعه بعض الناس من رجاله، وقد هال بني غافر الأمر، بما وقع على أهـــل دفع الأودية وحصن القرطي، فأتوا إلى هلال، وسلّموا له حصن الغبيّ، فترك فيـــه مسلم بن عمير والياً، من قبل أبيه الإمام أحمد بن سعيد، ورجع هلال ومعه ناصر

ابن محمد إلى الرستاق، فشكر الإمام سعي ولده هلال، وأحبَّ ناصر بن محمد حبّاً شديداً لأجل صفوته إليه ومعوله عليه، وكان ناصر قد صحبته رجال من بني غافر، الذين كانوا بحصن الغبي، وهم أكابر بني غافر، فناجى ناصر الإمام أحمد بن سعيد، فقال له: لقد أتيتك بأفلاذ أكباد الظاهرة، أهل الإحن الباطنة والظاهرة، فقيّدهم، واحبسهم، ولا تخرجهم من حبسك، إلاّ إلى القبور، ففعل لهم الإمام كما قال له ناصر، وما لبثوا في قيد الحياة، إلى خمسة أيام، إذ قطع عنهم الماء والزّاد، ولمّا انفصل ناصر بن محمد عن الإمام، ووصل إلى دفع الأودية، أظهر التحسّر والكآبة على بني غافر الذين صحبوه، وأخبرهم بما جرى عليهم من الإمام، ثم جعل يعنّفهم على الجبن والذّل والاستكانة للإمام، وأمرهم ببناء ما هدّم عليهم من البروج والمعاقل، والمجاهرة بالحرب على الإمام، فلمّا وصل إلى الظاهرة، عاهدته بنو غافر، وسائر النزارية كلهّا، وأحلافهم إلى أطراف مساكن بني نعيم، وأنفذ كتبه إلى ابن رحمة بالصير، وأخبره فيها بما جرى من الإمام على بني غافر، فأضحى ناصر بن محمد هو الرئيس على كافّة نزارية الظاهرة، لا أحد يخالفه في الحلّ والعقد، فلمّا علم الإمام ما كان من ناصر بن محمد، واستنكافه عنه، وضدّ طاعته إليه، وحصره لحصن الغبّي، واجتماع قبائل الظاهرة معه، وانفاذه بكتبه إلى ابن رحمة بالصير، يدعوه بالمعاونة له على حرب الإمام أحمد بن سعيد، بعث كتبه إلى عمان، والشرقية، وجعلان، ووادي سمائل، ونخل، ورجال المعاول، وكتب إلى عبدالله بن محمد السعيدي، وهو يومئذ وال من قبله بحصن سمد الشأن، أن يأتيه من الحضر والبدو بحامل السلاح، فاجتمع القوم مع الإمام بالرستاق، ومضى بهم، فسلك طريق خط الباطنة، وحشد أعرابها، فلمّا بلغ إلى صحار، أمر بعدّ القوم الذين اجتمعوا معه، فقيل له: خمسون ألفاً أو يزيدون، ثم نهض بالجيش إلى الظاهرة، فلمّا بلغ إلى السليف، أشار عليه من أشار، أن يريح القوم إلى يوم أو يومين لأجل التعب، فأبى، فقصد بالجيش إلى الغبّي، ولم يكن بها يومئذ عند ناصر بن محمد، إلاّ من أصحاب ابن رحمة ألفان، ومن بني نعيم أربعمائة رجل، ومن بني غافر

أربعمائة رجل، فلمّا بلغ جيش الإمام إلى أطراف الغبّي، ركضت على جيش الإمام بنو غافر أهل التفق، فضربوا القوم بالتفق، وركضت عليهم سائر أقوام ناصر بن محمد، فانكشف جيش الإمام، ووقعت الملحمة بسيح الطيب، فولّت عساكر الإمام الأدبار، والإمام يصيح عليهم: ويلكم، أقبلوا إلى القوم، وجالدوهم، وثبتوا أقدامكم على الجرب، فلم يصغوا إلى كلامه، فلمّا رأى منهم ذلك، ركب ناقته، وسلك بها نجد الحديد، فما انتصف ليل ذلك النهار، إلاّ هو في نزوى، وما ثبت لمجالدة القوم من عسكر الإمام، [٩١١] إلاّ الزدجال، وبنو وهيبة، فقتلوا جميعاً، وكان عدد من قتل من قوم الإمام اثني عشر ألفاً، وأكثرهم مات عطشاً لحيدهم عن الطريق، وأمّا الذي دخل منهم الغبّي، أمر ناصر بن محمد عنه برافع السيف والطعام، وبالدواء لمن أصابه جراح، ثم زوّدهم، وأمر من يوصلهم إلى وادي الحواسنة، ففعل بهم ذلك، وقد رجع الإمام من نزوى إلى الرستاق.

وقد سمعت هذه الرواية، التي سمعتها من المشائخ المقدّم ذكرهم، من لسان جملة من الناس، ومضيت في سنة أربع وعشرين ومائتين وألف إلى الظاهرة، فلما رجعت منها، وأتيت إلى سني، وهي بليدة صغيرة من وادي بني غافر، المقترب من الرستاق، فرأيت مكتوباً في جدار مسجدها، الذي هو على المحراب، أن عدد قتلى قوم الإمام أحمد بن سعيد، يوم وقعة الطيب اثنا عشر ألفاً، هذا ما رأيته مكتوباً في جدار ذلك المسجد، والله أعلم بالصواب.

ثم إن الإمام أحمد بن سعيد، وناصر بن محمد، بعد هذه الواقعة تصالحا، وتعاهدا على أن لا يخون أحدهما صاحبه، ولا يحاربه، ما دام في قيد الحياة، وثبت ذلك الصلح بينهما، إلى أن مات ناصر بن محمد، وثبت الصلح بين الإمام، وسيف بن ناصر بن محمد، صهر الإمام، وأخُ ناصر بن محمد، إلى أن مات الإمام أحمد بن سعيد.

وسألت الشيخ معروف بن سالم الصايغي النخلي والشيخ خاطر بن حميد البدّاعي النخلي وغيرهم ممن شهد ذلك العصر، عن السبب الباعث لحرب الإمام أحمد بن سعيد، لمحمد بن سليمان بن محمد بن عدي اليعربي، والي نخل، بعد أن تعاهدا، لن يخون أحدهما صاحبه، قالا : إنما السبب الباعث لذلك، أن محمد بن سليمان اليعربي، قد جعل سيف بن سلطان اليعربي، صاحب العقرية، الذي هو من أولاد مرشد نائباً عنه، إذا مضى من نخل إلى وادي بني خروص، أو إلى جبل بني ريام، لبعض الأرب، وكان ولدا الإمام أحمد بن سعيد، سيف، وسلطان، مستنكفين عن طاعة والدهما الإمام أحمد بن سعيد، يحاولان انقياد الرعيّة إليهما، فأرادا أن يقبضا عليه حصن بركة، فمكثا في حصن نعمان بركة، وبعثا إلى سيف بن سلطان نايب محمد بن سليمان، وكان يومئذ محمد بن سليمان بوادي بني خروص، أن يبعث إليهما مائة رجل من أهل نخل، فلمّا وصله كتابهما عن ذلك، لم يشاور سيف بن سلطان محمد بن سليمان في ذلك، فبعث إليهما مائة رجل، كما أرادا من أهل نخل، فلمّا أتوهما، تسوّرا ليلاً على حصن بركة، فخلص لهما، ورفعا السيف عن واليه، والعسكر الذي تركهم فيه الإمام أحمد بن سعيد، وكان الإمام يومئذ بالرستاق، فلما بلغه الخبر، هبط عليهما من الرستاق، ومعه جمع كثير، فأحاط بالحصن، وجعل يضربه بالمدافع، حتى تركه دكّاً، فأقاما هما ومن معه في ذلك الدّك، وما قدر أحد من قوم الإمام أن يصلهما بشر، إذ كان ضربهم بالتفق متراسلاً لا يفتر [٩١٢] ساعة واحدة. ثم سعت قضاة الرستاق، بين الإمام وولديه، سيف، وسلطان بالصلح، فاصطلحوا على خروجهم من الحصن المدكوك، فخرجا، وخرج أهل نخل معهما، فمضيا هما إلى أبيهما الإمام، ومضت أهل نخل إلى نخل، وطلباهما الإقالة من أبيهما ممّا جرى منهما لأبيهما الإمام، فأقالهما، وأعفى عنهما، وأضمر الإمام الحرب لمحمد بن سليمان، لظنه أنه نكث العهد الذي بينه وبينه، فأنجد سيف و سلطان برجاله أهل نخل، فهجما بهم على حصن بركا، ومحمد بن سليمان غير راضٍ بهذا الشأن، وغير حاضر بنخل، لمّا بعث سيف و سلطان، رعية نخل، ولمّا

علم بخروج أهل نخل إلى سيف بن سلطان، رجع إلى نخل، فظلّ يعنّف سيف بن سلطان ويلومه، وخشي أن يمضي إلى بركة، وفيها الإمام، فيعتذر إليه، والحرب بينهم قائمة على ساق، بينه وبين ولديه ببركة، ولمّا رجع الإمام إلى الرستاق، جعل يكاتبه، ويعتذر إليه، فما قبل الإمام اعتذاره، وبعث الإمام كتبه إلى السند، فأتته حملة من رجال الزدجال، وحشد من الرستاق، ومن سائر عمان، فاجتمعت معه أقوام كثيرة، فمضى بالجيش إلى نخل، فدخلها، وجعل يضرب الحصن بالمدافع، فكان معسكر الزدجال ببيت الشريجه، ومعسكر سائر القوم من السرير إلى حضين، وكان الشيخ عبدالله بن صالح الرواحي، وشيوخ ورجال المعاول، غير راضين بحرب الإمام لنخل، إذ عندهم يقين أن محمد بن سليمان ما أحدث حدثاً، يجلب عليه الحرب به، فلمّا طال الحصار، خرج الشيخ عبدالله بن صالح بجماعته بني رواحة إلى بلده، وخرجت رجال المعاول إلى بلدانهم، بغير إذن من الإمام، وكان الإمام يومئذ بالرستاق، وما بقي من قومه بنخل، إلاّ الزدجال، وقليل من سائر الناس، فأتت رجال بني غافر، وأحد من أهل الحزم، لنجدة محمد بن سليمان، فلما وصلوا نخل، ركض بهم محمد بن سليمان اليعربي على قوم الإمام، فأخرجوهم من نخل، وأحاطوا بالزدجال، فطلبوا من محمد بن سليمان الأمان، ليخرجوا من بيت الشريجه، بما في أيديهم من السلاح وآلة الحرب، فأمنهم، وخرجوا من نخل، فلمّا وصلوا إلى مسقط، عبروا منها إلى بلدانهم، ثم وقع الصلح بين الإمام، ومحمد بن سليمان اليعربي، وتعاهدا ثانية أن لا يخون أحدهما صاحبه، فثبت بينهما الصلح.

ونزلت العجم بالبصرة، وحصروها حصراً شديداً، وهزموا أهلها، فبلغ هزيمهم إلى بغداد، ونصب العجم سلسلة عظيمة على الشط، فجعل من سَالَم العجم من أهل البصرة يكاتب الإمام بالنجدة، فجهزّ الإمام عشرة مراكب كبار، ومن الخشب الصغار كثيراً، والأمير على القوم ناصر بن سعيد العنبوري، ومعه من القوم عشرة آلاف، فلمّا بلغوا إلى الشط، ورأوا السلسلة الحديدية منصوبة عليه، دفعوا المركب الرحماني عليها، فنطح السلسلة، فقطعها، وهبطت العرب من المراكب على العجم،

فوضعوا فيهم السيف، فكشفوا العجم، وأذادوهم من البصرة، واستقرت أهل البصرة بالبصرة، ورجعت قوم الإمام وخشبه إلى مسقط، فلمّا علم ملك الروم بصنيع الإمام أحمد بن سعيد، وتعصبه لرعيته أهل البصرة، أمر والي البصرة أن يدفع للإمام من خراج [٩١٣] البصرة اثني عشر ألف قرش، فثبت أداء البصرة لحكّام مسقط وعمان في كل سنة، كما ذكرنا، إلى زمن السيد سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد.

ووفدا سيف وسلطان، إبنا الإمام أحمد بن سعيد، على مسقط، بغير أذنٍ من أبيهما، فطلع سيف الكوت الشرقي، وطلع سلطان الكوت الغربي، فاحتويا عليهما، ومعهما الشيخ جبر بن محمد الجبري، وبعض الرجال، فواجهتهما التجار وأكابر مسقط، فلمّا علم بصنيعهما أبوهما الإمام أحمد بن سعيد، هبط عليهما من الرستاق، ومعه جمع كثير، فلمّا دخل مسقط، وأراد أن يضربهما بالمدافع، دخلت قضاة الرستاق بينهم بالصلح، فاتفق الصلح بينهما، بمواجهتهما لأبيهما الإمام، وإذعانهما إليه، وليمكث سيف مع أبيه الإمام حيثما يمكث، ويسير معه حيثما يسير، والكوتين هما القابضان، فتمّ الصلح بينهم على ذلك، فلمّا مضت على ذلك العهد بينهما سنة، مضى الإمام إلى نزوى، ومضى ولده سيف معه، فلما رجع، ووصل إلى بدبد، قيدّ سيف، وحمله معه إلى مسقط، فلمّا همَّ الإمام بحرب الكوتين، دخل أكابر الرستاق وأكابر تجار مسقط بينهم بالصلح، على أن يسلما لأبيهما الكوت الغربي، ويبقي الكوت الشرقي عندهما، وعلى أن يطلق الإمام ولده سيف من القيد، ولا يمضي إلى أبيه الإمام، إلاّ إذا شاء أن يمضي إليه، فتّم الصلح بينهم على ذلك، فقبض الإمام الكوت الغربي، وبقي الكوت الشرقي معهما، فرجع الإمام إلى الرستاق، ورجعا هما إلى نعمان بركة، وكان أكثر مقامهما في حصن نعمان، ثم بعد سنة من ذلك الصلح الذي تمّ بينهما، وبين أبيهما الإمام، مضى أخوهما سعيد بن أحمد إلى بلدة حبرا، وكان له فيها نخل كثير، فلمّا علم به أخواه سيف وسلطان، مضيا إليه، فمكثا معه يومين، فلمّا أرادا الإنصراف عنه إلى نعمان، طلبا منه الصحبه إلى نعمان للضيافة، فصحبهما، فلمّا أتوا نعمان، قيدّاه، وحملاه معهما في سفينة إلى مسقط، فتحصنا بالكوت الشرقي، فلمّا علم الإمام بذلك، حشد من الرستاق، وغيرها خلقاً كثيراً، فلما دخل مسقط، قعد في الجزيرة، وجعل يكاتبهما باطلاق أخيهما سعيد، فأبيا، فأقام

الحرب عليهما، فأمر على عسكره الذين في الكوت الغربي، أن يضربوا الكوت الشرقي، بالمدافع، ونصب عليه البوم، وأمر على المراكب أن تضربه من الجانب الشرقي، فتراسل الضرب على الكوت الشرقي من الكوت الغربي والبوم والمراكب، وجعلاهما يضربان الكوت الغربي والمراكب، واشتد الحرب بينهم، وما انقطعت المدد عن سيف وسلطان من طيوي وصور، فأتى خشبهم إليهما بالتمور والأغنام وأثمار الأشجار، فلمّا طالت الحرب بينهم، هرب أكثر أهل مسقط إلى يتي وقريات وغيرهما، خوفاً من رصاص المدافع، وانهدم الجانب الغربي من الكوت الشرقي بضرب المدافع، فركضت بعض قوم الإمام عليه، فلمّا [٩١٤] وصلوا إلى أول درج الكوت، ضُربوا بالتفق، فانكسروا، وقتل منهم بعض الرجال، ومضى جبر بن محمد الجبري إلى الصّير، فحشد منها لسيف وسلطان خلقاً كثيراً، أميرهم ابن رحمة الهوتي، فلمّا دلفوا إلى الرستاق، أحاطوا بها، وزلزلوها زلزلاً شديداً، وكان من أولاد منح خادم للإمام أحمد بن سعيد، قد تحصن مع سيف وسلطان بالكوت الشرقي، ووكلاه سيف وسلطان بالحرس على أخيهما سعيد، فأتاه ذات ليلة مظلمة مغمّة مطيرة، فقال له: هل لك أن أحملك إلى أبيك الإمام؟ فقال له: نعم، فعقد ابن منح حبلاً طويلاً على مدفع من مدافع الكوت، وحمله على ظهره، وهبط به، فلما كان بينهما وبين البر أربعة أذرع، نبد الحبل، فوقعا على الأرض، فمضى به إلى أبيه، فقرع باب الجزيرة، وأخبر البوّاب أنه قد أتي بسعيد إلى أبيه، فمضى البوّاب إلى بيت الإمام، وقرع عليه حلقة باب الغرفة، وأخبره الخبر، فأسرع الإمام إليهما، فحدّثه ولده سعيد بصنيع ابن منح، فشكر له سعيه، وخلع عليه، فلمّا لاح الصباح، افتقد سيف وسلطان أخاهما سعيد، فرأيا الحبل معقوداً على المدفع، فقالا: لا شكّ أن ابن منح قد هرب به إلى أبينا، وما رقّت عزيمتهما بخروج أخيهما ومصيره إلى أبيهما، فشدّدا الحرب، فأرسل إليهما أبوهما أن يخرجا من الكوت بأمان، فأبيا، حتى جاءهما من جاء، فأخبرهما أن ابن رحمة هجم على الرستاق، فأحاط بها، ومعه من القوم ثلاثون ألفاً، وقد اجتمع معه من أعراب الشمال وتوام خلق كثير، فخشيا مع ذلك قوّة العدو عليهم، وانتزاع الملك عنهم إلى عدوّهم، فركنا إلى الصلح بينهما، وبين أبيهما الإمام، فأرسلا إليه بالصلح، فأجابهما على ذلك، فخرجا من الكوت بمن

معهما من الرجال، وواجها أباهما في الجزيرة، فخلع عليهما، وأحسن إلى من تحصّن معهما في الكوت، فلمّا بلغ إلى ابن رحمة صلح الإمام وولديه سيف وسلطان، وأنهما قد صارا معه، ارتفع من الرستاق بمن معه من القوم، ومضي إلى الصيّر، ومضى الإمام إلى الرستاق.

وللإمام أحمد بن سعيد نوادر شريفة، وأخبار رائقة غير هذه، تركتهنَّ طلب الاختصار، وقد وفدت عليه شعراء عصره، فمدحوه، وأخذوا جوائزهم منه، وكان أشعرهم وأبرعهم وأبلغهم في صيغة الشعر، الشيخ الفصيح راشد بن سعيد بن بلحسن الرواحي العبسي الأعمى[1]، فمن مدحه له شعراً :

متى جنَّ بي ليل وبان شروق ... أجد سكر حُبّ لستُ منه أفيقُ
لذكري من عايشته الليل أسودا ... ووجهاً يحاكي البدر ثم يفوقُ
لغانية تحكي الغصون تثنياً ... وتخجل نشر المسك وهو سحيقُ
عرفنا بهاً دين الصبابة كُلَّهُ ... وبان لنا معناه وهو دقيقُ [٩١٥]
فلي بلقاها في المضيق وساعة ... ولي بنواها في الوساع مضيقُ
أذوب إذا أُدخلت جنّات وصلها ... حذار فراق للعذاب يذيقُ
وأثلجُ في نار الصدّود ترجياً ... لوصلٍ يُسلّي القلب فهو مشوقُ
فيا جيرتي ذمّ التقرّبِ والنوى ... ومدحهما منها عليَّ يضيقُ
كعذل عذولي في الحبيب يسوءني ... ولي منه تذكار الحبيب يروقُ
فشكر عذولي للمسيء تشكّر ... ونكرانه بالمنعمين عقوقُ

---

[1] راشد بن سعيد بن بلحسن الرواحي: شاعر، ضرير، جيد الشعر، حاذق ماهر، ذكره المؤرخ ابن رزيق في كتابه الفتح المبين، وإنه مدح الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي بعدّة قصائد. انظر: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان، ج١، ص ١١٣.

ولي مـــن أحبـــائي فريقـــان إن أتـــى فريق مضى من حـــين ذاك فريـــقُ
وكــــل فريـــق ســـافروا ففقــــدتهم عيـــوني وقلبـــي للفريـــق رفيـــقُ
وما تـــرك تـــشييع الحبيـــب مودّعـــاً ولا البـــين عـــن خـــلٍ ألـــمَّ يليـــقُ
وكـــل رحيـــق مـــن حبيـــب رشـــفته يصير إذا مـــا بـــان وهـــو حريـــقُ
ولـــست علـــى هـــذا الغـــرام بقـــادر ولـــست لـــسلوان الحبيـــب أطيـــقُ
إذا شـــئت ســـتراً للهدايـــة والتقـــى فمـــا لهمـــا غيـــر الإمـــام طريـــقُ
يقـــود بفتيـــاه العُمـــاة إلـــى الهـــدى وســـحبُ المنايـــا للعـــداة يـــسوقُ
فتى يلحق الأملاك مـــا هـــو طالـــب ولـــيس لـــذي ملـــك إليـــه لحـــوقُ
عـــــدوّ لأعـــــداء الإلـــــه وإنـــــه لكـــلّ مطيـــع للإلـــه صـــديقُ
دع الناس وامدحـــه بمـــا شـــئت إنـــه من النـــاس طـــرّاً بالمـــديح خليـــقُ
فمـــن مثلـــه بالمعـــدمين وبالـــذي يـــدين بمـــا جـــاء النبـــي شـــفيقُ
له برج عـــزّ يُبـــصَرُ الـــنجم تحتـــه وأثـــواب حلـــم نـــسجهنَّ صـــفيقُ
ودوحة مجد في سما المجـــد فرعهـــا وفي الحرب عـــدلاً للـــواء يريـــقُ
أيا من زكى أصلاً وفرعاً ومـــن لـــه لطيـــب المعـــالي كلّهـــنَّ عبـــوقُ
هنيئـــاً لنـــا والـــدهر إن عـــداتنا رأوا فيه مـــا لا يـــشتهى ويـــروقُ
هم الجنّ لا يهوون ينجوا من الـــردى فتـــى لـــسليمان النبـــي شـــقيقُ
فقل لهـــم يـــا جـــنّ إنّـــي لـــم أمـــت ألا فالبثوا في ذا العـــذاب وذوقـــوا
ولا تخشى من كيد العـــداة ومكـــرهم فمـــا مكـــروا إلا بهـــم ســـيحيقُ
ودُمْ فـــي أمـــانٍ لا تـــشاب بخيفـــة وعزّ مكـــان الـــذلّ عنـــه ســـحيقُ
و هـــاك نظامـــاً إن فتحـــت ختامـــه بليـــل بهـــيم بـــان فيـــه شـــروقُ
فللعـــين أنـــوار وللأنـــف عنبـــر و مسك وفي ثغر المحـــبّ رحيـــقُ
سقى الله أرضـــاً أنت فيها من الحيـــا فلي منك من بعد الصبوح غبوقُ [٩١٦]

ومـــالي بـــذا فــضل عليــك مــدايح ومـــالي بـــذا عــزّ ســـواك وثـــوقُ
ولا زلت بحـــراً فيـــه يــسبح مجــده مطيعك نـــاجٍ والعــصيُّ غريــقُ[1]

وقال أيضاً يمدحه:

يـــا أحمـــد النـــاس إســـما وأعـــدل النـــاس حُكْمـــا
وأكبـــــر النـــــاس عقـــلا وأكثـــر النـــاس حلمـــا
وأوســـع النـــاس جـــودا وأغـــزر النـــاس فهمـــا
يـــا أحمـــد بـــن ســـعيد ذو عنـــده المجـــدُ تمّـــا
خيـــر الأئمـــة طُـــرّاً ذو صـــار للجـــود خـــصما
يهنـــيكم يـــوم شـــهرٍ خيـــر الـــشهور يُـــسما[2]

وقال أيضاً يمدحه:

لياليــا بوصــل الحــيّ عــودي فـــإنّ بوصـــلهم يخـــضرُّ عـــودي
ويـــا ذات الخلاخـــل بـــدّلينا زمان الوصل من زمـــن الـــصدودِ
إذا واصـــلتني يومـــاً و أحيـــا الحيـــا روضـــات أربعنـــا بجـــود
فتجني الأيـــدي ورداً مـــن غـــصون وتجني العـــين ورداً مـــن خـــدودِ
وإن لـــم تـــسمحي بالوصـــل يومـــاً وشـــئتي قتلنـــا مـــن صـــدّ غيـــد
فلـــيس بـــضائري بخـــل الغـــواني وجود أبي الفضائل فـــي الوجـــودِ
فقالـــت مـــن فقلـــت لهـــا جـــواد طويـــل نـــداه مـــن بحـــرٍ مديـــدِ
فقالـــت مـــن فقلـــت لهـــا مليـــك أخـــو عـــزّ وذو بـــأس شـــديدِ
فقالـــت مـــن فقلـــت لهـــا إمـــام أخـــو عـــدلٍ وذو رأيٍ ســـديدِ
فقالـــت مـــن فقلـــت فتـــى ســـعيد فقالـــت مـــن فقلـــت البوســـعيدي

---

[1] انظر بعض أبيات القصيدة في:ابن رزيق، حميد بن محمد:الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين، ص٣٢٣.
[2] انظر الأبيات في، الخصيبي، محمد راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان،ج١، ص١١٤.

إمـــام عـــادل زاكـــي الجـــدود حـــسامٌ صـــارمٌ ماضـــي الحـــدودِ
أشـــاد المجـــد بالـــسُمُرِ العـــوالي وزان الـــدهر بالـــذكر الحميـــدِ
ويأخـــذ أخـــذ مقتـــدر عزيـــز ويعفـــو عفـــو غفّـــار ودودِ
لـــه فـــضل علـــى الأمـــلاك طـــرّاً كفضـــل المـــالكين عـــى العبيـــد[1]

وقال أيضاً يمدحه:

لنـــا برضـــاكم نـــضرة وســـرور وطـــول بقـــاكمُ جنّـــةٌ وحريـــرُ
مزخرفـــة مـــن حـــسنكم وجمـــالكم وكوثرهـــا للغانيـــات ثغـــورُ
ورضـــوانها تخميـــشكم وخلودهـــا بقاكم ورغم الحاسدين قـصورُ[٩١٧]
صلونا فطيب العيش والبـشر والهنـا يواصـــلنا مـــن وصـــلكم ويـــزورُ
فلم نَرَ شمـسـاً قـبلكم فـي غياهـب ولا بـدر تـمّ فـي النهـار ينـورُ
ولا ظبي رملٍ فـي الخيـام مبرقعـاً ولا غـصن بـانٍ ينثنـي ويـسيرُ
نزلتم بقلبـي ثـم غبـتم بـه جـوى فـأنتم وقلبـي غُيَّـبٌ وحـضورُ
تحلّون فيـه والجـوى فيـه لا عـج فهـا هـو مـنكم جنّـة وسـعيرُ
يؤمِّـل منـي أن أمـلّ عـذابكم جهـول بأديـان الغـرام كفـورُ
وكيف سلوي عـن هـواكم وحـبّكم تجـدّده لـي غـدوة وبكـورُ
يهـيج أحزانـي إذا مـا لبعـدكم لنـا فـاح مـنكم عنبـر وعبيـرُ
أسير ودمعي فـي الـصبابة مطلـق وقلبـي فـي قيـد الغـرام أسـيرُ
و لي ظبية تبـدي النفـار لنـاظري وفـي خـاطري سـفح لهـا وبريـرُ
لهـا شـفة تحكـي العقيـق ومالهـا نظيـر وورد الـوجنتين نـضيرُ
مناطقهـا تنفـي الهمـوم كأنّهـا منـاطق داود بهـنَّ زبـورُ
يجـور علينـا قـدّها وهـو عـادل فـوا عجبـي مـن عـادل ويجـورُ

---

[1] انظر البيت الأول فقط في المصدر نفسه، ص ١١٤، و احتفظ لنا ابن رزيق بالقصيدة كاملة في مخطوطته هذه.

ويـــا أســـفا إن جـــاد يـــوم بوصـــلها يجـــد بجفاهـــا أشـــهر ودهـــورُ
ولكنّني إن شف جــــــسم فراقها فإني على ريب الزمان صـــــبور

و إن جـــادت الأيـــام لـــي بوصـــالها فـــإني لمـــولاي الإمـــام شـــكورُ
هو ابـــن ســـعيد البوســـعيدي أحمـــد مغيث الورى غوث الـصريخ مجيـرُ
صغير لـــدى الإســـلام وهـــو كبيـــره صـــفوح عـــن الجـــانيّ وهـــو قـــديرُ
جـــواد إذا ضـــنّ الغمـــام بمائـــه حلـــيم لـــزلاّت المـــسيء غفـــورُ
إمام له فـــي العـــدل حُـــسْنٌ وســـيرةٌ بها مـــات كفـــر كـــان قبـــلُ وجـــورُ
وســـيف لهامـــات الرجـــال مُفَلّـــقٌ وكـــفّ وكـــوف للعفـــاة مطيـــرُ
فمن علمـــه يهـــدي الأنـــام وحلمـــه يخـــفّ لديـــه يـــذبل وثبيـــرُ
بـــه تختفـــي الأمـــلاك ذلاً وهيبـــة وبالـــشمس تخفـــى أنجـــم وبـــدورُ
أســـنّته يـــوم الكفـــاح بـــوارق وانملُـــهُ يـــوم الـــسماح بحـــورُ
فمـــن عزمـــه يـــوم القتـــال وبأســـه تـــسير الرواســـي والـــسماء تمـــورُ
ومـــن لطفـــه يـــوم النـــوال وجـــوده غدا ولـــه مـــا فـــي البحـــار نَظيـــرُ
فتى هو محبوب الهدى و هو مخبـــر رواة حـــديث الفـــضل عنـــه تـــشير
تصرف فعل الخير منه فمـــن مـــضى به سار والآتـــي بـــه ليـــسيرُ [٩١٨]
إذا ارتفعت سحب الندى فهـــو فاعـــل يعـــود إذا شـــحّت إليـــه ضـــميرُ
أيا ابن الكرام الـسابقين إلـــى العلـــى ومـــن فـــضله بـــين الأنـــام كبيـــر
فلا تخشَ من كيـــد العـــداة ومكـــرهم فـــسعدك فـــي ســـبع الطبـــاق يـــدورُ
وســـيفك جـــرّاحٌ وأنـــت مظفّـــرٌ ووجهـــك وضّـــاح وأنـــت منيـــرُ
وهاك مـــن الـــنظم البـــديع قـــصيدة لهـــا بـــصدور العـــارفين خـــدورُ
فحمـــداً لربّـــي إذ براني بمنّـــه فقيـــراً بـــدهر أنـــت فيـــه أميـــرُ

وهاك من العبـد الأقـل تحيّـة ... يطـول لـديها العمـر وهـو قـصيرُ
وأحسن حالي أننـي لـك خـادم ... صـغير وحظّـي مـن لـدنك كبيـرُ
ودم وابق محروس الجناب موفقاً ... لك الله فـي كـل الأمـور نـصيرُ (١)

وقال أيضاً يمدح ابنه هلال:

طلاب المعالي تحت ظـل الـصوارم ... وفوق كعوب الـرمح نيـل المكـارم
وإن مثال المجد في النـاس والنـدى ... بـضرب سـيوف وابتـذال الـدّراهمِ
ومـا العـزّ إلاّ أن تبـثّ لهيبـه ... بأفئـدة الأعـدا وكـل مخاصـمِ
وما المال إلاّ ما يقـيك مذمّة ... ويكسوك من أثـواب عزّ نواعمِ
و ما مفخر الإنسان إن كنـت فـاخراً ... سـوى بـالتقى لا بالعظـام الرمـائم
ومـا يـدرك العليـاء إلاّ مهـذّب ... لـه كـرم يـزري بجـود الغمـائمِ
ولا يرتقي في الناس من درج العلـى ... سوى رجل عارٍ مـن العيـب سـالمِ
ولا يستحق المدح منهم سوى امريءٍ ... عفيف مصون العرض ماضي العزايم
وأولى الورى بالملـك مالـك أمـره ... يـصمُّ ويعمـى عـن مـلام اللـوائمِ
لـه سـيرة غـرّاء فاضـحة الـسنا ... بها ينمحي داجـي العمـى والمظـالمِ
كسيرة مولانـا هـلال الـذي سـما ... به الـدين والإسـلام فـوق النعـائمِ
سـليل الإمـام البوسـعيدي أحمـد ... مليـك سـما فـي فرعـه والجـرائمِ
طوى الجور عدلاً بعد ما نشر الهدى ... وأوضـح للحـق المنيـر المعـالمِ
فتىً خُصّ بالتأييد فـي كـل محفـلٍ ... مـن الله والتوفيـق بـين العـوالمِ

---

(١) انظر البيت الأول فقط في المصدر نفسه، ص ١١٤، و احتفظ لنا ابن رزيق بالقصيدة كاملـة في مخطوطته هذه.

وأعطاه مالم يعطه الله لامرئٍ — وجازاه من بعد الرضى بالمغانمِ

فيا أيها الناس استضيئوا برأيه — ففي رأيه إنجاح مطلب رائمِ

ويا أيها الباغي فإن إمامنا — ضمين له بالنصر باري النواسمِ

فإن أباه قاتل كلّ معتدٍ — بأسيافه أضحى طعام القشاعمِ [٩١٩]

فسل عنه وديان السعادي وقفرها — بما فعلت فيهم شفار الصوارمِ

وسل بعدها ساحات فرقٍ وطيمسا — وكرشي ونزوى من طلى وجماجمِ

وقائع ما شاعت وقائع تغلب — كما شاع ذكراها بأقصى الأقالمِ

تحدّث عنها غافر وريامها — وجابرها من هولها والعظائمِ

أهالت لقوم خالفوا الحق وانثنوا — إلى خيبة قد أقرعوا سنّ نادمِ

يتيهون في البيداء منهزموهم — فلا يهتدوا كلاً مثال البهائمِ

وجرحاهم تنساب في كل مهمه — لهم من تأذيهم نقيق البغائمِ

فذلك نصرعزه خذل العدى — وفتح يحلّ المربحات المباهمِ

بقيتم بعون الله للناس رحمة — وغيثاً لمستجدي وليث الملاحمِ

وما برحت أعداؤكم نهب غصّةٍ — فما تهتني في العيش طيب المطاعمِ

وهاكم من المملوك نظماً تضاعلت — لديه عقود النظم من كلّ ناظمِ

يفوح عبيراً في الأنوف أريجه — وكالشهد في الأفواه من كل طاعمِ

تخال معانيه نجوماً برقة — بل الروض في غبّ الحيا المتساجم

وألفاظه تحكي النسيم لطافةً — وهن على ذي الحقد لفحة جاحمِ

شفاء لمن والاه من كل علّة — ولكنّ للأعدا صداع الجماجم

ودم لا عداك النصر في كل غزوة — يحفُّ بك التوفيق عند التصادم[١]

---

[١] بعد المراجعة والتدقيق تبين لنا أن القصيدة غير موجودة في مصادر الأدب العماني الآخري المطبوعة منها والمخطوطة، وبذلك يكون ابن رزيق قد حافظ على العمل الأدبي لهذا الشاعر والأديب، وأوصله إلينا في مخطوطته هذه.

وقال أيضاً يمدح الإمام أحمد بن سعيد شعراً:

سـفرت فـي ليلـةٍ وسـط شـهرٍ ... فتحاكـا بـدر الـسما والجبـينُ
فبـدا بالـسماء بـدر منيـر ... وبـدا بالفتـاة وجـه حـسينُ
وكـستنا ثـوب الجهالـة لمَّـا ... أشـركتها والبـدر منهـا العيـونُ
فتولت وأظهـرت لـي مـن خـو ... ف أتاهـا مـا يظهـر المغبـونُ
ثم جـاءت بكامـل الحسن لـيلاً ... قد عرا البـدر فيـه نقـص مبـينُ
فأتـت آيـة يـصدقها مـن ... قرعـت بـاب أذنـه ياسـينُ
فتبينـت أن تـشبيهها بـا لبـد ... ر منّـى هـو الخطـأ المبـينُ
كيـف شـبّهت نخلـة ذات قنـوا ... ن بـشيء كأنـه عرجـونُ
ثـم كلّمتهـا اعتـذاراً ومـا قلـتُ ... متى الوصـل مِنْـك لـي سـيكونُ
ثـم قالـت إنّـي لراضـية عنـك ... فمـاذا بقلبـك المكنـونُ
قلت أهـوى أن تـسعفيني بوصـلٍ ... منك يشفي فؤادي المفتـونُ [٩٢٠]
ثم قالت هـل غيـر ذا قلـتُ نيـلٌ ... مـن إمـامٍ يوليـه كـفٌّ هتـونُ
فيعـادي خـصاصتي النيـل منـه ... وضـناي سـريرك الموضـونُ
ثم قالت أبـشر بوصـلي إذا جـا ... دك مـن أحمـد سـحاب هتّـونُ
فـإذا مـا دخلـت منـه جنانـا ... فأنـا فـي الجنـان حـور عـينُ
فتولّـت وخـاطري فـي لقاهـا ... ونـداه معلّـق مرهـونُ
واسـتوى وعـدنا كـذا وظننـتُ ... الخير فيمن فيـه تُـصيبُ الظنـونُ
أيهـا العـادل الإمـام المرجـى ... الفاضل الكامـل العزيـز الأمـينُ
عش على نعمة عزيـزاً فمـا مـن ... حركـات إلاّ لهـنّ سـكونُ
و اهنَ بالنصر إذ تولى ضعيف الرأ ... ي والبغـي وهـو خـاز حـزينُ

فهم العـاجزون عـن نيـل ملـكِ وعن الـوطىء يعجـز العنـين[1]

وقال أيضاً يمدحه:

قـف بالـديار الباليـات مـسائلاً عمـن بهـا قـد كـان قـدماً أهـلا
دِمَـن بهـا جـرّرت ذيـل شـبيبتي وغـدوت فيهـا للغـزال مغـازلا
أونست جـوف العيـر أو حـش منـزل وعفـت ربوعـاً بعـدهم ومنـازلا
ولقـد وقفـت فكنـت جـسماً نـاحلاً مـا بـين أربعهـم وقلبـاً ذا هـلا
رمـت الـوداع لهـم غـداة رحـيلهم فوجدت حزني عن وداعـي شـاغلا
فألفتـه وفقـدت صـبراً حاميـاً فعدمتـه وصـحبت شـجواً قـاتلا
فغـدوت فـي ليـل الـصدود مـضللاً إذا أصـبحت تلـك البـدور أوافـلا
غيد يرين الـشمس فـي غـسق الـدجى وغصون رملٍ فـي النهـار مـوائلا
كيـف الخـلاص إذا بـرزن بزينـة إذ هـن يـصبين الحلـيم عـواطلا
ويمسن ميس الغـصن فـي كثـب النقـا ويقعن فـي فـود الرجـال ذوابـلا
قد قلت إذ عـدل الزمـان عـن الهـدى فـيّ وجـار القـدُّ منهـا عـادلا
لا غـرو إن ذهـب الحـسان بحـسنها وأتى إلى الإحسان يـسعى واصـلا
من عند رب الحمد ربّ المجد سيف الهند زاكـي الجـدَّ يـولي النّـايلا
البوسـعيدي الإمـام بـن الهمـام وكا الغمـام غـداة يـسخوا سـاجلا
تـاج الإمامـة ذي الكرامـة أحمـد ذو للورى بـالرزق أضـحى كـافلا
يبـدي التكبّـر حـين يلقـى ظالمـاً ويري التصغّر حـين يلقـى العـائلا
كالبـدر بـل كالغيـث فـي أوصـافه يهدي مضيئاً ثم يخصبُ هاطلا [٩٢١]
لـو جـاد بالـدنيا لأظهـر عـذره ولقـال ذلـك لـيس يكفـي سـائلا
وتـراه يـوم الجـود غيثـاً وابـلاً وتـراه يـوم الحـرب ليثـاً باسـلا

---

[1] بعد المراجعة والتدقيق تبين لنا أن القصيدة غير موجودة في مصادر الأدب العماني الأخـري المطبوعة منها والمخطوطة، وبذلك يكون ابن رزيق قد حافظ على العمل الأدبي لهـذا الـشاعر والأديب، وأوصله إلينا في مخطوطته هذه.

فيعـــدّه الإســـلام ســـيفاً ماضـــياً وتعـــدّه الفقـــراء ســـيلاً ســـائلا
يرد الوغى جـدلان لا يخـشى العـدى كـأخي الغـرام رأى حبيبـاً قـائلا
يقـضي لـديهم فـي الرمـاح فرائـضاً ويزيـد مـنهم بالـسيوف نـوافلا
لـو كـان منـه البحـر أصـبح مـاؤه عذباً يطيـب لـدى الظمـاة مناهلا
أو كـان بـدر الأفـق مـن أنـواره ما كان ينقص حـين يمـسي كـاملا
وكذاك ضوء الـشمس لـو مـن عدلـه لم يأت ليـلٌ وهـو يمـشي زائـلا
أو كـان غيـث الـسحب مـن راحاتـه ما كان يقلـع عـن مكـان راحـلا
يـا أيهـا الملـك المتـوّج والـذي يمـسي ويـصبح للمكـارم فـاعلا
إنـي لجـأتُ إليـك ملـتمس الـذّرى لا تـشمتنَّ بـي العـدو الـصّائلا
ولقـد علمـت بمـا أردت فجـد بـه لأكـون مـن بـين البريّـة قـائلا
مطرتنـي الـدنيا غـداة وردتـه عرفـاً وأولانـي عُـلاً وفـضائلا[1]

وبالجملة، إن سيرة الإمام أحمد بن سعيد وشيمته وسيمهُ ، وأخلاقه كريمة، وهمته عظيمة. وكانت وفاته في حصن الرستاق، سنة ثمان وثمانين سنة ومائة سنة بعد الألف. وترك من الأولاد الذكور سبعة: هلال، وسعيد، وقيس، وسيف، وسلطان، وطالب، ومحمد، ومن الإناث ثلاث، ما وددت ذكرهنّ، للزوم الأدب. ودفن غربي حصن الرستاق، وبنى على قبره ولده سعيد بن أحمد قبة محكمة البناء، وقبره مزار إلى هذه الغاية سنة تسع وستين ومائتين وألف، ولمّا مات الإمام أحمد بن سعيد، اجتمع أكابر أهل الرستاق، وغيرهم من أهل عمان، فعقدوا الإمامة على ولده سعيد ابن أحمد، وكان مرادهم أن يعقدوا على ابنه هلال، لكنه قد استولى على عينيه الماء، فذهب بصره، فمضى إلى أرض السند، فمكث أياماً قلائل بأرض ديول، ثم مات فيها، وقبره مشهور بديول، وعليه قبّة محكمة البناء.

---

[1] انظر الأبيات الخمسة الأولى من القصيدة في: ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين، ص٣٤٣-٣٢٤، في حين احتفظ لنا ببقية أبياتها كاملة في مخطوطته هذه.

الإمام سعيد بن أحمد:

الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي. كان الإمام سعيد هـذا شُجاعاً شهيراً، فصيح اللسان، ناظماً للشعر، عارفاً بمعناه وبيانه، مميزاً بين الشعر البذي، والشعر الحسن، وإذا تحدّث، لا يُمَلُّ حديثه، إذ أكثره حِكَمٌ، وخلصت له بعد أبيه أحمد حصون عمان قاطبة، إلاّ حصن صحار، فإنه صار في يد أخيـه قـيس، وحصن نخل، إذ هو من زمن أبيه الإمام أحمد في يد محمد بن سليمان اليعربـي، كما ذكرنا أولاً. وقد غزا الإمام سعيد، لمّا بويع له بالإمامة، أرض السّر مـراراً، فقتل عدّة رجال من بني غافر، وقتل شيخ العبريين بالحمرا، وهابته أهل عمان هيبة عظيمة، ومضى ذات سنة إلى نزوى، فمكث فيها أياماً يسيرة، وذلـك أنـه بلغـه [٩٢٢] عن أهل نزوى أنهم يكاتبون الشيخ العالم أبا نبهـان جاعـد بـن خمـيس الخروصي، ليعقدوا عليه الإمامة، وإنهم قد كرهوا سيرته، وتحدّثوا عنه بأحاديـث غير صالحة، وكان ذلك منهم صحيح، وتحدّث سائر أهل عمان كذلك، بذلك الحديث عامّة. فمضى الشيخ جاعد بن خميس إلى نزوى، ومعه ناس قليلون، ليأخذ صحّة ما عوّلوا عليه من الأمر، من ألسنتهم، فأدخلوا الشيخ جاعد حجـرة العقـر لـيلاً، والإمام سعيد في قلعة نزوى، لم يشعر بدخول الشيخ جاعد الحجـرة، ثـم انفلّـت عزيمة أهل نزوى، بعدما أدخلوا الشيخ جاعد الحجرة، ولام بعضهم بعضاً، وكثـر نجواهم، وقال بعضهم لبعض : إنما الرأي الصائب أن نخرج الشيخ جاعـد مـن الحجرة، قبل أن يعلم به الإمام أنه في الحجرة، فأتت الشيخ جاعد امرأة عجوز من بني عبيدان، فأخبرته عمّا عزموا عليه من قبله أهل نزوى، وأشارت إليه بالخروج من الحجرة، قبل أن يشعر الإمام سعيد به، وقالت له: أخشى عليك منه، إذ أنـت لا عندك كثرة رجال، وصرت بالحجرة، كالأسير، وأهل نزوى، بعدما كـانوا إليـك، صاروا عليك. وكان الشيخ جاعد قد استراب من أهل العقر كثرة نجواهم ببعـضهم بعض، وتمويههم له بالحديث، وسعى رجل من أهل حجرة العقر إلى الإمام سعيد، وهو نائم في تلك الليلة بالقلعة، فأخبره بدخول الشيخ جاعد الحجرة، وأن أهل نزوى قد انقلبوا عنك، إلى الشيخ جاعد بن خميس، فلمّا سمع منه هذا، هبط من القلعة إلى الأرض بحبل، وركب ناقته، ولم يخبر بشأنه أحد، فمضى إلى الشرقية، فجمع خلقاً

كثيراً من الأعراب والحضر. وأمّا الشيخ جاعد، لمّا ترادف عليه الأرتياب من أهل حجرة العقر، خرج من ليلته، وقصد داره العليا. وأتي الإمام سعيد إلى نزوى بجيشه، فأخبروه بدخول الشيخ الحجرة، بغير أذن منهم، فأخرجوه منها كرهاً، واعتذروا بذلك إليه، وكان الإمام قد غلب عليه الغضب، فركض بجيشه على سمد الكنود، فهزم أهلها، وأخذ جيشه ما وجده في حجرات سمد من المال، فما تركوا شيئاً فيها من آنية، وسلاح، وتمر، وسكر، وغير ذلك، إلاّ أخذوه، وبلغ هزيم أهلها إلى الجبل الأخضر، ثم إن أهل سمد الكنود أتوا إلى الإمام سعيد، واعتذروا إليه، وقالوا: ما علمنا بدخول الشيخ جاعد حجرة العقر، إلاّ بعدما أخرجوه أهلها منها، وأدّوا له الطاعة، وأذعنوا له انقياداً، فرضي عنهم، وسامحهم عمّا مضى، فرجعوا إلى حللهم ومكاناتهم، ثم إن الإمام سعيد، قد أحدث أحداثاً ظاهرة غير صالحة، من إهماله الرعيّة، وغير ذلك من الأمور البذيئة الفاسدة، فمقتته أهل عمان كافة، وتشاور أكابر أهل عمان في عقد الإمامة لقيس بن أحمد بن سعيد، واتفقوا على ذلك، فاجتمعوا بالمصنعة، ومعهم قيس بن الإمام، وأخوته: سيف، وسلطان، وطالب، ومحمد، أولاد الإمام أحمد بن سعيد، ثم ارتفعوا إلى الرستاق، فعسكروا بقصرى، وبعثوا إلى سعيد بن أحمد أن يصل إليهم، فأبى عن الوصول، وبعث إليهم بالضيافة، فلمّا رفعت عنهم الخواني، جعل يضربهم بالمدافع من الحصن، فخرجوا من الرستاق، وتفرق ذلك الجمع، وكلّ قد رجع إلى بلاده، ثم إنهم في السنة الثانية، اجتمعوا ثانية، لعقد الإمامة لقيس بن الإمام أحمد، فمضوا إلى نخل، وبها الوالي يومئذ، مهنا بن محمد بن سليمان اليعربي[1]، فبعث بالطعام لهم ولدوابّهم، ولمّا [٩٢٣] طلبوا منه المواجه، أبى، فخرجوا من نخل، ورجع كل واحد إلى بلاده، ووقع حرب ببلدة إزكي بين اليمن والنزار، فلمّا طال الحرب بينهم، مضى سعيد بن

---

(١) مهنا بن محمد بن سليمان اليعربي: والٍ، عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجريين،ولاّه الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي على نخل، وكان ممن كاتبهم السيد سلطان للتشاور في الأمر، بعد مقتل أصحابه في حروبه، وأشار مهنا على سلطان أن يكتب إلى أهل عمان من حد جعلان إلى صحار لأخذ المشورة، فرجع هو ومهنا على بركاء، وكتب سلطان إلى أكابر عمان كافة، وإلى أكابر بني سعيد خاصة. انظر: دليل أعلام عمان، ص ١٥٤ – ١٥٥.

أحمد من الرستاق إليهم، ومعه ولداه حمد وأحمد، فلما بلغوا إلى السحاماه، مضى إلى الشرقية، فجمع منها خلقاً كثيراً، من الأعراب والحضر، وأكثر القوم من الأعراب، فلما دلف بهم إلى إزكي، ركضت النزار على قومه، فوقعت بينهم ملحمة شديدة، وكانت الدائرة على النزار، فقتل منهم خلق كثير، ثم بعد ذلك، وقع الصلح بينهم، وصالح سعيد أيضاً بين أهل اليمن والنزار، فلمّا أراد سعيد الانصراف من إزكي إلى الرستاق، قال له ولده حمد: يا أبتي، لقد علمنا بشأن إزكي، وما وقع فيها، فما خبر مسقط، فإنك تزعم قد وليت عليها محمد بن خلفان بن محمد الوكيل، فبلغني أن محمد بن خلفان قد أخرج العسكر الذين تركتهم في الحصن الشرقي، وحصن الغربي، وحصن المطرح، وترك بدلهم عساكراً من عساكره، فإن كنت تظن أنه وال لك، فالأمر بخلاف ذلك، فقال له: ما أظن محمد لمّا أخرج العسكر الأولين، وأدخل الآخرين إلاّ لأمرٍ فيه لنا الصلاح، وبما يراه الحاضر، لا يراه الغائب، وإنّي لا أشكّ فيه بشيء يسؤنا قط، وما هو في الحقيقة، إلاّ عامل من عمالنا، فقال له ولده حمد : وإذا كان كما ذكرت الأمر منه، فابعث إليه رسولاً بكتاب هو بخط يدك، أن يرسل إليك ألف مورة أرز وألف قرش، واذكر له أنك تريد بما ذكرته في كتابك له للعسكر الذين معنا، فإن أرسل إليك كما عرفته، فأعلم أنه واليك وصاحبك الأمين، وإن أبى، فأعلم أنه ليس لك بوالٍ، ولا عامل، ولا أمين، وإنما هو كما ذكرته لك، فأجابه والده سعيد الحل ذلك، وكتب حمد، لمحمد بن خلفان في غير حضرة أبيه، وبعث رسولاً إليه، قبل أن يبعث أبوه إليه رسوله، فكان معنى ما كتبه حمد، لمحمد بن خلف، لا ترسل لأبي شيئاً من الأرز والدراهم، فإنه لمّا بلغ مطلوبة من إزكي ما فسح لقومه، إذ يريد أن يهجم عليك، ليخرجك عمّا كنت فيه، فإن الناس قد أوحشوه عنك، لمّا بدّلت بالعساكر، وشريت جملة من العبيد، وأكثرت إحسانك لصبيح الضوياني، الذي تركته في الحصن الشرقي، وأمرته إذا أراد أن يأتي إليك، أو يمضي في سكك مسقط، فليكن على صهوة حصان، وأمامه وخلفه العسكر، يمشون مشية الأسود الضواري، ثم أكثرت إحسانك إلى مسعود البارحي، لمّا تركته في الحصن الغربي، فأضحى لا يتعمّم إلاّ بالشالات الكشميرية، فلا شكّ إذا بعثت إليه بما أراده منك، أن يصلك بخيله ورجله، فيعزلك، وإذا سلمت

من القتل. وكانت تلك مكيدة من حمد، وحيلة يريد بها أن يصير الأمر إليه، لا إلى محمد، ولا إلى أبيه، فبلغ رسوله كتابه إلى محمد، قبل أن يبلغه رسول أبيه وكتابه، قال للرسول: ارجع إلى سعيد، وقل له: يقول لك محمد بن خلفان، ما معه لك أرز، ولا دراهم، فهذا جواب خطّه مني، فلما رجع الرسول إلى سعيد، وأخبره بما قال له به محمد تفصيلاً وجملة، أخذ بيد ولده حمد، فناجاه ناحية عن الناس، فقال له: لقد صدقت يا ولدي فيما نطقت، [٩٢٤] من قبل محمد بن خلفان، فإنه أبى بإرسال ما أردته منه، وذكر له ما قاله لرسوله، فقال له حمد: يا أبتي، ما قلت لك من قبله لا حقاً، فإن لي بمسقط رجالاً يكاتبوني عن صنيعه كافة، فأنت قد صرفت همتك إلى إزكي، وصرفتها عن مسقط، فلا تظن أن مسقط إليك، فقال له: يا ولدي، ما الرأي الصائب من قبل محمد بن خلفان، فقال : أرسل إليه ولدك، أخي أحمد ليناصحه، ويعرف حقيقة شأنه، ويطلع على أخباره الخفيّة علينا، ثم يرجع إلينا بالجواب منه لنا، ولسنا بمنصرفين من إزكي إلى الرستاق، ولا لغيرها، حتى يرجع إلينا ولدك أخي أحمد. فلما أراد سعيد أن يبعث ولده أحمد إلى محمد بن خلفان، كتب حمد إليه من غير حضرة أحد، ومعنى كتابه إليه، إذا أتاك أخي أحمد، احبسه، وقيّده، قبل أن يحبسك، ويقيّدك، فإن أبي سعيد قد أمره بحبسك وقيدك، فإذا فعلت به ذلك، قطعت طمعه فيك، وطمعه في مسقط. وأنفذ كتابه على يد أحد خاصته، فوصل إلى محمد، قبل أن يصل إليه أحمد، فلمّا وصله أحمد، حبسه، وقيّده في غرفة الجزيرة، وهرب أصحابه إلى إزكي، فلمّا أتوها، أخبروا سعيد بما جرى على ولده أحمد، فتغيّر وجهه، وقال لولده حمد هذه عاقبة رأيك، الذي زعمت أنه هو الرأي المصيب، فإن أخاك أحمد، قد حبسه وقيّده محمد في غرفة الجزيرة، فما هذه إلاّ رزيّة عظيمة، فقال له حمد: يا أبتي، الرأي أن نمضي إلى مسقط، ومعنا مائة رجل لا زيادة، فنمكث في روي، ثم أنا لأمضي إلى محمد بن خلفان، فأخلص أخي من حبسه، وأتيك به، إن شاء الله، فقال له: يا حمد، أما تكفي الأولى عن الأخرى، فإن أخاك قد صار في الشبك، تريد أنت أن تصير في ذلك الشبك الذي صار فيه أخوك، فقال له: ذر الوسواس وطاوعني في هذا الأمر، وجعل يكثر إلى أبيه من نظائر هذا الكلام،

فأجابه على ذلك، فبعث حمد رسولاً بكتاب إلى محمد بن خلفان[1]، يقول فيه: إذا وصلك كتابي، أحشد أهل مسقط والمطرح وعسكرك وخدامك، وعسكر بهم في سيح الحرمل، فإذا بلغك عنّا أننا قد وصلنا إلى روي، ابعث إلينا رسولاً ومعه كتاب منك لوالدي، إن كنت تريد إطلاق ولدك أحمد، فليأتني ولدك حمد، وامكث أنت بمن معك في روي، فإن قدمت علينا، فترى قدمنا عليك بخيلنا ورجلنا، والسلام. فلما بلغ محمد رسول حمد وكتابه، حشد أهل مسقط والمطرح وسائر عساكره وعبيده، فعسكر بهم في سيح الحرمل، فاجتمعت معه رجال كثيرة، ومن الخيل أربعون فرساً، ولمّا وصل سعيد وحمد إلى روي، بمن معهما، أخبرهم العوامر الساكنون روي عن كثرة الرجال الذين حشدهم محمد من مسقط والمطرح، وأنه معسكر بهم في سيح الحرمل، ومعه من الخيل أربعون فرساً، عليها فرسان كرام، فمكث سعيد ومن معه بروي، ومضى حمد إلى محمد بن خلفان، فلمّا أتاه، تصافحا، وأظهر محمد لحمد البشاشة وطلاقة الوجه، وقال له: لا عدمتك يا حمد، فإن أباك قد عزم على الأمر الذي ذكرته لي في كتبك، فقال له: ما أخبرتك عنه إلاّ بصواب، فالآن تفضل بإطلاق أخي، فإنا لنرجع به إلى الرستاق بعدِ وصوله إلينا، وكن أنت مكانك، لا تنازع فيه، وأنّني لأتيك بعد وصولنا إلى الرستاق [٩٢٥] عن قريب، لإطفاء النائرة، وصلح الحال بينك وبين أبي، فأجابه محمد على ذلك، وفسح لأحمد من الحبس، فلمّا وصلا إلى أبيهما، رجعوا إلى الرستاق، ورجع محمد بن خلفان إلى مسقط، وقد يئس سعيد بن الإمام من مسقط، وما شكَّ أنها صارت إلى محمد، فلمّا مضت بعض الأيام، قال حمد لأبيه سعيد: يا أبتِ ألك حيلة في إخراج محمد بن خلفان من الولاية، وفي قبض معاقل مسقط لنا منه بغير حرب ؟ فقال : لا، وكيف يكون ذلك؟ وقد صارت لمحمد هِممَ عالية، وأضحى معه المال والرجال، فالاحتيال كما أرى عليه متعّذر، فقال حمد: أرأيت إذا عملت فيه الحيلة، وبلغت بها المطلوب منه، وصار مما في يده في يدي، أتعاهدني أن تتركه لي، وتضيف إلي ما ملكت

---

[1] محمد بن خلفان بن محمد الوكيل: وال، عرف بالوكيل، عاش في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجريين، ولي مسقط من قبل الإمام سعيد بن أحمد بن سعيد ألبوسعيدي. انظر دليل أعلام عمان، ص ١٤٥.

يمينك من حصون عمان كافة، إلاّ الرستاق، ولك مني الطاعة، وامتثال الأمر فيما يرضاه الله تعالى؟ فقال له: نعم، وكيف لا أعاهدك على ذلك، وكل الذي يصير إليك صائر إليّ؟ فقال له: إني لأمضي إلى مسقط، فإذا أتاك كتابي مع الرسول الذي أبعثة إليك، فأسرع بالوثبة إلى مسقط ممن معك من العسكر، فقال له أبوه: للّه درك، سمعاً وطاعة لك، فانفصل حمد عنه إلى مسقط، ومعه مائة رجل، وأخذ من أبيه ألفي دينار، فلما وصل إلى مسقط، أجلس أصحابه حذى الجزيرة، ومضى هو بنفسه إلى بيت الوكيل خلفان بن محمد، وكان محمد مسكنه في ذلك البيت، فلمّا كان بالغرفة التي يجلس فيها محمد للناس، خرجا إليه خلفان وأبنه محمد، فتصافحوا، وقدّم له الطعام، فلمّا فرغ من الأكل، قال حمد لخلفان بن محمد: أيها الوالد الحليم، لقد أتيت إليكما لصلح الشأن وإطفاء النائرة بين والدي وولدك محمد، فليدفع محمد إلى أبي في كل سنة كذا وكذا من المال، وخفّف في الدفع، ولمحمد ما قبضت يده من المعاقل، لا ينازعه فيها أبي، فقالا له: له ذلك، وطلب منهما رخصة المقام له في مسقط ثلاثة أيام، فقالا له: إن البلاد بلادك، فأقم بها ما شئت، وطلب منهما أن يخليا له ومن معه البيت المسمى بيت النوّاب، فقالا له: سمعاً وطاعة، فأخليا له ومن معه بيت النوّاب، وسيقت له ولقومه الفرش الخطيرة، فجلس هو ومن معه في بيت النوّاب، فلمّا عسعس ليل ذلك النهار الذي وصل فيه، حمل معه خمسمائة دينار، ومضى إلى الحصن الشرقي، ومعه من أصحابه خمسون رجلاً، فلما بلغوا إلى بابه الأول، نادى حمد صبيح الضوياني، أمير عسكر الحصن، فأتاه، وأدخله هو ومن معه الحصن، فقال حمد: يا صبيح، إنك كفرت بالنعمة التي خوّلك بها أبي أيام مقامك معه في الرستاق، فصرت لنا، بعدما أنعمنا عليك، عدوّاً أزرق، ما حملك على هذا يا صبيح؟ فقال: أبي يقرعك السلام الجزيل، وأعطاني هذه الدنانير إليك، وأمرني أن أقعد معك في الحصن، حتى يأتي هو ومن معه إلى مسقط، وأمرني أن تعصي محمد بن خلفان، ولا تطيعه في كل شأن، فإذا أتى إلى الحصن، أو أتي أحد من قبله، أمنعه من الدخول، فإن عزم [٩٢٦] أن يدخل عليك قسراً، أضربه بالتفق والمدفع. فأجابه صبيح إلى ذلك، فلما علم حمد أنَّ صبيح قد مال إليه كل الميل، ومال عن محمد بن خلفان بكل الميل، هبط هو بنفسه من الحصن، وترك أصحابه

الذين دخلوا معه في الحصن، فأتى إلى أصحابه الباقين بالبيت، فقال لهم: قوموا، فقاموا معه، فمضى بهم إلى الحصن الغربي، وكان القابض فيه من قبل محمد بن خلفان، مسعود بن أحمد البارحي، وبينه وبين حمد، قبل أن يصل حمد إلى مسقط، مكاتبات وبواعث، فقال حمد للبوّاب: افتح الباب، فإنني أنا حمد بن الإمام سعيد بن أحمد بن سعيد، فمضى البواب إلى مسعود، وأخبره الخبر، فقال: افتح له الباب، ودعه يدخل الحصن، هو وأصحابه، فإن الحصن حصنه، ونحن رعايا لأبيه وله، ففتح لهم البوّاب الباب، فلما كان حمد وأصحابه بكبد الحصن، قال حمد لمسعود: إن أبي يقرؤك السلام الجزيل، وأعطاني هذه الدنانير لك، وأمرني بقعود من معي من الرجال معك، وبمنعك لمحمد من دخول الحصن، وبترك مسيرك إليه، فإن هو أتاك، أو أتاك أحد من قبله، اضربهم بالتفق والمدفع، فقال له مسعود: سمعاً وطاعة، وتعاهدا على ذلك، فلمّا رأي حمد أن مسعوداً صار إليه، ولمحمد عليه، ترك أصحابه معه، وخرج هو بنفسه، يريد الحصن الشرقي، وإنما هذا الشأن كله، تمّ في ليلة ذلك النهار الذي وصل فيه إلى مسقط، وكتب لمّا رجع إلى الحصن الشرقي إلى أبيه أن يأتيه، متى وصله كتابه سريعاً إلى مسقط، بمن معه من الرجال، وأخبره في كتابه الخبر كلّه، وكان ماجد بن خلفان بن محمد في تلك الليلة التي قبض فيها حمد على الحصنين، قد خرج من بيته إلى ناحية الجزيرة، يريد أن يمضي إلى بيت والده خلفان، ليحذر أخاه محمد بن خلفان من حمد، فرأى حمداً حذا الكار خانّة، قد أقبل من الكوت الغربي، واضعاً رداءة على رأسه، كي لا يعرفه أحد، وهو يمشي سريعاً، فأخذه الشكّ فيه، فتارة يقول في نفسه هذا حمد، وتارة يقول غيره، فاتبعه، حتى دخل الكوت الشرقي، فلمّا دخله، أيقن أنه حمد، فرجع وأسرع في مشيه، حتى أتى إلى بيت أبيه خلفان، فقرع الباب، فخرج إليه أبوه خلفان وأخوه محمد، فأخبرهما بما شهد، وقال لهما: لا شكّ أن الرجل هو حمد بن سعيد، فقال له أخوه محمد: دع عنك هذا الكلام، فإن حمداً صاحبي، وأسراره معي، وهو لي صديق صادق، ثلّج قلبك، وخالف الوسواس، فقال له ماجد: يا أخي، إن كنت في شكّ من قولي، امضِ معي إلى بيت النوّاب، فإن رأيناه هو ومن معه في البيت، فوقوع الغلط منّي، وإن لم نجده، ولم نجد أصحابه في بيت النوّاب، فأعلم إني لمصيب في قولي

هذا، فأجابه أخوه محمد على ذلك، فسارا ومعهما مائة عبد وحُر، فلمّا وصلوا إلى بيت النوّاب، لم يروا فيه غير الفرش والخواني، فعند ذلك أيقن محمد أنه قد خدعه حمد، وأن مقدماته إليه كلها حيل، وقد بلغ بحيلته ما أراد فيه، فلما طلعت الشمس، جمع محمد عبيده ومن معه من العسكر، فمضى بهم إلى الكوت الشرقي، فلمّا قربوا منه، راسل عليهم [٩٢٧] ضرب التفق من الكوت، فرجعوا إلى الحصن الغربي، فلما كانوا بالقرب منه، جعل أصحاب حمد ومسعود يضربونهم بالتفق، فرجعوا وأيس محمد من مسقط ومقابضها، فقعد في بيته.

ولمّا بلغ رسول حمد إلى أبيه سعيد بن أحمد، وقرأ الكتاب الذي بعثه إليه ولده حمد، حشد من الرستاق وغيرها رجالاً كثيرة، وأسرع الوثبة إلى مسقط، فلما دخلها، أقام بالجزيرة، وأرسل إلى ولده حمد ليأتي إليه، فلمّا بلغه الرسول، أمر حمد بضرب مدافع الكوت كافّة، وبنشر الرايات من الحصنين والصيرتين والخشب، فلما وصل حمد إلى أبيه، تصافحا، وأخبره الخبر كافة. وواجهتهما التجار وأكابر مسقط كافة، وأتى خلفان بن محمد وولداه محمد وماجد، فلما استقرَّ بهم الجلوس، قال حمد لمحمد: إنا قد عزلناك عن الولاية، وسامحناك على ما سبق منك من الإساءة والاجتراء علينا، فلك الأمان منّا، ثم تعاهدا على أن لا يخون أحدهما صاحبه، فمضى محمد إلى بيته، وبعث حمد إلى سليمان بن خلفان، فولاه على مسقط، مكان أخيه محمد، ومكث سعيد بن أحمد بعد ذلك ثلاثة أيام، ثم مضى إلى الرستاق. واتخذ حمد مسقط منزلاً ومقاماً له، فكان أكثر مقامه فيها، فإذا مضى إلى عمان وغيرها، قضى وطره، فرجع إليها، وكان بيده الحل والعقد بعمان، وهابته قبائلها هيبة شديدة، ورزقه الله النصر، فحيث ما توجه، فتح الله إليه، ولمّا نمت هيبته، وعظمت سطوته، استوحش منه سيف بن الإمام أحمد بن سعيد، وأوجس منه خيفة شديدة، فمضى سيف إلى الأموه، فتتبعه حمد، فلما بلغ إلى الأموه وجده ميتاً، فرجع إلى عمان، ثم مضى إلى وادي السحتن، فهزم عداه، وهدم بروجهم، ورجع إلى

مسقط، ثم جمع قوماً، فمضى بهم إلى بهلا، وكان يومئذ حصنها بيد راشد بن مالك العبري، ففتح حصن بهلا في يوم واحد.

أخبرني غير واحد من الناس، أن حمد بن سعيد قد جمع قوماً كثيرة من النزارية خاصة، ومن اليمنية بعض الرجال، فلمّا أتي إلى نزوى، لم يمكث فيها بعدما أكل قومه ودوابهم الطعام، وكلما سُئل عن قصده بأولئك القوم سكت، ولم يرد الجواب، ثم مضى بالجيش إلى بهلا، وقابض حصنها يومئذ راشد بن مالك العبري، ولم يشعر راشد بحمد أنه قد جمع جيشاً، ومراده به بهلا، إذ كلّ يقول: إنه لا يريد بذلك الجيش حرب بلد، بل يريد به الهيبة لا غير، فدخل بجيشه بهلا على غرّة، بعد صلاة الفجر، فلما قيل لراشد بن مالك: إن حمد بن سعيد بن الإمام أحمد قد دخل البلد، فعسكر في أعاليها وأسافلها بجيش عظيم، سلّ سيفه، ولم يكن معه في الحصن إلاّ سبعة رجال، فجعل يركض بهم على القوم، ويجالدهم بهم، وكلمّا ركض على معسكر بدّده، حتى كاد حمد بن سعيد أن يخرج من بهلا بدلفات راشد وحملاته، [٩٢٨] فلم يزل يجالد القوم في يومه ذلك إلى وقت العصر، ثم ضرب بتفق، فقتل، وقتل معه ثلاثة رجال، واحد يقال له الشمّار، وهو شجاع نجيد، وبطل شديد، فلمّا قتل راشد والثلاثة معه، أتى من أتى حمد من أهل بهلا، وقال له : ليس بالحصن أحد، فمضى إليه بمن معه، فرآه خالياً من الناس، فقبضه، ومكث في بهلا ثلاثة أيام، ثم رجع إلى مسقط، ولم يمكث بنزوى، فلمّا كان بالبركة، جعل قابض برجها الذي هو على الشريعة يضرب القوم بالتفق، ولم يكن معه أحد من الناس، فقتل كثيراً، وجرح كثيراً، ولم يقدر أحد يدنوا منه، فقال حمد لقومه: أعطوه الأمان، حتى بخروجه من البرج، فصاح القوم عليه: اخرج من البرج ولك الأمان، فقال لهم : لا أريد الأمان، ولم يزل على ذلك، حتى نفذ الرصاص عليه، فظل يقطع سلاسل خنجره بسكينه ويضرب الناس، فلما نفذت سلاسل خنجره وسكينه، هبط من البرج، فكرّ عليه رجل من القوم، فطعنه بخنجره، فقتله بتلك الطعنة، فتواثب الجيش عليه،

فقتلوه، فقيل: إن الذين قتلهم ذلك الرجل بضرب التفق ثمانين رجلاً، والذين جرحهم بالرصاص مائة رجل، فلمّا قتل، أمر حمد بهدم ذلك البرج، فهدم.

فلمّا رجع حمد إلى مسقط، أمر بالمعروف ونهي المنكر، وقرّب أهل العلم، وأبعد أهل الظلم، وفشى عدله بعمان، وكل مكان سمع بأخبار علمه، وزادت هيبته، وصلح بين المعاول وأهل نخل، وكانت الحرب قائمة بينهم على ساق، ثلاث سنين، وكان حمد يقول مع شدّة هيبته إذا خلا بأهل خاصته: إني لا أخشى رجلاً من الناس، إلاّ سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد، وسلطان يقول مع خاصته: لا أتقي أحداً من الناس، إلاّ حمد.

أخبرني الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد اليحمدي، قال: مضيت ذات يوم إلى بيت الشيخ فضل بن سيف، ببركة، فلمّا سلمت عليه، نهض، فمشى، فاتبعته، حتى دخل حصن بركة، ودخلت معه، فلمّا بلغنا إلى الغرفة التي تسمى غرفة الصلاة، لم نَرَ فيها، إلاّ حمد بن سعيد، فلمّا وافيناه، سلمّنا عليه، فردّ علينا السلام، ثم أطرق رأسه، ثم رفعه، ثم أطرقه، ثم رفعه، وجعل يردّد أنفاسه، فقال له الشيخ فضل بن سيف: يا مولانا، على أي شيء هذا الإطراق، وترديد الأنفاس؟ فقال له: على ثلاثة أحوال، فقال له فضل: وما الأول؟ وما الثاني؟ وما الثالث؟ فقال: الأول: أريد أن أُحارب أهل ممباسة، فلم أدرِ كيف أصنع بحربهم لمناعة حصنهم، وقوّة المزاريع، مع كثرة عدد من يتبعهم من أهل الزنج. والثاني: اتفكر في حرب بلدة تمبى، فكيف أصنع بحربها مع قوة الأفرنج. والثالث: الفكر في سلطان، فلا أدري كيف أصنع به. فقال له فضل: يا مولانا، إن سلطان لا مال له، ولا كثرة رجال معه، وأكثر مقامه بحصن نعمان، وما معه، إلاّ الأثني عشر رجالاً، فقال: يا فضل، إن شأن سلطان عندي لأعظم [٩٢٩] من شأن ممباسة وتمبى، فإن سلطان شجاع، لا يقدر أحد على حربه، قال: فتعجّبت من كلامه ذلك، وتعجّب فضل مثلي من كلامه، قال: فلما صلى الشيخ فضل صلاة الضحى، أمر حمد على أصحاب الخيل والركاب، وقال: إني لأمضي إلى سلطان، فأسلم عليه، قال سعيد: فمضينا معه، فكان عددنا به مائة

رجل، أما الراكبون منهم على الخيل به عشرون فارس، فلما بلغنا إلى النارجيل الصغار، رأينا سلطان مقبلاً علينا، ومعه إثنا عشر رجلاً، فلمّا قرب منّا، هبط من ظهر ناقته إلى الأرض، وجعل يقود ناقته بخطامها، فلمّا دنا من حمد، سلّم كل واحد منهما على صاحبه، فقال له حمد: إنا أتيناك لتمضي معنا للحصن ضيافة، فقال سلطان: أنا أحق بها، لمّا بلغتم إلى هذا المكان، فطاوعه حمد على ذلك، فجعل سلطان يحادث حمد وهو يمشي، وحمد يحادثه، ولم ينزل من ظهر فرسه، فلما وصلنا إلى حصن نعمان، أخرج لنا سلطان الخواني المملوءة باللحم والأرز، فلما فرغنا من الأكل، أقلّنا معه، فلما انصرفنا عنه، وأراد سلطان أن يشيّع حمد، فأقسم حمد أن لا يشيعه، قال: فلما رجعنا مع حمد للحصن، ودخل حمد الحصن، فدخلت أنا والشيخ فضل معه، فلمّا جلسنا معه في الغرفة، قال له الشيخ فضل: يا مولانا، كيف لم تهبط من صهوة حصانك إلى مصافحة عمك سلطان، لمّا هبط من ظهر ناقته إليك؟ أفيحسن هذا عندك؟ فقال: يا فضل، والله لا أقدر أن أنزل من ظهر فرسي إلى عمّي سلطان خيفة منه، فإنه لو أراد بي سوءاً، لما سلمت منه، وأنا على ظهر فرسي، فضلاً من أن أكون في الأرض معه، قال: فتعجّبنا من كلامه، مع شدّة هيبته، وهو شديد الخشية من سلطان، ولمّا رجع حمد إلى مسقط، زاد في الزهد والقيام بالعدل، ونمت قوته، وكان إذا برز للناس، لم يكثر الكلام في برزته، وإذا حدّثه أحد، أطرق له إطراق الأفعوان، فإذا تمّ كلامه، أجابه بكلمة واحدة.

أخبرني والدي محمد بن رزيق، قال : رأيت من السيد حمد أيام قدومه من بركة إلى مسقط في سنة أربع ومائتين وألف خلاف ما كنت أرى سلفاً من البشاشة، فمضيت إليه ذات يوم، لأسأله عن السبب، فوافيته، ومجلس برزته غاص بالناس، وهم سكوت، ولا أحد من الحضور معه ينطق بكلمة، فجلست بين يديه، بعدما سلمت عليه، وردّ علي الجواب، فقلت له: يا مولانا، على أي شيء إعدامك البشاشة ، التي كنت أجدها منك؟ قال: فسكت طويلاً، ثم قال: إن بعض الناس تزعم أنكم تأكلون مال بيت المال، قال: فقلت له: لقد صدق الذي أخبرك عنّا بهذا، ولكن أكلنا

أكل أدب، إذا أكلنا ما أكلنا في زمن جدّك الإمام أحمد بن سعيد، وأكلنا ما أكلنا عند أبيك الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد، فأكلنا معك أكل شبع، لا أكلنـا معـك [٩٣٠] أكل منهوم سيّئ الأدب، قال: فلما قلت له ذلك، تبسم، ثم قال: هنيّاً مريّاً، لا يكون بقلبك من قبلي، إلاّ ما تقرّ به عيناك، ويثلج به قلبك. قال: فلما قال لي ذلـك مضيت عنه، فكان إذا أتيته بعد ذلك، يغلبه الابتسام، ويظهر لي البشاشة وطلاقـة الوجه، وقد رفع منزلتي فوق المنزلة الأولى.

وقد أمر حمد بجمع عسكر كثير من عمان، حضراً، وأعرابـاً، وزاداً، وخـدمهم، تكون عليه ببركة، وهو يومئذ بمقسط سنة ست ومائتين وألف، فلمّا قيل له إن بعض القوم قد وصلوا بركة، فإلى أين يرتد بهذا الجمع العظيم؟ أمسك عن الجواب، فخرج من مسقط، يريد بركة، ومعه خلق كثير، على خيل وركـاب، فلمـا كـان بـسيح الحرمل، اشتكى الحمى، فلم يقدر على المسير، فرجع إلى مسقط، فأشـتدت عليـه الحمى، وظهر به جدري كثير، وقد احترق مركبه الرحماني ليلاً، قبل أن يمـوت بثلاثة أيام، فلمّا قيل له: قد احترق المركب الرحماني، قال: إني لأعلم بمن أحرقه، فإذا شفاني الله من هذا الجدري، لتسمعوا بصنيعي بالذي أحرقه، فعاش بعـد ذلـك ثلاثة أيام، ثم توفي في الجزيرة، ليلة الجمعة ثامن يوم من شهر رجب سنة سـت ومائتين وألف، وقد رثته شعراء عصره بمراثٍ كثيرة، فكان مطلع قصيدة الـشيخ الفصيح سالم بن محمد بن سالم الدرمكي شعراً:

جبـل الجبال الراسيات تهدّما فأمطر عليه من مدامعك الدما[١]

ورثاه بقصيدة أخرى، على حرف الراء، وهي قصيدة طويلة، ومطلعها:

لمّا قضى حمد لم تبكه البشر حتى بكته الحصى والنخل والشجر،[٢]

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في ديوان الدرمكي. انظر البيت في: ابـن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين، ص ٣٦٥.

[٢] بعد البحث والتدقيق تبين أن القصيدة غير موجودة في ديوان الدرمكي. حفظ لنا ابـن رزيـق البيت الأول في مخطوطته هذه.

ورثاه الشيخ سليمان بن أحمد المفضلي النزواني بقصيدة حائية، مطلعها:

سطت الهموم وصالت الأتراح ونأى السرور وشطّت الأفراح[1]

وقد رأيت نعش حمد بن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد، لما حمل إلى القبر، وكنت يومئذ صغير السن، لا أشيع في نعش الأموات، وقد مشت خلف نعشه عالم كثير، من مسلم وذمّي، فإلى هذه الغاية سنة تسع وستين ومائتين وألف، ما شهدت نعشاً مشت خلفه الناس، كما مشت خلف ذلك النعش.

السلطان سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد:

سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي، كان سلطان طويل القامة، جميل الصورة شجاعًا نجيدًا، تلوح الشجاعة بين عينيه، فمن لا رآه ورآه يشهد له بالسطوة والشجاعة، لا يعبأ بكثرة أعدائه، إذا كان هو في قليل من أهل خاصة، ينصف للمظلوم من الظالم، وإذا صاحبه بغى، عاقبه بما يستحق، من قتل، أو ضرب عصا، أو قيد، أو حبس، سواء عليه إذا كان الباغي شريفاً، أو غير شريف، وقد جرت بينه وبين حمد بن أخيه سعيد بن أحمد منافرة، أيام دولة حمد، فكثر بينهما التنافي، فخالف السلطان النزارية أهل سمائل، فعاهده على حرب كلّ عدو له، فركضوا بأمره على حصن سمائل، وهو يومئذ في حكم حمد، فدخلوه من جانب السوق، [٩٣١] فلّما توسطوه، جعل يضربهم البرج المربع منه والجانب الشرقي بالتفق، فخرجوا منه، وركض سرحان بن سليمان الجابري على حجرة عوامر سيجا، والعوامر هؤلاء، يدعون أنهم فرقة من بني راوحة، ومعه بعض الرجال من جماعته بني جابر، فهجموا عليهم، فشرّدوهم من الحجرة، وقتل من العوامر عدّة رجال، وهدموا الحجرة، فما تركوا لها أساسًا، فغضب حمد على بني جابر، وحشد

---

[1] نظر البيت في: ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين، ص٣٦٥.

جيشًا كبيرًا، فلّما وصل بجيشه إلى سمائل، ثبّطته الناس عمن حرب سيجا، إذ منبع فلجها مع الحجرة، فإذا كسروا الفلج، لم يجد محاربهم قطرة ماء لهم، ثم إن أرضها إذا أرسلوا الفلج عليها، لا تمرر أحدًا يمشي عليها، إلا من الأنخماص، فإذا وصلت الأقدام عليها غاصت، فلا تقدر على نزع القدم، وأكثروا عليه من تطاير هذا الكلام، ففسح الجيش، ورجع هو إلى مسقط، فأقام بها أيامًا قلائل، ثم ارتفع إلى الرستاق، فلما علم السلطان بذلك، غزا المطرح ببني جابر، وسائر نزارية وادي سمائل، فدخلوا سوقها وبيوتها، فنهبوا ما وجدوه من مال، وحملوا ما قدروا عليه، فأقالوا بدارسيت، فلمّا بلغ الصريخ إلى مسقط، جمع سليمان بن خلفان بن محمد عساكر مسقط ورعيتها، وكان يومئذ هو الوالي على مسقط، من قبل حمد، فأجتمع مع سليمان بن خلفان خلق كثير، فلّما بلغ بهم إلى آخر العقبة المشرفة على دار سيت والفلج، ركض عليهم سلطان، بمن معه من أهل سمائل، فانكسرت عساكر مسقط، ووقع فيهم قتل وجراح كثير، فاتبعهم سلطان ومن معه إلى جبروه، ثم رجع، فأقام بدراسيت والفلج يومين، فلم يقدر سليمان بن خلفان على حربه، ثم ارتفع سلطان بمن معه إلى سمائل، وضاق حمد بسلطان ذرعًا، فلم يقدر على حربه، وجعل محمد بن خلفان يكاتب سلطان بالوثبة إلى مسقط، ويقول له في كتابه: عليك بالرجال، وعليَّ المال، حتى تبلغ مطلوبك من مسقط وغيرها، وجعل سلطان يماطله في الوثبه إلى مسقط، فلمّا مات حمد، جعل سعيد بن الإمام أحمد ولده أحمد بن سعيد مكان ولده حمد، وجعل على بركة علي بن هلال بن الإمام أحمد، ثم إن سلطان وفد على علي بن هلال ببركة، فلمّا تواجها، قال سلطان لعلي بن هلال: يا علي، اصلح الشان بيني وبين أخي سعيد، فإن الإحن الماضية بيننا كانت من قبل ولده حمد، فالآن قد توفي حمد، وأريد إطفاء النائرة بيني وبين أخي سعيد، وأن يجعلني أخي سعيد سيفًا لدولته، فأحارب كل من عصاه من أهل عمان، حتى يستكين، وله يدين من كان لاله يستكين، ولا له يدين، من أهل عمان، وأن يجعل لي نصيبًا يسيرًا من مسقط، فامضِ أنت إليه منذ اليوم، واصلح الشان، فأنا منذ الساعة راجع إلى

سمائل، وإذا وصلت أنت من الرستاق إلى بركة، أرسل لي رسولا، كي أتيك، لتمام الصلح والعهد على يديك، فأجابه على ذلك، واستحسن قوله، فمضى سلطان، فلّما بلغ إلى الرسيل، مكث بها وكان قد جعل عيوناً على علي بن هلال، وقال لهم، إذا ارتفع على بير النصف إلى الرستاق، اسرعوا أنتم إليّ إلى الرستاق، فلما أتته العيون، واخبروه بارتفاعه بير النصف [٩٣٢] إلى الرستاق، ركب هو وصحبه نياقهم، فما هبط من ظهر ناقته إلى الأرض، إلاّ أمام باب حصن بركة، فكان من محض حظه أن خرج رجل من أصحاب الحصن، يريد أن يمضي إلى السوق ، فألقاه سلطان إلى صحبه، ودخل هو من الباب، فأراد البواب أن يدافعه، فضربه بالخنجر، فقتله، فدخل الباب، ودخل صحبه معه، وهم أثنا عشر رجلاً، فركض بهم على العسكر القابضين بروج الحصن، فطلبوا منه الأمان، فأمنهم، وأخرجهم من الحصن، فاستولى عليه، وبعث رسولاً إلى أهل الطّو، فاتته منهم مائه رجل، وبقيت قلعة الحصن بيد بني رواحه، فأرسل إليهم أن يهبطوا منها، فأبوا فبعث إلى الشيخ ربيعة بن أحمد الرواحي، وكان مسكنه ببيت الجنينة من بركة، فلما أتاه قال له: ناصح جماعاتك بني رواحة، وقل لهم يخرجوا من القلعة بأمان، ويحملوا منها ما قدروا على حمله من البارود والرصاص والزاد، فمضى إليهم، فأبوا، ثم أطاعوا، فنزلوا من القلعة، وحملوا منها ما قدر على حمله، وأتته الجبور، فأعانته بالتمر والأرز، وواجهته الأعراب والحضر، وسائر رعيه بركة، من حدّ السيب إلى التلّه، وبعث كتبه إلى رجال المعاول، وأهل نخل، ووادي سمائل، وذكر لهم فيها أن الميعاد بيني وبينكم بالقرم، فأسرعوا إليّ بالوثبة، ومضي هو وصحبه يريد مسقط، ومسيره بهم وئيداً، فما بلغ إلى القرم، إلاّ ومعه خلق كثير من المعاول، وأهل نخل، ووادي سمائل، وفسح للأعراب الذين أتوه بغير إراده منه، وأماّ علي بن هلال، لمّا وصل إلى الرستاق، وأخبر سعيد بن أحمد من المصنعة، فأخبره أن سلطان، قد هجم على حصن بركة، فاستولى عليه، وأنه مضي برجال كثيرة، يريد مسقط، فلام سعيد علي بن هلال بوفدته عليه، وتركه لحصن بركة، ثم قال له: إمضِ من

ساعتك على طريق المصنعة، واركب منها سفينه إلى مسقط، وكن مساعداً لولدي أحمد، وشبّا نار الحرب على سلطان، ومن حاربكما، وإياكما والجبن، فإنه لا من سجايا الكرام، وأكثر عليه بنظائر هذا الكلام، فامتثل أمره، ومضى إلى المصنعه، فلما أتاها، ركب سفينه منها إلى مسقط، فوصلها في اليوم الذي وصل سلطان فيه إلى القرم، فكتب سلطان إلى تجار مسقط وأكابرها بالمكث فيها، ولهم الأمان من قبلّه على أنفسهم، وما ملكت أيديهم كافة، وبعث مع جملة تلك الكتب، كتاباً إلى أبي محمد بن رزيق، ورسوله بالكتاب رجل من بني رواحة، اسمه سعيد بن مصبح، وفحوى كلامه في كتابه لأبي: إذا وصلك كتابي هذا، أخبر كافة أهل مسقط بالأمان منيّ على أنفسهم وأموالهم، فإني ما قدمت على مسقط لأنهب أموال الرعية، ولكن قدومي عليها لأمر لا يخفاكم يعني حصنيها وسائر معاقلها، فلمّا أبي قرأ الكتاب، مضى به إلى أحمد وعلي بن هلال، وهما بارزان بالجزيرة، فأراهما إياه، ثم قال لهما: ما عندكما من الرأي؟ فقالا: إن سلطان [٩٣٣] لا يقدر أن يصل إلى مسقط، فدونها سيوف وتقاق ومدافع، ولسنا ممن يخاف توعده، فنحن، إنشاء الله، إذا وفد على مسقط، لنجالده بالسيف دون عقبه وادي الكبير، جلاد يسمع به الداني والقاصي، وأكثر بنظائر هذا الكلام، فرجع أبي عنهما، ومضى إلى التجار وأكابر مسقط، فأخبرهم عما كتبه له سلطان من قبلهم، وما قالا له أحمد وعلي بن هلال، فقالوا: كذلك قد وصلنا كتب من سلطان، يذكر فيها كما ذكرته لنا عنه، وفي غالب ظننا، أن سلطان ليدخل مسقط، ويبلغ مراده منها، وإن أحمد وعلى بن هلال لا ليمنعاه عنّا، إذ لا نرى معهما عساكر لمدافعته عن مسقط، فكلام أحمد وابن هلال هراء لا معنى له، وكان جواب أكابر مسقط لأبي مثا ما قالت التجار له ، فلما كان ليل ذلك النهار اجتمع أكابر مسقط لأبي، فأشار أبي إليهم أن يرفعوا أصواتهم، ويصيحون القوم القوم صيحة واحدة ، ليعلم الحقيقة من أحمد وابن هلال، وقال لهم: إذا خرجا بمن معهما من العسكر مع الصيحة، فاعلموا أنهم ليجالدون، وإن مكثا بالسور بمن معهما، ولم يكن منهم إلاّ ضرب التفق على أهل الحلل الخارجة من

السور، فاعلموا أن لا قدرة لهما على الخروج والمجالدة عنه، فلّما فعلوا ما أمرهم به أبي، تراسل ضرب التفق من السور على الحلل الخارجة عنه، فأيقنت الرعّية حينئذ بجبنهما، فما مضت بعد تلك الساعة إلاّ بقدر ساعة، إلاّ وسلطان ومن معه من القوم مقبلون من الوادي، وسيوفهم مسلولة، وسلطان يمشي أمامهم، وشعارهم هذه الآية الشريفة ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾[1] فلما كانوا بنواحي بيت أبي، خرج أبي إلى سلطان، فصافحه، وأخبره أنه قد قرأ كتابه على التجار وأكابر مسقط، فقرّت عيونهم بأمانه، وثلجت صدورهم باحتفاله بهم، فسرّ سلطان ذلك، ثم قال لأبي: أما أحد من أهل مسقط ادّخر تمر، فيبايعنا بما يسدّ مخصصه القوم؟ فإنه قد أضرّبهم الجوع، فأخرج لهم أبي من بيته خمسين جراباً، فلّما أكلوا، واستراحوا قليلاً، أمر سلطان عليهم بالركضة على باب الكبير، فلّما ركضوا عليه، جعل أصحاب أحمد وعلي بن هلال يضربونهم بالتفق من أعلى السور، فانكسروا عنهم، وقتل منهم سته رجال ثم ركضوا، عليهم ثانية، فانكسروا عنهم، وقتل منهم ثلاثة رجال، فلّما لاح الفجر الصادّق، أتى علي بن عبدالله، شيخ بني وهيب، إلى سلطان، وكان هو القابض يومئذ بالباب الصغير من قبل أحمد بن سعيد بن أحمد الإمام، فقال لسلطان، بعد ما سلّم عليه: لِمَ لا أتيت أنت ومن معك من القوم على الباب الصغير، فأدخلكم منه؟ فمضى معه سلطان ومن معه من القوم، فسلك بهم عقبة مابين، وانحدر بهم من أسفل عقبة سداب، وسلك بهم الطريق المفضي إلى باب الصغير، فلّما بلغوا الباب، أمر أصحابه بفتح الباب ففتحوه، فلما دخل سلطان ومن معه، شتم سلطان علي بن عبدالله ، وقال له : قبحك الله يا خائن، اغرب عنيّ، فما أنا بتاركك بالباب، فلما طرده هو وأصحابه، أجلس بالباب مكانه سرحان [٩٣٤] بن سليمان الجابري، ومع سرحان مائة رجل من جماعته، ومضى هو ببقية القوم، يريد دخول الجزيرة، فدخلها من الجانب الشرقي المقابل دكان محمد

---

[1] سورة الإسراء، الآية ٨١.

بن حبيب الرمحي الصائغ ، وكان بالجزيرة باب صغير من الجانب الشرقي المذكور، فهزم من فيها، وجعل أصحابه يضربون الكوت الغربي بالتفق، والكوت يضربهم بالمدفع والتفق، وركض محمد بن خلفان بمن معه على عقبة ريام وكلبوه، فهزم من فيهما من عسكر أحمد وعلي بن هلال، وأجلس مكانهم أصحابه، وانهزم القابض عتبة سداب لمّا دخل سلطان الباب الصغير، وهرب سائر العسكر القابضين بالسور والبروج، وتحصن علي بن هلال بالكوت الغربي، وتحصن أحمد بن سعيد بالكوت الشرقي، وواجهت التجار وأكابر مسقط سلطان في الجزيرة، ومضى أبي إلى سداب، فاشترى بأمر سلطان للعسكر ألف جراب من تمر الباطنة، وجلس بالفرضة، تمضي العسكر بأمر السلطان بالأرز والتمر والبارود والرصاص، وانهزم أكثر أهل مسقط إلى يتي وقريات خوفاً من ضرب المدافع من الكوتين، وتراسل ضرب المدافع من الكوتين، في الحلّه الداخله والخارجه، وخلصت المراكب لسلطان، وكان محمد بن خلفان الوكيل يومئذ لسلطان عضداً وكنّاً، فأعانه بالمال، ومن معه من الرجال، وكتب سلطان إلى أخيه قيس بن الإمام: إني قد دخلت مسقط، لأخلصها لك، فإذا أتاك كتابي، إمضِ بمن معك من القوم، وعسكر بهم، في القاسم، وأشغل أخي وأخاك سعيد بن أحمد عن الوثبة لمسقط، فلما بلغه الكتاب، حشد أقواماً كثيره، فمضى بهم إلى القاسم ، فعسكر بهم هناك، وكتب لأخيه سعيد: إن سلطان ما دخل مسقط، إلا بأمري، فكن أنت مكانك بالرستاق، وأترك سلطان وولدك أحمد في شأنهما، فإنك إذا مضيت إلى مسقط، مضيت أنا إلى الرستاق، ومن أنذر فقد أعذر والسلام. فلما بلغ كتابه إلى سعيد، تماسك بالرستاق، ومكث قيس معسكراً بالقاسم، وركض محمد بن سليمان العدوي، وكان يومئذ هو القابض الكوت الشرقي، بأمر سعيد بن الإمام على بيت أولاد بيمة، لينهب ما فيه من المال، فلما بلغ الصريخ إلى سلطان، وهو يومئذ بالجزيرة، وثب سريعاً بمن معه، فلما رأته أصحاب محمد بن سليمان مقبلا عليهم، هربوا، وهرب معهم محمد بن سليمان، فما ظفر سلطان، إلا برجلين من قوم محمد بن سليمان، فقتلهما، وجعل سلطان يتبع

محمد بن سليمان، إلى أن لاذ بالكوت الشرقي، وقد طعن محمد بن سليمان مع انهزامه مسعود بن محمد بن سعيد العبيداني برمح، فأوقع سانه في أنف مسعود، فأخرجه من آخر عنقه، وضرب رجل ظاهر من أصحاب سلطان بتفقٍ من الكوت، فوقعت الرصاصه في فخذه، فخرجت من الجانب الثاني، فأما الظاهري، مات ليلة ذلك اليوم، وأما إبن عبيدان، عاش بعد ذلك زمنا طويلا، فما أضعفت قواه تلك الطعنه، ثم وقع الصلح بين سلطان بن الإمام، وأحمد بن سعيد بن الإمام أحمد، على أن الحصن الشرقي لسعيد بن الإمام، والحصن الغربي ليقبضه محمد بن خلفان بينهما، فإن نكث أحدهما الصلح، ليقبض الحصن [٩٣٥] المنكوث عليه، ولقيس بن الإمام حصن المطرح وسائر برجها، ومدخول مسقط بيد سلطان، يصرفه للعساكر، وبما يحتاج إلية الكوت الشرقي من الآله، وما تحتاج إلية المراكب، والوالي محمد بن خلفان، فتّم الصلح بينهم على ذلك، ومضى على ذلك الصلح بعض الزمان، فخرج أحمد بن سعيد من الكوت الشرقي، وخرج علي بن هلال من الكوت الغربي، فقبض الكوت الغربي محمد بن خلفان، وترك أحمد بالكوت الشرقي رجلا شقصياً، من أهل الرستاق، وقبض قيس حصن المطرح، فترك فيه الحدّان، فلما استقرت الناس، وأطمأنت، وهدأت الفتن، أقبل سلطان من بركة إلى مسقط لعاداته الأوائل، فلمّا واجهه بالجزيرة الشقصي، القابض للحصن الشرقي، وأراد الإنصراف عنه إلى الكوت، قال له سلطان: إذا أردت حياتك سلّم لي الكوت، وأظهر له الغضب، فقال له :دعني أمضي إليه لأخرج أصحابي منه، فقال له : هيهات هيهات، ثم أمر أن يكتف، فكتف، وقال له: إمضي معي، فمضى معه، فلمّا بلغوا إلى بيت محمد بن غلوم، أوقفوه، فجعل ينادي أصحابه بالخروج من الكوت، فخرجوا، وقبضه سلطان، فترك فيه خدّام الجبور، وعليهم الأمير محيسن، وكتب سلطان إلى أخيه قيس: إني أخذت لك الكوت الشرقي، وأخرجت أصحاب سعيد منه، ففرح قيس بذلك، وبقي محمد بن خلفان في ظاهر الأمر والياً لسلطان، وفي الباطن غير ذلك، وكلاهما نصب لصاحبة شرك الاغتيال، ليصير إلية مما في يد صاحبة بالاحتيال، فجعل

محمد يشيدّ الكوت الغربي، ويضاعف له المدافع، ويزيده من البارود والرصـــاص، وسائر ذخائر الحرب، وبعث إلى خصيف بن مطر الهنائي، فأتاه بمائه رجل، فخلع عليه وعلى أصحابه، وأحسن إليهم، فأقرهم بالكوت، وأشترى من العبيد والزنــوج والنوبان جمله، فألبسهم الملابس الفاخرة، وأعطاهم السيوف والخنــاجر الثمينــة، فاستراب سلطان منه بذلك الشأن، وأسره في نفسه، ولم يظهر له ما يوحشه منــه، فمضى سلطان إلى بركة، وأقام فيها أياماً قلائل، ومعه من آل وهيبة مائة رجــل أميرهم حمد بن محمد الوهيبي، فلّما أراد أن يمضي إلى مسقط، ومعــه بــدر بــن سيف، وآل وهيبة المذكورن، فدخل الكوت الشرقي، من الباب الصغير، المــشرف على الساحل، وأظهر أنه مريض، وبه أول سوابق الجدري، فلما بلغ الخبــر إلــى خلفان بن محمد، وولده محمد، مضى إليه خلفان بن محمد، وولده محمد، و مــضى معهما علي بن خلفان، فلّما كانوا حذاء الجزيرة، بادرهم ماجد بن خلفان، فأخذ بيــد أخيه محمد، وناجاه ناجية، وناصحه عن المسير إلى سلطان، وقال له: يا محمــد، أطعني فما بسلطان جدري، ولا به سقم، وإنما هي حيله وغيله صنعها لك، يريد بها أخذ الكوت منك، فلم يصغِ له محمد، فلمّا دخلوا الكوت الشرقي، وجدوا سلطاناً قــد برز بمن معه من البدو والعبيد، وهو صحيح الجسم، فأوجس محمد منه خيفة، فلما أرادوا الخروج، [٩٣٦] قال لهم سلطان: أما أنت أيها الوالد خلفان، فمرخص فــي الرجوع، وأما ولداك محمد وعلي، لا رخصة لهما ، فقال له خلفان بن محمد: وما تبغي بذلك؟ فقال: الكوت الغربي، ثم أشار إلى محمد بن مطر المحار فقــبض يــد محمد، ومضي به إلى الحبس، فهبط خلفان بن محمد، مذعوراً يقول لمن صــادفه: قبض محمد، قبض محمد، وبقي على بن خلفان طلقاً غير محبوس، ثم طابت نفسه عليه، ففسح له، فهبط من الكوت، ومضى إلى بيته، ولما سمع ماجد بــن خلفــان بحبس أخيه، ركض هو وخصيف بن مطر الهنائي على سوق مسكد، فحملوا منــه الحلّ والسّمن والبرّ، فوضعوه في الكوت، ونشرا علم الحرب، فتزلزلــت حينئــذٍ مسقط بالخوف، وسدّت التجار أبواب تجارتها، ووضعوا عليها الأقفــال، وبلغــت

القلوب الحناجر بالخوف، وبعث سلطان لوالدي رسولاً، فلما أتاه، قال له: أمر بأمري على الأساتيد البنأتين، أن يهدموا بخاخير محمد بن خلفان كافة، وعلى أهل المراكب أن يضربوا الكوت الغربي، حتى يهدموه، وهو مع ذلك قد غلت عليه الغضب، فهبط أبي، وجعل على بخاخير محمد بن خلفان أقفالاً فوق أقفالهم، ثم رجع إلى الكوت الشرقي، فقال له: يا مولانا، إحلم، فإنك سيّد حليم، إني إلتمست إلى أن أجد لمحمد بن خلفان بخاخير، فما وجدت له بخاخير، إذ البخاخير التي كانت بيده، هي بخاخيرك، فما هو إلا والٍ من ولاتك، مما ملكت يدك، فهو لك، أتريدني أن أخرب بيوتك، فتكون كمن قال الله فيهم: ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فأعتبروا يا أُولى الأبصار﴾[١]، وأما حرب المراكب للكوت الغربي، فهو شيء لا فائدة فيه، إذ الكوت أعلى، والمراكب أسفل منه، فإذا رميته بمدافعها لا تعمل فيه شيئا، وإذا رماهن بمدافعه، جعلها قطعا، فاستحسن سلطان كلامه، وقال له: صحيح ما تقول، فقال له أبي: هذه مفاتيح البخاخير التي تزعم أنها لمحمد بن خلفان، وهي لك، فقال له: دعها معك، وأنت مرخص، إذا أردت الهبوط من الكوت ، فقال له والدي: دعني أدخل على محمد في حبسه لأناصحه في تخليص الكوت لك، فلعلّ أن يكن منه ذلك، فقال: امضي إليه، وناصحه، فمضى والدي إليه، فرأه في الحبس طلقاً غير مقيّد، فجعل يناصحه في تخليص الكوت لسلطان، فقال له: ما عندي له كوت، وليصنع فيّ ما شاء، فقال له: لا فائدة لك في هذا الكلام، وإخراجك من الحبس بغير تخليص الكوت محال، ثم أجابه على ذلك، وكان أبي قد حمل دواة وأقلاماً وقرطاساً، فقال له: إكتب إلى خصيف بتخليص الكوت، فكتب، ثم ودّعه أبي، وأرى سلطان الكتاب، ثم دفعه إلى أبي، وقال له: أمض إلى خصيف، وأعطه الكتاب، وناصحه في الخروج من الكوت،فلما مضى أبي إليه ، و أذن له بالدخوال معه ، ألقى أبي إليه الكتاب ، و جعل يناصحه بالخروج من الكوت ،

---

[١] سورة الحشر، الآية ٢.

فأبى، وقال: إن الحصون لاتخلص بمداد وقرطاس، فلمـــا رأى أبـــي منـــه العتـــو والإباءة، خرج من عنده إلى خلفان بن محمد، وأخبره الخبر كله، فمضى خلفان إلى الكوت، فأخرج منه ولده ماجد، وأغلظ على [٩٣٧] خصيف بـــن مطـــر الكـــلام، وخصيف يقول: إذا أراد حصنه، فليأتي بنفسه، وقبل أن يأتيني، فخروجـــي منـــه متعذّر، فخرج عنه خلفان بن محمد، وطال المقال في هذا المجال، ثم أتفق الـــصلح على أن يأخذ خصيف بن مطر من الحصن ما أراد من البارود والرصاص والتمر والأرز، ثم يخرج منه بعد ذلك، فلبث خصيف بعد الذي أخذ من الحصن ما أخـــذ، وبعث بما أخذه إلى داره سبعة أيام، ثم خرج هو وأصحابه منه، فقبضه ســـلطان، وأطلق محمد من الحبس، فمضى محمد إلى بيت الفلج، ومكث فيه، وترك خصيف بن مطر ومعه خمسون رجلاً من بني عمّه وأصحابه الخاصّة، وولّى سلطان خلفان بن ناصر آلبوسعيدي، فأمر علية، ليله اليوم الذي خلص له فيه الكـــوت الـــشرقي، بحرب كوت المطرح، فمضى إلية خلفان بن ناصر، ونصب له البوم والأرصاد من سور اللواتيا، إلى سوق الحلوى، وجعل في الضيت، الذي هو خلف المطرح الثانية، بومة وأرصاد، فما انتصف الليل، إلا وحنين المدافع كحنين الرعد، وكان قيس قـــد جعل في حصن المطرح الحدّان كان ضرب المدافع متواتراً على الكوت نهـــاراً و ليلاً ، ثم خرج الحدّان منه بعد إثني عشر يوماً، فقبضة سلطان، ثم أمـــر ســـلطان خلفان بن ناصر بحرب بيت الفلج، فنصب له بوما من الجبال الصغار المقـــابلات للبيت، وجعل يضربه بالمدافع، فلم يعمل المدفع شيئاً، تارة يرتفع عنه الرصـــاص، وتارة ينخفض عنه، فلا يبلغه منه شيء، ثم أتفق الصلح، على أن يدفع محمد بـــن خلفان لسلطان، ما على بروج البيت من المدافع، فسحبت إلى المطرح ، ثـــم أمـــر سلطان خلفان بن ناصر ببنيان قلعة على طوى الراوية ، وعلى رأس الجبل الغربي المقابل، لكل لوية برجاً مربعاً ، وعلى رأس الجبل، الذي هو أعلا بيـــت أبـــي، أن يبني برجاً غير مربّع، فكمل بنيان الثلاثة معاقل في ستة أشهر، ثم جعل محمد بـــن خلفان يكاتب قيس بن الإمام سرّاً بالوثبة إلى مسقط، فتعاهد قـــيس، ومحمـــد بـــن

خلفان، وسعيد بن الإمام، على حرب سلطان، فجمع قيس من الظاهرة والباطنة خلقاً كثيراً، وفيهم قوم يسموّن العفار، يأكلون الجيف، كما يأكل غيرهم التمر، فسمعت غير واحد أن القوم الذين جمعهم قيس، كان عددهم ستين ألفاً، والله أعلم، وأنضاف سعيد بن الإمام إليه، بمن معه من العسكر، فلمّا سمع سلطان بجمعهم، بعث كتبه إلى أهل جعلان وعمان أن يأتوه بحامل السلاح، فلم يصله من جعلان والشرقية وعمان، إلاّمن إبرا الشيخ ماجد بن سعيد الحارثي، ومعه مائة رجل، فعظم الأمر على سلطان، فلما سارا قيس وسعيد بجنودهما، أقاما بالقرم، وأمر سلطان بأن تكون مشاعل النار في رؤوس الجبال، من أول جبال روي إلى آخر جبال دارسيت، وأقام هو ومعه الشيخ ماجد بن سعيد البرواني ومن معه من الرجال بروي، فظنّ قوم قيس، أن مع سلطان جيشاً عظيماً، وهو لم يكن معه، إلاّ بما ذكرنا، وما عند المشاعل، إلاّ من يضع عليها السليط والقطن، ثم بعث سلطان [٩٣٨] إلى قيس كتاباً يقول له فيه: إذا وصلك كتابي، إمض بمن معك من القوم إلى بدبد، وأقم بهم فيها، حتى آتيك، فأخلّص لك حصن بدبد وسمائل، وذر حرب مسقط، فلما وصله الكتاب، وقرأه، أستبرر من سلطان القول، فأرتفع بالقوم إلى بدبد، ومضى سلطان على طريق وادي حطاط إلى سمائل، فلمّا وصلها، أمر على أهل وادي سمائل وبني جابر وأهل بعد والعّق وسرور ونفعا، أن يشبوا نار الحرب على قيس، فاجتمعت النزارية كلّها على حرب قيس، وجعل حصن بدبد يضرب قوم قيس بالمدافع، وقد نفد الزاد على قوم قيس و أيقن قيس أنه لا يصل إليه من سلطان شيء، فانحدر من بدبد بقومه، ومضى إلى صحار، ورجع أخوه سعيد إلى الرستاق، ورجعت الأقوام الذين حشدهم قيس على منازلهم، وسكنت الحركات، وبقيت الإحن في الصدور، وواجهت سلطان أهل الشرقية وعمان وجعلان، وعفى عنهم، ولم يعاقبهم بتماسكهم عنه أيام مقام قيس في القرم وبدبد، وجعل على اليمنية قاطبة، الشيخ ماجد بن سعيد البرواني، لأمور الحرب والسلم، وعلى النزارية كلها، مهنا بن محمد بن سليمان اليعربي، والي نخل، وواخا بينهما، فامتزجا امتزاجاً حسناً، ومضى سلطان إلى

عمان، وأمر على سويلم بن سالمين، واحد من بني هناءة المشاققين خصيف بن مطر، أن يكمنوا له في المطرح، فإذا هبط إليها من الفلج، أن يقبضوه، ويقيدّوه، ويحسبوه في الكوت الغربي، ويقطعوا علية الماء، والزاد، فإذا مات يضعوه في قارب، ثم يلقوه في البحر المبتعد مسافة من الصّيرتين، فامتثلوا الأمر، فهبط خصيف ذات يوم إلى المطرح، ومعه أصحابة إثنا عشر رجلاً، ليقضي بعض الوطر في المطرح، فلما كان بسوق المطرح، نهضوا إليه، فقبضوه، وكتّفوه، وقيّدوه، وانهزم أصحابه عنه، وأتوا به إلى مسقط، فحملوه إلى الكوت الغربي، فحبسوه فيه، وقطعوا عليه الماء والزاد، فعاش خمسة أيام، ثم مات، فألقوه في قارب، فقذفوا القارب بمقاذيفة، فلما ابتعدوا من الصّيرتين ألقوه في البحر، فلما رجع سلطان إلى مسقط، أخبروه الخبر كلّه،فسرَه ذلك، ثم اصطلح هو ومحمد بن خلفان، وغزا سلطان شهبار مكران، ففتحها، ثم غزا القسم[1] بعدها، فخلصت له، ثم غزا بعدها البندر[2] وهرموز، فملكها، ثم مضى إلى ميناب[3]، فاستخلصها، فقويت شوكته، وزادت هيبته، ثم غزا جزيرة البحرين، ففتحها، وولى على أهلها سيف بن علي بن محمد البوسعيدي[4]، ثم عزل سيفاً، فترك مكانه ولده سالم بن سلطان[5]،

---

[1] القشم: القشم أيضاً، أسم جزيرة صغيرة في مدخل الخليج العربي.

[2] البندر: هي مدينة بندر عباس التي بناها الشاه عباس الأول، بعد هدم مدينة هرمز، بعد طرد البرتغاليين منها سنة ١٦٢٢ م.

[3] ميناب:اسم مدينة فارسية، تطل على شواطئ الخليج العربي، كان لها دور كبير في الحياة الاقتصادية طيلة عصر مملكة هرمز التجارية، منذ القرن الحادي عشر الميلادي وحتى قدوم البرتغاليين إلى الخليج العربي عام ١٥٠٨ م.

[4] سيف بن علي بن محمد آلبوسعيدي: والٍ، عاش في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشرِ الهجريين، عندما زحف سلطان بن الإمام أحمد على البحرين، واحتلها دون قتال، عينه والياً عليها، ثم عزله، وولى عليها ابنه الأمير سالم بن سلطان. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٨٦.

[5] سالم بن سلطان بن أحمد آلبوسعيدي: وال، ولاه أبوه على البحرين، فتجمع عليه أهلها، وأُعيد إلى مسقط، ولما مات أبوه، تولى بدر بن سيفّ الوصاية عليه هو وأخوه سعيد، فولاه بدر على بلدة "المصنعة" ليباعد بينه وبين أخيه، ولما طمع بدر في الانفراد في الحكم، دبر له سالم وسعيد مؤامرة، وقتلاه واستوليا معاً علي الحكم، وبعد ذلك أصبح السيد سعيد هو الحاكم الفعلي لعمان، استمر هذا الوضع حتى توفي السيد سالم مصاباً بالشلل في مسقط سنة ١٨٢١ م. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٧٦.

ومعه سويلم، والشيخ محمد بن خلف الشيعي، فلما أغاظ العتوب قعود محمد بن خلف الشيعي، وحكمه عليهم، نبذوا العهد، ورفضوا الميثاق والعقد، وأحاطوا بسالم ومن معه، وأحتشدوا عليهم من كل ناحية، وضيقوا عليهم بالحصر، ولم يكن مع سالم يومئذ بالبحرين إلاّبعض العسكر، ثم وقع الصلح بينهم على خروج سالم ومن معه، وعلى ما بأيديهم من السلاح وغيره، فرجع سالم ومن معه إلى مسقط، وقتلوا العتوب من البحارنه أهل البحرين، بعدما خرج [٩٣٩] منها سالم خلقاً كثيراً، وحازوا أموال البحارنه، فتفرّق أكثرهم إلى البلدان النائية عنها، وعذبوا من بقي منهم فيها بالنكال والضرب، وفعلوا فيهم غير الجائز، ودلفت بنو نعيم إلى صحار، فعسكروا بالعوهي، وقتلوا منها خلقاً كثيراً، كبيراً وصغيراً، فكتب قيس إلى سلطان بالنجدة، وسرعة الوصول إليه، فحشد سلطان من جعلان والشرقية وعمان، فاجتمع معه خلق كثير، وانضافا إليه أخوه سعيد، وسيف، وعلي وغيرهم، فلّما وصل سلطان بالجيش إلى صحار، جعل قيس يكاتب بني نعيم بالرجوع إلى منازلهم، ويعدهم بعد رجوعهم بشيء من المال، فأبوا، وكان قيس قد جمع جيشاً عظيماً، وفيه من رجال الظواهر خمسمائة رجل، فتعاهد قيس وسلطان بالركضة على بني نعيم، وجعلا على أهل الخيل سيف بن علي أميراً، فمضوا بجيشهم إلى بني نعيم، فكانت الملحمة بينهم بالدباغ، والدائرة على بني نعيم، فقتل منهم خلق كثير، المكثر يقول: من قتل من بني نعيم يوم الدباغ خمسمائة رجل، والمقلل يقول: بل قتل منهم يومئذ ثلاثمائه رجل، وقتل من قوم السّادة مائة رجل، فلما بلغ هزيم بني نعيم إلى وادي الجزي، مكثوا فيه، يرتقبون الظواهر الذين قاتلوهم في عسكر السادة، وظنت الظواهر أن لا أحد سلم من بني نعيم في تلك المعركة، فلما ارتفعوا من صحار، يريدون الجوّ، وبلغوا إلى وادي الجزي، ركضت عليهم بنو نعيم، فقتلوهم،و ما بقي من الظواهر احد، فكان عدد من قتل من الظواهر ثلاثمائة رجل وأخذ بنو نعيم ركاب الظواهر بما عليها كافّة، فلما رجع بنو نعيم إلى منازلهم، وقعت الحرب بينهم وبين الظواهر زماناً، ثم اصطلحوا، وشرع سلطان في بناء حصن الفلج، فلّما

أتمَّة، أسكن فيه بعض حرمه، فكانت أكثر إقامته فيه، وولى على مسقط خلفان بن ناصر البوسعيدي، فلما مات، ولى مكانه سيف بن مسعود البوسعيدي[1]، ثم عزله، فاشخصه إلى بهلا، وجعله والياً عليها، وولّى على مسقط سيف بن حنظل، ثم عزله، فولّى مكانه سليمان بن سيف بن سعيد الزاملي، ثم عزلة،فجعل مكانه خصيف بن خميس الوهيبي صاحب بركة ، ثم عزله ، فجعل مكانه خلوف مولى بني هناءة ثم عزله ، فجعل مكانه درة بن جمعة البلوشي ، ثم عزله ، فترك مكانه ماجد بن خلف ، ثم عزله، فبعثه إلى صور، فكان هو الوالي عليها، وعلى جعلان قاطبة، وولىّ على مسقط سيف بن محمد آلبوسعيدي، وبعث عبد العزيز النجدي الوهّابي الحريق، وهو خادم نوبي من خدامه، لحرب عمان، ومعه ممّا زعم كثير من الناس سبعمائة فرس، فطفق يحارب بني ياس طويلاً، ثم أدانهم، وجعل يحارب بني نعيم زماناً، ثم أطاعوه، وأطاعته الظواهر والشوامس، وسائر أهل الظاهرة أعرباً وحضراً، فأخذ زكواتهم، وما شاء من أموالهم، وأقام بالبريمي، وجعل يغازي الباطنة، وحالفت العتوب عبد العزيز النجدي، ودخلوا في مذهب التوهّب، وخوّفوا البحر، فجعلوا يأخذون كل سفينة قدروا عليها غصباً، ووقعت المناقرة بين [٩٤٠] حميد بن ناصر بن محمد الغافري، وبين سلطان بن الإمام، وسببها أن سلطان قد تزوج بابنة ناصر، أخت حميد بن ناصر الغافري، فأسكنها الفليج فماتت معه في الفليج، فطلب من أخيها حميد أن يدفع إليه نصف ماتركت من المال، وأرسل إليه مهنا بن محمد اليعربي بذلك، فلّما وصله، قال له ما قاله له سلطان، قال حميد: إننا بنو رمثه من عهد أجدادنا وآبائنا مالنا وقف مؤبد، فكل من صار منّا شيخاً، صار المال بيده ولإخوته الذكور، والإناث الكسوة والطعام منه لا غير، فلّما أكثر عليه مهنا الكلام، دفع له بعض حلّيها الذهب، فلما أتى به إلى سلطان، لم يرضه، فطلب

---

[1] سيف بن مسعود آلبوسعيدي: والٍ، عاش في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجري، كان والياً على مسقط من قبل سلطان بن الإمام أحمد، ثم عزله عنها، وولاه بهلا، انظر " دليل أعلام عمان، ص ٨٧.

من حميد المواجهة، فأبى، فأضمر له سلطان الحرب، فجعل يبحث عن يبرين، فقيل له: إن حصنها شديد القوة، لا يأكله رصاص المدافع، وأخبروه أن أمام الحصن مدفع صفر من صفته وصفته، فأمر سلطان علي بن أحمد بن يوسف الصحاري الصفّار، أن يعمل الحيله في كسر ذلك المدفع، فمضى أحمد إلى نزوى، فأقام بها، يعمل قدور الصفر، ومراجل الشكر، وغيرها، فلّما سمع حميد به، كتب إلى علي بن طالب والي نزوى، أن يبعث الصفّار إليه، ليصنع له مرجل صفر، لطبخ لعاب الشكر، وأخرج إليه من الحصن قطعاً من الصفر، فقال له: هذا صفر ضعيف غير نافع لمرادك، فقال له حميد: أقم أنت بيبرين، حتى أرجع إليك من العينين، فآتيك بقطع صفر طيّبة، فقال له: سمعاً وطاعة، فمضى حميد إلى الظاهرة، ومكث الصفّار في يبيرين، وجعل يعمل الحيلة في كسر ذلك المدفع، وينتظر الفرصة فيه، فكان من التوفيق أن صرخ صارخ بيبرين، فقال: امضوا إلى جماعتكم بني شكيل، فقد وقع حرب بينهم وبين بني هناءة، فمضى من كان في يبرين كافة، إلاّ من في الحصن من أصحاب حميد، فوجد أحمد الصفار حينئذ الفرصة لكسر المدفع، فأكبّه من عجلة، وأوقد عليه النار، فكسر رقبته، فترك آلته، وهرب هو وتلامذته إلى نزوى، ثم رجع إلى مسقط، فأكرمه سلطان، وأعطاه فوق مراده، فلّما رجع حميد إلى يبرين، أخبره من بها بما صنع الصفّار بالمدفع، وترك آلته، وهربه إلى نزوى، فوقع الحرب بين حميد بن ناصر، وأهل بهلا ونزوى، وكان الوالي يومئذ ببهلا، سيف بن مسعود البوسعيدي، ووالي نزوى، علي بن طالب، وكثرت الغزوات بينهم، وكثر القتل، ومالت النزارية أهل الحمرا وسيفم والظاهرة إلى حميد بن ناصر، ومضى سيف بن مسعود يوماً بأهل بهلا على حين غرّة، ليكسر فلج يبرين، فوقع بيينه وبين أهل يبرين ضرب تفق، فأصابته رصاصه، فرجع بمن معه إلى بهلا، فعاش ثلاثة أيام، ثم توفي، وعزم سلطان على الحج، فمضى معه أكابر عمان جملة، منهم مهنا بن محمد اليعربي، والشيخ محمد ابن مطر الشرقي، [٩٤١] والشيخ ربيعة بن أحمد الرواحي، ونظائرهم، فلما مضت على مسيرهم أياماً، سرى

بدر بن سيف بن الإمام[1] ومعه بعض الرجال، من حبرا إلى مسقط سراً، فـدخلها ليلاً، فتعاهدا هو وماجد بن خلفان بن محمد الوكيل على أخذ الكوت الشرقي، وكان سلطان قد ترك فيه كومبو، خادم أخيه سيف بن الإمام، فأختفى بدر في تلك الليلـة، ببيت ماجد بن خلفان، فلما كان الليلة الثانية، مضى إلى الكوت الشرقى، ومعه براكا الصّرطة، خادم أبيه سيف بن الامام، وخمسة رجال من أصحابة، وحمل معه كيساً فيه سبعمائة قرش، فلّما وصلوا إلى باب الكوت، دعوا كومبو، فأشرف عليهم مـن الكوّة المشرفة على الباب، فقال: من أنتم؟ فقال له بدر: أنا بدر بن مولاك سيف بن الإمام، أدخلني الكوت، ولك مني أن أتركك فيه مكانك، وخذ الآن مني القليل: فقال له: وما هو؟ فقال كيس فيه سبعمائه قرش، فأدلى كومبو إليه قفيراً، ووضع بدر فيه الكيس، فجعل كومبوا يجذبه بحبل إليه، فلّما ملك الكيس، قال لبدر: إرجع إلى حيث أتيت، فإن لم ترجع، ضربتك، وضربت من معك بالتفق، وجعل يرجمهم بالحجارة، فرجعوا، وأخبر بدر ماجد بما جرى عليه من كومبوا، فقال له ماجد: إياك والمبيت في مسقط، فرجعوا من ليلتهم إلى حبرا، فلم يمكث بدر فيها، إلاّ أياماً قلائل، إلى أن مضى، يريد أرض نجد، فلما وصل إلى عجمان، أرض راشد بن حميد النعيمـي، أقام بها، وأحسن إليه راشد، ولم يكن مع بدر، إلاّ ثلاثة رجال، فلّما مـضت عليـه بعض الأيام ارتفع من عجمان إلى الدرعيه، فحالف عبدالعزيز النجدي الوهـابي. ولما كان صبح تلك الليلة التي وفد فيها بدر على الكوت ومنعه عن الدخول فيهـا

---

[1] بدر بن سيف بن الإمام: هو بدر بن سيف بن الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي، وال، شـارك مع عمه سلطان بن أحمد باخماد التمرد الذي قام به محمد بن خلفان للاستقلال بمسقط، كما تولى الوصاية خلفاً لمحمد بن ناصر الجبري على سعيد وسالم وحمد بن سلطان، بعد موت أبيهم، ولما استولى قيس بن الإمام أحمد على البلاد التي كان يحكمها أخوه، وقف بدر ضدّه، واستطاع القضاء عليه بمساعدة النجديين، وبعد ذلك طمع في الانفراد بالحكم، فولى سالم بن سلطان على بلدة المصنعة، وأخوه سعيد على ميناء بركاء، حتى يتباعدا، ولكن السيدة موزة أخت سلطان أدركت مقصده، فدبرت له مؤامرة مع ابن أخيها سعيد، انتهت بمقتله. انظر: دليل أعلام عمان، ص ٣٣.

كومبو، مضى كومبو إلى الوالي سيف بن حنظل[1]، وكان قد تركه سلطان واليـا على مسقط، لما قصد الحج، فأخبر كومبو سيف بن حنظـل الخبركلـه، وأعطـاه الكيس، فقال له سيف: أما الكيس، اتركه معك، حتى يرجع مـولاك سـلطان مـن سفره، واكتم الخبر عن الخاصة والعامّه، وارجع إلى الكوت، وأقم به فلما أنصرف عنه، بعث سيف إلى براكا الصرملة، فلما أتاه قيّده، وأمر أن يحمل إلـى الكـوت الغربي، فحُمل، وحبس فيه، وقطع عنه الماء والزاد، فلما مات، أمر سيف أن يقذف في البحر، ففُعل به كما أمر، وبقي ماجد في خوف شديد من سلطان، فلّمـا رجـع سلطان من الحج، وأُخبر الخبر كله، قيّد ماجد، ثم أطلقه بعد ثلاثة أيام، وسأل عـن أخيه بدر، فقيل له: مضى إلى الدرعية، فقال سلطان: لومكث في حبـرا، لعفـوت عنه، فإن مسيره إلى الدرعية هو لنا الرزية من قبل أهل الغرب. وأغارت بعـض أعراب الظاهرة وحضرها على أطراف السويق، فلما بلغ الصريخ إلى سلطان، أمر علي محمد بن أحمد الوهيبي، ومن معه من بني عمّه أن يتبعوهم،فمضى محمـد و من معه من بني عمه و أهل البلد و بعض الرجال من بني قرين ، فأتبعوا القـوم ، فلما قيل لهم دخلوا وادي الحميلي، دخلوه، ولم يشعروا بالقوم، أنهم قبضوا علـيهم حلق الوادي، وقبضوا رؤوس جباله عليهم، فلّما توسط محمد بن حمد الوادي ومن معه، [٩٤٢] من الرجال، جعل أهل الظاهرة يضربوهم بالتفق من رؤوس الجبال، وركض كمينهم الذي ببطن الوادي عليهم، فقتل محمد بن حمد، ومعه من جماعتـه وأصحابه سبعون رجلاً، وما سلم منهم إلاّ قليل من القتل، فلمّا وافى الخبر سلطان، اشتمل عليه الحزن والضيق، وارتفع من بركة إلى الفليج، وأرسل إلى مهنـا بـن محمد اليعربي و إلى نخل، أن يأتي إليه، فلّما أتاه الخبر كلّه، وأظهر الكآبة من قتل

---

[1] سيف بن حنظل آلبوسعيدي: وال، عاش في أواخر القرن الحادي عشر الهجري وأوائل القرن الثاني عشر الهجري،ولاه السلطان سلطان بن الإمام أحمد بن على مسقط، بعد موت واليها خلفان ابن ناصر آلبوسعيدي، ثم ولاه بهلا، ثم ولاه مسقط مرّة أخرى. انظـر: دليـل أعـلام عمـان، ص٨٥.

محمد بن حمد وأصحابه، ثم قال: إعلم يا مهنا بأن الجبال التي أقاتل بهـا الرجـال اندكّت، و ما بقي معي أحد ممن يثق به قلبي، وهذه الحرب متفاقمة علينا من كـل جانب، وسمعت أن الحريق قد أقبل من الدرعيه إلـى عمـان، والآن هـو مقـيم بالبريمي، ولا بدّ له من دلفة إلى صحار، أو غيرها من البلدان، فما رأيـك بهـذا الشأن الذي شأن، فقال له منها لا تضق ذرعاً، فإن بالـشرقيه وجعـلان وعمـان مصاليتاً أبطالاً أشد قوّة من الذين فقدت، ولو كان عمان بها سبعون شجاعاً فقط، ما سكنّاها، ولا استوطناها، والرأي أن تكتب إلى السّادة جماعتك آل أبي سعيد، وتكلّم ما شئت عندهم في هذا الشأن، واعرف المائل إليك منهم، والمائل عنك، وأما أنـا، فصاحبك الثابت على عهدك وطاعتك، لا عوض لي عنك، أحارب مـن تحاربـه، وأصالح من تصالحه، فاستحسن سلطان كلامه، وكتب إلى أكابر آل أبي سعيد كافة، فأتى إليه محمد بن خلفان بن محمد الوكيل، وأحمد بن سعيد بن أحمد الإمام، وأخواه طالب ومحمد ابنا الإمام، وسيف بن علي، وعلى بن طالب، وعـزان بـن قـيس، وسائر أكابر آل أبي سعيد، فلما وفدوا عليه في بركة، أرسل إلى مهنا بـن محمـد والي نخل، فاجتمع بهم، فأحضرهم سلطان في الغرفه العاليه من حـصن بركـة، فقال: أيتها الجماعة، لقد علمتم بقتل أصحابي بوادي الحميلي، فبقيت بعدهم ككـف بلا أصابع، وهذه الحرب متفاقمة علينا من كل مكان، وصار الصديق لنـا عـدواً، والمحب غير نافع لنا في هذه الشدائد، وبلغت القلوب الحناجر من الـضيق، فمـا رأيكم في هذا الشأن، فسكتوا، ثم عاد عليهم الكلام ثانية، فسكتوا، فتكلّم، سيف بـن علي بن محمد: إن كنت تزعم أن لا بقي أحد من أهل عمان له شدّه علـى مقاتلـه الأعداء، بعد قتل محمد بن حمد الوهيبي وأصحابه، فما زعمنا كزعمك، إذ لانـشك بعمان ممن هم أشدّ منهم قوّة على الحرب، فما نحن بجازعين من الوهابية وغيرهم، فإن قلوبنا التي نمضي بها الخصم مكانها، والسيوف التي نضرب بها الأعداء على أكتافنا، وما طعم الحرب لنا، إلا كالمنّ والسلوى، ولاخير في مقال، لايزكيه الفعل، وليعلم الوهابيون، والاضداد المجاهرون أي منقلب ينقلبون، ثم سكت، فتكلم بعـده

البوسعيديون، وقالوا: كلامنا في هذا الشأن، كلام سيف بن علي، فبينما هم في مجال هذا المقال، أتي رسول قيس بن الإمام إلى سلطان، فأنفذ له كتاباً مختوماً، فلما قبضة سلطان، وقرأه، قال لهم: إن قيساً ذكر في كتابه بدلفة الحريق إلى صحار، وأنه قد عسكر بقومه في العوهي، وقيس يسألني النجده، ويستحثني إليه بالوثبه، فليرجع كل واحد منكم إلى وطنه، ويأتيني بما عنده من الرجال، [٩٤٣] والموعد بيني وبينكم بالخابورة، فبعث سلطان كتبه إلى أهل الشرقية وجعلان وعمان، أن يأتوا إلية بحامل السلاح، وكتب إلى أخيه سعيد بن أحمد، أن يبعث له ما حصل من قومه، وأمر على مهنا أن يأتيه إلى الخابورة بمن معه من الرجال، ومضى سلطان إلى مسقط، وجهّز مركبه الفلك، ووضع فيه من آله الحرب والتمر والأرز شيئاً كثيراً، وحمل معه على طريق البر عشرين ألف قرش، فوافاه المركب الفلك، وهو يومئذ بالخابورة في بحر الخابورة، وأجتمعت مع سلطان أقوام كثيرة، فزعم بعض الناس أن عدد أولئك القوم ثلاثون ألفاً، والله أعلم.

وجمع قيس عسكراً، وكان عددهم مما زعمّ بعض الناس أثني عشر ألفاً والحريق الوهابي يومئذ معسكر بالعوهي، ولم يشعر أن قيساً وسلطان قد جمعوا لدلفته جنوداً كثيرة ولا قليلة، وكانت كتب قيس لاتغيّب سلطان عن أخبار الحريق، فلما عزم سلطان على النقله إلى صحار، أتاه رسول قيس بكتابه، إن الحريق لمّا أخبر بجموعنا، انهزم ليلاً من العوهي، وأحرق خيامه، ورجع إلى البريمي، فلمّا وصلها، لم يمكث فيها إلا قليل، إلى أن رجع إلى نجد، ولمّا علمت القوم برجوع الحريق إلى نجد، وبقوة سلطان، تركوا التوهّب، ومالوا عن عبد العزيز، وصالحوا سلطان، وأصطلح حميد بن ناصر وسلطان، وخمدت الفتن. وذهبت الإحن، وفي سنة تسع عشرة ومائتين وألف، عزم سلطان المسير إلى البصرة بنفسه لأخذ القانون الجاري من أهل البصرة إلى حاكم عمان من عهد الإمام أحمد بن سعيد، فجعل الوالي على مسقط سيف بن محمد البوسعيدي، وقال لمهنا بن محمد اليعربي، والي نخل: كن عني عيناً ويداً وسيفاً حتى أرجع من البصرة، فمضى على مركبة المسمى جن

جاور، فلما وصل إلى البصرة، واجهته أكابرها، وألقوا إليه زمام الطاعة والإذعان، وسلّموا له القانون، فمكث في البصرة بعد ذلك أياماً قلائل، ثم رجع بمركبة، يريد مسقط، فلما بلغ دون لنجة[1]، هبط من المركب إلى سفينة صغيرة، تسمى البدري، يريد أن يمضي خورته لنجدته هبط من المركب إلى سفينة صغيرة تسمى البـــدري يريد أن يمضي خورته إلى البندر وهرموز، وأمر على أهل مركبة أن يمكثوا فيـــه حذى القسم، حتى يرجع، فيهبط من البدري، فيطلع في المركب، فـصادف بعـــدما فارق المركب ثلاثة سفن للشويهين، وهم طائفة من الهولة أهــل جلفــار، وكـــان مصادفته لهم ليلاً مضى نصفه، وقد ضاقت سفنهم بكثرة عددهم، ولـــم تكـــن مـــع سلطان في سفينته البدري، إلاّ بعض عبيده وسائر الأحرار، فصاح الشويهيون على أهل البدري : لمن السفينه ؟ فقال لهم سلطان بنفسه: لسلطان بن الإمـــام، فقـــالوا : نحن طلبه، سلطان، فقال : ارخوا اشرعتكم، والحرب بيني وبينكم بعد صلاة الفجر، فأرخوا أشرع سفائنهم، وأمر على بحارة البدري أن يرخوا شراعها، فبـــات الكـــل يرتقب الفجر، وأشار إلى سلطان بعض أصحابة أن يهبط إلى ما شـــوة البـــدري، فيقذفون به إلى المركب، وقالوا له: هو غير بعيد منّا، ونخال إذا لاح الفجر وصولنا إلى المركب، فقال له: يأبى الله أن أفرّ [٩٤٤] من الرجال، ومن القتال، فلمّـــا لاح الفجر، وصلى، وفرغ من الدعاء، قال : قرّبوا السفينة إلى سفنهم، فلما كانوا بالقرب منه، وقع الحرب بينهم، فجعلوا يرسلون إليه الرماح، وهو يقدّها بالسيف، ويـــزأرُ عليهم زئير الأسد، وهم على وتيرة، بإرسال الرماح إلية، وهو يقدها بالسيف، حتى عزموا على الفرار منه، فرماه بعضهم، وهو أقذر من قـــذار، برصاصـــه تفـــق، فأصابتة بالفم، فمات من ساعته، فلما سمع الشويهيون بكاء أصحابه عليه، أحـــاطوا بالبدري، وهجموا على أصحابه، فلما رأوا و رأوا سلطاناً قد مات، نهبوا ما أرادوا من السفينة، ورفعوا السيف عن أصحابه، فرجعوا إلى بلدانهم، ومضوا على البدري

---

[1] لنجة: أو بلنجة، جزيرة على مدخل الخليج العربي.

أصحاب سلطان إلى لنجة، وأهبطو إلى البر، فلما أخبروا أهل لنجة بالواقعة، ساءهم الأمر، واستولى عليهم الكدر، ثم حنطوه، وكفنوّه، وصلوّا عليه، وقبروه، وأخبروا أهل القسم أهل المراكب بقتل سلطان، فكادوا أن يتميزّوا من الغيظ والضيق، فرجعوا إلى مسقط، فسبقتهم البدري، فلما وصل أهل البدري إلى بركه، أهبطوا خادماً نوبياً من خدّام سلطان إلى البّر، وقالوا له: إمض إلى الفليج، وأخبر بنت الإمام والسيد سعيد بن سلطان بالرزيّة، ولاتخبر أحداً، قبل أن تخبرهما، وكانت بنت الإمام والسيد سعيد يومئذ بالفليج، فوصلهما الخادم بعد صلاة العشاء، فلمّا أخبرهم كفوّا البكاء، وركبوا خيلهم وركابهم، ومضوا إلى مسقط، فصلوا الفجر في روي، ووصلوا المطرح قبل طلوع الشمس، فلما أتوا إلى مسقط، تحصنّوا في الكوت الغربي، وكان سيف بن محمد قد توفي، قبل أن يأتي نعي سلطان بأيام قلائل، فعقد مكانه الشيخ درّه البلوشي، وزلزلت مسقط يومئذ بالخوف والذعر، زلزالاّ شديداً، وغلّقت أبواب السور، ثم فتحت، فكانت دولة أيام سلطان وإقامته في الملك إلى أن توفي ثلاث عشرة سنة، إذ هو احتوى على الملك في السنة التي مات فيها حمد بن سعيد الإمام، وهي سنة ست ومائتين وألف، وقتل سلطان في اليوم الثالث من شعبان سنة تسع عشرة ومائتين وألف بغير خلاف، وخلع سعيد بن الإمام الملك على ولده حمد سنه مائتين وألف، فلبث في الملك إلى أن مات ست سنين، وكان قبل استيلاء حمد على الملك، قد أشتد الجدب والمحل على عمان عامّة، فمات أكثر نخلها وشجرها، وهرب من المحل أكثر أهلها إلى أرض الباطنة ومسقط، وبلغ دلو الماء بالمطرح بعشرة فلوس حيث أن أهل الآبار حموا الماء، وأذادو الناس عنها، فجعلوا يبايعونهم ماء الدلوا بعشرة فلوس، ولما آل الأمر الى حمد، خرج بالناس الى الإستسقاء، فصلى بالناس أول يوم بالوادي الكبير، وفي اليوم الثاني بالوادي الأوسط، وباليوم الثالث بالوادي الصغير، فلما صلى الناس، وأنصتوا في الدعاء، لاحت سحابه في السماء، فأبرقت، وأرعدت، واكتست السماء بالسحاب، فانهل المطر، فكان انهلاله من أفواه السحاب، كانهلال أفواه القرب، [٩٤٥] فركب

حمد فرسه وأحثها، فما بلغ الجزيرة، إلا ومياه الأودية قد بلغت البحر، وعم الخصب عمان، ورجع أكثر من بقي من أهلها إليها، ورخصت الأسعار، وكثرت الأثمار، ولما آل الملك الى سلطان، واستولى عليه كثر المطر بعمان، وأغرق الماء الحلل الخارجة من باب الصغير، فكان أهل سداب، إذا أرادوا الوصول إلى مسقط، يعبرون إليها على أخشاب صغار، وهي التي يسميها العامّة باللغة الإصطلاحية الهواري، فإذا أرادوا الرجوع إليها، ركبوا الهواري من باب الصغير إليها، وقد بلغ الغرق من باب الصغير إلى آخر التكية، وانحدر ماء الوادي من رؤوس جبال وأوديتها إلى البحر، غير منقطع، ولبث السيل ستين يوماً، تارة ثرّه وتارة رهام، وبتلك الستين اليوم، لم تر عين شمساً ولا قمراً ولا نجماً، وانقشع السحاب بعد الستين اليوم، فلاحت الشمس، وخرجت الناس إلى الأسواق، وذلك في سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

واستوى على الملك السيّد سعيد بن سلطان بن الإمام، بعد موت أبيه، ورضي سالم أخوه بتقدمته في الملك عليه، فكان له كفاً، وسيفاً، وأثنت الناس على سالم، لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فحسن صنيعه، وكان مواظباً للصلوات، محباً لأهل الورع والزهد، تيقاً إلى الشعر، محسناً لأهل النظم والنثر، مكرماً أهل العلم، والفقراء، والمساكين، وكانت وفاته بداء الفالج في مسقط، سنه ست وعشرين ومائتين وألف، فأما السيد سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد، فقد رثته جملة من الشعراء، ورثاه الشيخ سالم بن محمد بن سالم الدرمكي بقصيدة بائية، مطلعها شعراً:

عجب جرى في ذا الزمان عجاب ... أسد الأسود سطت عليه كلاب[1]

---

[1] انظر البيت في، ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين، ص٣٨٩.

ورثاه الشيخ الفصيح سيف بن ناصر بن سليمان بن مبارك بقصيدة دالية ومطلعها شعراً:

لا تبتئس من شامتٍ ومفنّدِ ... أبداً ولا تسمع مقالة حَسد[1]

ورثيته أنا بقصيدة نونية، وكنت مبتدئاً في ذلك الزمان بنظم الشعر:

ذكر بعض الأنام يشجي الجنانا	ويهل الدموع منّا جُمانا
كلّما نصّت الرواة حديثاً	عنهم أورث الحشى هيمانا
لم تكذّب إذا سمعت حديثاً	عنهم يبهر النهى إنسانا
ما انكبابي بالجمر بالنشر يحكي	ذكرهم إن سمعته إعلاناً
دونهم في العلّو كيوان إن فشت	علوا بمجدهم كيوانا
وإذا ما اللسان حاول مدحاً	لسواهم بالمنع عضّ اللسانا
أيها الجاهل الذي عرف الحق	دع الجهل فالزمان زمانا
ما ترى الحادثات للمرء تبدي	كل يوم من الرزية شانا [٩٤٦]
كل عيش يراه مرّ مريا	فهو مرُ به لشوب الهوانا
بينما وهو في سرور وأفدا	ن قصور لم يعرف الأحزانا
إن تغشّى تظله دوحة السمر	وقد ظلل الأنام الأمانا
يجتني كل غبطة وسرور	وينيل الأرامل الإحسانا
فأتاه سهم القضا فغدا في	اللحد يقري لحومه الدّيدانا
تتباكى الأحباب شجواً عليه	ومناويه لم يزل جذلانا

---

[1] المصدر نفسه، ص ٣٨٩.

تنحب الـريح ذيـل خـرت إذا مـرّ ت بتـــوارب قبـــره أحيانـــا
وعليــه الــسحايب البــيض والــسّود بـــدمع تقّـــرح الأجفانـــا
وغـــدا بعـــد اســـمه للبرايـــا خبراً كـان فـي الزمـان وكانـا
مـــن يـــرى مـــصيره كيـــف يلتـــذُّ بعـــيش يغـــازل الغزلانـــا
ويعـــد المفـــاتح الخيـــل للفـــتح ويهـــوى الكنـــوز والأفـــدانا

إنما الـرزء قـد تفـاقم والخطـب غــداة النّـاعي نعـى سـلطانا
لا تـرى غيـر أعـين يـوم وافـا ناعيـاً تـسفح الـدّما غـدرانا
وعويل لولا الـصدى خلـت تبكـي قلـل الـشُم حـسرة كبكانـا
وجـدير لـو أن تـأتي بـشجوٍ كـرة الأرض والـسماء دخانـا
ياله مـن مـصاب قـد عـّم قحطـا ن وقـد خـصّ بـالجوى عـدنانا
إنما البـيض فـي الغمـود تباكـت وتـشاكت مـن الأسـى أشـجانا
والجيـاد الـصّلادم الخيـلُ طـراً قـد دهاهـا مـن رزئـه مادهانـا
يـا قتـيلاً لـم يكتـب أمـوي كاكتـابي لـه علـى عثمانـا
ومن الرزء أن يصول علـى الـضرّ غـام كلـب يكّـشر الأسـنانا
و تـشيم العيـون صِـلاًّ سـقاهُ كاس حتف مـن شـمته عقربانـا
إنمـا الباسـل الـشجيع إذا آن رداه لـم يـسق حتفـاً جبانـا
أتظـن ابـن مُـرةٍ لكليـب كفـوءاً حـين فيـه هـزّ الـسّنانا
ومـوالي أخيـه إذ كـشفوا البيـضة كفـوا لـه سـلوا شـيبانا
وقتيـل الطفـوف هـل شـمر كفـو لـه وهـو يغـرس الفرسـانا

لا وربي وما قضى الندب سلطا ... ن سوى الخصم منه عضّ البنانا

كم هجان تجرّع الحتف من ما ... ضيه ضرباً بالجبن يوصي الهجانا

وعداه لا تقرُ لّما أتته ... بسفين عوائمٍ عدوانا [٩٤٧]

وهو لم ينوِ حربهم فأطاعوا ... إذ عصوه وحربه الشيطانا

فرأوا لَما يسوءهم إذ غدا اليمُّ ... بقوافي نجيعهم أرجوانا

هاهم والجسوم يأكلها الحو ... تُ وتسقي دماهم المرّانا

يتلقاهم بطعن وضرب ... هزبري يبددّ الأبدانا

والحسام إذا يحزّ طُلاهم ... فيطير الشرار منه عنانا

وتولوا عنه ورامٍ رماه ... بسهام لا يعرف الإيمانا

فغدا الأفق حين ما نظر الحين ... يزجي سواده ألوانا

وأصاب العمى عمان ومن كا ... ن بإمكانه يثيب عُمانا

أي يوم إلاّ القيامة يحكي ... رزء يوم نعيُّه وافانا

لا ترى غير أعين تسفح الدمع ... وهول يشيبّ الولدانا

كالحسان الرّجال في مأتم الحر ... نِ أو تزدري الرجال الحسانا

أه قد دكت الأعادي تهاماً ... و ثبيراً أو قدس أو بهلانا

طلب الربّح قاتلوه ومن سبيله ... بالثأر صادفوا الخسرانا

خلعا الحزن عنهما بدم الخصم ... فلم يتركا لخصم مكانا

وقرى الخصم بعد إيراق أنسٍ ... أسكناها الغراب والسرحانا

أترى سالماً يسالم من كا ... ن عدواً لم يترك الطغيانا

لا وما لي سعيد ويبقي عدواً ... قاسمياً يصرع الشجعانا

كل يوم يشنّ حرباً لأ حزا ... ب الأعادي ويقتل الأحزانا

لا يزال اللحاظ والسمع للد ... هر نداه والرّوح والريحانا

ملك كفُّه إذا السحب لم تسبل ... كانت لوفده سيحانا

وأخوه فـي الزهـد يحكـي أويساً | ويحـاكي عـدلاً أنوشـروانا
لـم يـزل يقطـع الدّجنـة تسبيحاً | ويفنـي نهـاره قرآنـا
ولـه فـي الـوغى بـسالة ليـث | يتـرك الأسـد بالبـسالة ضـانا
ملـك ذودياـنـه ينـصر الـد | يـن ويُرضـي بعدلـه الرحمانـا
حبّـذ سـالم ونعـم سـعيد | حيـث كانـا لـم نعـدم الإمكانـا
كـل شـيء نعـدّه بهمـا لا يتنـاء | ى منالـه عـن مُنانـا
يا بنـي الأزد فانـصروا ذاً و هـذا | ثـم كونـوا مـا عـشتم إخوانـا
واضربوا هـام مـن تـرون عـدّواً | قاسمياً عنكم نـأى أو تـدانا [٩٤٦]
فعلـى ذا صـوارم المجـد لـم تـأ | لـف يـا أيهـا الـصارم رانـا
وعلـى ذا ميـزان مجـدكم والحمـد | يُرضـي بثقلـه الميزانـا [١]

وقد رثيت ولده السيد سالم بن سلطان بقصيده همزية، عددها ٢١بيتاً:

عـزاء وللحـرّ الحلـيم عـزاء | إذا مـا أتتـه ترحـة وبـلاءُ
فكل فتىً لاقٍ بمـن قـد لقـي الأولـى | مـن الفقـد والـدنيا عنـاً وعيـاءُ
ومـا الحتـف إلاّ منهـل يردونـه | رجـال ينـابيع الحَبـا ونـساءُ
وهل ينكـر المـرء الثـرى إنـه لـه | مهـاد ولـم ينقـل إليـه ثـراءُ
وكيف يكون النكر مـن ثغـر معـدم | ومثـراهم بـالرغم فيـه سـواءُ
وإن يكـن التـسليم للأجـر سـلماً | فتـرك البكـا للثـاكلين بكـاءُ[٢]

ورثيته بقصيدة بائية، عددها أربعون بيتاً، من البحر الوافر، شعراً:

---

[١] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابـن رزيـق الأدبيـة والتاريخيـة المخطوطة منها والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.
[٢] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية المخطوطة منهـا والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

ألا اسقوا الـدمع ربعكـم الجـديبا وشـــقوا شـــقّ جيـــبكم القلوبـــا
وضجواً بالنحيـب فـأي عـذرٍ لكـــل موحـــدٍ يـــذر النحيبـــا
لقــد هتــف الغــرام ألا أجيبــوا دواعـــي الحـــزن شـــباناً وشـــيبا
وســحّوا بالــدموع دمــاً عبيطــا يغـــادر خـــد ذارفـــه خـــضيبا
لقد نسف الـردى علـم المعـالي فأصـــبح يـــوم نادبـــه عـــصيبا
بنفسي لو فـدى بـالنفس نعـش تـــضمن ســـيّداً ثقـــة نجيبـــا
مـن الأزد الكـرام الـشمّ قرمـا تـــضوع بـــذكره الأرجـــاء طيبـــا
أقـــول لخلتـــي لمّـــا تـــوارى ســـناه وشـــقق القـــوم الجيوبـــا
يحق لـــرزء ســـالم كـــل قلـــبٍ تقلبـــــه الكآبـــــة أن يـــــذوبا
مليـــك قربـــه عـــذب فـــرات لمن يـشكو مـن العطـش اللهيبـا[1]

ســقى الــرحمن قبــراً حــلّ فيــه فتـــى ســـلطانه غيثـــاً ســـكوبا
وآنـــس جـــسمه بجـــسيم فـــضل ووفـــىّ روحـــه الهـــول المهيبـــا
وعنـــه محـــا وكفّـــر كـــل ذنـــبٍ وحـــوبٍ فهـــو قـــد يمحـــو الـــذنوبا
لقـــد ســـاد الأنـــام بقـــدس عـــدلٍ وجـــاور ربّـــه ثقـــة منيبـــا[2]

ورثيته بقصيدة رائية عددها تسع وأربعون بيتاً، من البحر الطويل:

مـــصاب يكـــاد الـــيم ّمنـــه يغـــورُ أســـىً وتكـــاد الأرض منـــه تمـــورُ
فجد بدموعٍ تطف بعض لظى الجوى فإن الحـشايا بـالهموم تفـورُ[٩٤٩]
وخفضّ جناح الذّل للحزن فـالنهى تطيَّـــر بالبرحـــا فكـــاد يطيـــرُ
وإياك شق الجيب إن كنـت نادبـاً فتـــى لّرزايـــاه تـــشق صـــدورُ

---

[1] انظر القصيدة في: ابن رزيق، حميد بن محمد: سبائك اللجين، مخطوط، ص ٥٨-٥٩ -٦٠.
[2] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابـن رزيـق الأدبيـة والتاريخية المخطوطة منها والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

أيرجو امرؤٌ منـــا ســروراً وســالم | رهـــين تـــراب جاورتـــه قبـــورُ
فتى إن تسلْ أُخبــرك محيّــاه جنّـــة | وأمـــا فنـــاه للأنـــام ســـعيرُ

سقى الله قبــراً حلّــه مــدمع الحيــا | إلـــى أن يثيـــر القارضـــين نـــشورُ
ولقـــاهُ إحـــساناً يـــرفُ بنعمـــة | تلـــوح عليهـــا نـــضرةُ وســـرورُ[1]

ورثيته بقصيده لامية، عددها أربعون بيتاً، من البحر الكامل:

خــدع المنـــى ووســـاوس الآمـــال | بـــالوهم ضـــاحكة علـــى الآجـــال
ومواهـــب الأيـــام أصـــدق نيلهـــا | طرف يطــوف بهــن طيــف خيــالِ
ووســـامة الـــدنيا وبهجـــة أهلهـــا | رقــــراق مهمهـــــة بمــــاء الآلِ
فذر المطامع ما الإقامة فـــي الـــدنا | لـــك بالإقامـــة وهـــي دار زوالِ
أجهلت أن سرور دهـــرك ناصـــب | لـــك موبقـــات حبائـــل الأغـــوالِ
فاعمل لنفسك صـــالحاً فعـــساك أن | تحظـــى بحـــسن خـــواتم الأعمـــالِ
واعلم بأنـــك مـــن تحـــبُّ مفـــارقُ | ومفـــارق نظـــر البـــذي العـــالي
ومصير ذي الدنيا وروقـــة أنـــسها | والقـــاطنون بهـــا إلـــى اضـــمحلال
من ذا الذي قضى ضياعصـــباحه | وحبائـــــه نـــــاج مــــن الأوجـــالِ
من ذا الذي في الدهر بـــات بليلـــة | تركتـــه أرومهـــا ســـليم البـــال
هيهات ما الـــدنيا تباركـــه سُـــدىً | قلـــب امـــريءِ منـــا بـــلا بلبـــال
وأجلّ ما شـــاهدت مـــن أتراحهـــا | لمـــا فجعـــت بـــسالمِ المفـــضالِ

وقلت في أواخرها:

---

[1] انظر القصيدة في ابن رزيق ، حميد سبائك اللجين ، مخطوط ص ٢٨٥-٢٨٨.

فسقى المهيمن رمسه من مزنه | تذري عليه بمدمعٍ هطّالِ
وأثابه أضعاف ما أولى الورى | وأتابهم بوميض نوٍّ نوالِ
والله ذو عفو يخوّل عبده | في عدنه بأرائك وحجالِ[1]

ورثيته بقصيدة ميمية، عددها إثنان وأربعون بيتاً، من البحر البسيط:

لمثل ذا الرزء فلتبكي العيون دما | اليوم زعزع ركن المجد وانهدما
الله أكبر غاضت كل مكرمة | وفاض لُجَيُّ بحر اليم والتطما [٩٥٠]
فالآن من غرقِ الأحراب لست أرى | إلى النجا شاهقاً أوى به علما
لاغرو إن سال دمعي في الخدوددماً | أواشتكت عضّ أسناني يدي ندما
أ أطرح الهمَّ والأحشاء قد نفخت | فيهن للشجو أفواه الأسى ضرما
وكيف لي باحتمال الصّبر من نُوبٍ | سودٍ تبيّض من إلمامها اللّمما
فما تركن قواماً غير منقصم | منا ولا عظم إلاّ انهاض وانهشما
واحرّ قلباه من رزءٍ تضرّمه | فلم يدع قُلّبيّاً قلبه شبما
وكيف لم تسكب الألحاظ مدمعها | وقد شكت مقّلة الدين الصحيح عما
إرادة الله فينا لا مردّ لها | وعلّة الموت يُعي بُرؤها الحكما
فما ظننتُ أرى رضوى لعظمتها | بأن يصير لنا أمجاده عدما
ولا توهمت بدر التمّ تودعه | بطن التراب وأصلاب الصخور سما
حتى رأيت طلى الأعناق حاملة | إلى الثرى قمراً يستهلك الظلما
فقلت ويلاه مات الدين وانطمست | ربوعه فاندبوا ذا السّيد الحكما
أبعد سالم من يولي الأنام ندى | وقد أمات قناة العزّ والكرما
ملك تزلزلت الدنيا لنقلته | عنها وأورثها الأوصاب والسقما

وقلت في أواخرها:

---

[1] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابن رزيق الأدبية والتاريخية المخطوطة منها والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

أثابـــه الله إحـــساناً ومغفـــرة كمـــا أثـــاب بأســـناً فـــضله الأممـــا
وبلّ باللطف قبراً ضم أعظمـــــه ما انهلّ مدمع جفن الغيث منسجمـــــا[1]

ورثيته بقصيدة ميمية، عددها ثلاثة وأربعون بيتاً من البحر الخفيف:

غاض بحر النوال فاسقوا الرسومـا أدمعـــاً تفـــضح الهمـــول الغيومـــا
وانثروا في الخـدود ممّـا جنيـتم مـــن مهـــى لّجـــة الجمـــان النظيمـــا
واحطموا في صفاالأسى سفن السلوا ن حطـــم امـــرِيءٍ أسَـــرَّ الهمـــو مـــا
قد دهيتم كما دهيـت أولـى الحـز م بخطـــب يقـــضقض الحيزومـــا
لا رعى الله سوء خطـب بـه الأر واح كـــادت أن تبلـــغ الحلقومـــا
ما رأى الطرف قبله يـوم صـبح يـــوهم القـــائلين لـــيلاً بهيمـــا
ثم لمّـا اغـتلا لـه نقـع شـجو أوحـــش النـــاس لونـــه والـــصرّيما
فاسـتحال النعـيم منـه جحيمـاً واســـتحال المعـــين منـــه حميمـــا
وغـدت ترجـف الـدنا بعويـلٍ ينسف الرشد أويـدكّ الحلومـا [٩٥١]
وسـفاها لنـادب ينـدب البـد ر ولـــم ينثـــر الـــدموع نجومـــا
بـأبي والجـدود والآل ملـك يقـــضم العظـــم فقـــده والجـــسوما
علّه الدهر كأس حتـف فأضـحى كـــل قلـــب للمـــشجيات نـــديما
لـم يـدع رزء سـالم كبـداً لـم تـــشكو مـــن وقعـــة الهمـــوم كلومـــا
وإذا ما أدرت فكرك فـي الأجـسا م قلـــت احـــتملن خطبـــاً جـــسيما
دقّة في الأسى يعـزّ بهـا المـرء كمـــا يعتـــزي اللـــدّيغُ الـــسليما
فأدر فـي الأنـام لحظـاً وفكـراً تجـــد الـــشجو بالخـــصوص عمومـــا
وأقـلُ الجـوى إذا المـرء أعـلا نفـــساً ومـــجّ النـــسيم ســـموما
فتوقـوا تنفـسي فهـو لـولا لطف ذي العرش كان ريحـاً عقيمـا
واحذروا مـدمعي فلـولا تقـى الله لأجرتـــه مقلتـــاي جحيمـــا
فتأسـوا أولـي الـوفى فهـو رزء قـــد عرفنـــا كريمـــه واللئيمـــا
فحمدنا الكريم فـي الـشجو فعـلاً وذممنـــا بـــه البخيـــل الـــذميما

[1] بعد البحث والتدقيق تبين لنا أن هذه القصيدة غير موجودة في أعمال ابـن رزيـق الأدبيـة والتاريخية المخطوطة منها والمطبوعة، حفظها لنا في مخطوطته هذه.

وقلت في أواخرها:

يا إله العباد أسألك الفو ... زغدا والرضى له والنعيما
وأقله العثار في يوم لا يسأل ... من هوله الحميم حميما
واسقه ما سقيت أصحاب عدنٍ ... ضرباً أو رحيقك المختوما[1]

ورثيته بقصيدة نونيّة، وعددها ثمانية وثلاثين بيتاً، من بحر البسيط، فقلت:

عضوا البنان فظعن الحظ قد بانا ... وقرحوا لجفا اللذات أجفانا
وحطّموا الصدر بالراحات وادكروا ... في الربع من زمن الراحات ماكانا
ولا تميلوا إلى السلوان إن لنا ... قلباً يرى البحر للسلوان سلوانا
لقد دعا الناس داعي الحزن فامتثلوا ... لأمر دعوته شيباً وشبّانا
وكلف الناس إذ تهمى نواظرنا ... درّاً فساقطت التذراف مرجانا
فما رأى بتباريح المصاب أخاً ... منّا لدعوته في الشّجو خوّانا
لمّا دعانا إلى الأشجان قاطبة ... طرنا إليه زرافات ووحدانا
حتى لقد قال قالينا مشافهة ... لله درّكم للرفق أخدانا
وافيتم فغدت آيات فضلكم ... لمن تصوف بالتبريح برهانا
ولم تزل في بحور الشجو أنفسكم ... تطفوا وترسب أسراراً وإعلانا [952]
ومنكم هدت الأحلام داهية ... تهدُّ لو ناطحت رضوى وثهلانا
ولو تجلّت لشمس الأفق لانكسفت ... حتى يقال شعاع الشمس مابانا
فالأرض من شؤمها ترتّج مائدة ... وتشتكي بلسان الحال أحزانا
يصيح في ظهرها بالويل كل فتى ... يغشى العرائك بسّاماً وجذلانا
إني امرئُ لوشممتُ الريح وهى رخاً ... رددتها بشهيق الصدر نيرانا
إياكم ودموعي فهي محرقة ... فلو يكفكفها كف امرىء بانا
لاسلّم اللّهُ من داء العمى بصراً ... لسالم لم يهلّ الدمع تهتانا

---

[1] انظر القصيدة كاملة في: ابن رزيق، حمد بن محمد: سبائك اللجين، مخطوط، ص٦١٠- ٦١١- ٦١٢.

كم واصل الصبح تهليلاً وحوقلة ... وقطع الليل تسبيحاً وقرآنا
أثابه الله إحسانا ومغفرة ... كما أثاب الورى فضلاً وإحسانا[1]

ورثيته أيضاً بقصيدة نونيّة، عددها ثمانية وثلاثون بيتاً، من البحر الكامل:

اليوم غاض قلّمس الإحسان ... واندكّ طود الأمن والإيمان
فتوّق بعد الصعق مهلكة فقد ... قامت عليك قيامة الأحزان
وأنِبْ نضار دموع طرفك حسرة ... بشواظ نار الهّم والأشجان
والبس ثياب الشجو دهرك والأسى ... واخلع ثياب شبارق السلوانِ
واعضض على الراحات منك كآبة ... عضاً على الراحات بالأسنان
واعمر بيوت النوح ويك فقد غدا ... بيت الفخار مهدّم الأركانِ
واجعل زفيرك بالكآبة صادراً ... عند التلعثم من حميم آنِ
لله أكبر إنها لمصيبة ... شكت الهوان بثقلها الثقلانِ
قد مات سلطان البسيطة سالم ... سلطان كل فتى فتى سلطانِ

وقلت في آخرها شعراً:

فسقى المهيمن قبره من مزنة ... أجفانها في سّحها أجفاني
وأثابه الرضوان إذ رضوانه ... يفضي بأهليه إلى رضوانِ[2]

و وقفت عن تذكاري لسيرة الهمام سعيد بن سلطان بن الإمام، إذ هو أطال الله بقاءه، مع إفراغي من ذكر سيرة أبيه، إلى هذه الغاية، وهي سنة تسع وستين ومائتين وألف، في قيد الحياة، ولا يؤرخ المؤرخ من هو في قيد الحياة قبل أن

---

[1] انظر القصيدة كاملة في: المصدر نفسه، ص ٦٦٤ – ٦٦٥ – ٦٦٦.
[2] انظر القصيدة كاملة في: المصدر نفسه، ص ٦٦٦ – ٦٦٧ – ٦٦٨.

يصير في غير قيد الحياة، إذ في مدة إقامته في الدّهر، تحدث علـــى يـــده كـــوائن وقضايا وجرايات، تخفى على المؤرخ والمؤرَّخ، فتاريخ المؤرخ متعذر، لمن هـــو في قيد الحياة، ، إذ عنه كشف ما يأتي، بعد كشف ما أتى غيب، ولايعلم الغيـــب إلا الله، وإنما السلف والخلف من المؤرخين، لم يؤرخوا من وجدوه في قيـــد الحيـــاة، [٩٥٣] بل يؤرخونه، إذا صار في غير قيد الحياة، كما ذكرنا على هـــذا مـــنهجهم ومذهبهم، ولا يصِّح إلاّ هذا،

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم مافي غدِ عمٍ

وأما السيد الهمام سعيد بن سلطان بن الإمام الملك، تضرب به الأمثال في الـــشرف والأفضال، لقد حارب العدى براً وبحراً، فسقاهم بكأس الـــرّدى، فملـــك أفـــدانهم، وأستأصل سلطانهم، فأزعنوا له قسراً، وغلبهم قهراً، وجاد بالبيضاء والصفراء على أهل الإكثار والإقلال، فمالت قلوب أهل الإنصاف إليه، وأثنت ألسنتهم عليـــه، ولا يبعد قولي إذا قلت، إن الملوك الماضين من أهل عمان دونه في اســـتيلاء البلـــدان والأفدان، وهم في الكرم دونه، لا يختلف في ذلك إثنان، خلّـــد الله ملكـــه، وأطـــال عمره، وأولع لسانه أن يقول على رغم أُنوف الحساد في جنح وراد، إن هذا لرزقنا ماله من نفاد، وهذا نقل الكتابة بالمداد الأحمر أعلاه.

وقد وقع الفراغ من تحريري لهذا الكتاب، يوم الأربعاء والسادس والعشرين شـــهر محرم، سنه ١٢٦٩ هـــ على يد مؤلفه الحقير حميد بن محمد بن رزيق، بخط يده.

فهرس الجزء الخامس

الموضوع	الصفحة

